

الموسوعة التاريخية
للأمة الشركسية "الأديغة"

(من الالف العاشر ما قبل الميلاد إلى الالف الثالث ما بعد الميلاد)

الأستاذ الدكتور
محمد خير مامسر باتسج

حضارة
الأمة الشركسية

المجلد الثاني

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٩/١/٣٦٥)
الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية: الأديغة: من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد/ جمع وإعداد محمد خير مامسر باتسج.
عمان: دار وائل، ٢٠٠٩
(٧٥٦) ص
ر.إ. : (٢٠٠٩/١/٣٦٥)
الواصفات: الشراكسة / القواميس
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

****

رقم التصنيف العشري / ديوي : ٣٠٥,٩٩٩٦
ISBN 978-9957-11-795-5 (ردمك)

* الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية: الأديغة: من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد

* الأستاذ الدكتور محمد خير مامسر باتسج

* الطبعـــــة الأولى ٢٠٠٩
* جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

عنوان المؤلف:
الأردن – عمان . ص. ب ١٣٢٣٣ الرمز البريدي: ١١٩٤٢
فاكس ٠٠٩٦٢٦٥١٥٣٠٥٥
تلفون ٠٠٩٦٢٦٥١٥١٨٣٨ E-Mail: mamser@orange.jo.



دار وائـــل للنشر والتوزيع
* الأردن – عمان – شارع الجمعية العلمية الملكية – مبنى الجامعة الاردنية الاستثماري رقم (٢) الطابق الثاني
هـــاتف : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣٨٤١٠ – فاكس : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣١٦٦١ – ص. ب (١٦١٥ – الجبيهة)
www.darwael.com E-Mail: Wael@Darwael.Com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو ترجمته أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف.
All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.



المجلـد الثاني

حضارة الأمة الشركسية

فهرس المقدمة

	الصفحة
* المقدمة	٧-٢٠
* أجزاء المجلد الثاني	٢١-٢٢
* فهرس فصول الجزء الأول في المجلد الثاني	٢٣-٣٠
* فهرس فصول الجزء الثاني في المجلد الثاني	٣١-٤٤
* فهرس فصول الجزء الثالث في المجلد الثاني	٤٥-٦٠
* فهرس فصول الجزء الرابع في المجلد الثاني	٦١-٩١

مقدمـــة

المجلـد الثانـي

يتكون هذا المجلد من أربعة أجزاء، تضم ستة عشر فصلا، وقد خُـصّص الجزء الأول لدور الاقتصاد والصناعة والتجارة في بناء حضارة الأمة الشركسية.

ففي الفصل الأول من هذا الجزء تم التعرف على مراحل نـشأة الثـروتين الزراعية والحيوانية. كما تم البحث في مصادر ومناقشة السياسة التي اتبعتها روسيا القيصرية في تخريب الاقتصاد الزراعي والثروة الحيوانية فـي الـوطن الأم بعـد الاستيلاء على الأراضي الزراعية والرعوية، وعلى المخزون الاسـتراتيجي مـن المحاصيل الزراعية والحيوانية، وكذلك من خلال لجوئها لسياسة خلـع الأشـجار المثمرة، وحرق المزروعات والأحراش وإتلاف الغابات وحقـول القمـح والـذرة والبقول كما قمنا في نهاية هذا الفصل ببيان كيف استطاع الشراكسة الذين نجوا من عمليات التهجير القسري بعد الاستيلاء الكامل على الوطن الأم عـام ١٨٦٤ مـن النهوض مجددا بالثروتين الزراعية والحيوانية في كل من جمهوريـات كباردينـا وبلقاريا، وتشركسيا قراني، والأديغي، وأبخازيا.

وفي الفصل الثاني: قمنا باستعراض أنواع الصناعات اليدوية التـي كانـت سائدة في العصرين الحجري والحديدي، كما تم فيه استعراض أنـواع الـصناعات اليدوية والحرف المهنية التي انتشرت في مراحل ما بعد العصور الحديديـة التـي ابتدأت في الألفية الأولى ما قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر الميلادي. وهـي الصناعات التي تمثّلت بصناعة الأدوات واللوازم التي استخدمها الشراكـسة منـذ عصر الأجداد في الحراثة، والحصيدة والدراسة، والحفر والنكش والجرف، وكذلك صناعة بذار القمح والتقاط وتنظيف الحبوب والبقوليـات، إضـافة إلـى صـناعة العربات التي استخدمت في نقل المزروعات، وكذلك صـناعة الأدوات والمعـدات التي استخدمت في صناعة الأغذية إضافة إلى لوازم وأدوات تربية النحل، وصناعة أثاث المنازل، وأدوات الطبخ وأواني الطعام والشراب، وأدوات ومعدات صـناعة

الحدادة والتجارة ولوازم الخيل، ومعدات الغزل والنسيج والحياكة والتطريز، إضافة إلى صناعة معدات لوازم مهنة الصياغة التي أبدع فيها الشراكسة منذ عصر الأجداد وتوصلنا في بحثنا حول حقائق البعد الصناعي لحضارة الأمة الشركسية، بأنهم توصلوا إلى أسرار صناعة البارود، كما قاموا بصناعة أكثر من عشرة أنواع من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، وهي الأسلحة التي استخدمها الشراكسة في حروبهم على مدى أكثر من (٢٥) قرناً.

كما توصلنا في بحثنا إلى أنّ أجداد الشراكسة سبق أن توصلوا إلى صناعة القوارب والمركبات متوسطة الحجم، وأن شعب الكريكت سبق أن امتهن التجارة البحرية وأن شعب الحانوخ مارسوا القرصنة في البحر الأسود.

وفي ختام هذا الفصل قمنا بالتعريف بأنواع الصناعات والحرف المهنية لدى الشعوب الشركسية الذي نجت من التهجير القسري وعاشوا في الوطن الأم في ظل حكم السلطات الروسية القيصرية، وفي عهد كل من الحكم الشيوعي وفي روسيا الاتحادية.

وفي الفصل الثالث من هذا الجزء قمنا بمناقشة دور البعد التجاري في بناء حضارة الأمة الشركسية، وهي التجارة التي تمثّلت في إقامة علاقات تجارية مزدهرة مع المستعمرات اليونانية والامبراطورية الإيرانية، والامبراطورية الرومانية والبيزنطية.

كما تمثلت بالعلاقات التجارية التي تجددت مزدهرة منذ القرن السادس عشر الميلادي مع دول أوروبية عامة ومع الأنجليز والفرنسيين والإيطاليين خاصة، إضافة إلى العلاقات التجارية التي كانت قائمة مع كل من خانات الروم والأتراك والعرب والصينين خاصة.

كما تناولنا الأسباب التي أدت إلى توقف تجارة الأمة الشركسية إبان مراحل حرب الدمار والإبادة التي شنتها السلطات الروسية القيصرية على شعوب شمال

القفقاس عامة والأمة الشركسية خاصة، كما تحدثنا عن عودة الأمة الشركسية لممارسة مهنة التجارة الخارجية في الجمهوريات التي يعيش فيها شراكسة الوطن الأم في ظل حكم روسيا الاتحادية.

وفي ختام هذا الفصل قدمنا استنتاجات حول الأعمال التجارية لدى الأمة الشركسية في الوطن الأم عامة ولدى شراكسة الشتات في بلاد المهجر خاصة.

وفي الجزء الثاني من هذا المجلد، تحدثنا في شيء من التفصيل عن دور النظم الاجتماعية والسياسية والقضائية في بناء حضارة الأمة الشركسية، حيث خصصنا الفصل الأول من هذا الجزء للتحدث عن البعد الديمقراطي في حضارة الأمة الشركسية، وتحدثنا فيه عن مراحل نشأة وتطور مفهوم الديمقراطية لدى الشراكسة منذ عهد مجالس الأمهات، ومجالس الاباء وكذلك في مرحلتي نشوء الدول أو الدويلات وظهور نوعين من النظام الاجتماعي المتمثل بالنظام الطبقي، حكم الشعب.

وقمنا باستعراض خمسة مبادئ ديمقراطية، بُني عليها البعد الحضاري للأمة الشركسية منذ عصر الأجداد وهي المبادئ المتمثلة بمبدأ: أنّ الشعب هو مصدر السلطات، ومبدأ أن المجالس هي مصدر التشريعات، ومبدأ أن حرية التعبير والجرأة في القول هي أسلوب حياة عند الشراكسة، ومبدأ حرية اختيار أو انتخاب الأمراء والزعماء، وأخيراً مبدأ ديمقراطية وشعبية الأمراء والرؤساء والزعماء لدى الأمة الشركسية في كل العصور بما فيها العصر الذي ساد فيه النظام الطبقي لدى الأمة الشركسية.

وفي الفصل الثاني من هذا الجزء تحدثنا عن البعد الاجتماعي في حضارة الأمة الشركسية منذ عصر الأجداد وتناولنا فيه مراحل نشأة وتطور المجتمعات الشركسية منذ القدم، والتي تمثلت بمرحلة ظهور المجتمع المدني الأولي، ومرحلة ظهور التفاوت الاجتماعي، ثم مرحلة ظهور الإقطاعية، وأخيراً مرحلة ظهور

الطبقية في المجتمعات الشركسية. كما استعرضنا التقسيمات الطبقية لدى الشراكسة. كما قام بتقسيمها الرحالة والمؤرخون وعلماء الاجتماع الأجانب، بالإضافة إلى تقسيمات بعض المؤرخين الشراكسة مثل "نغموقة"، كما تناولنا بالبحث والتحليل الثورات والانتفاضات التي قام بها الفلاحون الشراكسة ضد الأمراء والنبلاء والإقطاعيين والمتمثلة بثورة عام ١٧٦٧، والثورات التي امتدت من عام ١٧٧٠ عام ١٧٩٠. وكذلك ثورة عامي ١٨٤٦ – ١٨٤٧، وأخيرا انتفاضة عام ١٨٥٦.

كما قدمنا دراسة متكاملة حول المؤسسات الاجتماعية التي كانت سائدة لدى الأمة الشركسية منذ عصر الأجداد، والمتمثلة بمؤسسات البيت وأماكن العبادة، ومجالس المضافات، والمجالس الشعبية. كما تحدثنا عن الفئات التي تتكون منها المجتمعات الشركسية والمتمثلة بالحكام، ورجال الدين، والقضاة والفلاحين والحرفيين والفنانين، والشعراء والمقاتلين العسكريين، والتربويين ورجال الأمن.

كما تناولنا بالنقد والتحليل خصائص ومقومات المجتمعات الشركسية في الوطن الأم عامة، مثل خاصية علاقة الفرد بأسرته وبالجيران، وبالمجتمع الشركسي ومفهوم الأخوة والصداقة وخاصية نظام التعاون والتكافل والتضامن، ومبدأ احترام العمل والعمال، ومبدأ قرابة "الأتالق" والأخوة بالرضاعة، وأخيراً مبدأ رفض الكسل واحتقار العاطلين عن العمل في المجتمع الشركسي.

وفي ختام هذا الفصل تناولنا بالبحث والدراسة سياسة الاضطهاد الاجتماعي التي عانى منها الشراكسة في عهد سلطات روسيا القيصرية وهي السياسة التي تمثلت بأسلوب "الأرض المحروقة" خلال حربها على الأمة الشركسية وبعد استيلائها على الوطن الأم، وهي السياسة التي أدت إلى طرد أكثر من (٢,٥) مليون شركسي إلى خارج الوطن الأم ومقتل أكثر من (١,٥) مليون، والاستيلاء على أكثر من ٩٠% من أراضي الشراكسة في الوطن الأم وجلب عشرات القوميات غير القوقازية للاستيطان في الأراضي المغتصبة من أراضي الشراكسة.

وكذلك محاولة "ترويس" الشراكسة ومحاولة القضاء على النظام والتراث الاجتماعي واللغة القومية للشراكسة بأساليب مباشرة وغير مباشرة، كما تناولنا في الجزء الأخير من هذا الفصل دراسة عن الأوضاع الاجتماعية للشراكسة الذين نجوا من القتل أو التهجير القسري وبقوا في الوطن الأم في عهد الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، وهي الأوضاع التي تمثلت بمبدأ الإلحاد والمادية، والاضطهاد الديني، ومصادرة الأملاك الوقفية، والمساجد والمدارس الدينية، وإلغاء الملكية الفردية، كما بينا بعض الأدوار الاجتماعية الإيجابية التي ساهمت في تطوير المجتمعات الشركسية إبان الحكم الشيوعي للفترة ١٩١٧م – ١٩٨٩م ، خاصة ما يتعلق فيها بتطوير الفلكلور القومي الشركسي، ونشر التعليم عامة وتعليم اللغة الشركسية خاصة، وتوفير الرعاية الصحية، والحفاظ على التراث الثقافي القومي وكذلك توفير الرعاية الطفولة والأمومة، والاهتمام بالرياضة عامة ورعاية الشباب خاصة في المجتمعات الشركسية في الجمهوريات الأربع.

وفي الفصل الثالث من هذا الجزء تناولنا بالنقد والتحليل دور مفهوم الدولة والنظم السياسية في حضارة الأمة الشركسية، حيث تضمن هذا الفصل الموضوعات الرئيسية التالية:

نشأة مفهوم الدولة لدى الأمة الشركسية منذ مرحلة تكوين دول واتحادات وحكومات متمثلة بجامعة واتحاد الكميرون منذ الألفية الثانية ما قبل الميلاد.

كما تضمنت دراسة حول الدول والحكومات التي شكلها أجداد الشراكسة في القرون الأولى ما بعد الميلاد متمثلة بدولة "زيخيا" الفيدرالية. وحكومة الأمير ينال الجد الأكبر لأمراء قبائل القبرطاي التي امتدت في حكمها شعوب شمال القفقاس لمقاومة دولة الخزر في عام ١٩٥٧م .

كما تحدثنا عن مرحلة تفكك حكومة "ينال" بعد وفاته وحدوث انشقاق بين أبنائه الخمسة، حيث استمر هذا التفكك لأكثر من اربعة قرون، وابتداء من القرن

الثالث العشر وحتى القرن السابع عشر نتيجة تعرضها لغزو جيوش المغول ومن بعدها جيوش التتار.

كما تعرضنا بالدراسة والتحليل لحكم الأمير الشاب "اسلاف قيتوقة الذي تولى الحكم في منطقة القبرطاي عام ١٦٤٥م وانشأ فيها (١٢) امارة "ولاية" شركسية بدعم من الفيلسوف الشركسي "قازتوقة جباغي".

واختتمنا هذا الفصل بدراسة حول محاولات زعماء وأمراء وقادة الشراكسة بتشكيل حكومات، أو اتحادات لمواجهة غزو خانات القرم عامة وصد الأمة الشركسية مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، حيث توصلنا إلى أنّ الشراكسة حاولوا اثنتي عشرة مرة تشكيل حكومات أو اتحادات، منها تسع محاولات في الفترة ما بين ١٧٩٠و ١٨٦٣ وثلاث محاولات خلال حكم القياصرة في أعوام ١٨٧٢ ، ١٨٧٣، ١٨٧٤ ، وكذلك محاولة واحدة مع نهاية حكم القياصرة، وبداية الحكم الشيوعي في الفترة من عام ١٩١٧ – ١٩٢٦.

وأما المحاولة الثانية عشرة الأخيرة، فكانت مع انهيار الاتحاد السوفيتي وبداية حكم روسيا الاتحادية في عام ١٩٨٩ واستمرت حتى عام ١٩٩٤ م .

وفي الفصل الرابع والأخير تم البحث في دور البعد القضائي في بناء حضارة الأمة الشركسية، وهو البعد الذي تضمن ثلاثة أبعاد فرعية وهي:

- البعد القانوني للنظام القضائي للأمة الشركسية.
- البعد المهني للنظام القضائي للأمة الشركسية.
- البعد التخصصي للنظام القضائي للأمة الشركسية.

وأوضحنا هذا الفصل باستعراض الدور الفاعل لأبرز القضاة الشراكسة الذين ظهروا في مراحل مختلفة وهم:

القاضي وري، والقاضي أبوق حاجي إسحق، والفيلسوف القاضي قازانوقة جباغي.

وفي الجزء الثالث في هذا المجلد تحدّثنا بالتفصيل عن دور التربية والثقافة والمعرفة العلمية في بناء حضارة الأمة الشركسية، حيث تناولنا في الفصل الأول منه دور بعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية في بناء حضارة الأمة الشركسية، إذ تضمن هذا الفصل الموضوعات الرئيسية التالية:

- عوامل ودوافع اهتمام الشراكسة بتربية الطفل.
- مصادر التربية والتنشئة الاجتماعية في المجتمعات الشركسية.
- أدوار كل مصدر من المصادر الرئيسية للتربية والتنشية الاجتماعية والمتمثلة بدور كل من الأسرة والأتالق ومجال المضافات والنظام التربوي في المجتمعات الشركسية، وكذلك دور كل من مؤسسات المجتمع المدني الشركسية والمتمثلة في مؤسسات أماكن العبادة، والمجالس الشعبية والمجالس القومية بالإضافة لدور المؤسسة العسكرية غير النظامية ودور التجمعات والمناسبات الاجتماعية والاقتصادية، والاعياد الدينية، وكذلك دور البيئة والطبيعة المحيطة بالتجمعات الشركسية مثل الغابات والجبال والانهار والوديان والبحار على تنشئة الشباب الشركسي.
- دور البالغين من أفراد المجتمع الشركسي في تنشئة الأطفال وفي توعية وتوجيه الشباب الشراكسة، وهو الدور الذي يقوم به كل من: الرفاق، والأصدقاء، والجيران، وأفراد المجتمع المحلي في القرية، ودور كل من المغنين والمنشدين، والشعراء، والأدباء، وكذلك دور كل من الحرفيين والمهنيين والمزارعين في نقل المعارف المهنية، بالإضافة إلى ما يقوم به كل من التجار الأجانب الوافدين لبلاد الشراكسة والقضاة والحكام، ورجال الدين، وطلاب العلم، والحجاج العائدين من الديار المقدسة والمقاتلين العائدين من الحروب والغزوات والصيادين العائدين من رحلات الصيد الطويلة، وكذلك دور الشعوب والأمم التي استوطنت في بلاد الشراكسة

والرحالة الأجانب الذين تجولوا بين شعوب وقبائل الشراكسة في نقل المصارف والعلوم والفنون، والآداب والثقافات واللغات.

- الطرق والأساليب التي استخدمها الشراكسة منذ عصر الأجداد في تربية وتنشئة الأطفال والشباب في المجتمعات الشركسية، وأهمها: أسلوب التلقين أو المُثل والنماذج، وأسلوب النصح والإرشاد والامتثال لأوامر الكبار، وكذلك أسلوب رد الأمثال والحكم في مجالس المضافات على مسمع من الصغار والكبار وأسلوب التدريب العملي، والتعلم بالممارسة، والتجربة، وبتعريض الأطفال والشباب لمواقف صفية حقيقية، وكذلك أسلوب الاقتداء بالمشاهير من الأبطال الشراكسة، هذا بالإضافة لاستخدام أسلوب الثواب والعقاب في التربية والتنشئة، وتوصلنا إلى أنّ هذه الأساليب والطرق هي التي داوم الشراكسة على استخدامها مع الأطفال والشباب منذ عصر الأجداد وحتى العصر الحديث.
- وفي الفصل الثاني من هذا الجزء، تناولنا دور المعارف العلمية العامة في بناء حضارة الأمة الشركسية وهو الدور الذي يتمثل بإعطاء أهمية كبرى لمبدأ تدريب عقل الإنسان الشركسي على استخدامه الاستخدام الأمثل في جميع مواقف الحياة، وأن هذا التدريب يبدأ مع الطفل، ويمتد إلى مرحلة الشباب وحتى مرحلة الرشد والشيخوخة ونستدل على ذلك من أساطير النارتيين التي تحكي تصنيف أهمية استخدام الطفل في التغلب على المواقف الصعبة مثل قصة "سوسروقة"، وقصة المرأة الشركسية ماليكايخو وأولاد العجوز الثلاثة، بالإضافة إلى قصة "حاغور التراثية" كما تستدل عليها من عشرات الحكم والأمثال التي تبين أهمية استخدام العقل في حياة الشراكسة.

كما تناولنا في هذا الفصل نماذج من المعارف العلمية لدى الأمة الشركسية التي توصلوا إليها منذ عصر الأجداد في فجر التاريخ والتي تمثّلت

بالمعارف الطبية، والتنجيم والفلك، والمعارف العلمية حول البيئة والتقلبات الجوية والطقس والتقويم السنوي، وكذلك المعارف الدقيقة حول المقـــاييس والاوزان والكيل، بالإضافة إلى المعارف العلمية المتقدمة التي توصل إليها الشراكسة حول التصنيع عامة وطلاء أسلحة الأوانـــي وعمـــل زخـــارف ونقوش جميلة عليها خاصة، كما توصلوا إلى أسرار صهر المعادن النفيسة مثل الذهب والبلاتين وصناعة العشرات من أنـــواع الأســـاور والخـــواتم والخلاخل والحلق، هذا بالإضافة إلى اكتشاف أسرار صناعة مختلف أنواع الأسلحة الحقيقية منها والمتوسطة، وكذلك أسرار صناعة البـــارود، وبنـــاء القوارب الصغيرة والمتوسطة الحجم التي كانت تتسع إلى (٣٠٠) راكب.

وفي الفصل الثالث والأخير في الجزء الثاني من هذا المجلد قدمنا دراســـة متكاملة حول دور البعد المعماري وفن الزخرفة في بناء حضارة الأمة الشركسية، حيث تضمنت هذه الدراسة الموضوعات الرئيسية التالية:

نشأة وتطور فن هندسة العمارة لدى الأمة الشركسية والعوامل التي أثـــرت في تطور تصميم بناء المساكن الشركسية كما تضمنت معالم فن هندسة العمارة في بناء البيوت القديمة منها والحديثة، والوتجاق والحنيونة الشركسية وكـــذلك هندســـة المضافات الشركسية والسدود والقلاع والأقبية والنصب التذكارية، وأماكن العبـــادة من أديرة، ومساجد، ومقابر، وأضرحة.

هذا بالإضافة إلى فن الزخرفة والنقش والنحت والحفـــر والتطريـــز الـــذي اشتهر به الشراكسة منذ عصر الأجداد.

وأما الجزء الرابع والأخير من أجزاء المجلد الثاني

فقد خُصص لدراسة ومناقشة دور التراث الأدبـــي والثقـــافي والفروســـية والرياضة وأصناف المآكولات وأنواع الفلكلور القومي الشركسي في بناء حـــضارة الأمة الشركسية.

ففي الفصل الأول منه تم استعراض أقسام الأدب الشركسي والذي تمثل في الأساطير وملاحم النارتيين والشعر، والغناء، والمسرح والحكايات، والقصص والأمثال والحكم منذ عصر الأجداد وحتى العصر الحديث.

كما تم البحث في أدب المسرح والتمثيل في بلاد المهجر عامة، وفي كل من تركيا، والأردن خاصة. كما تم التعريف بالكتاب والأدباء القدامى من الجيل الاول للأدباء في الوطن الأم، وكذلك التعريف بالجيل الأصغر سنا من الذين عاصروا الحياة الأدبية في عهد الاتحاد السوفيتي، كما تم التنويه بكتّاب وأدباء شراكسة روجوا للامبرولوجية الشيوعية.

وفي ختام هذا الفصل تم التعريف بالأدباء والكتاب من الرواد الأوائل من شراكسة بلاد المهجر عامة، وفي كل من شراكسة مصر وتركيا والأردن وسوريا خاصة.

وفي الفصل الثاني من هذا الجزء تم التحدث عن نشأة وتطور الأمثال والحكم والأقوال المأثورة لدى الأمة الشركسية، وقدمنا نماذج من الأمثال والحكم التي قيلت في (١٣) مجالاً او موقفاً من مواقف الحياة المتعلقة بكبار السن وصغارهم، والمرأة وحول الشجاعة والعمل، والخير والشر، والخبرة، والتجربة، بالإضافة لما قيل في مجالات الضيافة والكرم والتعارف والعمل الجماعي، والصداقة والعلم والمعرفة واحترام العقل، كما تم التعرف على الأمثال والحكم التي قيلت في مناسبات اجتماعية وغير اجتماعية كثيرة، وكذلك الأمثال التي استخدمت في صياغتها أسماء بعض الحيوانات مثل: الكلب، والذئب، والحصان، والثور، والعجل، والدب، والقط، والماعز، والشاة، والأفعى... الخ، كما تم التعريف بأنواع الأحاجي والفوازير التي كانت تستخدم عند الشراكسة منذ القدم.

واختتمنا هذا الفصل بالتحدث عن أهمية استخدام الأمثال في المجتمعات الشركسية وعن فوائدها التربوية والتعليمية والتوجيهية والتحذيرية، وكذلك فوائدها في حق الشباب للقيام بأعمال بطولية تتطلب شجاعة وتضحية. كما توصلنا في بحثنا عن أهمية وفوائد الأمثال والحكم إذ استخدمت في ترسيخ العادات والتقاليد، وفي التعبير عنها في مختلف المواقف الاجتماعية والتربوية.

وأما الفصلان الثالث والرابع، فقد تم تخصيصهما للتعريف بدور ثقافة تربية الخيل وألعاب الفروسية، والألعاب الشعبية القديمة وثقافة الرياضة في المجتمعات الشركسية في بناء حضارة الأمة الشركسية قديماً وحديثاً. كما تم التعريف بالأبطال الأولمبيين، وأبطال العالم، وأبطال أوروبا من رياضيي شراكسة الوطن الأم، بالإضافة للتعريف بالأبطال الرياضيين من شراكسة تركيا، والأردن وسوريا الذين حققوا إنجازات رياضية.

وفي الفصل الخامس، تم تقديم دراسة متكاملة حول دور بعد الثقافة الغذائية في بناء حضارة الأمة الشركسية، وهي الثقافة التي تمثلت بالصناعة الغذائية التي استخدم فيها الشراكسة منذ عصر الأجداد مأكولات قومية مكونة من تسعة أنواع وأصناف من المأكولات التي تدخل في صنعها: لحوم الحيوانات، ولحوم الدواجن والطيور، والبقول والحبوب، والخضروات، ومشتقات الألبان، والفواكه والأسماك، بالإضافة إلى عدة أنواع من أصناف وأنواع المشروبات المسكرة منها وغير المسكرة.

واختتمنا هذا الفصل بالتعريف بأنواع وأصناف وأطباق المآكولات التي حافظ عليها الشراكسة في بلاد المهجر عامة، وفي كل من تركيا، وسوريا، والأردن وفلسطين خاصة.

وأما الفصل السادس والأخير من هذا الجزء في المجلد الثاني فقد خُـصّص لدراسة ومناقشة دور الفلكلور القومي الشركسي في بناء حضارة الأمة الشركـسية بشكل عام ودور كل نوع من أنواع الفلكلور الذي يتمثل في الموسيقى والـرقص، والغناء، والأناشيد، واللباس القومي الشركسي في تشكيل ثقافة الفلكلور الشركـسي في الوطن الأم منذ عصر الاجداد.

كما تم تقديم دراسة حول مواصفات اللباس القومي الشركسي لدى شراكسة الشتات في بلاد المهجر عامة وفي كل مـن تركيـا وسـوريا والأردن وفلـسطين خاصة.

والله الموفق

المؤلف

فهرس أجزاء
المجلد الثاني

حضارة الأمة الشركسية

أجزاء المجلد الثاني

	الصفحة
الجزء الأول: **دور الاقتصاد والصناعة والتجارة في بناء حضارة الأمة الشركسية**	٩٣-٢١٠
الجزء الثاني: **دور النظم السياسية والاجتماعية والقضائية في بناء حضارة الأمة الشركسية**	٢١١-٣٤٦
الجزء الثالث: **دور التربية والثقافة والمعرفة العلمية في بناء حضارة الأمة الشركسية**	٣٤٧-٤٨٤
الجزء الرابع: **دور التراث الأدبي والثقافي والفروسية والرياضة والغذاء والفلكلور القومي في بناء حضارة الأمة الشركسية**	٤٨٠-٧٥٦

فهرس

فصول الجزء الأول

في

المجلد الثاني

فهرس
فصول الجزء الأول

		الصفحة
فصول الجزء الاول	الفصل الأول: البعد الاقتصادي والزراعي والثـــروة الحيوانية لحضارة الأمة الشركسية.	٩٥-١٣٦
دور الاقتصاد والصناعة والتجارة في بناء حضارة الأمة الشركسية	الفصل الثاني: البعد الصناعي والمهني والحرفـــي لحضارة الأمة الشركسية.	١٣٧-١٩٢
	الفصل الثالث: البعـد التجـاري لحـضارة الأمـة الشركسية	١٩٣-٢١٠

فهـــرس

الموضوعات الرئيسية في

فصول الجزء الأول من

المجلد الثاني

فهرس موضوعات الفصل الأول

		الصفحة
الجزء الأول	تمهيد	٩٦-١٠١
	١) مراحل نشأة الثروة الزراعية والحيوانية لدى الأمة الشركسية	١٠٢
	- مرحلة الزراعة البعلية	١٠٢
	- مرحلة الثورة "النيولتية" الكبرى	١٠٣-١٠٦
	- مرحلة الاقتصاد المركب من الزراعة المروية وتربية المواشي	١٠٤
	- مرحلة سلة الفواكه والخضار والحبوب والسمن والعسل	١٠٥
الفصل الأول	٢) مصادر الثروة الزراعية والحيوانية لدى الأمة الشركسية	١٠٧-١١٠
	المصدر الأول: الحبوب والبقول والخضروات والفواكه	١٠٧
	المصدر الثاني: الحيوانات الأليفة	١٠٨
	المصدر الثالث: الطيور والدواجن	١١٠
	المصدر الرابع: النحل ودودة القز	١١٠
	المصدر الخامس: الثروة السمكية	١١٠
	المصدر السادس: صيد الحيوانات والطيور البرية	١١٠
البعد الاقتصادي الزراعي والثروة الحيوانية لحضارة الأمة الشركسية	٣) مرحلة تخريب الاقتصاد الزراعي والثروة الحيوانية في الوطن الأم	١١٠-١١١
	- سياسة الاستيلاء على الأراضي الزراعية والرعوية	١١٠

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الجزء الاول

الفصل الأول

البعد الاقتصادي الزراعي والثروة الحيوانية لحضارة الأمة الشركسية

	الصفحة
– سياسة الاستيلاء على المخزون الاستراتيجي من المحاصيل الزراعية والحيوانية.	١١١
– قلع الاشجار المثمرة وحرق الأحراش والغابات	١١١
– حرق المزروعات عامة وحقول القمح والذرة والبقول خاصة	١١١
– شهادة الكاتف الروس يا. ابراموف حول اكاذيب السلطات الروسية	١١٢
٤) مرحلة النهوض مجدداً بالثروتين الزراعية والحيوانية في الوطن الأم	١١٥–١١٨
– الثروتان الزراعية والحيوانية في جمهورية كباردينا– بلغاريا	١١٥
– الثروتان الزراعية والحيوانية لدى شراكسة جمهورية تشركسيا – قراشي	١١٧
– الثروتان الزراعية والحيوانية لدى الشراكسة في جمهورية الاديغي	١١٧
– الثروتان الزراعية والحيوانية في جمهورية أبخازيا	١١٧
٥) الانتاج الحيواني والزراعي لدى الشراكسة في عهد روسيا الاتحادية	١١٨
– نماذج لانواع نباتات الزينة	١١٩
– نماذج لأنواع من الأشجار المثمرة والحبوب والبقول	١٢٥
– نماذج من انواع الحيوانات الأليفة والحيوانات البرية والدواجن والطيور	١٢٩
مراجع ومصادر الفصل الثاني من الجزء الأول في المجلد الثاني	١٣٦

فهرس
موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الاول	تمهيد:	١٣٨-١٤٠
	* الصناعات اليدوية في العصر الحجري.	١٤٠
	* الصناعات اليدوية في العصر الحديدي.	١٤٠
	* الصناعات اليدوية والحرف المهنية في مراحل ما بعد انتهاء العصور الحديدية ابتداء من الألفية الاولى ما قبل الميلاد إلى القرن التاسع عشر الميلادي.	١٤١
الفصل الثاني		١٤١
البعد الصناعي والمهني والحرفي في حضارة الأمة الشركسية	- أدوات الحراثة المصنوعة من الخشب والحجر والعظم والحديد	١٤٣
	- أدوات ولوازم الدراسة للمزروعات.	١٤٤
	- أدوات ولوازم الحفر والنكش... الخ	١٤٥
	- أدوات ولوازم الحصيدة... الخ	١٤٦
	- أدوات ولوازم جمع وحفظ وتنظيف الحبوب والبقوليات.	١٤٧
	- عربات نقل المحاصيل الزراعية.	١٤٨
	- الأدوات المستخدمة في صناعة الأغذية والألبان عامة والزبدة خاصة	١٥٠
	- الأدوات الخاصة بتربية النحل	١٥١
	- أثاث البيوت ولوازمها الخشبية	١٥٢
	- أدوات ولوازم المطبخ والطعام والشراب.	١٥٤
	- صناعة تجهيزات الخيول	١٥٧
	- الأدوات واللوازم الخاصة بمهنة الحدادة	١٥٩
	- الأدوات واللوازم الخاصة بمهنة النجارة	١٦٢

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الأول		
الفصل الثاني	– صناعة الغزل والنسيج	١٦٣
	– صناعة الحياكة والتطريز	١٦٤
	– مهنة بناء البيوت والحظائر والاسوار الخشبية.	١٦٦
	– مهنة بناء القلاع	١٦٧
	– مهنة التجارة البحرية وصناعة القوارب	١٧٠
	– التجارة البحرية عند شعب "الكريكت"	١٧٠
	– صناعة البارود	١٧١
	– مهنة الصياغة	١٧٢
	– صناعة الحياكة	١٧٥
	– صناعة الأسلحة الخفيفة	١٨٠
البعد الصناعي والمهني والحرفي في حضارة الأمة الشركسية	* الصناعات والحرف المهنية لدى شراكسة الوطن الام في ظل حكم روسيا القيصرية وفي عهد كل من الاتحاد السوفيتي وروسيا الاتحادية	١٨٩
	– الصناعات والحرف المهنية للشراكسة في الجمهوريات التي يقطنها شراكسة الوطن الأم.	١٩٠
	* مراجع ومصادر الفصل الثاني من الجزء الثاني في المجلد الاول	١٩٢

فهرس
موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
الجزء الاول / الفصل الثالث / البعد التجاري في بناء حضارة الأمة الشركسية	* تمهيد	١٩٤-٢٠٦
	* التجارة مع المستعمرات اليونانية	١٩٤
	* التجارة مع الامبراطورية الايرانية	١٩٥
	* التجارة مع الامبراطورية الرومانية	١٩٥
	* التجارة مع البيزنطيين	١٩٦
	حقائق حول حجم التجارة الخارجية	١٩٦
	* الحقيقة الأولى: حول حجم التجارة مع أوروبا حتى القرن الثامن عشر	١٩٦
	* الحقيقة الثانية: حول التجارة مع دولة القرم في الثامن عشر	١٩٨
	* الحقيقة الثالثة: حول التجارة مع انجلترا في القرن السادس عشر	١٩٨
	* الحقيقة الرابعة: حول تجارة بلاد الصين والعرب والبيزنطيين مع الشراكسة	١٩٩
	* الحقيقة الخامسة: حول التجارة الخارجية للشراكسة في القرن الثامن عشر	٢٠٠
	* الحقيقة السادسة: حول محاولات الاتراك والانجليز والفرنسيين للتعامل تجاريا مع الشراكسة	٢٠٠
	* الحقيقة السابعة: حول تعطل التجارة كليا للشراكسة الذين لم يهجروا إلى الولايات التركية	٢٠٢
	* الحقيقة الثامنة: حول التجارة الخارجية للشراكسة في الوطن الام في عهد الحكم الشيوعي السوفيتي	٢٠٣
	* الحقيقة التاسعة: حول عودة التجارة الخارجية للشراكسة في الجمهوريات الشركسية الاربعة في عهد حكم روسيا الاتحادية	٢٠٣
	* استنتاجات حول الاعمال التجارية لدى الامة الشركسية في الوطن الأم وفي بلاد الشتات	٢٠٤
	* مصادر ومراجع الفصل الثالث من الجزء الأول في المجلد الثاني	٢٠٦

فصول الجزء الثاني

في

المجلد الثاني

فهرس فصول الجزء الثاني

		الصفحة
فصول الجزء الثاني	الفصل الأول: البعد الديمقراطي في حضارة الأمة الشركسية	٢١١-٢٤٢
	الفصل الثاني: البعد الاجتماعي في حضارة الأمة الشركسية	٢٤٣-٣٤٦
دور النظم السياسية والاجتماعية والقضائية في بناء حضارة الأمة الشركسية	الفصل الثالث: مفهوم الدولة والنظم السياسية في حضارة الأمة الشركسية	٣٤٧-٤٨٤
	الفصل الرابع: البعد القضائي في حضارة الأمة الشركسية	٤٨٥-٧٥٦

فهـــرس

الموضوعات الرئيسية في

فصول الجزء الثاني من

المجلد الثاني

فهرس
موضوعات الفصل الأول

		الصفحة
	تمهيد	٢١٢-٢١٥
الجزء الثاني	(١) مراحل نشأة وتطور مفهوم الديمقراطية لدى الشراكسة منذ عهد الاجداد.	٢١٥
	المبدأ الديمقراطي الأول: الشعب هو مصدر السلطات وقد مرت بالمراحل التالية:	٢١٥
الفصل الأول	* المرحلة الأولى: مرحلة عصر سلطة الأم.	٢١٥
	* المرحلة الثانية: مرحلة عصر سلطة الأب.	٢١٦
	* المرحلة الثالثة: مرحلة نشوء الدولة او الدويلات.	٢١٦
	* المرحلة الرابعة: مرحلة تكون القبائل الشركسية وظهور نوعين من النظام الاجتماعي.	٢١٧
البعد الديمقراطي لحضارة الأمة الشركسية	* مصادر السلطة في المرحلة الرابعة	٢١٧
	– المصدر الأول: كبار السن في الأسرة أو العشيرة الواحدة	٢١٧
	– المصدر الثاني: نبلاء القبيلة.	٢١٧
	– المصدر الثالث: الزعماء او الرؤساء "التحمادات" والأمراء "البش"	٢١٨
	– المصدر الرابع: مجالس الشيوخ.	٢٢٠
	– المصدر الخامس: مجلس النبلاء.	٢٢٠
	– المصدر السادس: مجلس الشعب.	٢٢٠
	* المرحلة الخامسة: مرحلة مجالس الأعيان أو المجالس القومية كمصدر أعلى للسلطات	٢٢١

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

الجزء الثاني

(٢) المرحلة السادسة: وهي المرحلة التي اصبحت فيها الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية بديلة للمجالس القومية ٢٢٣

الفصل الأول

- الاجتماعات التي عقدت خلال الفترة من ١٨٢٦ إلى ١٨٣٩ ٢٢٥
- الاجتماعات الجماهيرية التي عقدت في الفترة من ١٨٤١-١٨٥٩ ٢٢٧
- الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية التي عقدت في الفترة من ١٨٦١م – ١٨٦٥م ٢٢٧

البعد الديمقراطي لحضارة الأمة الشركسية

* المبدأ الديمقراطي الثاني: هو مصدر التشريعات القانونية من انظمة وعادات وتقاليد وأعراف ويتمثل بالمظاهر التالية: ٢٣٠
- المظهر الأول: ويتمثل بصدور التشريعات من مجالس وليس من رؤساء او زعماء أو قادة. ٢٣٠
- المظهر الثاني: ويتمثل في الحفاظ على مستويات صدور التشريعات منذ عصر الاجداد وحتى القرن التاسع عشر ٢٣٠
- المظهر الثالث: ويتمثل بمستويات صدور التشريعات ٢٣١
* المبدأ الديمقراطي الثالث: حرية التعبير والجرأة في القول والسلوك حياة عند الشراكسة عامة. ٢٣٣
* قواعد الديمقراطية في اجتماعات المجالس الشركسية المختلفة ٢٣٣
* نماذج من الحريات التي يتمتع بها أفراد المجتمع الشركسي ٢٣٤
* المبدأ الديمقراطي الرابع: حرية اختيار او انتخاب الرؤساء والأمراء أو اقالتهم وتنحيتهم عن الحكم ٢٣٩
* صلاحيات مجالس الشعب كأعلى سلطة تشريعية. ٢٣٩
* الشروط الواجب توافرها في الأمير أو الرئيس المرشح للامارة أو الرئاسة. ٢٤٠
* المبدأ الديمقراطي الخامس: شعبية وديمقراطية الأمراء والرؤساء لدى الأمة الشركسية. ٢٤١

فهرس
موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الثاني	تمهيد	٢٤٤-٢٤٧
	* نشأة المجتمعات الشركسية	٢٤٤
	- المرحلة الاولى: ظهور المجتمع الأولي لقدماء الشراكسة	٢٤٤
	- المرحلة الثانية: ظهور التفاوت الاجتماعي لدى قدماء الشراكسة.	٢٤٤
	- المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي ظهر فيها نظام حكم الأمراء والنظام الارستقراطي.	٢٤٥
	- المرحلة الرابعة: ظهور الطبقية في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم	٢٤٧
الفصل الثاني	* التقسيمات الطبقية للرحالة الاجانب وبعض المؤرخين الشراكسة	٢٤٧-٤٥٠
	- تقسيم دولبيز دومونتبارو عام (١٨٣٩)	٢٤٨
	- تقسيم ن. ج. دانيليفكيس عام (١٨٤٧)	٢٤٨
	- تقسيم ن. لابينسكي عام (١٨٦٣)	٢٤٨
	- تقسيم الباحثة ساندرز عام (١٩٤٤)	٢٤٨
البعد الاجتماعي في حضارة الأمة الشركسية	- تقسيم جاباغي عام (١٩٦٩).	٢٤٨
	- الفئات الطبقية وأنواعها لدى الشراكسة	٢٤٩
	* أعيان القبرطاي من وجهة نظر "تغموقة"	٢٤٩
	- لقوه لاش	٢٤٩
	- ديظنقوه	٢٤٩
	- كوه دزاكوه - دس	٢٥٠
	- بسلان ورق (بشيش ورق)	٢٥٠
	- ورق صاوه له غوسة	٢٥٠
	* وصف فئات الطبقات الاجتماعية التي كانت سائدة حتى مطلع القرن التاسع عشر	٢٥٠-٢٥٦
	- الامراء (بش)	٢٥٠
	- النبلاء (لقولاش)	٢٥٢
	- الورق (الاعوان)	٢٥٣
	- تلاقوتل (طبقة الفلاحين)	٢٥٣
	- بيشل (اتباع أو رجال الأمير)	٢٥٤
	- وونه - أوت (طبقة الخدم)	٢٥٦

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الثاني / الفصل الثاني / البعد الاجتماعي في حضارة الأمة الشركسية	* الثورات والانتفاضات الشعبية في الوطن الأم:	٢٥٦-٢٥٨
	- ثورة عام ١٧٦٧	٢٥٦
	- ثورات من عام ١٧٧٠ - ١٧٩٠	٢٥٧
	- ثورة عام ١٨١٠.	٢٥٧
	- ثورة ١٨٤٦ - ١٨٤٧.	٢٥٧
	- انتفاضة عام ١٨٥٦.	٢٥٨-٢٥٩
	* المؤسسات الاجتماعية للأمة الشركسية:	٢٥٨
	- البيت	٢٥٨
	- المسجد وأماكن العبادة	٢٥٨
	- مجالس المضافات	٢٥٩
	- مجالس الشعب	٢٥٩
	* فئات المجتمعات الشركسية في الوطن الأمة	٢٥٩-٢٦٠
	- الحكام	٢٥٩
	- رجال الدين	٢٥٩
	- القضاة	٢٥٩
	- الفلاحون	٢٦٠
	- الحرفيون	٢٦٠
	- الفنانون	٢٦٠
	- الشعراء	٢٦٠
	- المقاتلون	٢٦٠
	- رجال التربية (المربون)	٢٦٠
	- رجال الأمن والحراسة	٢٦٠
	* خصائص ومقومات المجتمعات الشركسية في الوطن الام:	٢٦٠-٢٦٩
	- علاقة الفرد بأسرته	٢٦١
	- العلاقة بين الجيران في المجتمع الشركسي	٢٦١
	- مفهوم الأخوة والصداقة في المجتمع الشركسي	٢٦٢

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الثاني / الفصل الثاني / البعد الاجتماعي في حضارة الأمة الشركسية	– مفهوم التعاون في المجتمع الشركسي	٢٦٣
	– مفهوم التكامل والتضامن في المجتمع الشركسي	٢٦٤
	– مبدأ احترام العمل والعمال في المجتمع الشركسي	٢٦٦
	– مبدأ قرابة الاتالق والأخوة بالرضاعة او بالتعاهد.	٢٦٧
	– مبدأ رفض الكسل واحتقار العاطل عن العمل.	٢٦٨
	* المرحلة الخامسة: مرحلة الاضطهاد الاجتماعي للأمة الشركسية في عهد روسيا القيصرية	٢٦٩–٢٧٧
	– وصف "برزج سمكوغ" لسياسة الأرض المحروقة وأنواع الظلم والذل والاهانة التي الحقت بالشراكسة الذين ظلوا متمسكين بالأرض بعد قتل وتهجير الغالبية العظمى من الامة الشركسية	٢٦٩
	– وصف المؤرخ الروسي "يا. ابراموف" لأنواع الاضطهاد الروسي والقوزاق للشراكسة في هذه المرحلة	٢٧٠
	* حقائق حول اوضاع الشراكسة في مرحلة ما بعد استيلاء السلطات الروسية القيصرية على بلاد الأمة الشركسية في الوطن الام:	٢٧٤
	الحقيقة الاولى: حول تناقص أعداد القبائل الشركسية	٢٧٤
	الحقيقة الثانية: حول تناقص أعداد الشراكسة في الوطن الام إلى (٦%) من أصل (٥) مليون	٢٧٤
	الحقيقة الثالثة: حول استيلاء الروس على ٩٠% من مساحة الأرض التي كانت تمتلكها القبائل الشركسية في الوطن الأم	٢٧٧
	الحقيقة الرابعة: حول ارتفاع نسبة المستوطنين من قوميات غير شركسية الذين استوطنوا مع الشراكسة في الجمهوريات الأربعة	٢٧٧
	الحقيقة الخامسة: حول محاولات السلطات القيصرية "لترويس" الشراكسة والقضاء على نظامهم الاجتماعي وتراثهم ولغتهم العربية	٢٧٧
	* الأوضاع الاجتماعية في الوطن الأم في عهد الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي	٢٧٨–٢٨٨

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الثاني		
	– وعود "لينين وستالين" للقوميات القفقاسية عامة بصيانة عقائدهم وعاداتهم ومؤسساتهم القومية والثقافية في ندائهما عام ١٩١٧.	٢٧٩
	– دعوة "لينين" للشعوب القوقازية للاستيقاظ بعد تحطيم انحلال الاستعباد في بيانه عام ١٩١٩.	٢٨٠
	– تسليم "لينين" مصحف "عثمان" رضي الله عنه الذي كان في حوزة القياصرة إلى ممثلي المسلمين في مؤتمر بتروغراد	٢٨٠
	– تأسيس دولة شمال القوقاز المستقلة "جمهورية الجيل" واعتراف دول اوروبية فيها عام ١٩١٧	٢٨١
الفصل الثاني	– الكشف عن المواقف والنوايا الشريرة لكل من "لينين وستالين ضد القوميات القوقازية عامة والشراكسة خاصة في شمال القوقاز	٢٨٢-٢٨٤
	– القضاء على جمهورية شمال القفقاس التي تشكلت عام١٩١٧	٢٨٦
	* السياسة الجديدة للحكم الشيوعي في الجمهوريات القوقازية ذات الحكم الذاتي	٢٨٦
	– تعيين رؤساء من الشيوعين المحليين.	٢٨٦
البعد الاجتماعي في حضارة الأمة الشركسية	– تعيين سياسين روس لمراقبة اعمال رؤساء الجمهوريات:	٢٨٦
	– اقرار مبدأ الالحاد المادي	٢٨٧
	– بدء الاضطهاد الدين للمسلمين	٢٨٨
	– مصادرة الاملاك الوقفية والمساجد والمدارس الدينية	٢٨٨
	– الغاء الملكية الفردية ومصادرة الممتلكات	٢٨٨
	* ادوار ايجابية للحكم الشيوعي في تطوير المجتمعات الشركسية	٢٨٨
	– تطور الفلكلور القومي الشركسي	٢٨٨
	– نشر الثقافة القومية الشركسية.	٢٨٩
	– الاهتمام بصحة المواطنين	٢٨٩
	– الاهتمام بالامومة والطفولة	٢٨٩
	– الاهتمام بالرياضة ورعاية الشباب	٢٨٩
	– تطور الصناعة والزراعة في بلاد القفقاس عامة وفي بلاد الشراكسة خاصة في عهد الحكم الشيوعي	٢٩٠

فهرس
موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
الجزء الثاني		
الفصل الثالث		
مفهوم الدولة والنظم السياسية في حضارة الأمة الشركسية	تمهيد	٢٩٢
	* نشأة مفهوم الدولة لدى الأمة الشركسية	٢٩٤
	* مراحل تكوين دول واتحادات وحكومات منذ فجر التاريخ	٢٩٤
	المرحلة الاولى: وفيها تكونت شعوب اجداد الشراكسة من المه- وَت، والسند، والتوربت والداندار اتحاداً مع الكميريين في شمال القفقاس في الالفية الثانية قبل الميلاد	٢٩٤
	المرحلة الثانية: وفيها تكونت أول دولة "شركسية" من شعب "السند" سميت "بدولة السند" في الفترة ما بين القرن التاسع والسادس ما قبل الميلاد.	٢٩٥
	المرحلة الثالثة: وفيها كون جزء من قبائل اجداد الشراكسة دولة مع شعب (اللان) كما قام الجزء الآخر بتشكيل حكومة فيدرالية في الفترة ما بين القرن الاول والقرن الثالث الميلادي	٢٩٦
	المرحلة الرابعة: وفيها تكونت دولة زيخيا الفيدرالية في مطلع القرن السادس الميلادي	٢٩٧
	المرحلة الخامسة: وهي المرحلة الممتدة من القرن التاسع الميلادي وحتى القرن السابع عشر الميلادي وتكونت خلالها الدول والحكومات التالية:	٢٩٨
	- حكومة اتحاد شمال القفقاس بقيادة الأمير ينال الجد الأكبر لأمراء قبائل القبرطاي في القرن العاشر	٢٩٨
	- تفكك حكومة الامير ينال وحدوث منازعات بين ابنائه الخمسة بعد وفاة والدهم.	٢٩٩
	- تفكك الأمة الشركسية في الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر الميلادي نتيجة تعرضها لغزو جيوش جينكيز خان المغولية، والجيش الذهبي، وكذلك تعرضهم لهجمات وحشية وبربرية من جيوش تيمورلنك وهولاكو التترية	٣٠٠

تابـــــــع
فهرس موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
الجزء الثاني	المرحلة السادسة: وهي المرحلة التي بدأت عام ١٦٤٥م، حيث تم انتخاب الأمير الشاب "اسلان قايتوقة حاكما عاما في منطقة القبرطاي ووحد تحت قيادته (١٢) امارة وولاية شركسية بدعم من الحكيم والفيلسوف الشركسي قازنوقة جباغي	٣٠١
	المرحلة السابعة: وهي المرحلة الممتدة من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين الميلادي وفيها حاول امراء، وقادة وحكماء الشراكسة تشكيل حكومات اتحادية لأكثر من (١٢) محاولة على النحو التالي:	٣٠٢-٣١٥
الفصل الثالث	المحاولة الاولى عام ١٧٩٠	٣٠٣
	المحاولة الثانية عام ١٨٠٣	٣٠٤
	المحاولة الثالثة عام ١٨٣٩	٣٠٥
	المحاولة الرابعة عام ١٨٤١	٣٠٥
	المحاولة الخامسة عام ١٨٤٦	٣٠٦
مفهوم الدولة والنظم السياسية في حضارة الأمة الشركسية	المحاولة السادسة في شهر حزيران عام ١٨٦١	٣٠٦
	المحاولة السابعة في شهر تشرين الثاني عام ١٨٦١	٣٠٨
	المحاولة الثامنة عام ١٨٦٢	٣٠٩
	المحاولة التاسعة عام ١٨٦٣	٣٠٩
	المحاولة العاشرة اعوام ١٨٢٧، ١٨٧٣، ١٨٧٤	٣١٠
	المحاولة الحادية عشرة عام ١٩١٧	٣١٠
	المحاولة الثانية عشرة والاخيرة عام ١٩٨٩	٣١٥

فهرس
موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
	تمهيد	٣٢٢
	* البعد الأول لنظام القضاء الشركسي وهو (البعد القانوني) ويتمثل في:	٣٢٢
الجزء الثاني	(١) العادات القديمة (الخابزة) منذ الألف الأول ما قبل الميلاد وكان لها قوة القوانين ويتمثل في:	٣٢٣
	– عادة الحكم على كبار السن بالموت	٣٢٣
	– عادة قتل الخونة الذين يلحقون ضررا بالأمة الشركسية	٣٢٦
	– عادة تحريم قتل المرأة	٣٢٦
الفصل الرابع	– عادة تحريم القتل تحت سقف بيت المرأة	٣٢٦
	– عادة تحريم ضرب المرأة أو اهانتها او التحدث معها بألفاظ نابية	٣٢٦
	(٢) العادات الاجتماعية الشركسية القديمة وكان لها قوة القوانين وتتمثل بالعادات التالية:	٣٢٦
	– الحكم على المضيف غير القادر على توفير الحماية لضيفه من أي اذى قد يلحق به	٣٢٦
البعد القضائي في حضارة الأمة الشركسية	– عادة الحكم على كل من يهرب من ساحة المعركة والتشهير به أمام الشعب.	٣٢٧
	– عادة حماية الشخص المستجير حتى ولو كان قاتل ابنه	٣٢٧
	– محاكمة كل من تهاون بالمحافظة على كرامته وشرفه	٣٢٨
	– عادة تقطيع الزاني او الزانية من رقبته إلى فخديه.	٣٢٨
	(٣) مجموعة الاعمال والافعال التي كان يعاقب عليها الشراكسة من قبل المجالس المختصة، وهي:	٣٢٨
	– الكسب عن طريق النهب أو السرقة.	٣٢٨
	– خرق أو عدم احترام حرمة الجيرة، او الصداقة.	٣٢٨
	– اهمال الوالدين عند الكبر	٣٢٨
	– خطف فتاة بالقوة او بدون موافقتها للزواج منها	٣٢٨
	– مخالفة شروط وقواعد عادة "الكواسة" في الزواج	٣٢٨
	– اهانة او عدم احترام الكبار في السن	٣٢٨

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الثاني	* البعد الثاني لنظام القضاء الشركسي وهو البعد المهني للقضاء	٣٢٩-٣٣٣
	(١) الهيئات والمجالس التي انشأها الشراكسة منذ عصر الاجداد ليتقاضى امامها المتنازعون.	٣٢٩
	– مجالس الامهات في عهد سلطة الام	٣٢٩
	– مجالس الاباء عندما انتقلت السلطة للاباء	٣٢٩
	– مجالس النارتيين ومنها مجلس الموت	٣٢٩
	– مجالس رؤساء الدويلات عندما نشأت الدويلات الشركسية	٣٢٩
الفصل الرابع	– المجالس الشعبية المكونة من الامراء والنبلاء والاعيان وممثلي الأحرار والفلاحين.	٣٢٩
	– المحاكم المتخصصة بالقضاء منذ القرن التاسع الميلادي زمن حكم الامير "ينال" امير أمراء القبرطاي وهي:	٣٢٩
	– محاكم الصلح، والتي تأسست في عهد حكم الامير "ايتوقة يرسلان أو (أرسلان)	٣٣٠
البعد القضائي في حضارة الأمة الشركسية	– المحاكم العليا التي تأسست في عهد الامير "يرسلان"	٣٣٠
	– المحاكم الشرعية التي تأسست في القرن التاسع عشر في عهد الامير "عادل كيراي"	٣٣١
	– المحاكم التي أنشأها "محمد أمين" نائب الإمام "شامل"	٣٣٢
	(٢) تطبيق قواعد الشريعة الاسلامية:	٣٣٣
	– اتباع حكم الحد في الإسلام مثل قطع يد السارق	٣٣٣
	– تطبيق احكام "الحد" في الاسلام حتى الموت	٣٣٣
	– تطبيق احكام الشريعة في الزواج و"الطلاق، والميراث وغيرها	٣٣٣
	– تطبيق الشريعة في القضايا الحقوقية للافراد.	٣٣٣
	– العادات الشركسية في تنظيم العلاقات بين الحاكم والمحكوم	٣٣٣
	* البعد الثالث للنظام القضائي الشركسي وهو (البعد التخصصي للقضاة)	٣٣٣
	(١) فئات القضاة عند الشراكسة منذ عصر الاجداد وهي على النحو التالي:	٣٣٣-٣٣٨
	– مجالس الامهات "النارتيات" كقضاة في عهد سلطة الام	٣٣٣

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

الصفحة

الجزء الثاني

الفصل الرابع

البعد القضائي في حضارة الأمة الشركسية

- مجالس الاباء "النارتيين" كقضاة في عهد سلطة الاب ٣٣٤
- القاضي "اليدج" وهو أول رئيس محكمة لدى قوم النارتيين ٣٣٤
- زعماء ورؤساء الدول والدويلات كقضاة منذ الالفية الثانية قبل الميلاد ٣٣٥
- الكهنة والخوارنة "الشوجن" في المرحلة التي اعتنق فيها بعض قبائل الشراكسة الديانة المسيحية كقضاة في القضايا التي لها علاقة بتعاليم الدين المسيحي ٣٣٥
- زعماء القبائل الشركسية ابتداء من القرن الرابع الميلادي ٣٣٥
- المجالس الشعبية التي كانت تفصل في المنازعات المتعلقة بالنبلاء والامراء الشراكسة او زعمائهم. ٣٣٥
- قضاة المقاطعات (الامارات الشركسية) وعددهم (٤٠) قاضيا في زمن حكم الامير ينال الكبير "امير امراء القبرطاي" ابتداء من القرن التاسع الميلادي ٣٣٥
- قضاة المحاكم المؤهلين تأهيلا قانونيا المتخصصين بالعادات والتقاليد في عهد حكم الامير "قايتوقه يرسلان". ٣٣٥
- ألمولات "الشيوخ" في مرحلة اعتناق الشراكسة للدين الاسلامي في القرن الثامن عشر ٣٣٦
- (٢) قضاة وعلماء كان لهم دور فاعل في القضاء الشركسي منذ العصور الوسطى منهم: ٣٣٦-٣٣٨
- قضاة المحاكم المؤهلين تأهيلا قانونيا الممثلة بالعادات والتقاليد ٣٣٦
- القاضي "ودي" ٣٣٦
- الحكيم والفيلسوف "قازا نوقه جباغي" ٣٣٦
- القاضي أبو حاجي اسحق. ٣٣٨
- الامير عادل كراي ٣٣٨
- مراجع ومصادر الفصل الرابع من الجزء الثاني من المجلد الثاني ٣٤٠-٣٤٥

فصول الجزء الثالث

في

المجلد الثاني

فهرس فصول الجزء الثالث

		الصفحة
فصول الجزء الثالث	الفصل الأول: بُعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية لحضارة الأمة الشركسية	٣٤٩-٣٩٤
دور التربية والثقافة والمعرفة العلمية في بناء حضارة الأمة الشركسية	الفصل الثاني: بُعد المعارف العلمية العامة لحضارة الأمة الشركسية	٣٩٥-٤٣١
	الفصل الثالث: بُعد الهندسة المعمارية وفن الزخرفة لحضارة الأمة الشركسية	٤٣٣-٤٨٣

فهـــرس

الموضوعات الرئيسية في

فصول الجزء الثالث من

المجلد الثاني

فهرس موضوعات الفصل الأول

الجزء الثالث

الفصل الأول

بُعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية لحضارة الامة الشركسية

	الصفحة
تمهيد	٣٥٠-٣٥٢
(١) عوامل ودوافع اهتمام الشراكسة بتربية الطفل	٣٥١
– العامل الاقتصادي	٣٥١
– العامل الامني	٣٥٢
– عامل التكاثر والبناء	٣٥٢
– العامل النفسي.	٣٥٣
* مصادر التربية والتنشئة الاجتماعية في المجتمعات الشركسية	٣٥٣-٣٦٣
مخطط يبين مصادر التربية والثقافة	٣٥٤
المصدر الأول مؤسسة البيت الشركسي في تربية الاطفال وتنشئتهم في المجتمعات الشركسية منذ عصر الاجداد	٣٥٥
(١) المراسم المرتبطة برعاية الطفل في السنة الاولى من ميلاد الطفل	٣٥٥
* مراسم مرحلة الولادة خلال الشهور الستة الاولى من الولادة	٣٥٥
* مراسم مرحلة تربيط الطفل في السرير	٣٥٦
* مراسم مرحلة اطعام الطفل.	٣٥٧
* مراسم مرحلة مشي الطفل	٣٥٧
* مراسم مرحلة قص شعر الطفل.	٣٥٨
(٢) العادات والنظم المرتبطة بتربية الاطفال الشراكسة من الذكور	٣٥٨
(٣) العادات المرتبطة بتربية الاطفال الشراكسة من الاناث	٣٦٠
(٤) النظم التربوية للطفل في الاسرة الشركسية.	٣٦٢
– نظام الرضاعة	٣٦٢
– نظام تربية الام	٣٦٣
ثانيا: دور نظام "الاتالق" في تربية الاطفال وتنشئتهم في المجتمعات الشركسية ونستدل عليه من الحقائق التالية:	٣٦٣-٣٦٨
الحقيقة الاولى: حول وصف الجنرال الروسي "ايفان برغ" لنظام الاتالق	٣٦٤
	٣٦٦

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الجزء الثالث

الفصل الأول

بُعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية لحضارة الامة الشركسية

	الصفحة
الحقيقة الثانية: حول نظام تربية أطفال العائلات الشركسية من عامة الشعب	٣٦٦
الحقيقة الثالثة: دور المرأة "الام" بتربية اولاد عامة الشعب حتى سن السادسة من عمرهم ثم الانتقال إلى رجال لتدريبهم	٣٦٦
الحقيقة الرابعة: حول تربية بنات الامراء من قبل نساء "الأُزدن" النبلاء	٣٦٦
الحقيقة الخامسة: حول تربية اولاد الاحرار والنبلاء والامراء الشراكسة من قبل "الاتالق"	٣٦٦
الحقيقة السادسة: حول مراسم تسليم المتربي الابن (القان) إلى المربي "الأتالق" للسير في تربيته حسب النظام التربوي الشركسي	٣٦٧
الحقيقة السابعة: حول انتهاء مهام "الاتالق" وإعادة "القان" إلى أهله واتمام عملية تسليمه إلى أهله في احتفال كبير	٣٦٧
الحقيقة الثامنة: حول نظام تربية البنات في العائلات الميسورة او تربيتهن من قبل "الخالة" أو الجدة من طرف الام ان لم تكن العائلة ميسورة	٣٦٨
ثالثا: دور المؤسسات أو مجالس المضافة الشركسية "الحاشيش" في تربية وتنشئة الاطفال والشباب في المجتمعات الشركسية	٣٦٨-٣٧١
١- المحافظة على التراث الشركسي وديمومته	٣٧٠
٢- نقل التاريخ والفنون والاداب	٣٧٠
٣- المحافظة على التقاليد ونقلها من جيل إلى جيل.	٣٧٠
٤- قيام المضافة بوظيفة المدرسة النظامية من حيث دورها في نقل المعارف وتربية الاجيال	٣٧١
٥- قيام المضافات بوظيفة المنتدى الثقافي من حيث فيها مناقشة الاحداث اليومية	٣٧١

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الجزء الثالث

الفصل الأول

بُعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية لحضارة الامة الشركسية

	الصفحة
رابعا: دور مؤسسات المجتمع المدني في تربية وتنشئة الطفل في المجتمعات الشركسية	٣٧١-٣٧٤
* دور المؤسسات الدينية وأماكن العبادة عند الشراكسة	٣٧١
* دور المجالس الشعبية ومجالس الحكام والرؤساء والمجالس القومية والوطنية في توجيه وتثقيف مختلف فئات الشعب الشركسي	٣٧١
* دور مؤسسة العمل	٣٧٢
* دور المؤسسة العسكرية "غير النظامية" والمتمثلة بوحدات المقاتلين الشراكسة والتي كانت تمثل مجتمعات مصغرة افرادها من المقاتلين ويكتسبون الخبرات من بعضهم البعض	٣٧٢
* دور التجمعات والمناسبات الاجتماعية والاقتصادية والأعياد الدينية في خلق فرص لتثقيف وتربية وتعليم وتوجيه الأطفال والشباب من الجنسين عن طريق الممارسة وعن طريق التقليد والقدوة.	٣٧٣
* دور البيئة الطبيعية المحيطة بالتجمعات الشركسية المتمثل بالغابات والجبال والأنهار والبحار التي تشكل مصادر معرفة لجميع الاجيال	٣٧٤
خامسا: دور البالغين من افراد المجتمع الشركسي في تربية وتنشئة الاطفال وفي توعية وتوجيه شباب الشراكسة	٣٧٤-٣٨٣
١- دور الرفاق والاصدقاء والجيران وأفراد المجتمعات المحلية في القرية الشركسية في توجيه وتوعية وتصحيح التصرفات والسلوك الخاطئ للاطفال والشباب الشركسي	٣٧٤
٢- دور المغنين والمنشدين والشعراء في تربية الاطفال وتثقيف الشباب الشركسي	٣٧٥
٣- دور الحرفيين والمهنيين والمزارعين في نقل معارفهم المهنية والحرفية للاجيال الجديدة	٣٧٦

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

الجزء الثالث

الفصل الأول

بُعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية لحضارة الامة الشركسية

٤- دور التجار الاجانب الوافدين لبلاد الشراكسة من اوروبا وآسيا، وكذلك دور التجار الشراكسة العائدين من الخارج في تبادل الثقافات ونقل العلوم والمعارف عامة واللغات خاصة إلى المجتمعات الشركسية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ٣٧٦

٥- دور القضاة والحكام ورجال الدين في اصلاح المجتمعات وارشاد وتوعية وتثقيف عامة الشعب بأحكام الشريعة الإسلامية، إضافة إلى دورهم في الفصل بين المتنازعين وإصدار الأحكام العادلة. ٣٧٧

٦- دور طلاب العلم العائدين من الدراسة في الخارج في نقل العلوم والمعارف الجديدة إلى مجتمعاتهم، وفي تعليم الأطفال والشباب الكبار كل ما هو حديث وجديد، كما تعلموها في دراستهم في الخارج ٣٧٩

٧- دور الحجاج العائدين من الديار المقدسة من مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف في نقل ما شاهدوها وسرد ما تعلموها خلال رحلة الحج إلى الاشخاص الذين جاءوا للتبريك ومن خلال لقاءاتهم في المضافات. ٣٧٩

٨- دور العائدين من الغزوات والحروب في سرد القصص البطولية والصعوبات والمشاكل التي واجهتهم وكذلك نقل ما اكتسبوها من معلومات ومعارف وتجارب وخبرات في غزواتهم وحملاتهم العسكرية المتواصلة ٣٨٠

٩- دور الصيادين العائدين من رحلات الصيد في نقل اسرار الطبيعة والحيوانات والطيور وكذلك استخدام رحلات الصيد في تدريب الشباب والناشئين على حياة المخاطر والمجازفة، واكسابهم الشجاعة والجرأة وتحمل الصعاب باعتبار أن مهنة الصيد هي بمثابة مدرسة طبيعية ٣٨٠

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

الجزء الثالث

الفصل الأول

بُعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية لحضارة الامة الشركسية

١٠- ادوار الشعوب والامم التي استوطنت في بلاد الشراكسة وكذلك ادوار الرحالة الاجانب الذين زاروا البلاد في مراحل مختلفة في نقل المعارف والعلوم والفنون والاداب والثقافات واللغات...الخ إلى المجتمعات الشركسية في الوطن الأم.	٣٨١
* طرق وأساليب التربية والتنشئة الاجتماعية لدى الامة الشركسية	٣٨٤-٣٩١
(١) أسلوب التقليد أو المُثل والنماذج ويتمثل في دور الكبار كنماذج وقدوة للاطفال والشباب.	٣٨٤
- الأم كنموذج في المسلك وكبار السن كنماذج وقدوة للآخرين	٣٨٤
- الاصدقاء كنماذج وقدوة للآخرين	٣٨٥
(٢) اسلوب النصح والارشاد والامتثال لاوامر الكبار ويتمثل في:	٣٨٦
- سرد الحكايات والقصص التراثية الهادفة للاطفال	٣٨٦
- إلقاء المراثي واغاني البطولة في المضافات على مسمع من الكبار والصغار	٣٨٧
(٣) اسلوب سرد الامثال والحكم في المضافات على مسمع من الكبار والصغار	٣٨٧
(٤) اسلوب التدريب العملي ويتمثل في تدريب الاطفال والشباب على ممارسة الحياة العملية طوال مراحل نموهم.	٣٨٨
(٥) اسلوب التعلّم بالممارسة والتجربة وتعريف الاطفال والشباب من خلال مواقف صعبة وحقيقية .	٣٨٩
(٦) اسلوب الاقتداء بالمشاهير من الابطال الشراكسة في تنشئة الاطفال	٣٩٠
(٧) أسلوب استخدام الثواب والعقاب في تنشئة الاطفال والشباب	٣٩١
* مراجع ومصادر الفصل الأول من الجزء الثالث في المجلد الثاني	٣٩٣-٣٩٤

فهرس
موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الثالث / الفصل الثاني / بُعد المعارف العلمية العامة في حضارة الأمة الشركسية	(١) اهتمام الشراكسة بتدريب العقل لدى الانسان الشركسي ويتمثل ذلك في الادلة التالية:	٣٩٦
	الدليل الأول: قصص وأساطير النارتيين مثل:	٣٩٦
	– قصة استخدام "سوسروقة" لعقله في التغلب على العملاق حارس النار	٣٩٦
	– قصة رجاحة عقل (استاني) ام النارتيين واختبارها لمستشاره لقوم نارت	٣٩٦
	– قصة المرأة الشركسية و"ماليكانجو" التي تتمتع بقدرة اشتشفاف الامور المستقبلة بذكائها الخارق	٣٩٧
	– قصة العجوز الذي اختبر ذكاء ابنائه الثلاثة (منفردين) عن مكان وجود الذهب المخبأ في مكان سري، ووجده الاصغر سنا بذكائه	٣٩٧
	– قصة "حاغور" التراثية التي تحكي كيف استطاع الهروب من العملاق الاعور باستخدام ذكائه.	٣٩٧
	– القصة الابازية التي تحكي حماقة "كاباتوش" في عدم استعمال عقله في التخيير في القاء التحية او السلام بين موقف فيه فرح وموقف فيه حزن	٣٩٨
	الدليل الثاني:على أهمية استخدام العقل لدى الانسان الشركسي ويتمثل في اختيار ذكاء الشاب الذي يتقدم لخطبة فتاة شركسية	٣٩٨
	الدليل الثالث: على مكانة الفعل عند الشراكسة ويتمثل في الامثال والحكم التالية:	٣٩٩
	* العقل اصل كل عمل	٣٩٩
	* صاحب العقل الراجح، احترامه واجب	٣٩٩
	* انسان بدون عقل، كموقد بلا نار	٣٩٩
	* العبرة بالعقل وليس بالمال	٣٩٩
	* عدو عاقل خير من صديق جاهل	٣٩٩
	* أم العقل التفكير	٣٩٩

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

الصفحة

الجزء الثالث

الفصل الثاني

بُعد المعارف العلمية العامة في حضارة الأمة الشركسية

الدليل الرابع: استخدام الشراكسة العقل في حل كثير من المشاكل التي كانت تواجههم نذكر منها:	٤٠٠
* المشاكل الصحية.	٤٠٠
* المشاكل البيئية والمناخية.	٤٠٠
* مشاكل المقاييس والاوزان	٤٠٠
(٢) المعارف العلمية "لدى الامة الشركسية" منذ عصر الاجداد	٤٠٠
أولا: المعارف الطبية:	٤٠٠
* ابتكار طرق للتطعيم ضد مرض الجدري	٤٠١
* علاج الكسور باستخدام اسلوب التجبير	٤٠١
* استخدام اكثر من طريقة واسلوب في التخدير للتخفيف عن الام اجراء العمليات الجراحية او علاج الكسور :	٤٠٢
* أوجاع الرأس	٤٠٢
– لسعة الدبور او النحلة	٤٠٣
– التهاب العيون	٤٠٣
– التهاب الحلق واللوزتين	٤٠٣
– أوجاع المفاصل	٤٠٣
– القروح والتقيحات	٤٠٣
– الدوزنطاريا	٤٠٤
– ايقاف النزيف وجروح الرأس	٤٠٤
– الاصابة بالدودة الشريطية	٤٠٤
– أوجاع الاصابة بالبرد	٤٠٤
– الأوجاع عامة من خلال عمل "حُجامة"	٤٠٤

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

الصفحة

الجزء الثالث

الفصل الثاني

بُعد المعارف العلمية العامة في حضارة الأمة الشركسية

ثانيا: معارف حول التنجيم والفلك لدى قدماء الشراكسة منذ فجر التاريخ	٤٠٦-٤٠٨
(١) رواية العالم الشركسي "بلانش فاحرتيف حول علاقة شعوب "الاديغة" مع عالم النجوم	٤٠٦
(٢) رأي "راسم رشدي" في خبرة اجداد الشراكسة في مراقبة السماء والنجوم	٤٠٧
(٣) رأي "منذربج" حول استفادة اجداد الشراكسة من خبرات السومريين في تقسيم نجوم السماء إلى ثلاثة اقسام	٤٠٧
(٤) رأي "تغموقة" حول اقتباس أجداد الشراكسة أسماء السنين والشهور والأيام من اليونانيين، وإطلاق أسماء شركسية عليها حسب ما أوحت بها الاحوال الطبيعية على مدار السنة	٤٠٨
(٥) اكتشاف اجداد الشراكسة (٢١) نجماً كما اوردها أنسوقة:	٤١٠-٤١٣
* (فاغوا) وهي نجمة الجوزاء أو برج الجوزاء	٤١١
* (أخشام فاغوا) هو كوكب المريخ "مارس"	٤١١
* (فاغوا باش) وتعني نجمة العصا، وهي تسمية لنجوم تقع على خط واحد مستقيم	٤١١
* (فاغوا با) وتعني نجوم كثيرة، والمقصود بها نجمة (الدلفين)	٤١١
* (فاغوا داماقوا) وتعني نجمة شوكة النير (وهي نجمة الكلب الصغير)	٤١١
*(فاغوا زاشيبل)وتعني النجوم القابضة على سبعة، وهي مجموعة الدب الكبير	٤١١
* (فاغوا كابسا) وتعني نجمة الجبل، وهي النجوم الثلاثة الاكثر لمعانا في السماء باتجاه الشمال.	٤١١
* (فاغوا غوبلا شحابسا) وتعني نجوم مثلثية الشكل	٤١١
* (فاغوه لاقوم) وهي مجموعة من النجوم على شكل مستطيل يشبه الفطيرة الشركسية (لاقوم)	٤١١
* (فاغوه تسة شاقوة) وتعني برج آلة النسيج.	٤١١
*(فاغوا شي لاخا) كانت الاعمال في الحقول الربيعية تتوقف،والخيل والمواشي المستعملة في هذه الاعمال تأخذ قسطها من الراحة عند رؤية هذا النجم	٤١١

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

الصفحة

الجزء الثالث

الفصل الثاني

بُعد المعارف العلمية العامة في حضارة الأمة الشركسية

* (فاغوا تشاخو) وتعني النجم ذو الذنب الابيض وهو المذنب ٤١٣
* (فاغوا فان) وهي كواكب (المريخ والمشتري وزحل). ٤١٣
* (حاليفا فاغوا) وهي نجمة تظهر في الشمال تشبه (الحلقة) عند الشراكسة وهي نوع من انواع المعجنات المحشوة بالبطاطا والجبنة الشركسية. ٤١٣
* (فاغوا الفنيرا المسائية) واطلق عليها (الفتاة التي باعت اباها مقابل معطف ذهبي). ٤١٣
* (كابسا كاش فاغوا) نجم الحبل القصير، وهو حزام نجوم الجوزاء. ٤١٣
* (ميشا فاغوا) ومعناها نجمة الدب. ٤١٣
* (نامازليق فاغوا) وتعني المجرة التي تشبه سجادة الصلاة ٤١٣
* (نافيش فاغوا) وتعني نجمة الصباح وهو كوكب الزهرة ٤١٣
* (بشحاشحة فاغوا) وتعني (نجمة المساء) أو (نجمة الغروب) ٤١٣

ثالثا: معارف حول البيئة والتقلبات الجوية والطقس والتقويم السنوي وأشهر السنة عند الشراكسة: ٣١٥-٤٢٢

- شهر آذار، ويسمى "غاتخة مازا" وهو رأس السنة الشركسية. ٤١٦
- شهر نيسان، ويسمى "ملاخوة مازا" ويعني شهر رعي الخراف ٤١٧
- شهر أيار، ويسمى "فاغة مازا" وفيه يتم الحصاد واقامة حفلات العودة من الحصاد ٤١٧
- شهر حزيران، ويسمى شهر "غه- مافه مازا" وفيه يبدأ الصيف في بلاد الشراكسة ٤١٨
- شهر تموز، ويسمى شهر "غاتخه مافه مازا" وفيه يبدأ أشد ايام السنة حرارة ويستمر أربعين يوما ٤١٨
- شهر آب،ويسمى "مقويوه مازه" كما يسمى "شيشحة مازا" أي الشهر الذي يدفع فيه الخيل الذباب عن أجسادها وفيه يتم قطع الحشائش ٤١٩
- شهر ايلول، ويسمى "جاغوة مازا" وهو شهر نهاية الحصيدة. ٤١٩

تابـــــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

الصفحة

الجزء الثالث

الفصل الثاني

بُعد المعارف العلمية العامة في حضارة الأمة الشركسية

- شهر تشرين الاول، ويسمى "شواغوا مازا" وفيه تقام الاحتفالات واقامة الصلوات لتمجيد الاله: (موزاريش) في عصور ما قبل الميلاد ٤٢٠
- شهر تشرين الثاني ويسمى "مقوشه مازا" وهو الشهر الذي يتم فيه جمع واحضار "العشب" الجاف وفيه يرفع الحظر على الصيد ٤٢٠
- شهر كانون اول، ويسمى "شمافة مازا" وهو بداية فصل الشتاء وفيه يكون اقصر ايام السنة. ٤٢١
- شهر كانون الثاني، يسمى "شيمافة – كو – مازا" أي منتصف فصل الشتاء وفيه تسقط الثلوج بكثافة. ٤٢٢
- شهر شباط ويسمى "شيمافة كئة مازا" أي نهاية فصل الشتاء، ويسمى ايضا الشهر الذي يغيط والشهر ذا اللغة البذيئة، وفيه تنتهي فترة "الشلة" أو فترات الاربعينية الباردة ٤٢٢
- رابعا: معارف دقيقة حول المقاييس الاوزان والمكيال وتتمثل في وحدات القياس التالية: ٤٢٣–٤٢٤
- * القب: وهي وحدة كيل للمواد الجافة. ٤٢٣
- * ساغ Saghe : هي وحدة كيل للمواد الجافة ايضاً ٤٢٣
- * ارشن Arshen: وحدة قياس للطول وتعني الذراع (والارشن) تعني باللغة الفارسية الذراع والشراكسة يسمون كل مائة ارشن بـــ (ساجنا) ٤٢٣
- * جرون Joron: وهي وحدة كيل للوزن استخدمها الشراكسة منذ القدم ٤٢٣
- * زالة Zaleh: وهي وحدة قياس للطول عند الشراكسة ٤٢٤
- * بزمن Bezmen وهي وحدة كيل للوزن وتلفظ ايضا "بتمن" وشاع استخدامها في مدينة قازان القوقازية ٤٢٤
- * شتفر Shtefer وهي وحدة قياس اصغر من (الارشن) وكل اربعة (شتفر) تساوي (ارشن) واحد ٤٢٤

تابـــــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الثالث	* أفراكه Afrakeh وهي وحدة قياس للطول وتقابلها وحدة الذراع المقصرة	٤٢٤
	الشعوب الإسلامية بشمال الاناضول وعند الشراكسة كل (١٢) أفراكه يسمى قوراغ.	٤٢٤
	* بجة يز Bejeh yez وأداقه بجه Adaqha Bejeh وهما وحدة كيل للسوائل	٤٢٤
	* كيه Kaih وحدة قياس للسوائل وهذه الوحدة تعادل (البرميل)	٤٢٤
الفصل الثاني	خامسا: معارف علمية متقدمة حول التصنيع لدى الامة الشركسية ونستدل عليها من الحقائق التالية:	٤٢٥-٤٢٩
	* العثور على مشغل لصب المعادن، وكذلك العثور على آثار من الفؤوس والخناجر والحلي والازرار المصنوعة من المعادن	٤٢٥
	* عرف قدماء الشراكسة أسرار طلاء اسطح الاواني، وعمل زخارف ونقوش جمالية عليها	٤٢٥
بُعد المعارف العلمية العامة في حضارة الأمة الشركسية	* تطور مهنة صياغة الذهب لدى اجداد الشراكسة منذ فجر التاريخ وصناعتهم للخلاخل، وحلق الاذن، والاسوار، والخواتم الذهبية باتقان تام.	٤٢٥
	* اتقان صناعة أدوات الزينة من المعادن منذ الالف الرابع ما قبل الميلاد	٤٢٥
	* تطور صناعة الاسلحة على اختلاف انواعها مثل: الدروع: والخوذ، والقفاذ المعدني، والمسدس والسيوف الشركسية "قاما" ومعرفة اسرار صناعة ملح البارود، وصناعة القوارب الصغيرة والمتوسطة.	٤٢٥
	* تطور الصناعات اليدوية منذ العصر الحجري، والعصور المعدنية.	٤٢٥
	* معرفة اسرار صهر مختلف أنواع المعادن مثل: النحاس والقصدير والحديد	٤٢٥
	* معرفة أسرار صناعة الغزل والنسيج	٤٢٧
	* وجود أسماء أصلية للمعادن الشركسية، واسبقية الحضارة في اللغة الشركسية بالصناعات المعدنية.	٤٢٨
	* التوصل لأسرار صناعة القوارب والمراكب	٤٢٩
	* مراجع الفصل الثاني من الجزء الثاني في المجلد الثاني	٤٣١

فهرس
موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
الجزء الثالث / الفصل الثالث / البُعد المعماري وفن الزخرفة في حضارة الأمة الشركسية	(١) نشأة وتطور فن هندسة العمارة لدى الشراكسة	٤٣٤-٤٣٦
	(٢) العوامل التي أثرت في تطوير بناء المساكن الشركسية	٤٣٦-٤٣٨
	* العامل الاجتماعي	٤٣٧
	* العوامل المناخية	٤٣٨
	* العوامل الأمنية	٤٣٨
	* العوامل الطبيعية	٤٣٨
	(٣) معالم فن هندسة العمارة لدى الشراكسة ويتمثل في تصميم المنشآت والمباني وعلى النحو التالي:	٤٣٩-٤٦٤
	* تصميم بيوت السكن والمرافق الملحقة بها من حظائر وكوارات تخزين مواد التموين ومداخن التدفئة (الونجاق والحنيوقة)	٤٤٠
	* تطور تصميم البيوت الشركسية	٤٤٣
	* أنواع البيوت الشركسية	٤٤٣
	* المنازل الشتوية	٤٤٣
	* المنازل الصيفية	٤٤٥
	* مساكن الفلاحين	٤٤٩
	* تصميم المرافق (الونجاق) الشركسية	٤٤٩

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
الجزء الثالث	* تصميم المضافات الشركسية	٤٥٥
	* تصميم البيوت الشركسية المتحركة.	٤٥٦
	* تصميم السدود والقلاع والاقبية والنصب التذكارية	٤٥٦
	* تصميم اماكن العبادة من اديرة ومساجد	٤٥٨
	* تصميم المقابر والاضرحة	٤٦١
الفصل الثالث	(٤) فن الزخرفة والنقش والنحت والحفر والتطريز لدى أجداد الشراكسة	٤٦٤-٤٦٧
البُعد المعماري وفن الزخرفة في حضارة الأمة الشركسية	– زخرفة البيوت "القامات" والمسدسات	٤٦٤
	– الزخرفة والتزيين على السيراميك والأقمشة	٤٦٤
	– النحت بالحجر والجرانيت	٤٦٤
	– الحفر على المعادن	٤٦٤
	– التطريز على الأقمشة	٤٦٤
	– الزخرف والنقش على الادوات والأجهزة المنزلية	٤٦٥
	– الزخرفة على الورق	٤٦٦
	– الزخرفة والنقش على الادوات المعدنية والمعدات الحربية	٤٦٦
	– فن الزركشة والتطريز على لوازم الخيل	٤٦٦
	– زخرفة اشغال الصياغة	٤٦٧
	* مراجع ومصادر الفصل الثالث من الجزء الثاني في المجلد الثاني	٤٦٨-٤٦٩
	نماذج من فن الزخرفة والنقش والنحت والحفر... الخ	٤٧١-٤٨٣

فصول الجزء الرابع

في

المجلد الثاني

فهرس فصول الجزء الرابع

فصول الجزء الرابع

دور التراث الأدبي والثقافي والفروسية والرياضة والثقافة الغذائية الشركسية في بناء حضارة الأمة الشركسية

	الصفحة
الفصل الأول: بُعد التراث الثقافي والأدبي الشركسي لحضارة الأمة الشركسية	٤٨٧-٥٢٦
الفصل الثاني: بُعد الأمثال والحكم والأقوال المأثورة لحضارة الأمة الشركسية	٥٢٧-٥٤٨
الفصل الثالث: بُعد ثقافة تربية الخيول وألعاب الفروسية لحضارة الأمة الشركسية	٥٤٩-٥٨٠
الفصل الرابع: بُعد الثقافة الرياضية لحضارة الأمة الشركسية	٥٨١-٦٢٣
الفصل الخامس: بُعد الثقافة الغذائية لحضارة الأمة الشركسية	٦٢٥-٦٤٩
الفصل السادس: بُعد ثقافة الفلكلور القومي لحضارة الأمة الشركسية	٦٥١-٧٥٦

فهـــرس

الموضوعات الرئيسية في

فصول الجزء الرابع من

المجلد الثاني

فهرس
موضوعات الفصل الأول

الجزء الرابع

الفصل الأول

بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية

	الصفحة
تمهيد	٤٨٨
الادب الشركسي:	٤٨٨-٤٩٣
(١) ملاحم واساطير النارتيين في الادب الشركسي	٤٨٩
– وصف "شروخ" لاساطير النارتيين	٤٨٩
– دراسة "خان جري" لأساطير النارتيين	٤٨٩
– كتاب آخر صدر في "تفليس" يحتوي مقطعين من اناشيد سوسروقة عام ١٨٦١.	٤٨٩
– تسارع نشر الدراسات حول ملاحم النارتيين بفضل جهود الدكتور "اوسلاو" الخبير في الشؤون القوقازية ورعتها مجلة "غوازة" و "اديغة ماق" التي صدرتا في تركيا وجريدة "مارج" التي صدرت في القنيطرة بسورية عام ١٩٢٧م.	٤٩٠
– قيام العالم الفرنسي "جورج دوميزيل ديم" بتقديم أعمال أساطير وملاحم الشراكسة عام ١٩٤٠.	٤٩٠
– الكتاب الأول والثاني للاساطير وصدر في مايكوب بإشراف "كراشة تيمبوت" بعنوان "الموروث في الاغاني الشركسية" عام ١٩٤٥.	٤٩٠
– الكتاب الثاني وصدر عام ١٩٤٥ أيضا في نالتشك بعنوان الموروث والأغاني الشركمسية	٤٩٠

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

الجزء الرابع

الفصل الأول

بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية

- الكتاب الثالث حول اساطير النارتيين والثالث عام ١٩٤٨ بعنوان "اسطورة سوسروقة النارتي للشاعر شوجن تسوك آدم" ٤٩٠
- صدور الكتاب الرابع بعنوان النارتيون عام ١٩٥١ والخامس بعنوان "اورا – أواتا" خلال الفترة من ١٩٦٣-١٩٧٠. ٤٩٠
- كتاب "تارت" الصادر في موسكو باللغتين الشركسية والروسية عام ١٩٦٧ ٤٩٠
- دراسة "حميد قارموقة" حول ملاحم النارتيين وصدرت عام بعنوان "الكتاب العصر" ٤٩٠
- ملحمة "تارت البطولة والجذور" للاكاديمي "حادة نحالة اسكر" عام ١٩٦٧. ٤٩٠
- موسوعة "النارتيون" وصدرت في سبعة أجزاء خلال الفترة ١٩٦٨-١٩٧١ للاكاديمي "حادة غالة اسكر" ٤٩٠
- كتاب "الفلكلور الشركسي "صدر في نالتشك عام ١٩٧٩ باللغتين الروسية والشركسية بإشراف "آدم غوت". ٤٩٠
- كتاب "الاغاني واللازمات الشركسية القديمة" وصدر في جزأين عامي ١٩٨٠/١٩٨١. ٤٩٠
- كتاب الاديب الشركسي "كوبه شعبان" وعنوانه "الاغاني الشركسية القديمة وصدر في عمان عام ١٩٥٤ في الأردن ٤٩٠
- كتاب "ناظم قردن" وعنوانه "تارت سوسروقة" وصدر باللغة العربية في عمان عام ١٩٨٠. ٤٩١

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

الجزء الرابع

الفصل الأول

بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية

- رسالة الدكتوراه للدكتور صلاح الدين شروخ حول ملاحم النارتيين وقدمها لجامعة القدس يوسف في بيروت ١٩٨٢ — ٤٩١
- كتاب "ممدوح قموق" وعنوانه "ملاحم نارت الشركسية" وصدر في دمشق عام ١٩٨٤. — ٤٩١
- قصص وأغاني الشجاعة والبطولة والمقاومة — ٤٩٢
- قصص وأغاني وحكايات الفضيلة وعمل الخير ونبذ الاعمال غير الاخلاقية — ٤٩٢
- قصص وأغاني بطولة سوسروقة — ٤٩٢
- قصص وأغاني تعكس حقيقة حياة الشراكسة قديما. — ٤٩٢
- قصص وأساطير عن مكانة المرأة في مجتمعات قوم النارتيين القديمة — ٤٩٢
- اسطورة ام النارتيين "ستانية" التي كانت تساعد في الخروج من اكثر المآزق حرجا — ٤٩٢
- اسطور "ميليشبخ" الحكيمة واسعة الخيال والذكية الوفية لحبها امام كل الصعاب — ٤٩٣
- اسطورة "دخاناغوا" التي كان لها مكانة خاصة بين نساء قوم نارت — ٤٩٣
- قصص وحكايات حول الفلاحة والزراعة وجني الثمار — ٤٩٣
- قصص تحكي عن مسابقات الجري ورمي الحجارة والسهام والمصارعة لدى قوم نارت — ٤٩٣

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الجزء الرابع

الفصل الأول

بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية

	الصفحة
الفرع الثاني للأدب الشركسي هو الشعر والغناء والأناشيد الشركسية	٤٩٣-٥٠١
* اشهر الادباء الذين كتبوا حول الأغاني الشركسية:	٤٩٣
– سلطان خان جري	
– كوبه شعبان	
– ر. اديغة	
– بالاس	
– نماذج من الاغاني في قصص ملاحم وأساطير النارتيين وفي الأغاني الشعبية الشركسية	٤٩٤
تلبش "اله الحديد"، سوسروقة، بادي نوكو، اشميز اتاويز، تلبس وازنروس، عذراء ميليشيخ، فتاة داغانامو، كوخفاس وعيد اميرقان	٤٩٤
محمد بن حاتقوة، قصيدة ابن نيقوتلف، قصيدة حنيفة البطلة	٤٩٥
– نماذج من الأهم الاشعار والقصائد والاغاني الشركسية.	٤٩٥
– قصيدة تصف بطولة امراء الشراكسة في المعركة التي جرت بينهم وبين قبائل "التورغوت" الهمجية.	٤٩٥
– قصيدة حول الصراع على "المُلاتّ" الشيوخ ومواعظهم الخاصة.	٤٩٧
– قصيدة تمجد بطولة المصارعة الشركسية "لاشينقاي"	٤٩٨
– قصيدة عن دور الخونة مع بعض الشراكسة في خسارة بعض المعارك	٥٠٠

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

		الصفحة
الجزء الرابع	– قصيدة حول رفض الشراكسة الهجرة وتفضيلهم الموت.	٥٠٠
	– قصائد هجائية لمواقف بعض النبلاء	٥٠١
	الفرع الثالث من الأدب الشركسي هي القصص والحكايات الخرافية	٥٠٢
الفصل الأول	الفرع الرابع من الأدب الشركسي هي الأحاجي والألغاز الشركسية	٥٠٣
	الفرع الخامس من الأدب الشركسي هو ادب اللغة الشركسية	٥٠٤
	الفرع السادس للادب الشركسي هو المسرح والتمثيل	٥٠٥
بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية	ابرز ادباء المسرح في الوطن الأم	
	– كوبا شعبان	٥٠٥
	– ابراهيم تسي	٥٠٦
	– خاشيف	٥٠٦
	– نالوييف	٥٠٦
	– قاردن، غوشاة	٥٠٦
	* أدباء المسرح والتمثيل الشركسي في بلاد المهجر	٥٠٦
	– احمد حاغور، وكتب مسرحية "الأسرى الشراكسة وعرضت في استانبول عام ١٨٩٢.	٥٠٧

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

		الصفحة
الجزء الرابع	– كوبه، شعبان " بعد رحيله إلى تركيا ثم إلى الأردن وسوريا" وأهم مسرحياته التي عرضت في الأردن هي:	٥٠٧
	– مسرحية الهجرة وعرضت عام ١٩٥٢ في عمان.	٥٠٨
	– مسرحية حب الوطن من الايمان وعرضت في عمان عام ١٩٥٣.	٥٠٨
	– مسرحية غزوة في الليل وعرضت في عمان عام ١٩٦٥.	٥٠٨
	– مسرحية الحطاب وحماره من مشهد واحد.	٥٠٨
	– جانبولت الحسن والجنون الاسطوري من مشهد واحد	٥٠٨
الفصل الأول	– أغاني حول مساعدة الضعفاء والدفاع عن المظلومين.	٥٠٨
	* رواد الادب الشركسي في الوطن الأم "القدماء"	٥٠٨-٥٢٤
	– شورا بكمرزا بغموقة	٥٠٨
	– قاضي أتوازخين	٥٠٨
	– اميرهان خافباشي	٥٠٨
بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية	– بكميرزا باشا	٥٠٩
	– ابراهيم تسي	٥٠٩
	– شعبان كوبه	٥٠٩
	– احمد حاتقو	٥٠٩
	– شيكي خاشيف	٥٠٩
	– نالوييف	٥٠٩
	– كوبل. ب	٥٠٩
	– علي شغنستوك	٥٠٩
	– عليم كيشكوف	٥١٠
	– اسحق مشباش	٥١٠

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الجزء الرابع
الفصل الأول
بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية

	الصفحة
– يوسف لوستن	٥١٠
– حسن سخنة	٥١٠
– الشاعر مرات برتقوه	٥١٠
– اندرخوي حسين	٥١٠
– ادم غوت	٥١٠
– ادم شو	٥١٠
– اسلام بارون	٥١٠
– آيته خازر	٥١٠
– اشخامان	٥١٠
– اشن مزرت	٥١٠
– الماس أولادبن	٥١٠
– إتسقان روسلان	٥١١
– آمر خان صومان	٥١١
– اميرهان خافباشي	٥١١
– بانشو سفر	٥١١
– ب – تامبي	٥١١
– بشينوكو	٥١١
– ت. شاكوة	٥١١
– ت كاجيجيف	٥١١
– جان قرميز	٥١١
– حاتو قشونة	٥١١

الجزء الرابع

الفصل الأول

بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

	الصفحة
– حكيم نيونوف	٥١١
– خوزايف	٥١١
– حميد قرموقة	٥١١
– خان جري	٥١٢
– خ. تيموت	٥١٢
– خوست بلقر	٥١٢
– دوود أخيما	٥١٢
– داور جعفر	٥١٢
– داود تسي	٥١٢
– ر. ميركيكي	٥١٢
– سلطان خان غويري	٥١٢
– سليمان ستالكي	٥١٢
– شكا ماشه	٥١٢
– سوخي أسكربي	٥١٢
– فيزيغ أنانيتكو	٥١٣
– غورتوف	٥١٣
– تال بيف	٥١٣
– قسطانوف	٥١٣
– يوليوشن	٥١٣
* نبذة عن حياة أشهر الادباء والشعراء الشراكسة في عهد الاتحاد السوفيتي	٥١٣–٥٢٤
* مصادر ومراجع الفصل الأول من الجزء الرابع في المجلد الثاني	٥٢٤–٥٢٥

فهرس موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الرابع	* تمهيد	٥٢٨
	* نشاة وتطور الامثال والحكم والاقوال المأثورة لدى الامة الشركسية	٥٢٨
	* نماذج من الامثال الشركسية التي قيلت في عهد الطبقية.	٥٢٨
	* نماذج من الامثال الدينية	٥٢٩
	* العوامل التي ساعدت على انتشار الامثال الشركسية.	٥٣٠
	* عوامل البيئة الطبيعية، والحيوانية والاقتصادية والعسكرية، والاجتماعية	٥٣٠-٥٣١
الفصل الثاني	* طبيعة الامثال الشركسية ومستوياتها:	٥٣١
	١- مستوى الامثال الشركسية التي ترقى إلى مستوى الحكم.	٥٣١
	٢- مستوى الامثال التي تندرج تحت مصطلح "اقوال مأثورة".	٥٣١
	٣- مستوى الامثال التي تحمل طابع الاحاجي والفوازير (الحزيرة)	٥٣١
	٤- مستوى الامثال الشعبية العامة.	٥٣١
بُعد الامثال والحكم والاقوال المأثورة لحضارة الامة الشركسية	* المجالات والمحاور التي قيلت فيها الامثال والحكم والاقوال المأثورة:	٥٣٢-٥٤٤
	١- مجال كبار السن وصغار الشراكسة	٥٣٢
	٢- مجال الشجاعة عند الشراكسة.	٥٣٤
	٣- مجال المرأة الشركسية.	٥٣٥
	٤- مجال العمل باعتباره اساس تقدم الحياة.	٥٣٧
	٥- مجال الشر والخير في المجتمعات الشركسية.	٥٣٨
	٦- مجال تقدير الجمال	٥٣٩
	٧- مجال الخبرة والتجربة في حياة الشراكسة.	٥٣٩
	٨- مجال الضيافة عند الشراكسة.	٥٤٠

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الرابع	٩- مجال التعاون والعمل الجماعي في المجتمعات الشركسية.	٥٤٠
	١٠- مجال الصداقة عند الشراكسة.	٥٤١
	١١- مجال العلم والمعرفة وأهمية العقل عند الشراكسة	٥٤١
	١٢- مجال الموت والأجل عند الشراكسة	٥٤٢
	١٣- الحيوانات في الامثال الشركسية	٥٤٣
	١٤- امثال وحكم في مجالات ومحاور متفرقة.	٥٤٤
الفصل الثاني	* الاحاجي والفوازير عند الشراكسة.	٥٤٥
بُعد الامثال والحكم والاقوال المأثورة لحضارة الامة الشركسية	* أهمية الامثال والحكم الشركسية وفوائدها:	٥٤٦
	١- استخدام الامثال لاغراض تعليمية وتربوية وتوجيهية	٥٤٦
	٢- استخدام الامثال لحل العديد من المشاكل أو التعامل مع مواقف صعبة	٥٤٧
	٣- استخدام الشراكسة والامثال في تحذير وتذكير أو تنبه اشخاص من كبار السن أو صغارهم.	٥٤٧
	٤- استخدام الامثال الشركسية في الحث للقيام بأعمال بطولية وشجاعة.	٥٤٧
	٥- استخدام الامثال لتثبيت وترسيخ مفاهيم وقيم نبيلة.	٥٤٧
	٦- استخدام الامثال والاقوال المأثورة للتعبير عن مختلف العادات والتقاليد القومية الشركسية	٥٤٨

فهرس
موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
الجزء الرابع / الفصل الثالث / بُعد الفروسية وثقافة تربية الخيل والعابها لحضارة الامة الشركسية	* مكانة الخيول وأنواعها لدى الشراكسة عبر العصور القديمة والحديثة.	٥٥٠
	– اعتبار تربية الخيول من مكملات حياة الشراكسة في جميع العصور	٥٥٢
	– النظر للحصان الجيد كاللباس الجيد والصديق المخلص.	٥٥٢
	– الاكثار من تناسل الحصان الجيد والحفاظ على نسله.	٥٥٣
	– تكوين الهيكل التنظيمي للحصان	٥٥٣
	– مواصفات التكوين الضعيف للحصان	٥٥٤
	* مواصفات التكوين النموذجي للحصان القوي.	٥٥٥
	* أهم طرق تربية الخيول وترويضها عند الشراكسة.	٥٥٦
	* دائرة حياة الحصان	٥٥٧
	* منشأ الخيول وأنواعها عند الشراكسة:	٥٥٨
	أبقو، الاشا، الب، برول، دول – دول، يملتش، يبساني، تشه – غوالا، فارا، تشه – مد، خاكوَه، شه – قاره، شه – تخوه، شو – شه، عدى شجي، مزش، قونان شة، حلة زيشه – شه	٥٥٩–٥٦٣
	* الاسماء المشهورة للخيول في الوطن الأم	٥٦٣
	* مجالات استخدام الخيول – عند الشراكسة منذ عصر الاجداد	٥٦٣
	* نماذج من الخيول بحسب ألوانها	٥٦٣–٥٦٨
	* للتنقل والترحال والسفر	٥٦٣
	* نماذج من صور الخيل الشركسي بحسب الوانه	٥٦٤–٥٦٨
	* للجر، والتحميل، والنقل	٥٧٠

تابـــــــع
فهرس موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
الجزء الرابع / الفصل الثالث / بُعد الفروسية وثقافة تربية الخيل والعابها لحضارة الامة الشركسية	* الصيد، ومطاردة الفرائس والرعي	٥٧٠
	* القتال، والأعمال الحربية	٥٧٠
	* الألعاب الفروسية، ومسابقاتها مثل:	٥٧١
	– لعبة الخيالة والمشاه.	٥٧٢
	– لعبة صراع الخيول.	٥٧٣
	– لعبة الرجوع للأصل	٥٧٣
	– مسابقة قطع الانهار العميقة.	٥٧٣
	– لعبة جنود المشاة والفرسان.	٥٧٤
	– الالعاب الاستعراضية	٥٧٤
	– لعبة اصابة الهدف من أوضاع مختلفة.	٥٧٥
	– لعبة المناسبات الاجتماعية.	٥٧٥
	– مسابقات الخيول كمسابقات طويلة، والمتوسطة، والقصيرة.	٥٧٦
	– العاب ترويض وتدريب الخيول	٥٧٧
	* الاستخدام الاستثماري / التجاري	٥٧٧
	– بيع الخيول الشركسية حديثا بالمزاد العلني في قرية مالكا في بلاد القبرطاي، بقيمة ثلاثة ملايين	٥٧٨
	* مراجع ومصادر الفصل الثالث من الجزء الرابع في المجلد الثاني	٥٧٩-٥٨٠

فهرس
موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الرابع / الفصل الرابع / دور الثقافة الرياضية في حضارة الامة الشركسية	* نشأة الالعاب، وظهور الابطال في أساطير النارتيين وفي الروايات الشركسية القديمة	٥٨٢-٥٨٥
	– لعبة العجلة الفولاذية "جانشارخ"	٥٨٢
	– لعبة غرز "الخصم" في الأرض حتى عنقه.	٥٨٢
	– الرقص على حافة الطاولة القوقازية المستديرة الشكل.	٥٨٢
	– اسطورة رقصة "تارت بادينوقة" على الطرف الحاد للسيف المغروز في الأرض	٥٨٢
	– اسطورة "كوالا سوزريخا" التي تحكي البطولة الخارقة للبطلان "حسين" ذو القدم العريضة و "شوغين" طويل القامة	٥٨٣
	– قصة البطل خارق القوة "اسوزريخا" الذي سحب عربة مليئة بالحبوب إلى اعلى الجبل.	٥٨٤
	– قصة البطل "كوسوغي ردادا" العملاق .	٥٨٤
	– قصة تغلب البطلة الشركسية "لاشينقاي" على بطل جيوش التتار "قيسين"	٥٨٥
	أولا: أنواع الرياضيات القومية لدى قدماء الشراكسة:	٥٨٦-٥٨٩
	(١) العاب الفروسية: مثل لعبة الجري ثم التوقف لحفر حفرة في الأرض.	٥٨٧
	* رياضة القفز العالي بالحصان من فوق سور	٥٨٧
	* رياضة القفز الطويل من فوق وادي.	٥٨٧
	* رياضة القفز من الجري والساقط إلى الأسفل.	٥٨٨
	* رياضة الاقتتال بين فارسين.	٥٨٨
	* رياضة التقاط "الأشياء المعلقة عاليا" والحصان في حال جري بأقصى سرعة	٥٨٨
	* رياضة الرماية من فوق ظهر الحصان أثناء جري الحصان لإصابة الهدف وهي "بيفة"	٥٨٨
	* رياضة اطلاق السهم على هدف في لوح دائري.	٥٨٨
	* رياضة "شه – قاوج" أي ترقيص الحصان	٥٨٩

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

الجزء الرابع

الفصل الرابع

دور الثقافة الرياضية في حضارة الامة الشركسية

	الصفحة
(٢) رياضات عسكرية:	٥٨٩-٥٩١
– العاب باستخدام الفارس الرمح والسيف والبندقية وهو على ظهر الحصان	٥٨٩
– العاب ورياضات عسكرية بهدف تكوين البنية القوية للفرسان	٥٨٩
– العاب ورياضات عسكرية لاهداف اخلاقية	٥٩٠
– رياضة "شوريليس"	٥٩١
(٣) رياضة المصارعة:	٥٩١-٥٩٣
– مصارعة بغير يبانة أي مصارعة الدفع بالصدر	٥٩٢
– مصارعة أشيريبانة إلى صراع المعصم	٥٩٢
– مصارعة "الاحداث" وهي مصارعة بين فريقين يتكون من فريق من عدد من الاحداث	٥٩٣
(٤) رياضة تسلق الجبال مثل:	٥٩٣
– رياضة تسلق جبل "البروز" وانتشرت هذه الرياضة بعد ان تمكن المواطن الشركسي من منطقة القبردي واسمه "كيلار خاشيروف من تسلق قمة جبل "البروز" عام ١٩٢٩م.	٥٩٣
(٥) رياضة رفع الاثقال والرمي وتسمى "حلة آت" أي رفع الاثقال مثل:	٥٩٥
– رياضة رفع الاحجار الثقيلة لمستوى الكتف الايمن ثم رميها للخلف.	٥٩٥
(٦) رياضة دفع الدولاب "العجل الضخم" ذي الشفرات حادة من اسفل الجبل إلى اعلاه.	٥٩٥

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

الجزء الرابع

الفصل الرابع

دور الثقافة الرياضية في حضارة الامة الشركسية

	الصفحة
(٧) رياضة الوثب العالي:	٥٩٥
– رياضة القفز باستخدام عصا "زانة":	
– رياضة الوثب العالي بدون استخدام عصا	
(٨) لعبة خلع جذوع الاشجار.	٥٩٨
(٩) رياضة الصيد، ومنها:	٥٩٨
– صيد الطيور	
– صيد الحيوانات ذات الفراء الثمين	
– صيد الحيوانات ذات الفراع العاجي	
– صيد الحيوانات ذات اللحم الطيب	
(١٠) العاب الثلج والجليد مثل:	٦٠١
– لعبة بناء القلاع بالثلج	
– العاب القتال بكرات الثلج	
– العاب التزلج	
ثانيا: العاب الاطفال التقليدية لدى قدماء الشراكسة:	٦٠٢
(١) لعبة "التشين" او لعبة البلبل	٦٠٢
(٢) لعبة تسلق السارية او العامود	٦٠٢
(٣) لعبة التوافق والدقة	٦٠٤
(٤) الالعاب الذهنية "العقلية"	٦٠٤
ثالثا: ألعاب شعبية تمارس حتى عصرنا الحاضر	٦٠٥
رابعا: الرياضات على المستويات الدولية والأولمبية التي مارسها الشراكسة في الوطن في العصر الحديث	٦٠٧
* نشأة الرياضة الحديثة وتطورها.	٦٠٧

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الرابع	* انواع الرياضات الحديثة في الوطن الأم وهي:	٦٠٩
	(١) رياضة الفروسية	٦٠٩
	* الفارس جامبوت باكو بشوكوف (الملقب بالفنجري الاول) الذي مارس هذه الرياضة (٤٠) سنة وحاز على (٥٠) جائزة منها (٢٠) جائزة اوروبية وصاحب رقم قياسي في سباق الحواجز عام ١٩٦٩.	
الفصل الرابع	* الفارس مو حربي جاتخوت الحائز على لقب "خبير في رياضة الفروسية" عام ١٩٦٥، وفاز بلقب بطل الاتحاد السوفيتي اعوام ١٩٦٢، ١٩٦٧، ١٩٦٨.	٦٠٩-٦١١
	(٢) رياضة الجودو والعاب الدفاع عن النفس (ساميو، وكراتيه، وتايكوندو، والكيك بوكسينج.	٦١١
دور الثقافة الرياضية في حضارة الامة الشركسية	ابرز الابطال العالمين والأولمبيين من شراكسة الوطن الأم في هذه الرياضات هم:	٦١١-٦١٥

اسماعيل يكوتيتش	حاظرت تليتسيري
ارمبي حاباي	ايدمير اوتليف
كوستوكوف	مورات سابانشييف
أرمبي يميج	حميد حاباي
أدام ديلوك	مورات كيشتوف
مورات خوشت	سحاتبي ألخاوف
أصلان داوروف	مورات غوكوف
مورات جانوف	اصلان بيجف
اصلان غوباشييف	مورات أغيروف
مورات أوزوف	أزمات تترشاو
أيدمير اوتليف	

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الرابع / الفصل الرابع / دور الثقافة الرياضية في حضارة الامة الشركسية	(٣) أبطال الاولمبيين والعالميين في المصارعة	٦١٥-٦١٦
	ليونيد بوغاتيريوف زاوديين باجيف	
	تيمور حاتسوكوف ألكسي كازييف	
	اصلان جانيموف مورات قردانوف	
	البيرت غيرغوف رسلان تشرميت	
	اصلان نارتوقوف مايربيك خامبازاروف	
	اصلان حاغوروف محمد بالاخوف	
	(٤) ابطال رياضة رفع الاثقال	٦١٦-٦١٧
	موحربي كيرجينوف مورات بيبوف	
	يوري خواجيف	
	(٥) ابطال رياضة الدراجات	٦١٧
	بوريس شوخوف	
	(٦) ابطال رياضة كرة الطائرة	٦١٧
	يلينا اخامينوفا	
	(٧) ابطال تنس الطاولة	٦١٧
	فاطمة باتيروفا مولد كوشخوف	
	(٨) ابطال حركات الايقاع	٦١٧
	سفيتلانا كوشو	
	رابعا: الرياضات والالعاب الرياضية التي مارسها الشراكسة في بلاد المهجر	٦١٩

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الرابع	(١) رياضات شراكسة مصر في عهد ملوك الشراكسة في الدولتين البحرية والبرجية (١٢٥٠م – ١٥١٧م)	٦١٩
	* رياضات القوة مثل المصارعة	
	* رياضات الصيد والقنص	
	* العاب الكرة مثل لعبة الصولجان	
	* رياضات البراعة مثل حركات الجمباز	
الفصل الرابع	(٢) رياضات شراكسة المهجر في تركيا	
دور الثقافة الرياضية في حضارة الامة الشركسية	مساهمة شراكسة تركيا في الرياضات التنافسية على المستويين الاولمبي والدولي، وفاز عدد كبير منهم ببطولات اولمبية نذكر منهم	٦٢٠-٦٢١
	باشار دغو "دغوشة" — حميد قبلان	
	عادل جاندمير — محمود اتالاي (ناغوا)	
	توفيق يوتشيل — مصطفى داغدالان (ميشا)	
	قادر ياغيز	

فهرس
موضوعات الفصل الخامس

		الصفحة
الجزء الرابع	* تمهيد	٦٢٦
	* نشأة المطبخ الشركسي في الوطن الأم	٦٢٨
	* تطور المطبخ الشركسي وأنواع المأكولات	٦٢٩
الفصل الخامس	النوع الأول: أصناف وأنواع المأكولات المصنوعة من لحوم الحيوانات.	٦٣٠
	النوع الثاني: أصناف وأنواع المأكولات المصنوعة من لحوم الدواجن	٦٣٠
	النوع الثالث: أصناف وأنواع المأكولات المصنوعة من مشتقات الحبوب والبقول	٦٣١
بُعد الثقافة الغذائية في حضارة الأمة الشركسية	النوع الرابع: أصناف وأنواع المأكولات المصنوعة من الخضروات.	٦٣٣
	النوع الخامس: أصناف وأنواع المأكولات المصنوعة من مشتقات الألبان	٦٣٤

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الخامس

		الصفحة
الجزء الرابع	النوع السادس: اصناف وأنواع المأكولات المصنوعة من الفواكه	٦٣٥
	النوع السابع: أصناع وأنواع المأكولات المصنوعة من الاسماك	٦٣٥
	النوع الثامن: أصناف وأنواع الشوربات	٦٣٦
الفصل الخامس	النوع التاسع: المشروبات المسكرة وغير المسكرة	٦٣٦
	* انواع وأصناف أطباق المأكولات التي حافظ عليها شراكسة المهجر	٦٣٧-٦٣٨
	* قائمة باسماء وأنواع المأكولات الشركسية في الوطن الأم كما وردت في قاموس حسن تسخونة	٦٣٨-٦٤٨
بُعد الثقافة الغذائية في حضارة الأمة الشركسية	* مراجع ومصادر الفصل الخامس من الجزء الرابع في المجلد الثاني	٦٤٩

فهرس موضوعات الفصل السادس

		الصفحة
الجزء الرابع	تمهيد:	٦٥٢
	(١) الموسيقى الشركسية وما يرافقها من عزف وتأليف وتلحين	٦٥٣-٦٦٧
	* نشأة الموسيقى الشركسية	
	* أنواع الالات والادوات الموسيقية شائعة الاستخدام لدى الأمة الشركسية منذ عصر الاجداد:	٦٥٥
	- القيتار الشركسي – بشينا	٦٥٥
الفصل السادس	- القيتار اليدوي – آه – بشينا	٦٥٥
	- بشينا ديقواقُة	٦٥٥
	- القاميل	٦٥٦
	- الناقيرة	٦٥٦
	- السيرن أو السيرنا	٦٥٦
بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الامة الشركسية	- بربانة (الدفة) أو الطبلة	٦٥٦
	- آلة نقر البخيتسيج	٦٥٦
	- تامبورنيا	٦٥٦
	* تطور الموسيقى الشركسية في الوطن الأم (١٩٣٦-٢٠٠٠)م	٦٦٠
	* دور ارسني، ابراموف ١٩٣٦-١٩٣٩.	٦٦٠
	* دور بارفزوف – ١٩٤٦.	٦٦٠
	* دور كل من الاساتذة الموسيقيين السوفيت: بروكوفيت وملياكوفسكي، ونيتشاييفن واليكسندروف خلال اقامتهم في "تالتشك" خلال الحرب العالمية ١٩٤٢-١٩٤٥.	٦٦٠
	* دور مدرسة الاوبرا التي تأسست في جمهورية كباردينا-بلقاريا عام١٩٤٣	٦٦١
	* دور أول فوج تخرج من المغنين والموسقيين والمؤلفين الشراكسة من خريجي الاوبرا عام ١٩٥٠.	٦٦١
	* دور الموسيقار إسفير ديمنمان عام ١٩٥٥.	٦٦٢

تابـــع
فهرس موضوعات الفصل السادس

		الصفحة
الجزء الرابع	* دور محي الدين بالا عام ١٩٥٩.	٦٦٢
	* دور قسم الكورال والالات الموسيقية والفنون المسرحية في كلية كباردينو – بلقاريا التعليمية الثقافية عام ١٩٦٠.	٦٦٢
	* دور اتحاد المؤلفين الموسيقيين في كباردينو – بلقاريا عام ١٩٦٨.	٦٦٢
الفصل السادس	* الرواد الموسيقيون وقادة الاوركسترا او الممثلون في الوطن الام	٦٦٣
	(١) أرسين م. ابراموف	٦٦٣
	(٢) تروفور شابيلر	٦٦٣
	(٣) محي الدين بالا	٦٦٤
	(٤) عمر تحبسم	٦٦٤
	(٥) حسن قاردن	٦٦٤
	(٦) يوري تميرقان	٦٦٥
بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الامة الشركسية	(٧) اصلان داوروفا	٦٦٦
	(٨) فلاديمير مولا	٦٦٧
	* الحفاظ على الموسيقى الشركسية في بلاد المهجر مثل: تركيا، الأردن سوريا، امريكا	٦٦٧
	(٢) الرقص الفلكلوري الشركسي:	٦٧٠-٦٧٥
	* نشأة الرقص القومي الشركسي	٦٧٠
	* أنواع الرقصات الشركسية القديمة وهي:	٦٧٠
	الوج، زفاكو، القافا، إسلامي، رقصة الفرسان، الحشت	٦٧٠-٦٧٣
	* تطور الرقص القومي الشركسي في الوطن الأم	٦٧٣
	– دور اكاديميات الرقص القومي في العهد السوفيتي	٦٧٤
	– دور فرقة الرقص القبردينية منذ عام ١٩٣٤.	٦٧٤

تابـــع
فهرس موضوعات الفصل السادس

		الصفحة
الجزء الرابع	– دور فرقة نالتشكانا	٦٧٤
	– دور فرقة الرقص الشعبية الهواة في المحافظات في جمهورية كباردينو	٦٧٥
	– دور فرقة الرقص الحكومية في الاديغي منذ عام ١٩٧٢.	٦٧٥
	– دور فرقة مجموعة "تالماس" الحكومية للرقص منذ أوائل السبعينات	٦٧٥
	– دور مجموعة الرقص الفلكلوري الحكومية القفقاسية بقيادة إيغور ابتداء من عام ١٩٩٢.	٦٧٥
الفصل السادس	– دور فرقة "نف – NEF" أي فرقة "النور" الشركسية في جمهورية الاديغي وهي فرقة خاصة تأسست في عهد روسيا الاتحادية	٦٧٥
بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الامة الشركسية	* الرقص الشركسي في بلاد المهجر	٦٧٥–٦٨٠
	* الرقص الشركسي في الأردن ويتمثل في:	٦٧٦
	فرقة نادي الجيل الجديد، فرقة النادي الأهلي، فرقة مدرسة الامير حمزة	٦٧٦
	* الرقص الشركسي في سوريا ويتمثل في:	٦٧٦
	فرقة البروز للرقص الشركسي	٦٧٦
	* الرقص الشركسي في تركيا ويتمثل في:	٦٧٦
	فرقة البروز الشركسية في انقرة	
	* الرقص الشركسي في فلسطين المحتلة ويتمثل في:	٦٧٧
	فرقة الرقص الشركسي في قرية الريحانية، وقرية كفر كما الشركسيتين	
	* الرقص الشركسي في الولايات المتحدة الأمريكية، ويتمثل في	٦٧٧
	فرقة نارت للرقص الشركسي	٦٧٧
	* راقصون وفنانون عالميون من أصول شركسية:	٦٧٨
	– راقصة البالية العالمية "مونيكا شامرزا" واسمها الفني "لود ميلاجيرفا"	٦٨٠

تابـــع
فهرس موضوعات الفصل السادس

		الصفحة
الجزء الرابع	– الفنان الكوميدي "أخيل زافاتا" شركسي الأصل مولود لابوين شركسيين في تونس	٦٨٧
	(٣) الاغاني الشركسية وما يرافقها من تلحين وتأليف وأداء	
	* نشأة الاغاني الشركسية:	٦٨٧
	– أغاني النارتيين	٦٨٧
الفصل السادس	– الاغاني التاريخية	٦٨٨
	– اغاني واناشيد الطقوس الدينية.	٦٨٨
	– اغاني الابتهال واسترضاء عن الالهة.	٦٨٨
	– اغاني البطولة والشجاعة.	٦٨٩
	– اغاني المدح والثناء.	٦٩٠
بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الامة الشركسية	* انواع الاغاني والاناشيد الشركسية القديمة	٦٩٠
	– اناشيد وأغاني الطقوس الدينية.	٦٩٠
	– اناشيد وأغاني الحروب	٦٩٠
	– أناشيد وأغاني الرثاء (غبزة)	٦٩٠
	– أناشيد وأغاني مواسم الحصاد.	٦٩١
	– أغاني جرحى الحرب والمصابين بجروح او كسور.	٦٩١
	– الاغاني العاطفية.	٦٩٢
	– اغاني مراسم الزواج والولادة.	٦٩٢

تابـــع
فهرس موضوعات الفصل السادس

		الصفحة
الجزء الرابع	* الاغاني والاناشيد القومية الشركسية في عهد الاستعمار الروسي القيصري	٦٩٤-٧٠٦
	– صدور اول كتاب للأغاني الشركسية بإشراف الملحن الروسي "تانيف" عام ١٨٨٧	٦٩٤
	– دور بيشميرزا باشا، مؤسس الشعر "الكباردیني" الحديث منذ عام ١٩١٣ ومؤلف اغنية "غازي مراد".	٦٩٤
الفصل السادس	* الاغاني والأناشيد الشركسية القومية في عهد الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي.	٦٩٤
	* الاغاني الشركسية في مرحلة الحرب العالمية الاولى.	٦٩٥
	* الاغاني الشركسية في مرحلة التعاونيات الزراعية "الجولخوزات"	٦٩٥
	* الاغاني الشركسية في مرحلة الحرب العالمية الثانية.	٦٩٦
	* الأغاني الشركسية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.	٦٩٦
بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الامة الشركسية	* الاغاني الشركسية في المرحلة الحديثة التي بدأت في عقد الخمسينات من القرن العشرين.	٦٩٨
	* اقسام الأغنية الشركسية:	٦٩٩
	القسم الاول: "ورد" أي الاغاني الشركسية.	٧٠٠
	القسم الثاني: "غيبزة" وهي الأغاني الرثائية.	٧٠٠
	القسم الثالث: "وردؤة" وهي الأغاني التي يغنيها المغنون المتجولون.	٧٠١
	القسم الرابع: "وساكئوه" وهي الاناشيد التي ينشدها أو يسردها المغنون والرواة	٧٠١
	* الرواد الاوائل من كتاب الشعراء والأغنية والمؤلفون والمغنون الشراكسة في الوطن الأم.	٧٠٢

تابـــع
فهرس موضوعات الفصل السادس

الصفحة

الجزء الرابع
الفصل السادس
بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الامة الشركسية

* بيشميرزا باشا ٧٠٣
* اميرخان باشا ٧٠٣
* يندريس قزحر ٧٠٣
* حسن قاردن ٧٠٤
* زالمخان ديشك ٧٠٤
* عمر تحبسم ٧٠٤
* فلاديمير برغون ٧٠٥
* حسين ميراميقوا ٧٠٥
* زاور توتوف ٧٠٥
* فالنتينا سوسماق ٧٠٥
* كوراتس قانشيرغا ٧٠٥
* تمارا نفي ٧٠٥
* ناتشاغيتاشا ٧٠٦

* الغناء الشركسي في بلاد المهجر: ٧٠٦
(٤) اللباس القومي الشركسي – اديغة فاشه – اديغة شيغين ٧٠٧
* وصف بعض الرحالة الاجانب للباس القومي الشركسي. ٧٠٧
* وصف لباس الرجال. ٧٠٨
* وصف لباس النساء ٧٠٨
* وصف الفيلسوف الالماني "يوغان غيرور" لملابس الفتاة الشركسية ٧١٠
* دراسة العلامة الفرنسي "مورجان" للعلاقة بين ملابس الشراكسة وملابس الحثيين المنشورة في القرن الأول الميلادي ٧١٠
* مكونات اللباس القومي الشركسي للرجال كما جاء في بعض الدراسات الفلكلورية وهي ٧١١
* البأة (القلبق) أو القلنسوة.

تابع
فهرس موضوعات الفصل السادس

		الصفحة
الجزء الرابع		
الفصل السادس	* الباشلق أي الوشاح ويوضع فوق القلبق	٧١١
	* قابيتال، أي المعطف الخفيف المفتوح من الامام	٧١١
	* شاكواة، أي العباءة الطويلة المصنوعة من الصوف.	٧١١
	* جانا، أي القميص.	٧١١
	* بربخ / الحزام أي الحذاء او الجزمة	٧١٢
	* غون – جك / سروال	٧١٢
	* فاقة	٧١٢
	اللباس القومي للمرأة الشركسية وتوابعه.	٧١٢
	* وصف لأحد المختصين من جمهورية كباردينا – بلقاريا للباس القومي الشركسي للنساء	٧١٢
بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الامة الشركسية	* لوازم وتوابع الزي القومي الشركسي للرجال وهي:	٧١٢-٧١٣
	١- "القامة" او الخنجر الشركسي	
	٢- "قامشة" أي الكرباج.	
	٣- "الكراخوة" أي المسدس.	
	٤- "س- شخوا" أي السيف.	
	٥- "وانة" أي سرج الحصان.	
	٦- "وبا" أي اللجام	
	* اللباس القومي الخاص بالمرأة الشركسية وتوابعه وهي:	٧١٤-٧٢٠
	١- "البآة" أي لباس الرأس	
	٢- "الاش" أي الاشارب.	
	٣- "جانا" أي القميص.	

تابـــع
فهرس موضوعات الفصل السادس

		الصفحة
الجزء الرابع	٤- "بيربغ" أي الحزام	
	٥- "تسي" أي الكاب.	
	٦- الصدرية	
	٧- "غون – جك" أي السروال.	
	٨- "الفافة" أي الحذاء	
	٩- الحقيبة اليدوية	
الفصل السادس	المحافظة على اللباس القومي الشركسي في بلاد المهجر ودول الشتات نذكر منها:	٧٢٠-٧٢١
	* في الأردن	
	* في سوريا	
	* في فلسطين	
	* في تركيا	
	* في اوروبا وامريكا	
بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الامة الشركسية	نماذج من صور الفلكلور القومي الشركسي في الوطن الأم وفي بلاد المهجر	
	* صور تمثل الغناء	٧٢٢-٧٢٥
	* صور تمثل فرق موسيقية شركسية	٧٢٦-٧٣١
	* صور تمثل الرقص الفردي والجماعي والاستعراضي	٧٣٢-٧٤٦
	* صور تمثل نماذج من اللباس القومي الشركسي لكل من الرجل والمرأة	٧٤٧-٧٥٣
	* مراجع ومصادر الفصل السادس	٧٥٤-٧٥٦

الجزء الأول

دور الاقتصاد والصناعة والتجارة

في بناء حضارة الأمة الشركسية

الفصل الأول

دور الاقتصاد والصناعة والتجارة في بناء حضارة الأمة الشركسية

تمهيـــد

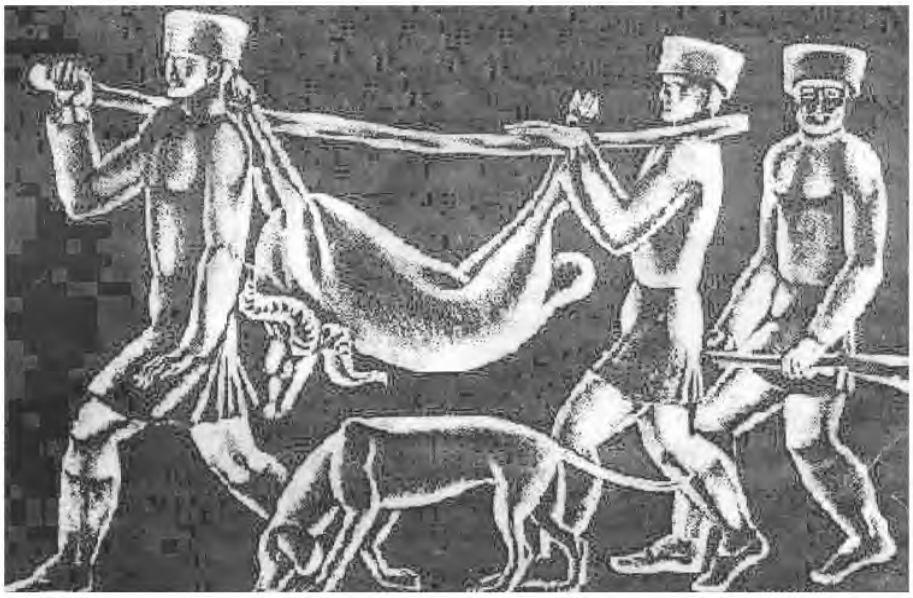
يؤكد المؤرخون القدامى بأن الإنسان القفقاسي خرج من الكهوف قبل (٣٥) ألف سنة، وأنه سكن في مساكن عرفت بمساكن (الصيد الجماعي المؤقت)، وأن أول نشاط (اقتصادي) مارسه الإنسان القفقاسي هو **الصيد**، وأن أول إله لهم كان اسمه إله الصيد والصيادين واسمه **(زيجوت Zeigut)**، وهو الإله الذي ورد ذكره في أساطير النارتيين، حيث كانوا يركبون خنزيرا بريا شعره ذهبي اللون، كما تحدثت هذه الأساطير عن صيد البحر وعن جامعي الأقوات، خاصة النساء اللواتي كن يلتقطن الثمار والجذور النباتية لتأمين قوت يومهم.

استخدم الشراكسة في الصيد والقنص السهام الحجرية المصنوعة من حجر الصوان المسنن، وفي مراحل لاحقة استخدموا الرماح الخشبية مثبتة عليها رؤوس مدببة مصنوعة من النحاس بالإضافة إلى السهام النحاسية أو الحديدية التي استخدمها في مراحل لاحقة.

كما عاش أجداد الشراكسة القدامى في المراحل الأولى من حياتهم على صيد الحيوانات البرية مثل: **الغزلان والإبل والحلوف والجاموس البري والبقر القفقاسي بالإضافة إلى صيد الطيور البرية** [١].

صيادين من قدماء الشراكسة في عصور ما قبل التاريخ يحملون غزالا تم صيده





وفي الألف الخامسة قبل الميلاد انتقل الإنسان الشركسي إلى **تدجين الحيوانات** حيث استطاعت قبائل الكميريين (وهم اجداد الشراكسة) تدجين (التيوس الجبلية) ثم انتقلوا إلى تربية الابقار والاغنام والخنازير، كما سبق وأن دجنوا الحصان منذ الالف الثالث قبل الميلاد [٢].

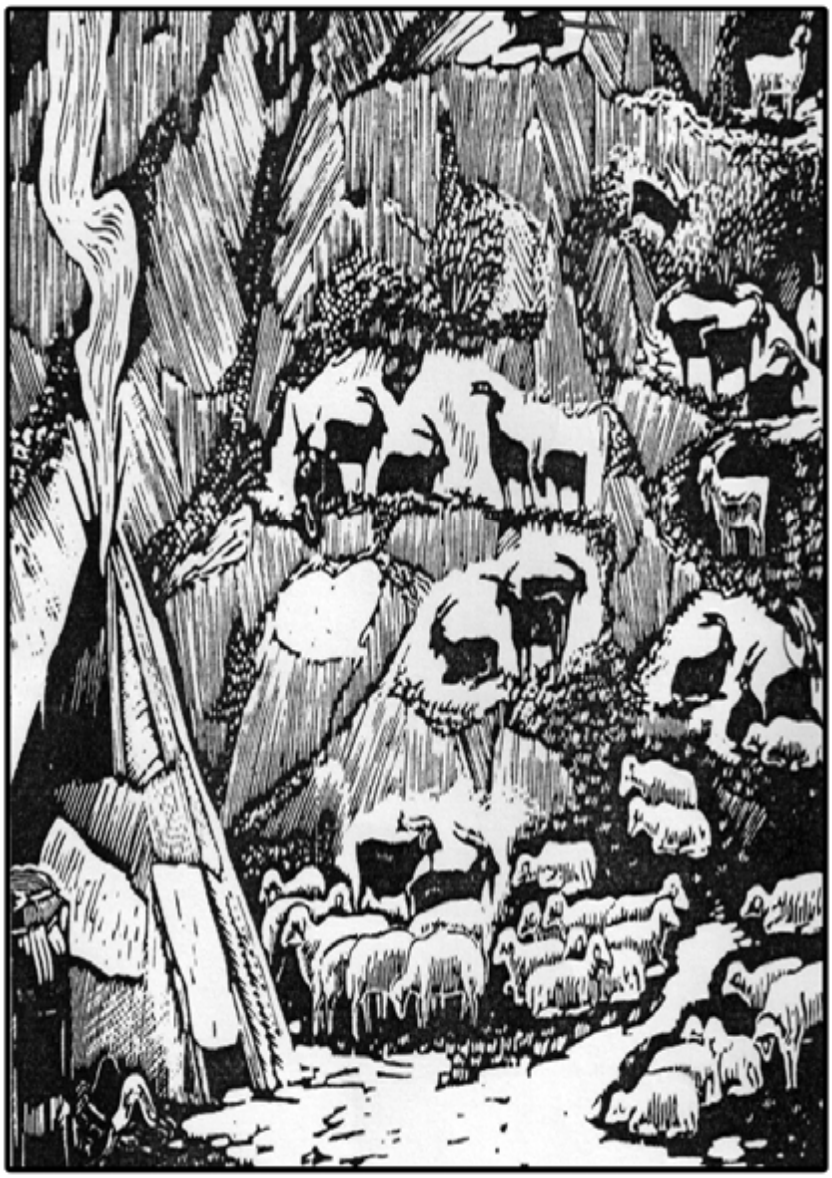
ونستدل على قيام اجداد الشراكسة بتدجين الحيوانات من التدقيق في التماثيل والرسومات التي وجدت على جدران الموقع الاثري المعروف بـــ (طاش مغارة) وهي المغارة الحجرية التي تعد أول معلم أثري يدل على تواجد الشراكسة في عصور ما قبل التاريخ في القفقاس والحلوف ويلاحظ بأن تلك الرسومات كانت تمثل النسر والعقاب والأيل والحصان والكلب والثور والانسان [٣].

وبعد مرحلة تدجين الحيوانات بدأت مرحلة حياة الرعي لدى اجداد الشراكسة وتشير الاساطير الشركسية بأن قوم (نارت) من شدة اهتمامهم بتربية ورعي الحيوانات خصصوا عددا كبيرا من آلهتهم (لرعاية وحماية) الحيوانات ومن هذه الآلهة.

- الآله (أميش) وهو إله تربية الماشية (ويلفظ أيضا يمش).
- الإله (بيريغون) وهو راعي الخنازير.
- الإله (آخين) وهو الرب الحامي للخراف والمواشي عامة وسمي ايضا بإله (القطعان).
- الاله (ميرسيا أو ميريم) وهي حامية النحل [٤].

ولا شك بأن تعدد الالهة التي ترعى الحيوانات لهو أكبر دليل على مكانة ودور الحيوانات في حياة أجداد الشراكسة منذ فجر التاريخ، وأن استئناس الحيوانات وتدجينها كانت (مهنتهم) الثانية لهم بعد (مهنة) الصيد وجمع الثمار.

صورة تمثل عصر ما قبل تدجين التيوس الجبلية في مناطق الاديغة منذ الالف الثالث قبل الميلاد



ولا يزال حتى يومنا الحاضر وجود بعض اسماء عائلات حيوانات تدل على ذلك فمثلا يوجد لدى الشراكسة اسم لكل نوع من انواع الرعي، كراعي البقر وراعي العجول وراعي الغنم فراعي الماعز.. الخ. بالاضافة إلى رعاة الطيور فهناك راعي الاوز وراعي الحبش وراعي البط وراعي الدجاج. فقد كانت هذه الطيور تخرج من القرية بأعداد كبيرة ولها رعاتها لترعى في الحقول والمراعي الخاصة بكل عشيرة، حيث كان يخصص لكل عشيرة (محميات ومراعي خاصة بهم).

وفي بداية حياة أجداد الشراكسة كانت أعداد رؤوس القطيع قليلة، وكانت تستخدم في تقديم الأضاحي وإقامة الولائم والمقايضة بأنواع يحتاجها الشراكسة وسرعان ما أصبح القطيع رمزا للثراء. كما كان الحليب يقدم قربانا للآلهة ثم أصبح يقدم للكهنة والأمراء حتى أصبح فيما بعد شراب العامة، وقد جاء في الأمثال الشركسية "اللحم شر والحليب خير". وكانوا لا يذبحون الشاة والحصان إلا في الاعياد الكبيرة وعند حضور ضيف لهم وكانوا يعتمدون في غذائهم على الصيد والحيوانات الأليفة، حيث اعتبرت رأس مال غير مستثمر، وهم لا يبيعون حيواناتهم المكتملة النمو، فليست قطعانهم ثروة حقيقية بل رصيد احتياطي، ولم يكن يقربونها إلا تحت الحاجة الماسة ولا يبيعونها ولا يستبدلونها بالنقود.[٥]

كان لدى قبائل (الاديغة) قديما الاكتفاء الذاتي أي أن انتاج القبيلة كان يستهلك من قبلها مباشرة (من اليد إلى الفم) وقد عاشوا على هذه الحالة آلاف السنين.

ولم يكتفِ أجداد الشراكسة بتربية الحيوانات والطيور على اختلاف أنواعها، وأنما اكتشفوا (النحل) واهتموا بتربيتها واستفادوا من عسلها وأنتجوا عشرات الأنواع من العسل وربما كانوا من اقدم شعوب العالم في هذا المجال، كما

أنهم عرفوا (دودة القز) في مراحل لاحقة واستخدموا (خيوطها الحريرية) في صناعة أقمشة الحرير [٦].

وفي نهاية القرن الثالث قبل الميلاد انتقل الشراكسة إلى مرحلة الزراعة وتشير اساطير النارتيين بأن الاله (تحة غاليدج) كان خبيرا في الشؤون الزراعية، وكان من حق قوم (النارتيين) القيام بزراعة ما يستطيعون زراعتها من أراضي، كما خصصوا إلها للغابات باسم (مزتحه) وهو الحامي للغابات، كما كان ايضا لدى بعض القبائل الشركسية (الها) لحماية الحيوانات، وكانت عادة قدماء الشراكسة الصلاة لهذا (الاله) قبل الخروج للصيد اعتقادا منهم بأنه يساعد في الحصول على صيد (وافر).

وفي عام (٢٢) بعد الميلاد وجد (سترابون) المؤرخ الجغرافي الذي زار بلاد القفقاس بأن سكان سهول القفقاس وساحل البحر الأسود ينتجون أكثر من ثلاثين نوعا من المحاصيل الزراعية وكان لليونانيين حق امتياز الاتجار بها وأنهم كانوا يستوردون منها كل سنة (٢,١٠٠,٠٠٠) قديم (وهي وحدة كيل قديمة).

يرى العالم الانجليزي (غوردون. ف. تشايلد): بأن الثورة الاجتماعية الاولى حدثت في العصر الحجري الحديث، حيث خرج الانسان من أطر العيش الطفيلي الصرف (الصيد والقنص والتقاط الجذور) إلى اقتصاد الكفاف، ثم انتقل إلى حراثة الأرض وتربية الماشية [٧].

(١) مراحل نشأة الثروة الزراعية والحيوانية في الوطن الأم

تشير الدراسات بأن نشأة وتطور الزراعة لدى الأمة الشركسية منذ عصر الأجداد قد مرت بأربع مراحل، هي:

المرحلة الأولى:

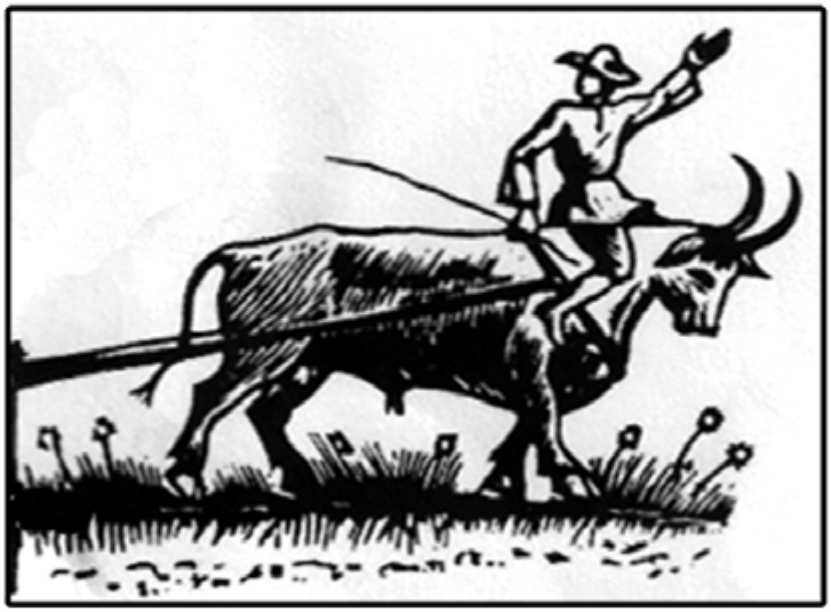
وظهرت فيها الزراعة البعلية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، واستخدم في هذه المرحلة سكة المحاريث المصنوعة من العظام والخشب، وهي المرحلة التي يعتبرها المؤرخون انها بداية تدخل الانسان في سير الطبيعة، وحصوله على قوته عن طريق العمل، وكانت هي مرحلة طفرة كبرى في مسيرة الانسان الحضارية، وبدأ منها شعوره بالانفصال والاستقلالية عن الطبيعة.

المرحلة الثانية:

وسميت بمرحلة (الثورة النيولتية الكبرى) وهي المرحلة التي تميزت بتطور الاقتصاد الزراعي للأمة الشركسية نتيجة ظهور عوامل عديدة منها:

- اختراع المحراث ذي السكة الحديدية (المعدنية) وحلت مكان السكك العظمية والخشبية، واستخدام الثيران لجر المحاريث.
- ابتكار نظام الري باستخدام الأقنية المائية القديمة، التي وجدت بقاياها في اكثر من منطقة في القفقاس.
- استخدام السماد في تطوير، وتحسين الأراضي الزراعية.
- ظهور الحرف اليدوية ذات العلاقة بصنع الأدوات المستخدمة في الحراثة والدراسة والبذار، وكذلك الأدوات المستخدمة في الحفر والنكش والعزق والتمشيط... إلخ.
- استصلاح الأراضي الزراعية بنزع وإزالة الأشواك الضارة منها.

المحراث ذو السكة الحديدية التي أخترعها أجداد الشراكسة في عصر الثروة النيولتية الكبرى في الألف الثالث قبل الميلاد





المرحلة الثالثة:

وهي المرحلة التي تطورت فيها الزراعة في بلاد الشراكسة بعد ان نشأت فيها الملكية الخاصة، واصبحت الأمة الشركسية **تعيش في اطار مجتمع ذي اقتصاد مركب من الزراعة المروية وتربية المواشي،** والحرف اليدوية (المنزلية) المتنوعة. وهي المرحلة التي تزايدت فيها أعداد السكان وكانت كذلك بداية ظهور المدن ذات الاسوار الحجرية والبيوت المبنية من الحجر والطوب المشوي.. وتميزت هذه المرحلة عن المراحل السابقة بمزايا عديدة منها:

- تطور طرق الري والتسميد ووسائل اصلاح الأراضي.
- تطور صناعة الادوات المستخدمة في الزراعة والحراثة وجني المحاصيل ودراستها.
- تحسين اساليب حفظ وتخزين الحبوب في حفر معدة خصيصا لذلك، وكذلك تحسين أساليب حفظ الطحين، ومنتوجات الألبان في آواني فخارية كبيرة.
- الانتقال من زراعة الحبوب والبقول، إلى زراعة الاشجار المثمرة مثل اشجار الفواكه والعنب، بالإضافة لزراعة الخضروات [٧].
- البدء بالاستفادة من ثمار الاشجار البرية مثل التفاح الذي يعتبره المؤرخون بأن القفقاس هو الموطن الأصلي له في العالم، وكانت تشكل غابات كثيفة بالإضافة إلى أن هذه المرحلة هي المرحلة، التي ظهرت فيها أنواع أخرى من اشجار الفواكه البرية مثل: البرقوق، والدراق، والكرز، والبندق، واستخدمت كغذاء أساسي للشراكسة في هذه المرحلة.

المرحلة الرابعة:

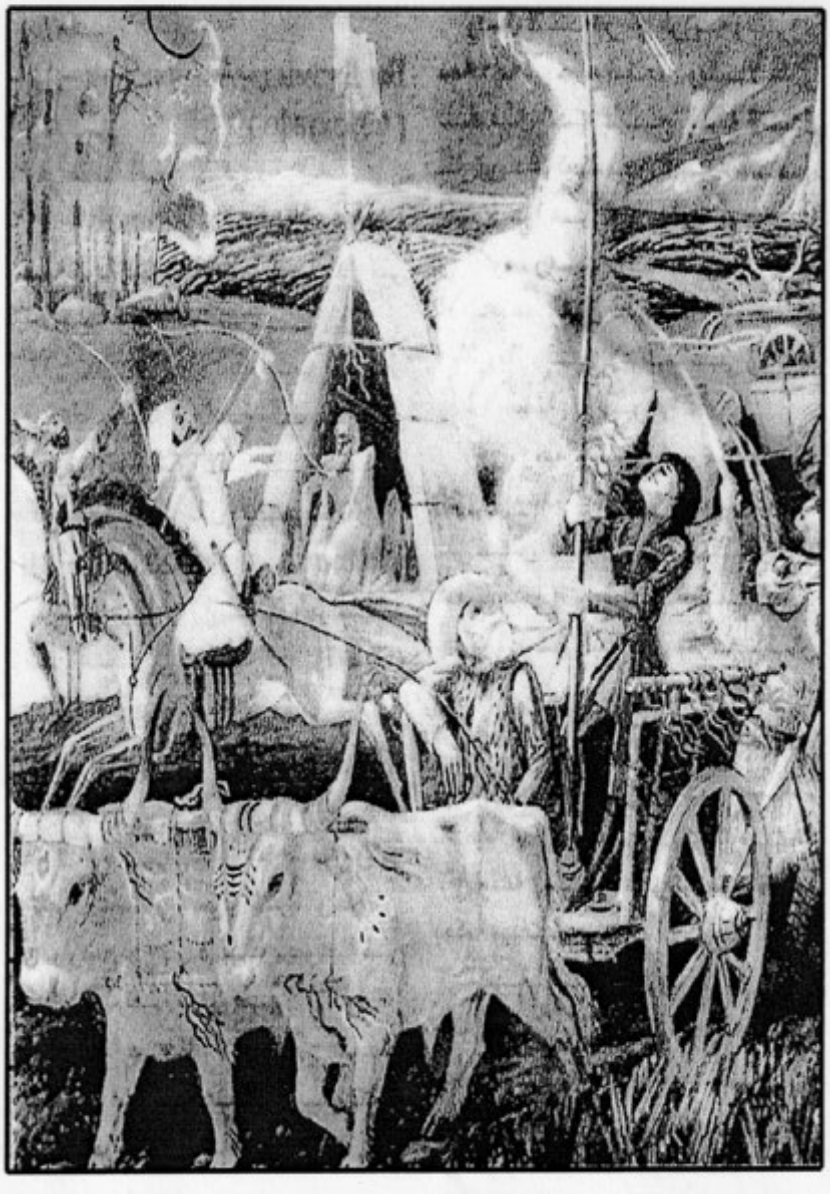
وهي المرحلة التي سميت فيها بلاد القفقاس عامة والقفقاس الشمالي خاصة **(بسلة الفواكه والخضار والحبوب والسمن والعسل) كما سماها قدماء المؤرخين بالجنة الموعودة.** كما ازداد في هذه المرحلة انتاج المحاصيل الزراعية زيادة غير محدودة، حتى اصبح الانسان الشركسي لا يعمل أكثر من (٣٠) يوماً في السنة لتأمين ما يكفيه من انتاج المحاصيل الزراعية لسنة كاملة.

وعبر المؤرخ (نغموقة) عن مدى التقدم الحضاري في بعدها الزراعي والثروة الحيوانية في هذه المرحلة بقوله:

"اهتم الشراكسة بتربية الحيوانات للاستفادة من لحومها، ولبنها كغذاء، وصوفها كلباس، ودهنها كمادة للإضاءة، كما طوروا طرق فلاحة الأرض وزراعتها، حيث كانوا يزرعون جميع أنواع الحبوب مثل: الذرة، والشعير، والدخن، والقمح، والكثير من الخضار النافعة، كالبصل، والثوم، والجزر الأحمر، وغيرها، وتتضمن اللغة الشركسية جميع أسماء الحبوب ما عدا (الأرز) وكان من عاداتهم القيام ببعض الطقوس بعد الحصاد وجني الثمار، مثل تلاوة الأدعية وإقامة الصلوات تبركا، وإعداد الطعام من الغلة الجديدة ودعوة الأقرباء والأصحاب إلى (وليمة) ليأكلوا ما طاب لهم من المحصول الجديد وتدعى (حَم ئوموخوه Ham Umucho) وبعدها يصبح الشخص حر التصرف بمحصوله، ويحق له بيع ما زاد عن حاجته أو التصدق به على المحتاجين [٨].

كما كانت العودة من موسم الحصاد تتم وفق طقس احتفالي كبير كما هو مبين في الصورة التالية:

صورة تمثل الطقس الاحتفالي الكبير الذي كان مقام عند
العودة من انتهاء موسم الحصاد



(٢) مصادر الثروة الزراعية والحيوانية لدى الأمة الشركسية في الوطن الأم

نستنتج مما تقدم بأن الأمة الشركسية على اختلاف شعوبها وقبائلها، كانت أمة من أولى اهتماماتها هي فلاحة الأرض وزراعتها وتربية الحيوانات والطيور والدواجن، وأن مهنة الزراعة كانت مهنتها الاولى (في أوقات السلم) في العصور ما قبل الميلاد وما بعد الميلاد وحتى انتهاء حرب الإبادة الروسية التي انتهت في ١٨٦٤/٥/٢١. وأن تقدم هذه المهنة لدى الشراكسة يتجسّد في المصادر التالية:

المصدر الاولى:

اشتغل الشراكسة عبر العصور القديمة والمتوسطة بزراعة العديد من المحاصيل منها:

١) الكروم، التي تزرع على ارتفاعات تتراوح ما بين ٩٠٠ – ١٦٠٠م فوق مستوى البحر.
٢) القطن، ويزرع على ارتفاع ٦٨٠م عن مستوى البحر.
٣) الحبوب، على اختلاف أنواعها، وتزرع على ارتفاع يصل إلى ٢٣٠٠م عن سطح البحر.
٤) الشاي، الذي يزرع في عدة مناطق في السهول.
٥) عباد الشمس والتبغ ويزرع في السهول.
٦) مختلف أنواع الفواكه من: تفاح، وإجاص، وكرز، ومشمش، وخوخ، ودراق، وكاكا، والشمندر السكري، والجوز، والكستناء، والكمثرى، والتين.

هذا بالإضافة إلى اهتمام الشراكسة بالثروة الحرجية التي تغطي اكثر من ثلث بلاد الشراكسة. [٩]

المصدر الثاني:

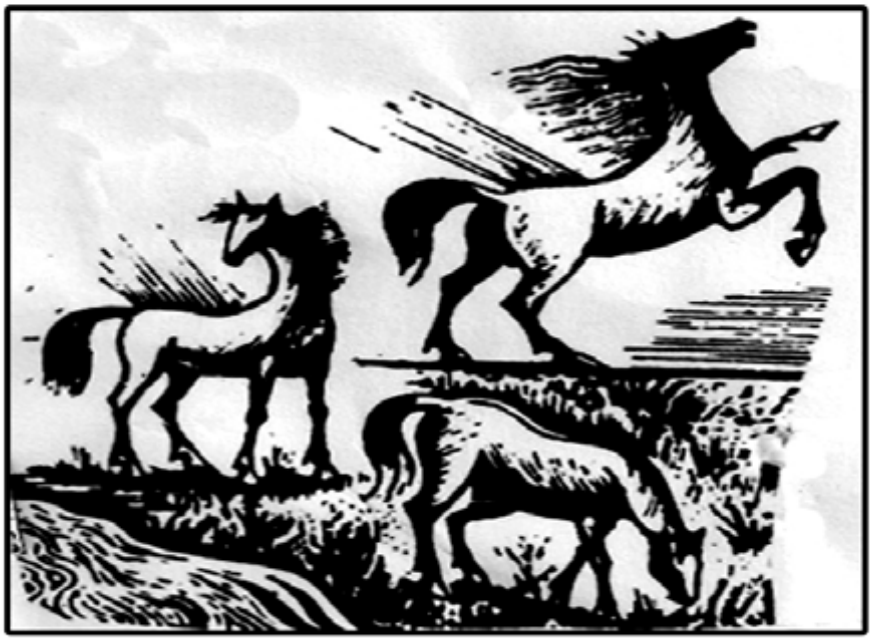
اشتغل الشراكسة منذ القدم بتربية الحيوانات الأليفة والبرية، وكانت أكثر انواع الحيوانات اقتناء لدى الأمة الشركسية هي:

* الغنم والماعز من نوع (مارينولي) القفقاسي، والجاموس، والبقر القفقاسي، الذي يعتبر من أضخم أنواع البقر في العالم.

وكان قطيع البقر يشكل ثروة هامة، كما كان مربوها من ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة، وكانت التحية الدارجة عند الشركس "ليكن قطيع البقر بانتظارك". وكان الراعي يأكل مما يصطاده وينمي قطيعه لأنه دليل التباهي بين أفراد القبيلة.

* اشتهرت سهول القبرداي بجيادها الأصيلة، ومن أشهرها سلالة الحصان (شاغدي) وهو أضأل من الحصان (الاصيل الجرشتي) الذي يشبه الحصان العربي، وتمتاز هذه السلالات بأنها تكتفي بالقليل من الماء، وتتحمل مشاق الجري إلى مسافات طويلة، وقد توارث الشراكسة عادة احترام وتقديس الحصان فهم لا يطلقون الرصاص على الجياد ابدا، بل إنهم كانوا يصنعون دروعا من زرد الحديد لتقي الحصان في المعارك ويأنف الشركسي من السرقة عامة إلا سرقة الخيل، فكانت عادة مشرفة عندهم. وقد يعاد الجواد الأصيل المسروق باحتفال خاص تهدى فيه إلى السارق الهدايا الثمينة. [١٠]

الخيول القوقازية الشركسية البرية، قبل عصر التدجين والترويض





المصدر الثالث:

اهتمام الشراكسة بتربية الطيور والدواجن ويكاد لا يخلو بيت شركسي (منذ القدم) من مئات الاسراب من الطيور مثل: الدجاج، والبط، والإوز، والحمام، أما الطيور البرية فهي كثيرة ومتعددة الأنواع من حمام بري، وبط، وإوز.

المصدر الرابع:

اهتمام الشراكسة بتربية النحل، فالشراكسة كانوا من اقدم الشعوب التي اشتغلت بتربية النحل، كما كانوا ينتجون عشرات الأنواع من العسل، كما أولوا اهتماما كبيرا بتربية دودة (القز) واستخدموا انتاجها في صناعة الأقمشة الحريرية.

المصدر الخامس:

اهتم الشراكسة بالثروة السمكية، والاشتغال بصيد مختلف أنواع السمك في البحرين، الخزر والأسود، وفي الأنهار والبحيرات التي يزيد أعدادها في بلاد الشركس على المئات.

المصدر السادس:

اشتغال الشراكسة ومنذ القدم بصيد مختلف أنواع الحيوانات والطيور البرية وأهمها:

الدببة، والضباع، والذئاب، والأفاعي، والحيوانات ذات الفراء، مثل الثعالب وابن آوى، والأرانب والغزلان (الأيل). والحمام والبط والإوز البري.

سياسة تخريب الاقتصاد الزراعي للأمة الشركسية من قبل سلطات روسيا القيصيرية.

خلال حرب الدمار والإبادة التي بدأت بشكل متقطع مع منتصف القرن السادس عشر واستمرت ثلاثمائة سنة تقريبا، حيث مارست السلطات الروسية القيصرية من خلال حربها ضد شعوب قفقاسيا الشمالية عامة وشعوب الأمة الشركسية خاصة السياسات التالية:

- الاستيلاء على الأراضي الزراعية والرعوية بهدف القضاء على الثروتين الزراعية والرعوية حتى لا يتمكن الشراكسة من الحصول على ما يلزمهم من المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية اللازمة لسد حاجتهم اليومية.
- قتل عشرات الالوف من المواشي، والابقار، والخيول أو الاستيلاء عليها. فعلى سبيل المثال قامت القوات الروسية في معركة واحدة بقتل (١٠٣٠) بقرة ومصادرة (١٥٥٥٠) بقرة أخرى و (٥١٥) حصانا بالاضافة لقتل (١١٥٨) من الخراف و (٢٤٣٢) من الماعز.
- الاستيلاء على المخزون الاستراتيجي من المواد الغذائية ابان الحرب.. حيث قامت السلطات الروسية في إحدى معارك عام (١٨١٠) بالاستيلاء على (١٠٤) طن من العسل الاحمر و (٩٥) طن من العسل العادي و (١٤٢) عربة من القمح.
- قلع الاشجار، وحرق الاحراش، وتدمير الاشجار المثمرة، بحجة أنها تستخدم كمخابيء للمقاتلين الشراكسة الذين يهاجمون القوات الروسية.
- حرق المزروعات، خاصة حقول القمح، والذرة، والبقول، بهدف القضاء على منتوج المحاصيل الزراعية في مواسمها.

أدت مثل تلك الممارسات اللاانسانية إلى تخريب الاقتصاد الزراعي للأمة الشركسية لأكثر من ثلاثة قرون تقريبا، وكانت النتائج المباشرة لذلك هو تأخر مستوى الانتاج الزراعي والحيواني للأمة الشركسية في هذه المرحلة. حيث أصبح فيها شراكسة الوطن الام تحت حكم الاستعمار الروسي القيصري خلال الفترة (١٨٦٤-١٩١٧) . ونستدل على ذلك من مراجعة ما كتب عن أوضاع الثروة الزراعية والحيوانية في المناطق التي خصصت لشراكسة الوطن الأم الذين ثبتوا على ارض الأجداد، ولم يغادروها خلال فترات التهجير القسري لأكثر من مليونين ونصف مليون شركسي إلى الدولة العثمانية ابتداء من عام (١٨٦٤).

وكذلك بدراسة وتحليل الوثائق والتقارير والإحصاءات الرسمية الروسية الصادرة خلال هذه المرحلة، توصلنا إلى حقيقة مؤلمة، ملخصها بأن المستعمرين (الروس والقوزاق) الذين جلبتهم السلطات الروسية القيصرية للاستيطان في الأراضي، والقرى والمدن التي (هُجّر) منها الشراكسة، والشيشان، والداغستان، في عام ١٨٦٤... **حاولوا القضاء على ما تبقى من الثروتين الزراعية والحيوانية للشراكسة**، والهدف من ذلك الضغط عليهم وإجبارهم على ترك ما تبقى لهم من الأراضي، واللحاق بأهلهم الذين هجّروا للخارج.

وللوقوف على هذه الحقيقة المؤلمة كان لزاما علينا وعملا بالأمانة العلمية أن نقتبس بعض ما كتبه الكاتب الروسي (يا. أبراموف) في كتابه (القوقازيون الشراكسة) والذي نشر باللغة الروسية في مجلة العمل السوفيتية ذات الرقم (١٨٨٤) في عام ١٩٢٧ والمترجم إلى اللغة العربية عام ١٩٨٩.. الفقرات التالية:

"ولما كنت قد أقمت الثلاث سنوات الأخيرة في منطقة التيرك، فقد وجهت عدة مرات سؤالا على ممثلي السلطة الحالية (للجبليين) الشراكسة، وإلى العلماء المحليين وإلى الناس العاديين، عن أسباب ما حدث من إبادة للشعب الشركسي، وقد أجاب أكثرهم بأن السبب (هو توحش الجبليين). وتحدثوا عن كسل (السكان المحليين) في منطقة التيرك وعدم اهتمامهم (وغبائهم). وفي الواقع فإن مثل هذه الفكرة الشائعة منتشرة بين الروس عن أسباب هجرة الجبليين، ولكن بعد دراسة الموضوع عن كثب اقتنعت: بأنه لا يوجد في الواقع أساس متين لكل الأدلة المقدمة ضد الجبليين أبدا، وإذا قارنا بين ما قام به السكان الأصليون في القوقاز (الشراكسة) والذي نفذناه نحن الروس، **فإننا يجب أن نعترف بأن الأمة الأقل حضارة، والأقل حبا للعمل هي الأمة الروسية بالذات**، لقد تحدثت عن تمليك أملاك شاسعة في القفقاس الغربية للروس، تلك الأملاك التي كانت مغطاة ببساتين وكروم ومراعٍ وحقول أنشأها السكان الجبليون (الشراكسة). مثل هذه الظاهرة لاحظتها

ايضا في منطقة (التيرك) خلال هذه السنوات الثلاث التي قضيتها في هذه المنطقة، وعشت قسما منها في (نالتشيك)، وفي مركز سكن روسي ايضا، وفي قرية في وسط كباردى الكبرى، وحدث ان رأيت (برغبة مني) – كيف أن الروس ودون أي خجل كانوا يتلفون غلال المزروعات لشعب القبرطاي الذين بذلوا في زراعتها جهد عدة سنوات. وبالقرب من (نالتشيك) ذاتها يوجد ما يسمى ببستان "أتاجوق"، حيث بقيت منه أشلاء بائسة فقط، ولقد كان هذا البستان من تلك البساتين الكبيرة التي لا يمكن ان نجد لها مثيلا، إلا في القفقاس. لقد كان هذا البستان عبارة عن غابة وكان يتألف من جزأين، وكان الجزء الاول يتألف من مسطبة نصف دائرية وتنحدر انحدارا شديدا نحو الوادي، والجزء الثاني هو الوادي ذاته الذي يجري في نهر (نالتشيك). وكانت المسطبة مقسومة بشكل فني إلى عدة مساطب صغيرة وكل واحدة منها بدت على شكل نصف دائرة، وارتفعت فوق الأخرى على شكل مساطب أيضا. وكانت هذه المساطب تحتوي على كروم بديعة، وكان الجزء الأسفل من البستان مزروعا بأشجار مثمرة مختلفة الأنواع منها الأجاص، والتفاح، والصنوبر، والكرز، والكرز الاسود، والخوخ، والتوت.. الخ. وكانت هناك أشجار مدهشة على الجانبين... من الزيزفون، والأكاسيا، بالإضافة إلى روضة مخضرة دائرية ساحرة مغروسة بأشجار: المشمش، والتوت الضخمة.. الخ ومن أجل سقاية كروم العنب وبعض أجزاء البستان السفلي، كانت قد مدت قناة على مسافة عدة فراسخ. وبمثل هذا الشكل كان البستان في أيدي القبرطاي، وقد حل بالبستان الآن منظر مختلف تماما منذ ذلك الحين الذي أصبح للروس إمكانية استغلاله، فالقناة مهملة، والكروم لا تخدم، وأغصان كروم العنب التي أصبحت برية لعدم رعايتها، وتقطع لإطعام القطعان مثله مثل العشب الذي نما في المساطب، والأشجار المثمرة الأكبر عمرا، قطعت للوقود. وأما ممرات البساتين المغطاة من جانبيها بالزيزفون، والأكاسيا فهي مضروبة دون رحمة، وأنا شخصيا كنت شاهد عيان على اتلاف بقايا هذه الممرات

المغطاة من جانبيها. وحين سألت أحد هؤلاء "المثقفين" الرؤوس الذي قطع كثيرا من أشجار الزيزفون والأكاسيا، وأجاب: "كي لا يقوم بشراء حطب"، وقلت له ألا تشعر بالسوء من هذا العمل الذي تقوم به؟ أجاب ايضا: يجب على هذه الاشجار ألا تنمو هنا.

وقد قطعت أكثر الأشجار الكبيرة التي كانت تدخل في تركيبة الدائرة (العجيبة في البستان) والباقية فقدت أغصانها، واصبحت نصف ذابلة. وفي الوقت الحالي فإن "بستان أتاجوق" عبارة عن أراضي واسعة مهملة، حيث نمت فيها شجيرات الكرز والاشجار الشائكة، والأعشاب الضارة، **وبقيت في بعض الأماكن منها أشجار كبيرة، تذكرنا بالحضارة الشركسية التي كانت سائدة هنا**، ولا شك أن مستقبل آثار هذه الحضارة القديمة بات مزعزعا. وعلى مسافة سبعة أو ثمانية فراسخ من بلدة (نالتشيك) إلى أعالي النهر المسمى بالاسم نفسه كانت توجد قرية شركسية، وكان لها بستان رائع، وكانت مساحته تفوق مساحة "بستان أتاجوق" بعدة أضعاف، وهذا البستان قد تعرض للسرقة من قبل الروس بالطريقة نفسها. **وهو الآن في حالة أفظع من حالة "بستان أتاجوق".**

وهكذا هي الحضارة الروسية ويمكن رؤية نماذج من هذه الحضارة في منطقة التيرك ويجب على الروس الذين يتكلمون عن عدم وجود حضارة للشراكسة (للجبليين) وعدم كفاية حب العمل لديهم أن يركزوا انتباههم على هذه الحقائق، وعلى حقائق أخرى غيرها، والتي تبين مستوى حضارة (المتوحشين) القفقاسيين وحب العمل عندهم [٩].

واستطرد الكاتب إبراموف قائلا:

"من هذا الوصف السريع لحالة الزراعة في الجبال يستطيع القارئ أن يرى كم من الإنصاف اتهام (الجبليين) بالكسل. **ومع هذا فإنني أعتقد أنه سيتضح للقارئ أن الجبلي يصنع لنفسه أرضا على الصخور العارية بجهده فقط وبالعرق**

والدم. ويجب عليه أن يرتبط بلهفة بأرضه، ومع هذا فعندما يترك أرضه ويرحل إلى تركيا حيث الآلام والعذاب فإن الرحيل لا يكون بسبب كسله" [١٠].

* **مرحلة النهوض مجددا بالثروتين الزراعية والحيوانية في الوطن الأم**

وهي مرحلة الحكم الشيوعي للوطن الام للشراكسة في شمال القفقاس، وهي المرحلة الممتدة من قيام الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ وحتى تاريخ انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩.

بالرغم من تلك الحياة المؤلمة التي عاشها شراكسة الوطن الأم، في عهد الاستعمار الروسي القيصري استطاعوا التغلب على الأعمال الهمجية للمستعمرين القيصارة الروس، التي أدت إلى حرق وتدمير وإتلاف أراضيهم ومزارعهم، وتمكنوا من إعادة بناء المزارع والحقول التي (أتلفت عمدا) وباستصلاح أراضي جديدة ثانية. ونهضوا من جديد، واستمروا في مزاولة مهنة فلاحة الأراضي وزراعة الحقول والبساتين وتربية الحيوانات والطيور وهي حقيقة (إيجابية) توصلنا إليها بالإطلاع على أوضاع الثروة الزراعية والحيوانية في كل من (الجمهوريات الاربعة) التي يسكنها (شراكسة الوطن الأم) في ظل الحكم الشيوعي في عهد الاتحاد السوفيتي (سابقا) والتي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

الثروتان الزراعية والحيوانية للشراكسة، في (جمهورية كباردينا بلقاريا):

يلاحظ من الاطلاع على التقارير الزراعية الرسمية في هذه الجمهورية بأن الشراكسة كانوا يهتمون بتربية:

١- الأبقار، والماعز، والخراف البيضاء، والجواميس والخيول.
٢- الطيور عامة والدجاج، والإوز، والبط، والديك الرومي، والحمام خاصة.
٣- النحل، وإنتاج أجود الأنواع من العسل.
٤- الخيول الاصيلة بهدف تهجينها.

٥- صيد الحيوانات البرية مثل: الأيائل، والغزلان، والأرانب، والثعالب... الخ[١١].

كما اشارت آخر التقارير الرسمية حول الزراعة لدى شعب القبرطاي في هذه الجمهورية بأن مساحة الأراضي الحرجية والمزروعة بأشجار الزينة في نالتشك عاصمة القباردينيا – بلقاريا تبلغ حوالي ٩٩١ هكتارا، حيث يوجد في المدينة (١٥) حديقة عامة إضافة إلى متنزهين كبيرين. وفي متنزه نالتشك نجد ما يقارب من (١١٦) نوعا من الاشجار، منها (٥٥) نوعا نجدها تنمو على ارض الجمهورية فقط، و (٢٩) نوعا منها لا تنمو في امريكا الشمالية، بالإضافة إلى ١٧ نوعا تنمو في اوروبا و(١٥) نوعا آخر في آسيا الوسطى. وتصدر الجمهورية في كل عام إلى ثلاثمائة مدينة رئيسية داخل الاتحاد السوفيتي (سابقا) ما يقرب من مئة وخمسين ألف نبتة زينة، ومليون ونصف وردة على اختلاف الأنواع وكذلك اربعمائة الف شتلة أشجار مثمرة.

وأن أكثر من ستة آلاف صنف من الورود ونباتات الزينة التي تنمو في القفقاس، تنمو على أرض جمهورية القبردي.

ولو نظرنا إلى الورود التي تزرع في القسم الغربي من روسيا، والتي تبلغ حوالي (٣٥٠٠) صنفا، نجد أن ما يقارب الثلاثة آلاف صنف منها تنمو في هذه الجمهورية [١٢]. كما هو مبين في الأصناف المبينة في مجموعة الأزهار الطبيعية المرفقة.

وكانت تربية الخيول تحظى باهتمام كبير لدى الشركس في هذه الجمهورية وتصدر مزرعة، خيول (الجرشتية) إلى مناطق القفقاس الأخرى وإلى جورجيا وروسيا والقرم وبولونيا الالاف من الخيول الاصيلة وكان ثمن الجواد الأصيل من هذه الجمهورية يعادل ثمن (٢٥) جوادا من السلالات المحلية في القرم [١٣].

الثروتان الزراعية والحيوانية للشراكسة من (جمهورية تشركسيا – قراشاي):

يهتم سكان هذه الجمهورية بالثروة الحيوانية وتربية الطيور والدواجن ويمتلكون اكبر مساحات للبيوت الزجاجية على مستوى كل من روسيا الاتحادية وأوروبا، وهي البيوت التي تنتج جميع أنواع الخضراوات، وتتميز الثروة الحيوانية في هذه الجمهورية باتساع مراعيها ووفرة نباتاتها الرعوية، ويربون أنواعاً من الحيوانات مماثلة للتي يربيها سكان (جمهورية كباردينا – بلقاريا) وبأعداد كبيرة جدا، كما أنهم يزرعون النباتات العطرية والزهور التي تستخدم في صناعة الادوية والأعشاب الطبية. وتبلغ عددها ستة الاف نبتة ولكل منها اسم خاص بها باللغة الشركسية، وأنها مشهورة بتربية الخيول، حيث تشير الاحصاءات بأن سكانها يربون (٥٥) نوعا من الخيول.

الثروتان الزراعية والحيوانية لدى الشراكسة في "جمهورية الاديغي":

تشير التقارير الزراعية الصادرة عن السلطات الزراعية في هذه الجمهورية بأنها من أكبر المنتجين للحبش (الديك الرومي) على مستوى الجمهوريات الفيدرالية، كما انها تشتهر بتربية الخيول والنحل، وأن غاباتها تعج بالحيوانات البرية مثل ألايائل، الأرانب، الثعالب، والجواميس البرية بالإضافة إلى مختلف أنواع طيور الصيد.

الثروتان الزراعية والحيوانية لدى شراكسة جمهورية (ابخازيا):

يلاحظ بأن الحرب الجورجية الابخازية قضت على الثروتين الزراعية والحيوانية في هذه الجمهورية، وأن الجورجيين قاموا بإحراق المزارع، والحيوانات الأليفة والبرية وهاجرت الطيور لخارج بلاد الأبخاز.

*** الانتاج الزراعي والحيواني للشراكسة في عهد روسيا الاتحادية**

استمر الانتاج الزراعي والحيواني في الجمهوريات الشركسية: الثلاث في عهد روسيا الاتحادية على مستوى الأفراد والمجموعات الزراعية بعد أن اختفت المزارع التعاونية (الجولخوزات) وظهرت الملكية الفردية من جديد، ومن انطباعاتي الشخصية * بأن مستوى الانتاج الزراعي والحيواني في هذه المرحلة انخفض انخفاضا ملحوظاً، وظهرت مشاكل التسويق، وضعف الخبرة في اعداد المنتوجات للتصدير، كما ظهرت مشاكل نقل المنتوجات الزراعية إلى الاسواق الخارجية، واصبحت كثير من المحاصيل الزراعية والحيوانية غير مجدية اقتصاديا، فاتجهت أعداد كبيرة من الفلاحين للبحث عن مهنة بديلة لمهنة الفلاحة وهي ظاهرة تشكل خطورة على مستقبل الثروتين الزراعية والحيوانية في الوطن الأم، وهي المشكلة التي تنبهت لها القيادات السياسية والاقتصادية، وبدأوا يضعون الحلول المناسبة قبل استحقاقها.

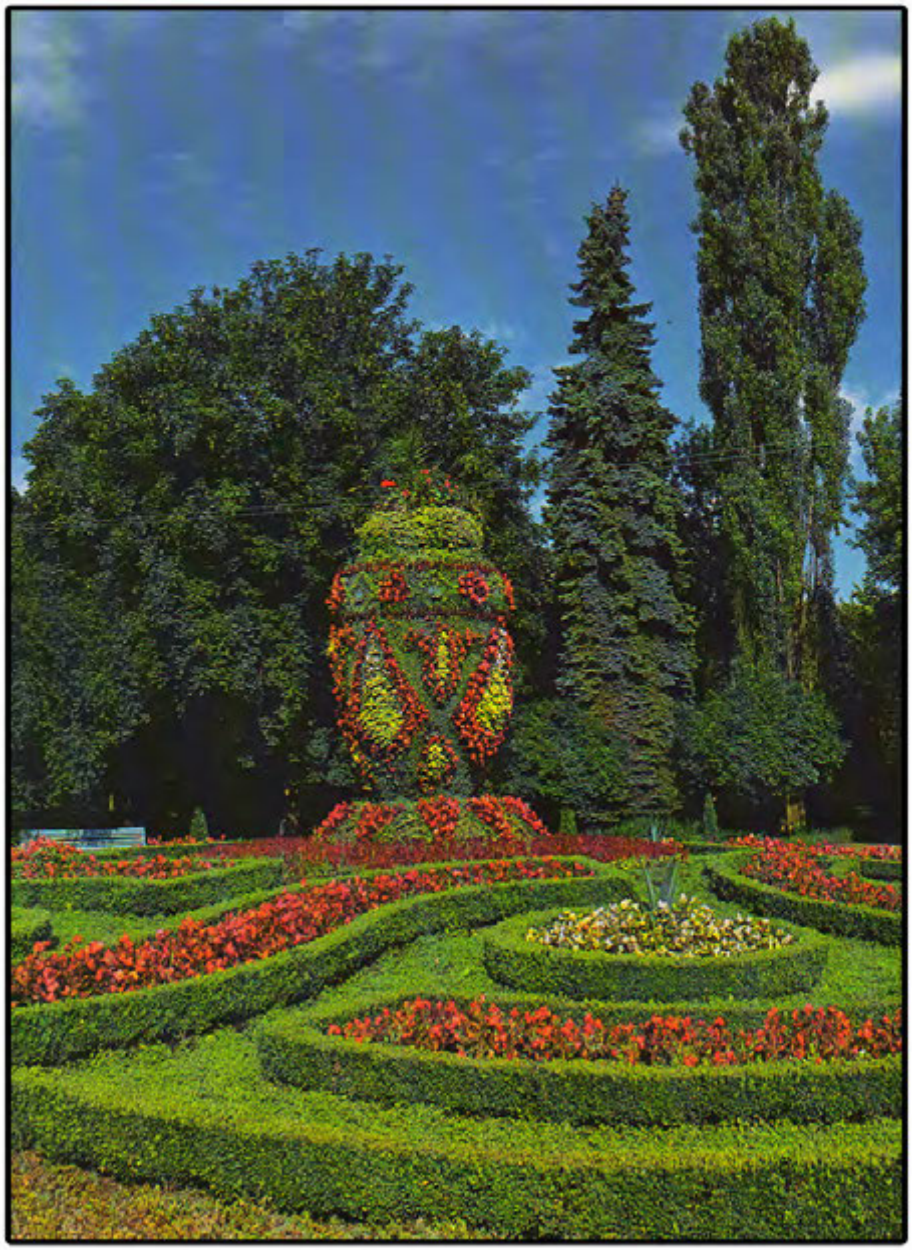
وفيما يلي نماذج من أنواع الثروة النباتية والحيوانية التي يشتهر بها شراكسة الوطن الأم قديما وحديثا.

* توصلت لهذه الانطباعات من خلال زيارتي الشخصية لجمهورية قباردينا – بلقاريا عام ٢٠٠٦ وتجولي فيها.

نمـاذج

لأنواع نباتات الزينة التي تنمو في الوطن الأم في شمال القفقاس

منظر عام لحديقة نالتشك الوطنية





نماذج لأنواع من
اشجار الزينة في
منطقة القبرطاي
بالوطن الأم



نماذج لأنواع من
اشجار الزينة في
منطقة القبرطاي
بالوطن الأم

شجرة زينة نادرة تنمو في بلاد القبرطاي في الوطن الأم



نمـــاذج

لأنواع من الأشجار المثمرة والحبوب والبقول التي تشتهر في زراعتها بلاد الشراكسة في الوطن الأم

نمـــــاذج

من الانتاج النباتي في مناطق الأمة الشركسية في الوطن الأم



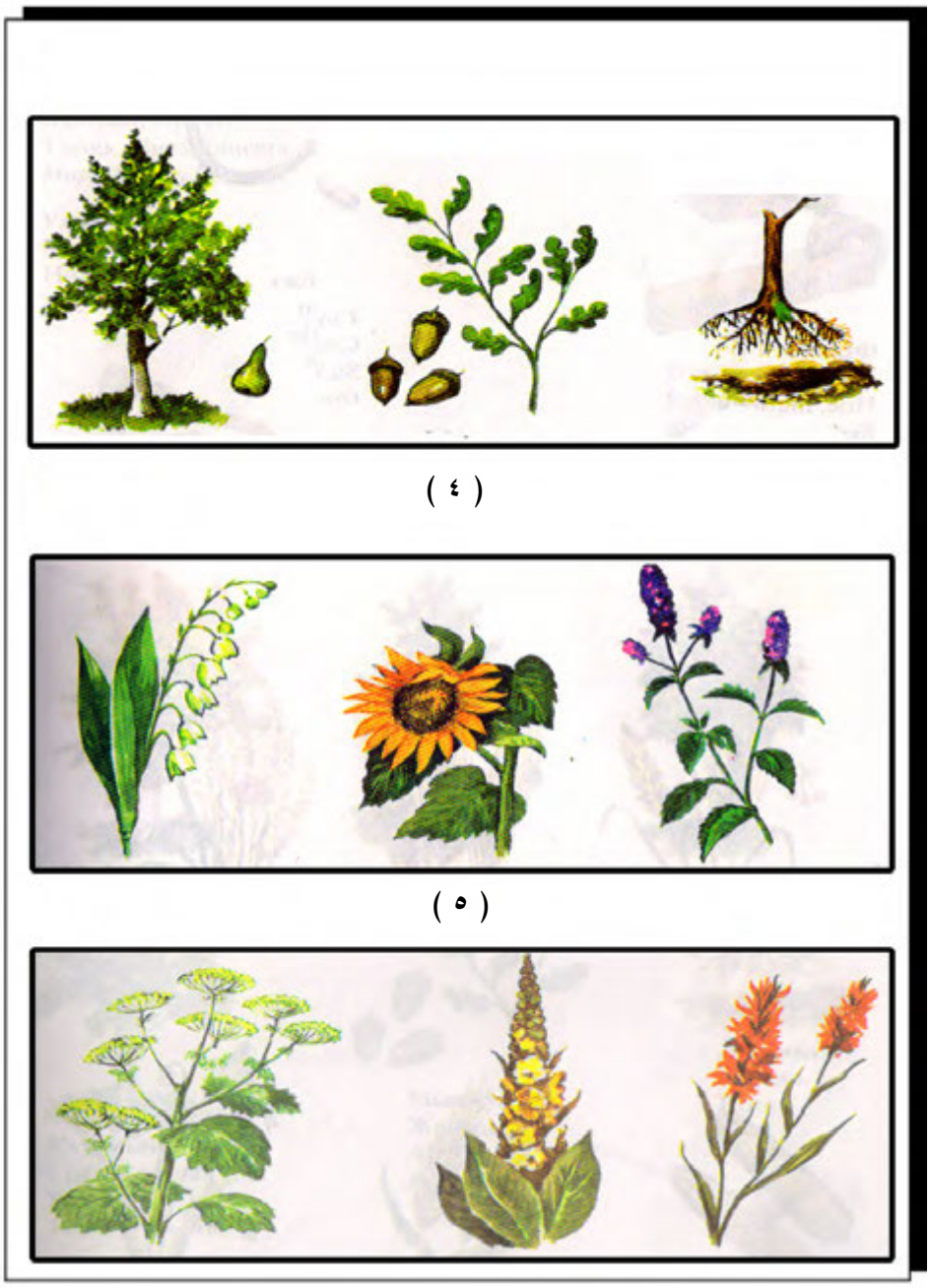
(١)



(٢)



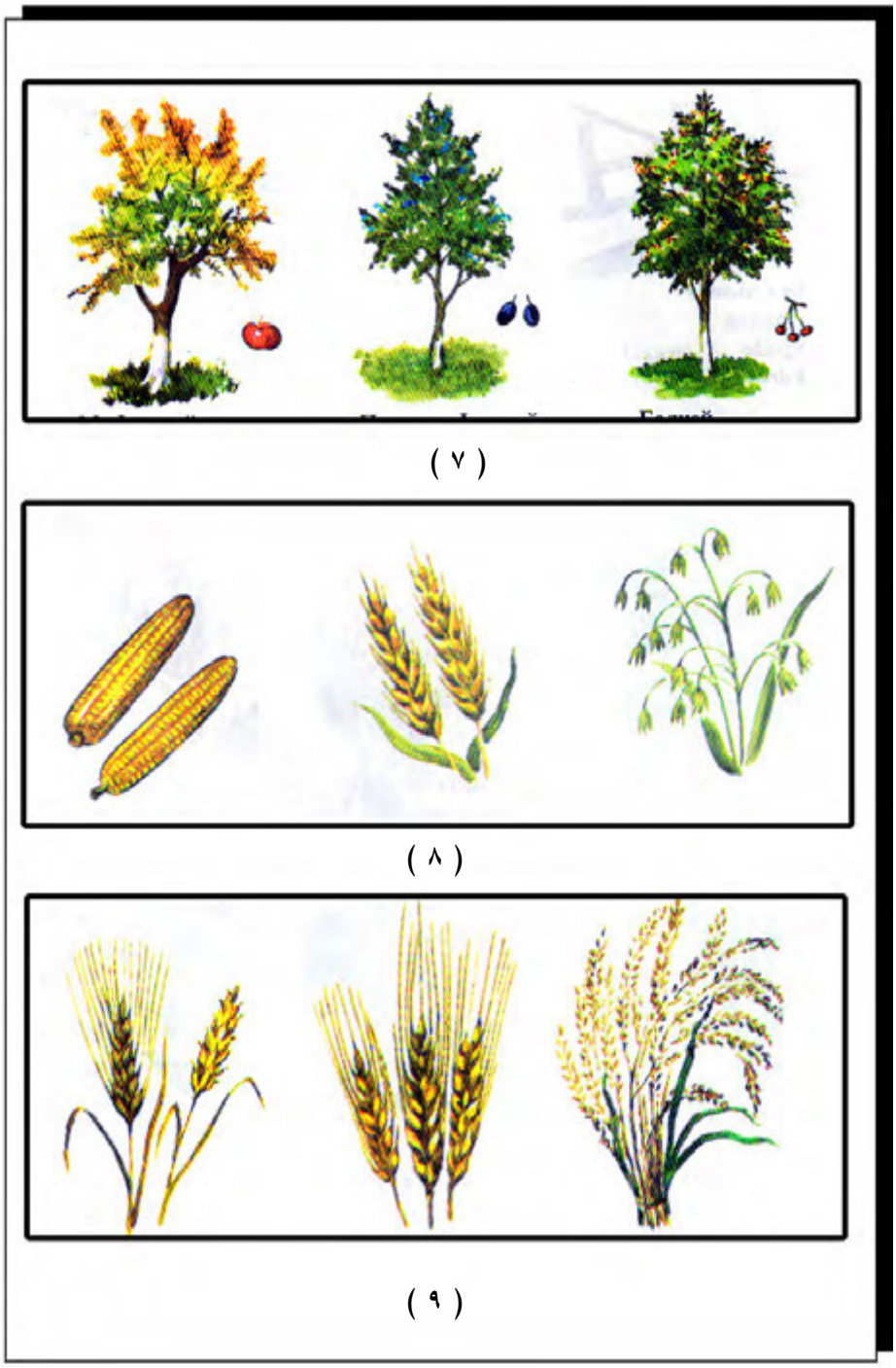
(٣)



(٤)

(٥)

(٦)



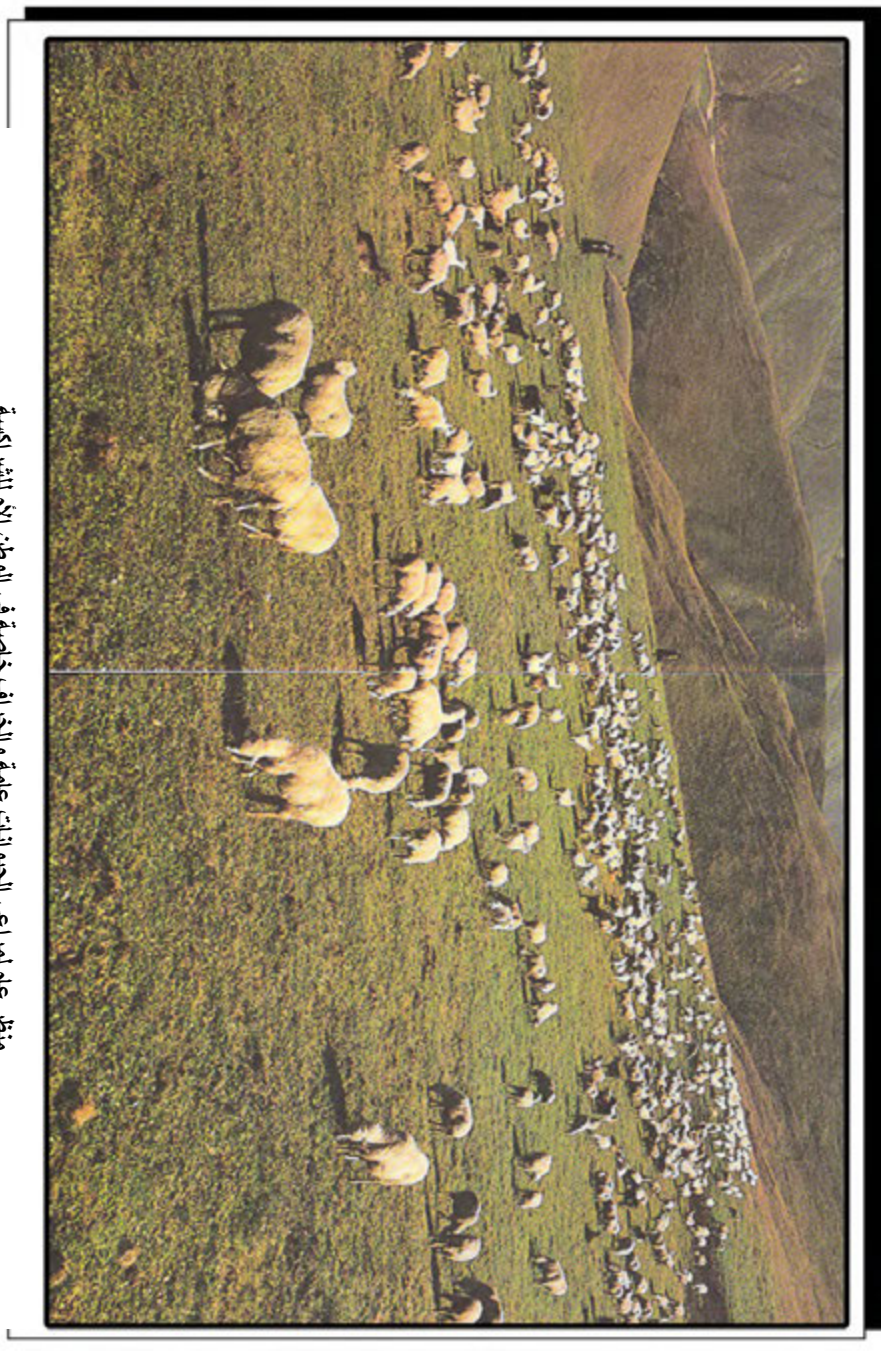
(٧)

(٨)

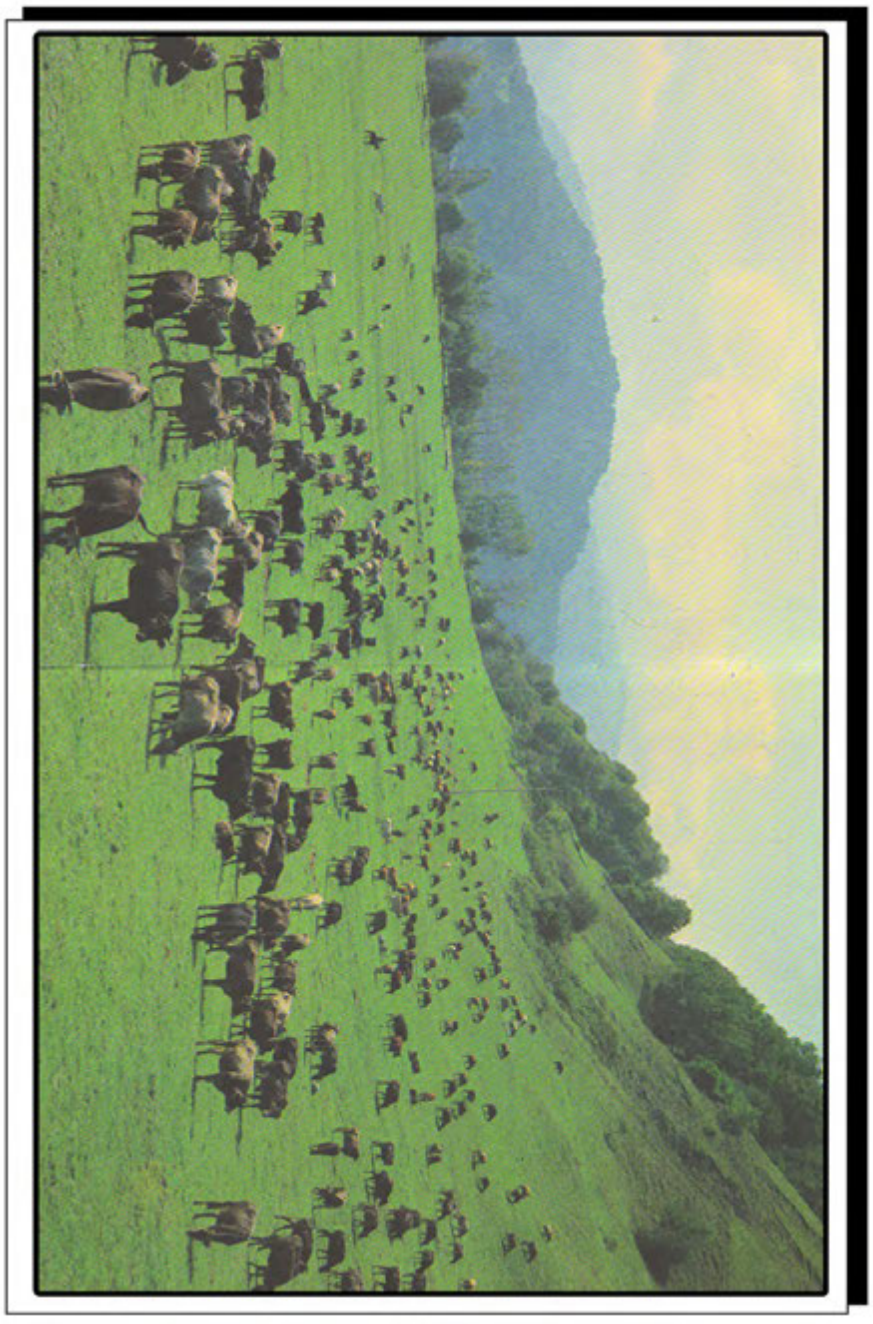
(٩)

نمـاذج

لأنواع الحيوانات الأليفة والحيوانات البرية والدواجن والطيور التي تشتهر بها بلاد الشراكسة في الوطن الأم



منظر عام لمراعي الحيوانات عامة والخراف خاصة في الوطن الأم للشراكسة

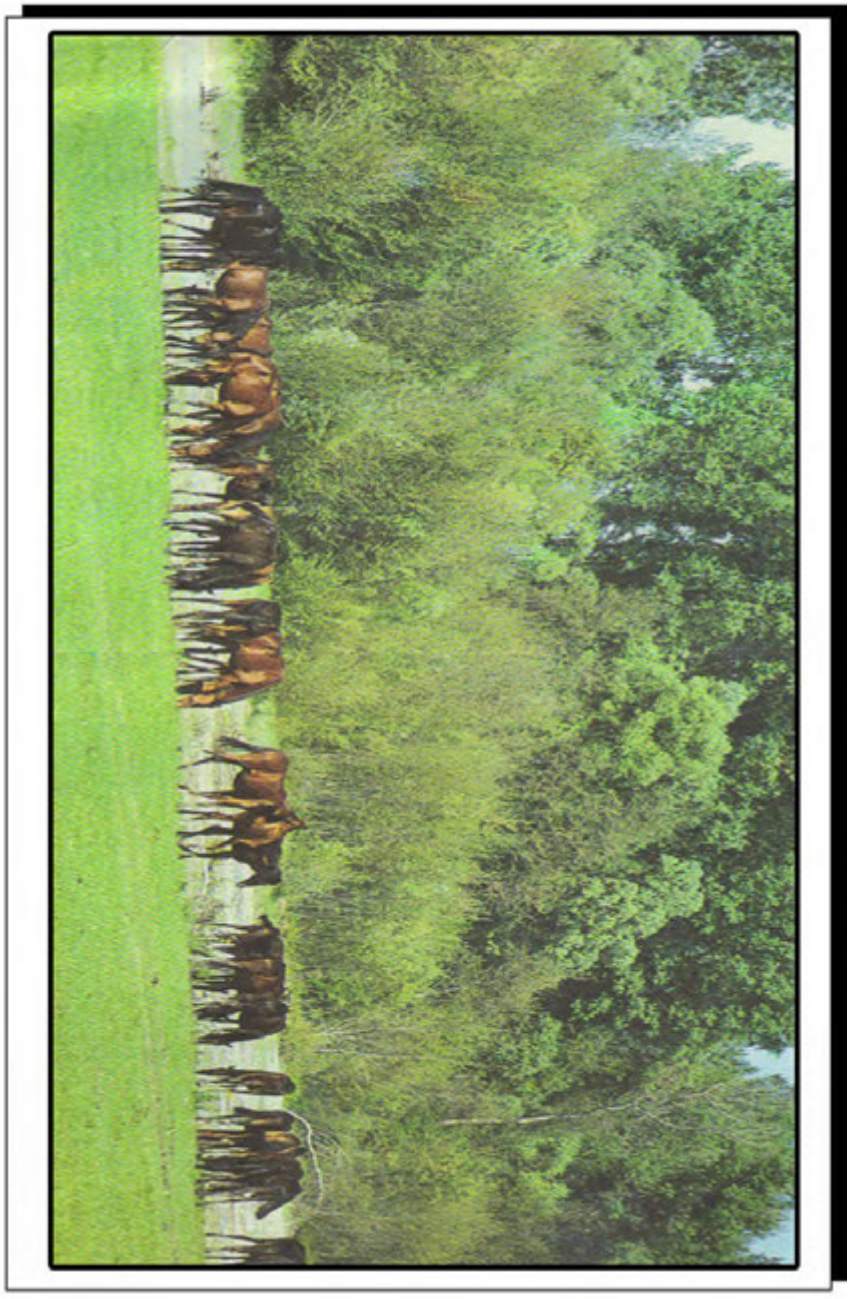


منظر عام لمراعي الابقار في الوطن الأم للشراكسة

قطيع من الغزلان التي تشتهر بها بلاد الشراكسة في الوطن الأم







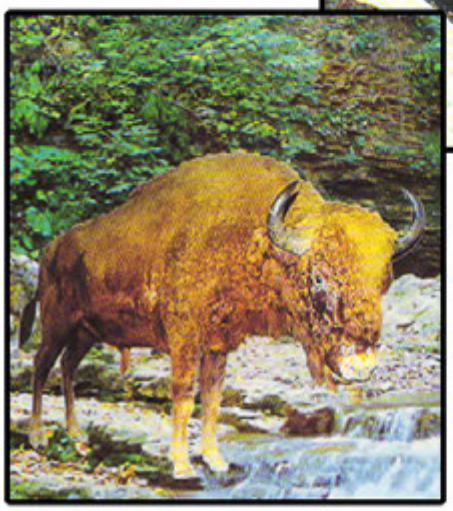
منظر عام لمراعي الخيول الشركسية في الوطن الأم



قطيع من
الجواميس



صورة للدب
القوقازي الأسود



صورة لحيوان
دارغون



النسر الذهبي
القوقازي

الدجاج الحبشي
(الفرغر) القوقازي

طائر نادر يعيش في
بلاد القفقاس اسمه
الطائر القمرية
Turtle Dove

مصادر ومراجع الفصل الأول من الجزء الأول في المجلد الثاني

١) حاداغالة، عسكر، مصدر سابق، جـ٧ ص: ٢٨٠.
٢) المصدر نفسه، ص: ١٨١.
٣) جوناتوقة، عزت منة، مصدر سابق، ص: ٢٤١.
٤) اوزيك، باتري، **أساطير النارتيين**، مصدر سابق، ص: ١٧٠-١٧٣.
٥) حادا غالة، مصدر سابق، ص: ٢٩٠.
٦) اوزيك ، باتري، مصدر سابق، ص: ١٤٧.
٧) تشايلد، غوردون. ت، **بداية الزراعة وظهور المدن**، ترجمة إلياس شاهين، موسكو ١٩٨٥ (ونقل عنه محمد عبد الحميد في كتابه تاريخ الشركس وآل انزو، ص: ٧١.
٨) نغموقة، شورا، **موجز تاريخ الأديكة**، مصدر سابق، ص: ٣١-٣٢.
٩) يا. ابراموف، القوقازيون الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٣١-٣٢.
١٠) المصدر نفسه، ص:٣٥.
١١) **دليل اهلنا.. للتواصل والمحبة**، اصدار الجمعية الخيرية الشركسية (فرع صويلح) الأردن عام ٢٠٠٦، ص: ٣٠-٣٥.
١٢) **مجلة نارت**، اصدار الجمعية الخيرية الشركسية – عمان، العدد (٥٢) السنة (٢١) لعام ص: ١٤.
١٣) الحمد، محمد عبد الحميد، **تاريخ الشركس وآل أنزور**، دمشق، ٢٠٠٢، ص: ٦٠.

الفصل الثاني

البعد الصناعي والمهني والحرفي في حضارة الأمة الشركسية

تمهيد:

يؤكد علماء الآثار بأن صناعة المعادن وجدت لأول مرة في التاريخ البشري في قفقاسيا، وانتشرت منها إلى اوروبا، إلا أن هذه (النظرية) ظلت عند حدها الأدنى ولم تحظ باهتمام كبير من البحث والتدقيق من قبل العلماء فترة طويلة من الزمن، إلى أن قام العالم الأثري (ارنست شانتر) بنشر معلومات هامة في كتابه (مباحث سرية في القوقاز) بالإضافة لما نشرتها اللجنة الروسية المكلفة بإجراء التنقيب عن الآثار في جنوب القفقاس، وكذلك ما اورده المؤرخ الفرنسي (مورجان) حول أدوات الزينة التي وجدت في المقابر العديدة العائدة للعصر الحجري والمعدني في حوض نهر (كوبان) ونهر (ترك) وهي معلومات واكتشافات تثبت بأن المناطق القوقازية عامة، والمناطق التي استوطنها ويستوطنها حتى وقتنا الحاضر الشراكسة... كانت المناطق التي بدء منها استخدام المعادن في الصناعات اليدوية منذ الألفية الثالثة والرابعة قبل الميلاد [١].

وكذلك فإن الحفريات التي تمت في الفترة ما بين (١٨٩٨-١٩٠٩) في حوض (الكوبان) ومنطقة (مايكوب) كشفت عن وجود أدوات فخارية وحجرية، بالإضافة إلى العثور على بقايا عربات ذات العجلات تقاد بستة ازواج من الجياد وقد وجد فيها الكثير من الحلي المصنوعة من النحاس والفضة والذهب، والعديد من التماثيل الفضية والحجرية.

كما تم اكتشاف أدوات حجرية منها (القامة) ومعها حزام جلدي يشبه تماما (القامة)، والحزام الشركسي الذي يرتديهما الرجال في الزي القومي الشركسي حتى وقتنا الحاضر، كما عثر في المقابر التي اكتشفت في شمال القفقاس أسلحة حربية هامة مثل السيف، والسهام، والتروس، والرماح، والدروع، يقول عنها علماء الآثار بأنه "لم يسبق أن عثر على مثل هذه الأدوات الحربية في مدافن أي شعب من

الشعوب القديمة في العالم". كما وُجدت في مناطق أخرى بالقفقاس مقابر مستطيلة الشكل تحتوي على خلاخل (بدون جرس) وحلق للآذان مصنوعة من الذهب والفضة واسورة وخواتم. وفي عهد متأخر ظهرت لديهم المشدات (كورسية) والأحزمة المعدنية النسائية، كما عثر على (إبرة) الخياطة و (المشط) المصنوع من العظم، ويقدر علماء الآثار بأن تاريخ الآثار المكتشفة يعود إلى (٢٥٠٠) سنة قبل الميلاد. كما تم اكتشاف اللوحة الذهبية التي تضم رسما لـــ (السلسلة الجبلية) و (النهرين اللذين يصبان في البحر في مصبين مختلفين) كما تضم رسوم بعض الحيوانات وهي كالرسومات التي تقرر بأنها تمثل سلسلة جبال القفقاس، ونهري الفرات والدجلة في العراق، وتدل هذه الخارطة بأن تاريخها يعود إلى عهد أقدم من تقدير العلماء، لأن دراسات علماء الجيولوجيا أظهرت بأن عهد انصباب نهري الرافدين في البحر بمصبين مختلفين يعود تاريخه إلى ما قبل (٣٥٠٠) سنة قبل الميلاد.

كما أنّ نتائج الحفريات التي قامت بها البعثات الأثرية بالقفقاس عامي (١٨٣٣-١٨٣٤) بإشراف عالم الآثار (دوبريز دومونتبورن) التي نشرت أعمالها في ستة مجلدات وأطلس واحد، تدل على وجود آثار لمصنوعات يدوية في الأدوار الحجرية والبرونزية والنحاسية في تسلسل منتظم تدل على مدى التطور الصناعي الذي كان يتمتع بها اجداد الشراكسة القدماء.

وفي منطقة (غوري) في جنوب القفقاس من بلاد جورجيا أظهرت الحفريات وجود سبع طبقات لقرى قديمة، وعثر في الطبقة الثالثة منها على أدوات للحراثة من قرون الوعل، ومناجل حصاد مصنوع من حجر الصوان، بالإضافة إلى العثور على رؤوس سهام وقامات نحاسية تعود إلى الألفية الثالثة والرابعة قبل الميلاد. [٣]

نستنتج مما تقدم من مكتشفات أثرية في مختلف المناطق القفقاسية عامة وفي المناطق التي تقطنها شعوب الأمة الشركسية القديمة خاصة بأن القفقاس هي مهد ظهور الصناعات اليدوية والتي ويعود تاريخها إلى (٤٠٠٠-٥٠٠٠) سنة قبل الميلاد.

كما نستنتج بأن أهم الصناعات اليدوية التي اشتهرت بها شعوب القفقاس عامة وشعوب الأمة الشركسية خاصة في فجر التاريخ تضمنت الأنواع التالية من الصناعات:

الصناعات اليدوية في العصر الحجري

وجد علماء الآثار المختصين في بلاد أجداد الشراكسة في مناطق الكوبان، والترك الأنواع التالية من الصناعات:

- **أساور حجرية.**
- **تمثال حجري.**
- **سهام مصنوعة من الحجر المسنن.**
- **فؤوس من الحجر المصقول.**
- **فؤوس صوّانية مثقوبة من الوسط.**
- **قاما مصنوعة من الحجر المسنن.**
- **حزام جلدي معلق عليه القامة.**
- **مناجل مصنوعة من الحجر.**
- **محاريث من قرون الوعل.**

الصناعات اليدوية في العصر الحديدي:

دلت المكتشفات الأثرية بأن أهم الصناعات التي كانت قائمة في هذا العصر هي (على سبيل المثال لا الحصر):

- **قامة معدنية وقامة ذهبية.**
- **سهام معدنية.**
- **رماح معدنية.**
- **خواتم وأساور معدنية.**
- **أحذية معدنية للسيدات.**
- **سيوف واتراس.**
- **تروس معدنية.**
- **خوذ ودروع معدنية.**
- **أواني نحاسية للطعام.**
- **تماثيل ذهبية**

- **أواني برونزية ذات أرجل عالية.**
- **فؤوس معدنية**
- **مزهريات من الفضة.**
- **قبقاب حديدي للسيدات**
- **براميل نحاسية.**
- **رحى مطاحن يدوية.**
- **بلطات معدنية.**
- **عربات مصنوعة من المعدن والخشب**
- **قدور واباريق.**
- **عجلات ذات اصابع.**
- **ايدي هاون.**

الصناعات اليدوية والحرف المهنية التي اشتهرت بها شعوب الأمة الشركسية في مراحل ما بعد انتهاء العصور (الحديدية) ابتداء من الألفية الاولى ما قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر بعد الميلاد:

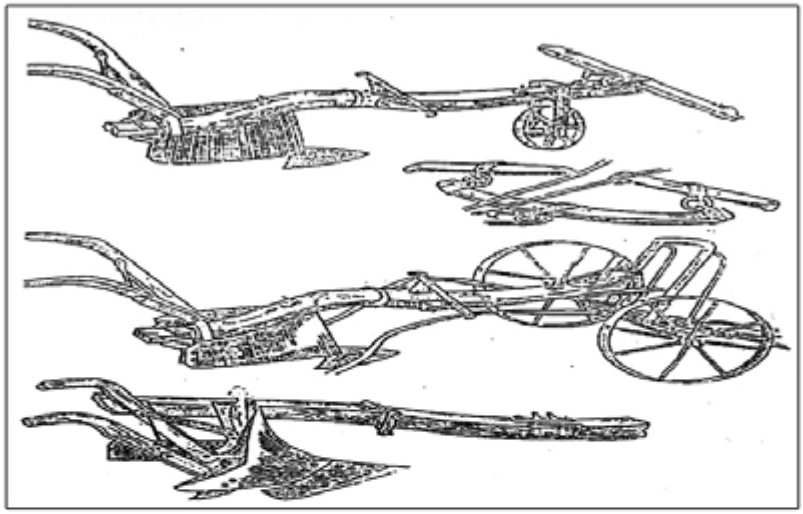
بالرغم من الحروب المستمرة وقيام الأمة الشركسية في الدفاع عن وجودها، وبالرغم من أنواع العذاب والهوان التي تعرضت لها شعوب الأمة الشركسية عبر أكثر من عشرين قرنا، وبالرغم من التقتيل والتشريد والتهجير من بلادهم وأراضيهم في الوطن الأم لأكثر من مرة وعلى يد أكثر من عدو من أعداء الأمة الشركسية **مثل القبائل الهون والقوط وشعوب الاوار الهمجية، وجيوش المغول بقيادة (جنكيز خان) وغزوات التتار بقيادة (تيمورلنك) البربرية.**

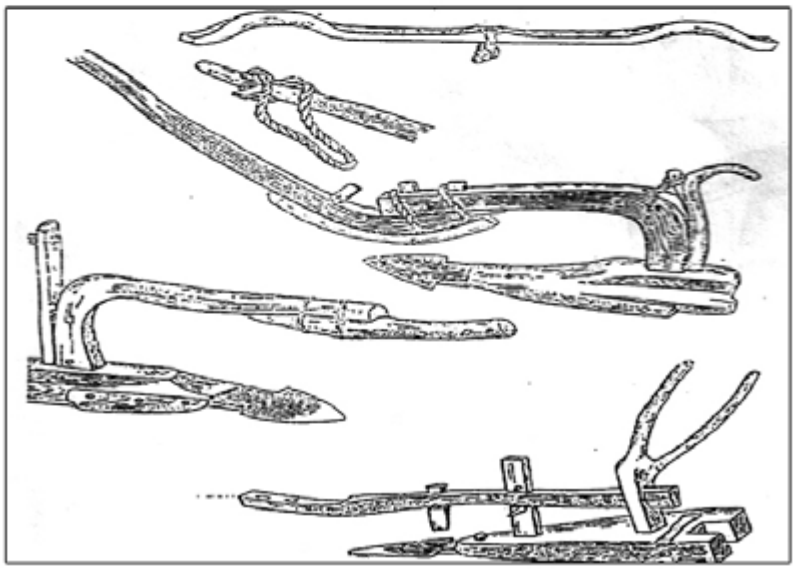
وبالرغم من الأدوار المظلمة التي عاشتها شعوب القبائل الشركسية تحت حكم العديد من الأمم والشعوب المحتلة والغازية لبلادهم واضطرارهم بالانشغال في الحروب (الدفاعية) فإن العديد من الباحثين في تاريخ الصناعات اليدوية والحرف المهنية لدى الأمة الشركسية **خلال الفترة الزمنية الممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر بعد الميلاد** يعترفون بتطور الصناعات الحرفية بين (الجبليين) الشراكسة وانهم كانوا حرفيين وصنّاعا مهرة، وكان لديهم اكتفاء ذاتي في هذا المجال، وأنهم صنعوا جميع أنواع الآلات والأدوات والمعدات التي

كانت من متطلبات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية في أي مجتمع مستلزمات الفلاحة والزراعة والتصنيع الغذائي والنقل ومواد البناء، وغيرها من متطلبات تربية الحيوانات والطيور والأسماك، كما يعترفون بأنهم صنعوا مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة التي كانت تتناسب مع طبيعة الحروب في تلك المراحل مثل البنادق، والمسدسات، والرماح، وكذلك السهام التروس ودروع وسيوف، بالإضافة لصناعتهم للأسلحة الشخصية مثل (القامة) والحراب، هذا بالإضافة إلى إتقانهم للأعمال الخشبية في صناعة أثاث المنازل، ومتطلبات تربية الطيور والحيوانات من حظائر، بالإضافة إلى شهرتهم التي كانت (ذائعة) في الصناعات الجلدية وحياكة الملابس وفن التطريز وفن الزخرفة. **وكان أكبر اعتراف للمؤرخين قول أحدهم: "إن الشراكسة قوم يصنعون كل متطلبات ولوازم الحياة من الإبرة إلى صناعة الحرير وحتى صناعة البندقية وملح البارود". كما قال البعض الآخر: "إنه لا يوجد شعب من الشعوب والقوميات القديمة لديها ما لدى الشراكسة من صنائع خفيفة وحرف يدوية..."**

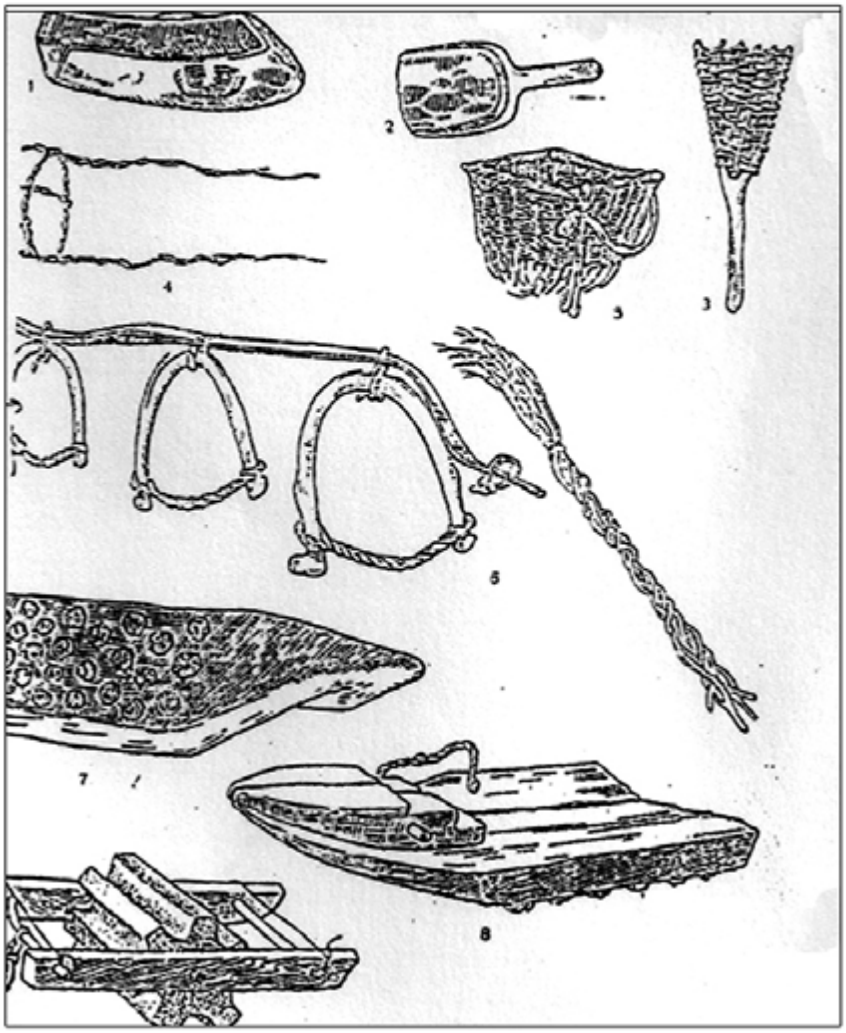
وفيما يلي نماذج من أنواع الصناعات اليدوية التي كان يصنعها أجداد الشراكسة منذ فجر التاريخ وابتداء من الألفية الأولى ما قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر الميلادي.

١- أدوات الحراثة المصنوعة من الخشب والحجر العظم والحديد التي صنعها اجداد الشراكسة منذ القدم كما هو مبين في الشكل رقم (١)

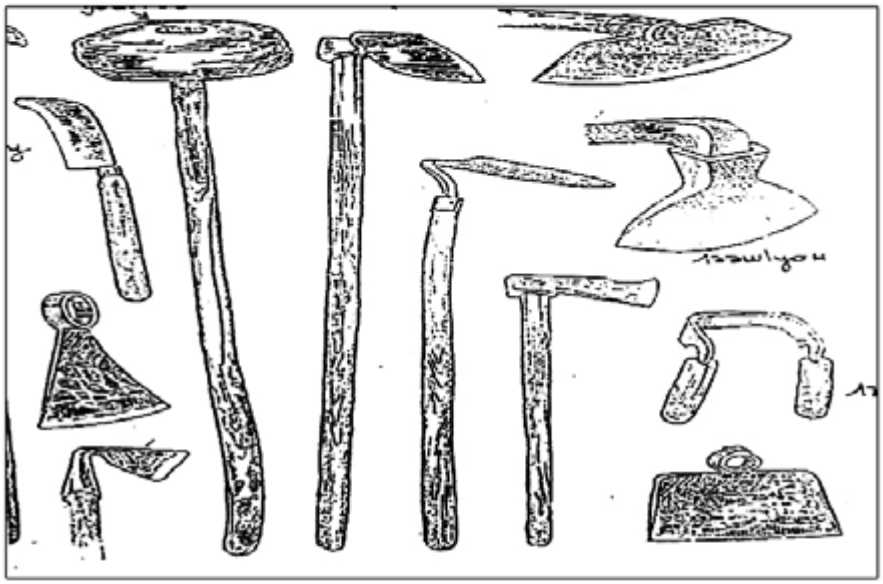


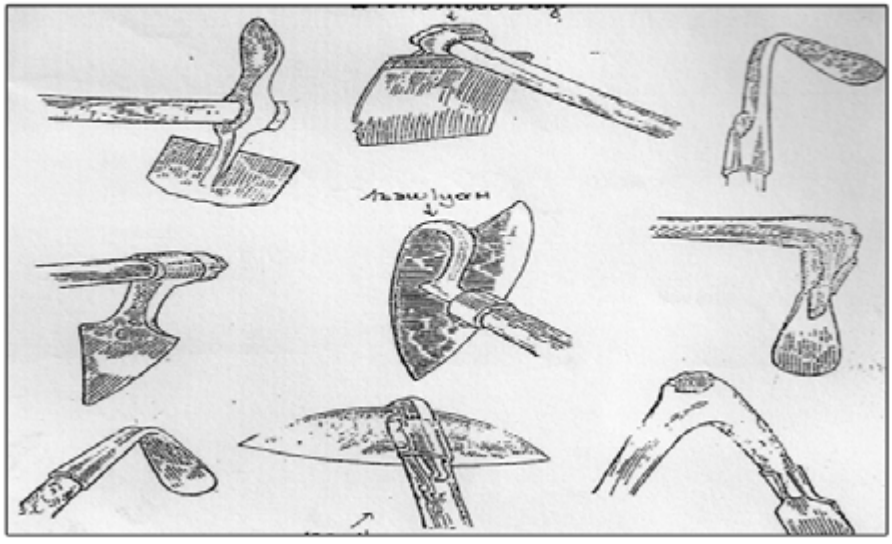


٢- أدوات ولوازم دراسة المحاصيل الحبوب من قمح وشعير..الخ والمصنوع من الواح الخشب، ومغروس في أسفله قطع حجرية أو مركب عليها (دولاب حجري) كما هو مبين في الشكل رقم (٢)

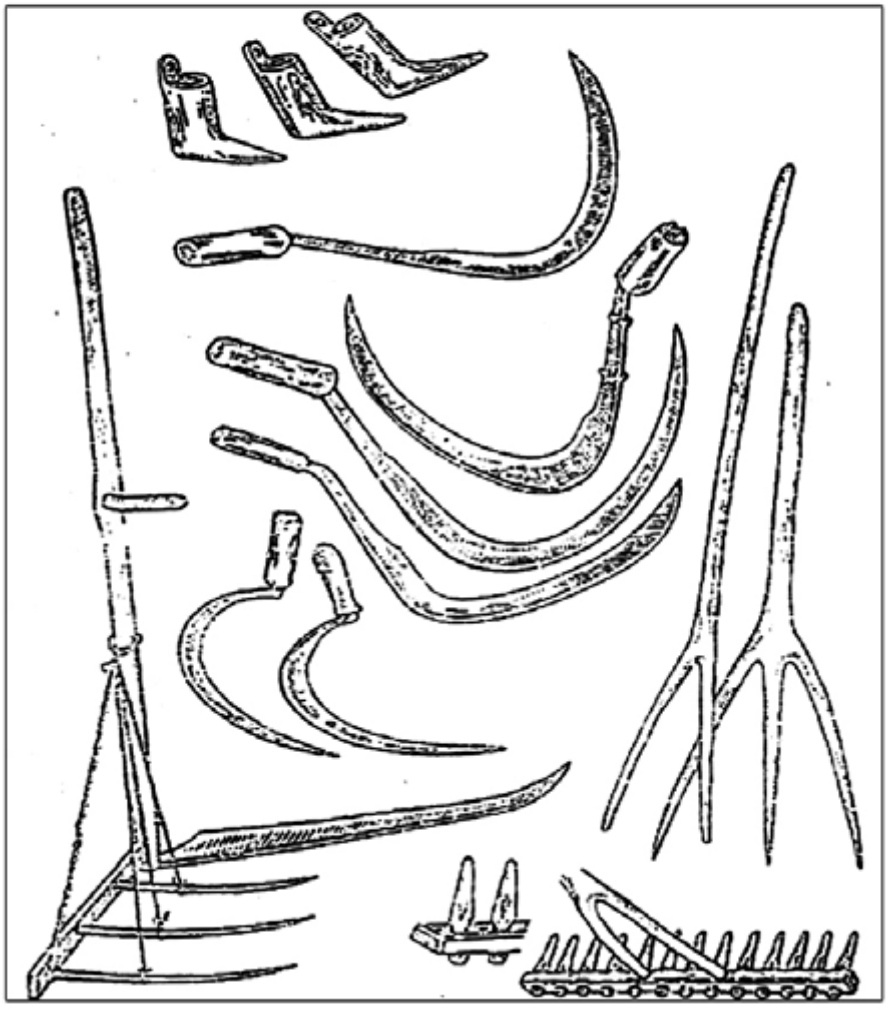


٣- أدوات ولوازم الحفر، والنكش، والعزق، والتمشيط، وتنظيم الأرض حيث كانت تصنع ايديها من الخشب، بالإضافة لادوات الحفر المصنوعة من المعدن مثل: الفأس، والكريك، والمجرفة، وغيرها من أدوات الحفر التي صنعها اجداد الشراكسة منذ القدم كما هو مبين في الاشكال رقم (٣).

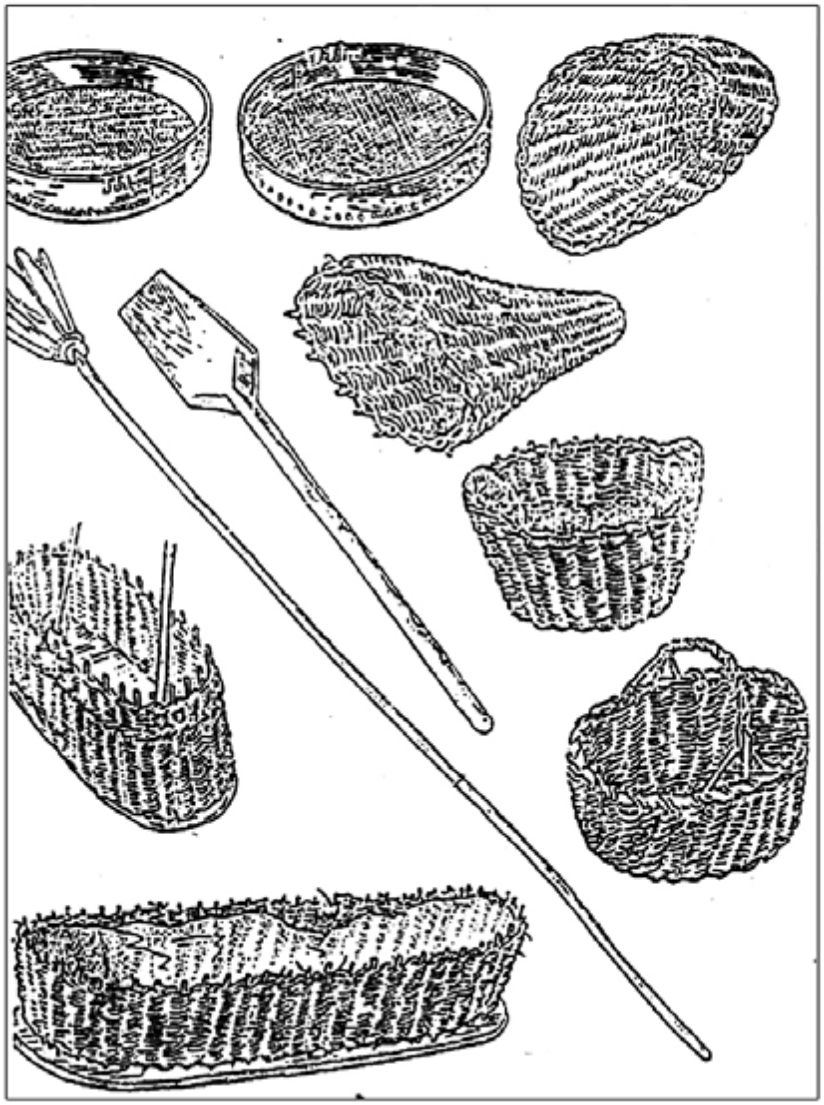




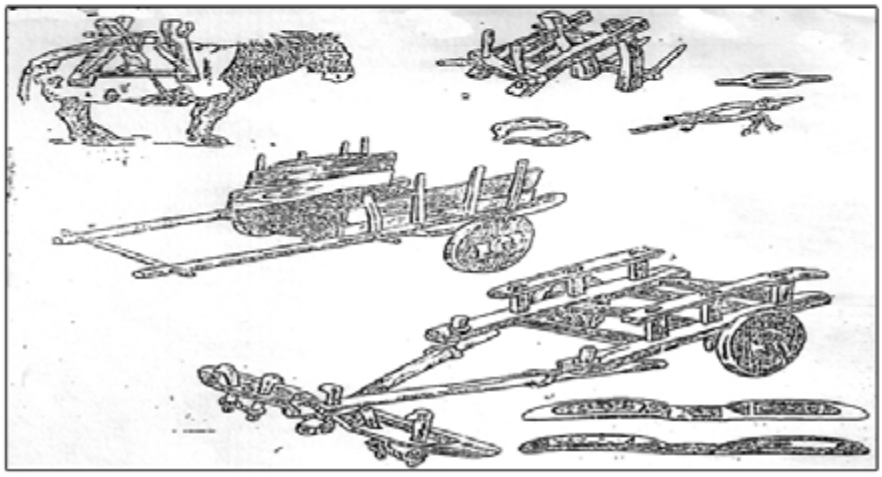
٤- أدوات الحصيدة وجمع المحاصيل وتمشيط وتنظيف الأرض بعد جني المحاصيل: حيث كانت الايدي تصنع من الخشب وأدوات القطع أو أدوات التمشيط أو التنظيف من المعدن حيث صنعوا عشرات الانواع من مناجل قصيرة ومناجل طويلة، وأمشاط وشعاب خشبية وغيرها من اللوازم التي ابتكرها اجداد الشراكسة منذ القدم كما هو مبين في الاشكال رقم (٤).

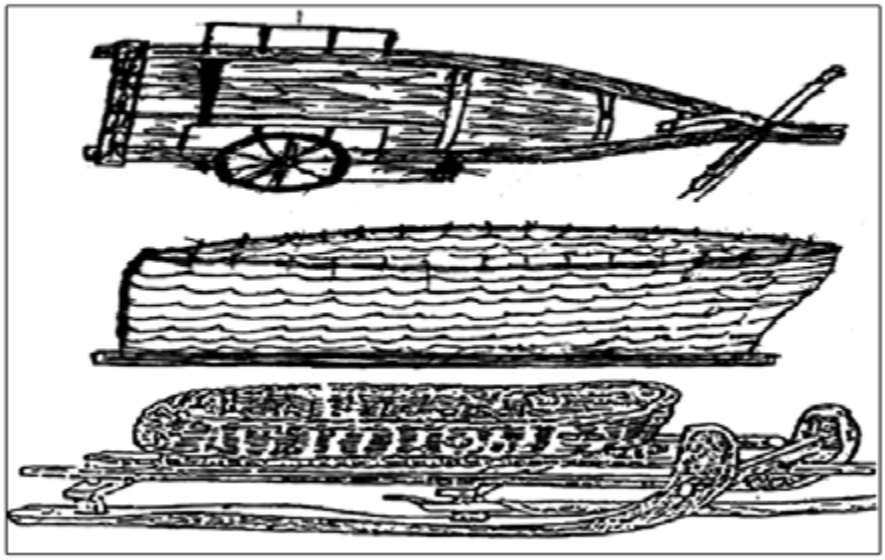


٥- أدوات ولوازم جمع، وحفظ وتنظيف (وتنقيب) الحبوب وكانت تصنع من الخشب والأغصان الجافة، مثل المنجل والمذراة وسلال حفظ الثمار... إلخ كما هو مبين من الأشكال رقم (٥).

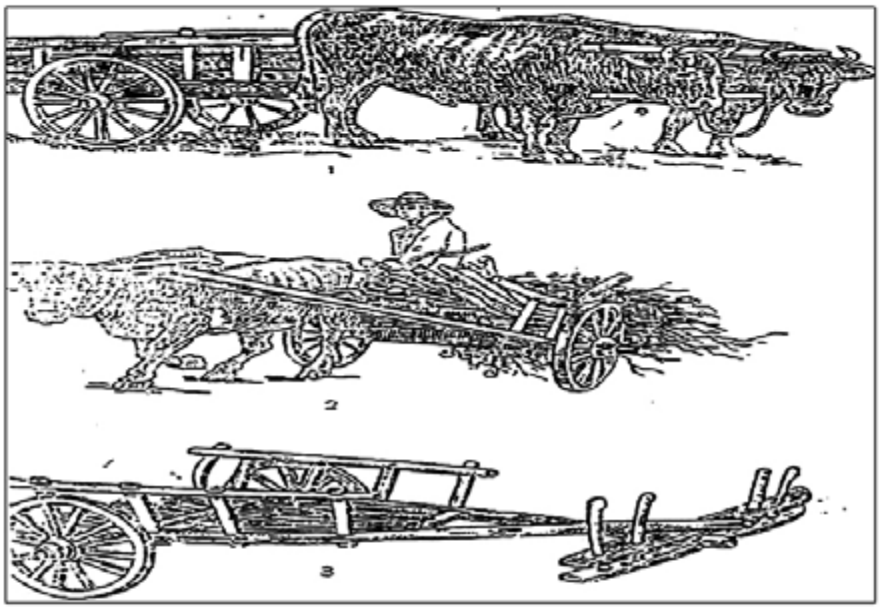


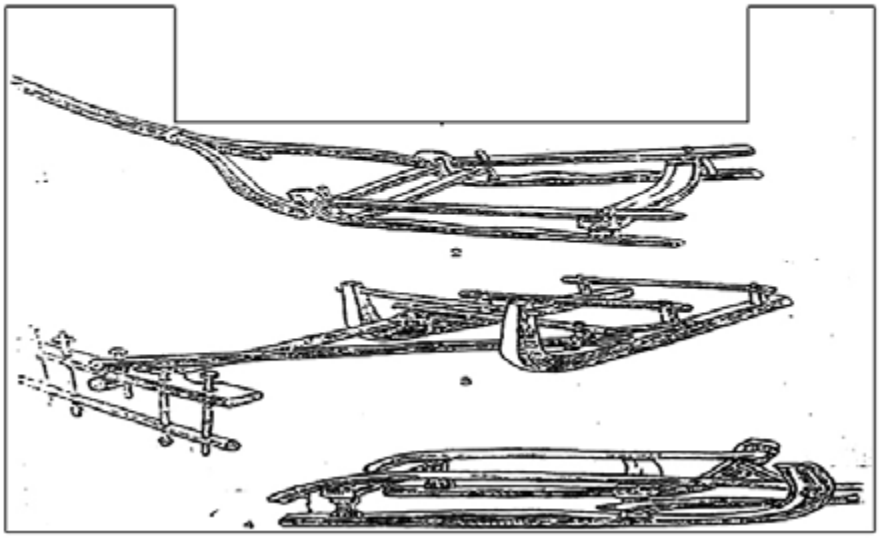
٦- عربات نقل المحاصيل الزراعية وهي العربات التي انفرد اجداد الشراكسة في صناعتها منذ القدم وكان الهيكل يصنع من ألواح وقضبان وأغصان خشبية، والعجلات من الخشب المغطى بالمعدن، كما قام اجداد الشراكسة بصناعة أحجام واشكال متعدد منها. كما هو مبين في الأشكال رقم (٦-١، ٦-٢).



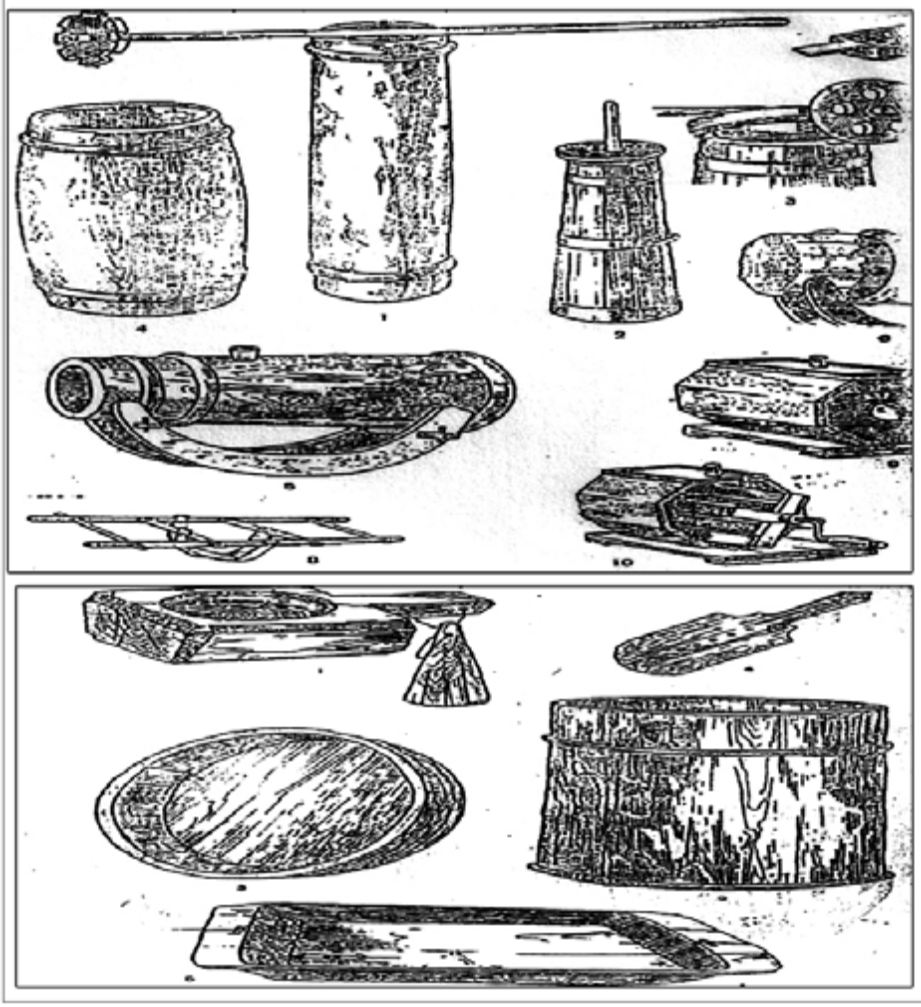


تابع لأنواع العربات الشركسية

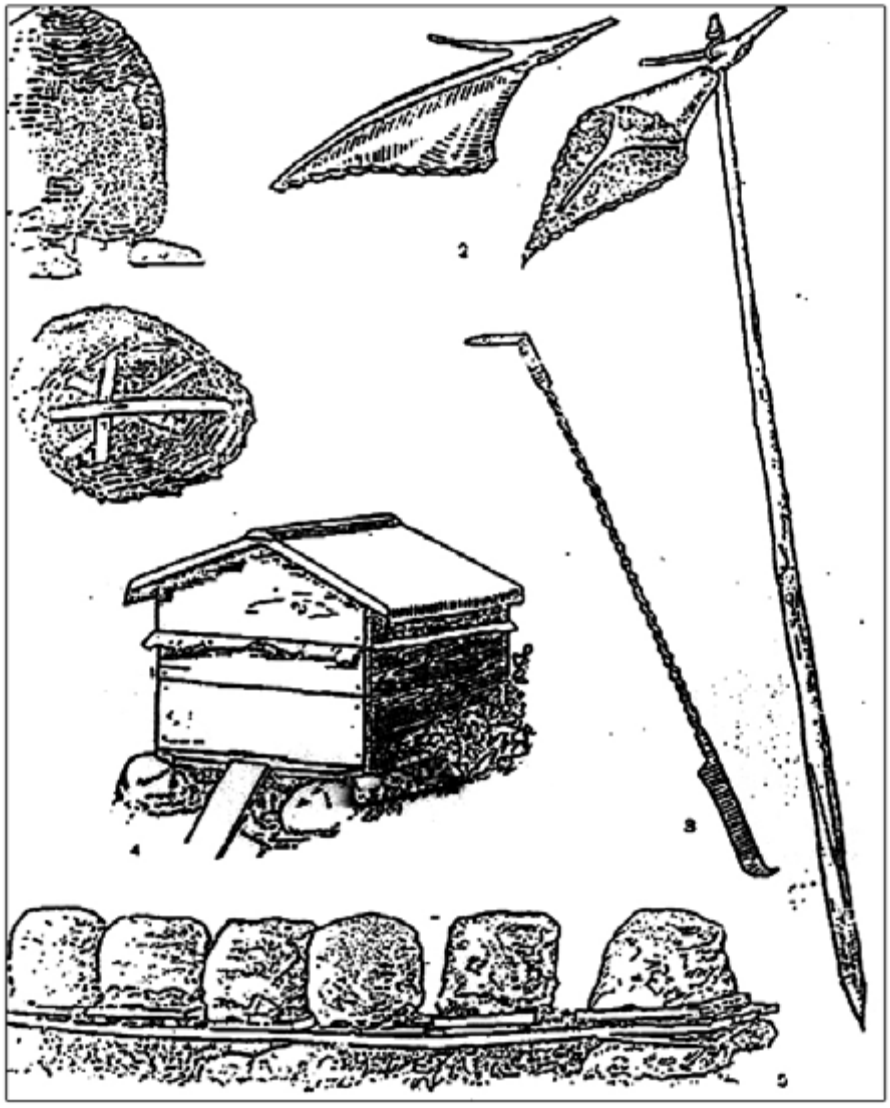




٧- الأدوات والأوعية المستخدمة في الصناعة الغذائية عامة، وصناعة الزبدة والجبنة والألبان خاصة وكانت تصنع من الخشب، وهي على عدة أنواع مثل: البراميل الخشبية المستخدمة في استخلاص الزبدة، وكذلك البراميل الخشبية لعمل الأجبان وحفظها، وأخرى لعمل الألبان وحفظها وظل الشراكسة في بلاد المهجر يستخدمون مثل هذه الادوات حتى منتصف القرن العشرين... الخ كما هو مبين في الأشكال رقم (٧).

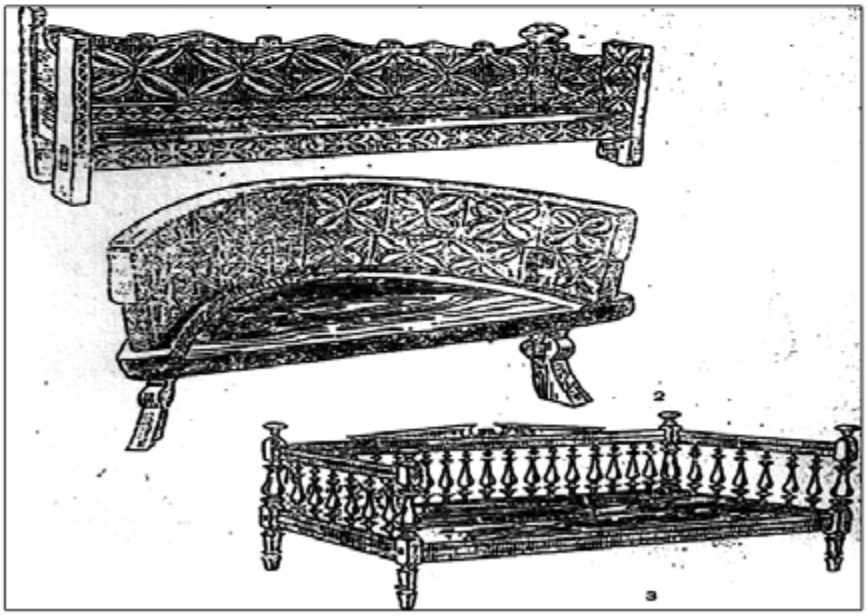


٨- الأدوات الخاصة بتربية النحل: وكانت تصنع من الخشب مثل صناديق المناحل والأدوات المستخدمة في مسك وإعادة النحل (المهاجر) إلى المناحل وربما كان اجداد الشراكسة من أوائل القوميات في القوقاز الذين ابتكروا مثل هذه الأدوات كما هو مبين في الاشكال رقم (٨).

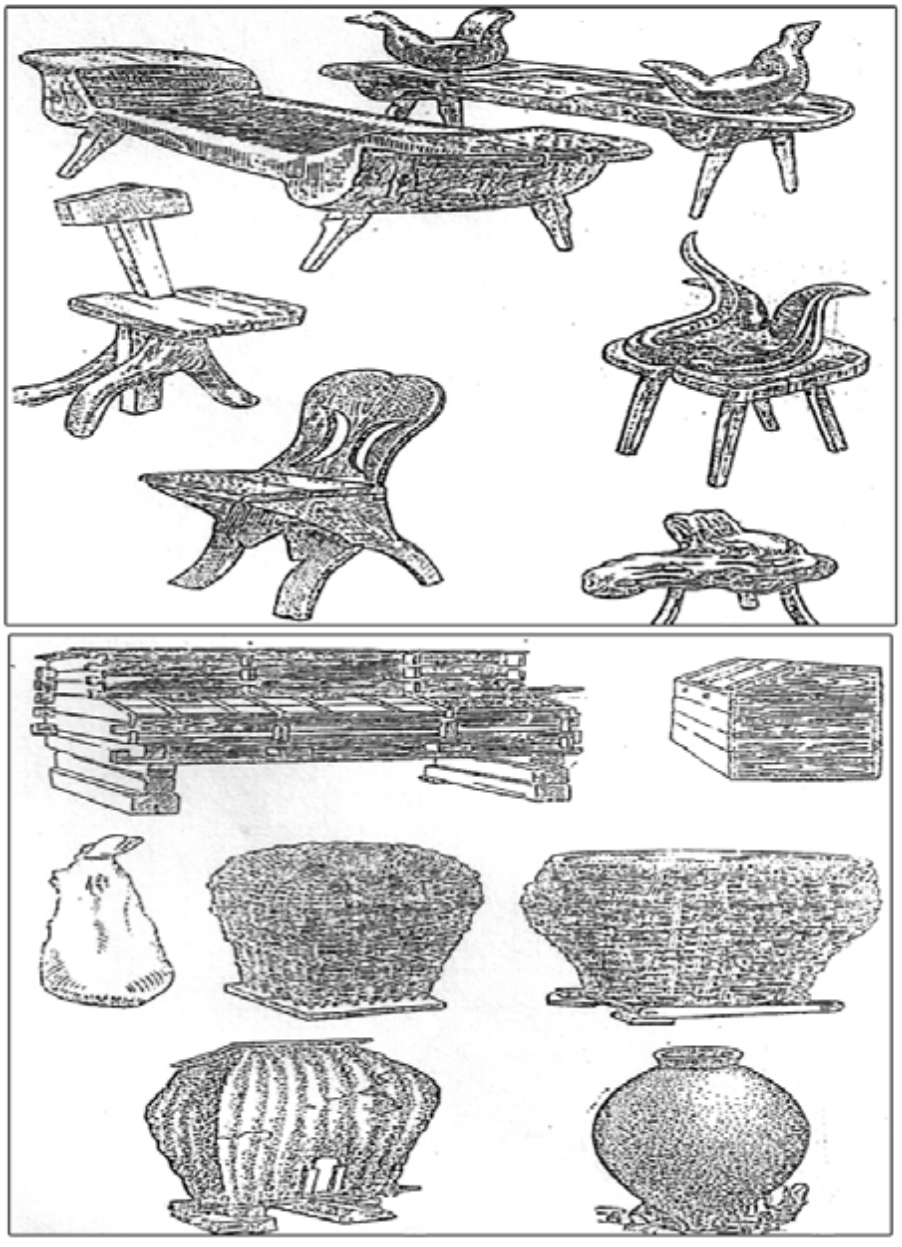


٩- أثاث البيوت ولوازمها الخشبية: وجميعها كانت مصنوعة من أنواع مختلفة من الخشب وهي متنوعة ومتعددة تشمل جميع أنواع الأثاث والأدوات والمعدات المنزلية من مقاعد، وكراسي، وأسرة، ودواليب وطاولات سفرة وخزائن وصناديق حفظ، وربما كان السرير المنزلي من أكثر انواع الاثاث المنزلي اتقانا حسب ما ذهب إليه المؤرخ الشركسي (نوح المرتوقي) في كتابه "نور المقابس في تاريخ الجراكس" قال: "فكان لهم سرير مصنوع من خشب صنعا عجيبا متطابقة القشور بقشور صغار مثقوبة على التناسب، وعيدان طوال وارجل متناسبة مرفوعة عن الأرض قدر شبر" وصناعة اثاث البيوت هي من أكثر أنواع الصناعات التي اتقن صنعها أجداد الشراكسة منذ القدم كما هو في الشكل رقم (٩-١، ٩-٢).

الشكل (٩-١)



تابع أنواع الأثاث الشركسي

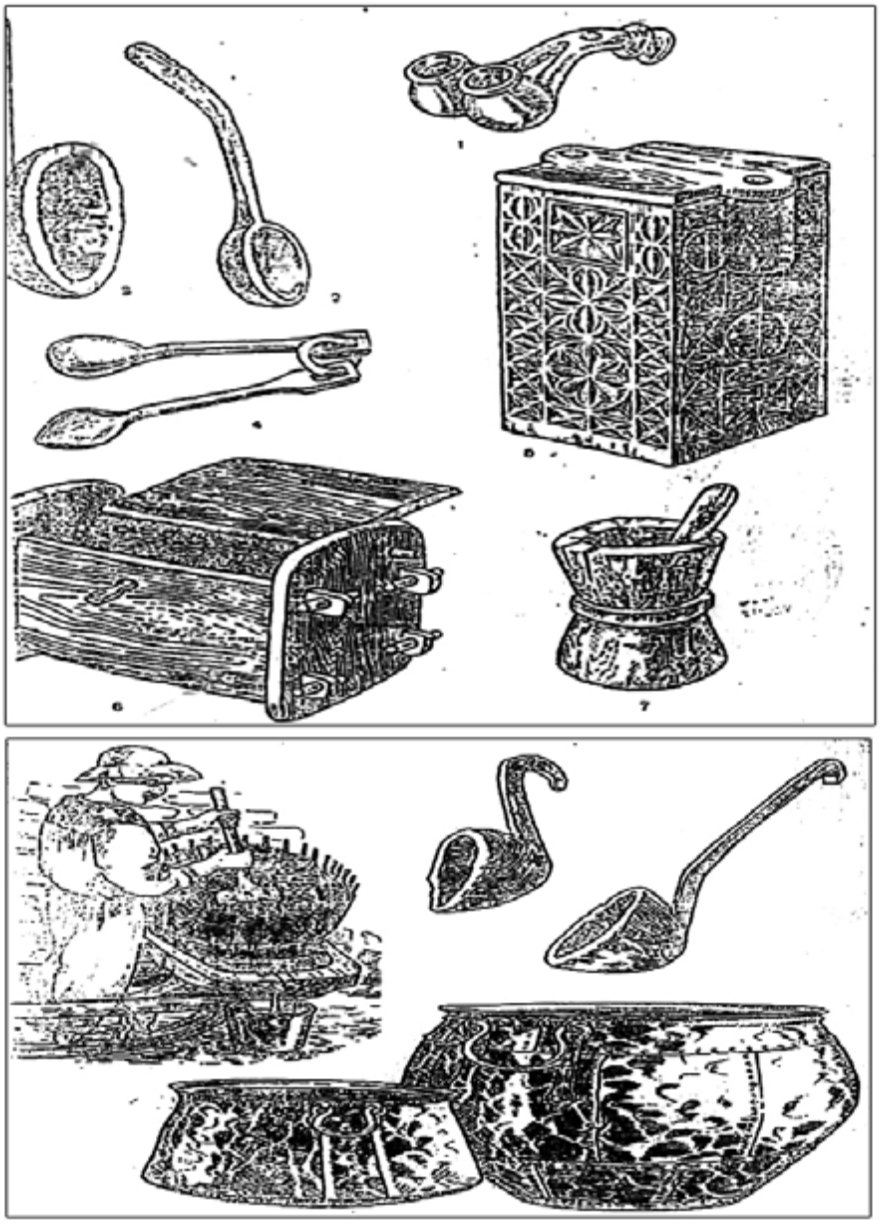


١٠- أدوات ولوازم المطبخ والطعام والشراب الخ: ويلاحظ بأن بعض هذه الادوات كانت مصنوعة من الخشب وبعضها الآخر مصنوعة من نوع من أنواع المعدن مثل النحاس أو من السراميك مثل المعالق والمغارف والصواني وأواني حفظ الطعام والهاون، وفناجين الشراب وفناجين الشاي بالإضافة إلى السكاكين والطناجر والأباريق والحلل المصنوعة من المعدن أو السراميك والسلال التي تعتبر من اقدم الحرف اليدوية في تاريخ البشرية كما هو مبين في الشكل رقم (١٠-١، ١٠-٢، ١٠-٣).

الشكل (١٠-١)

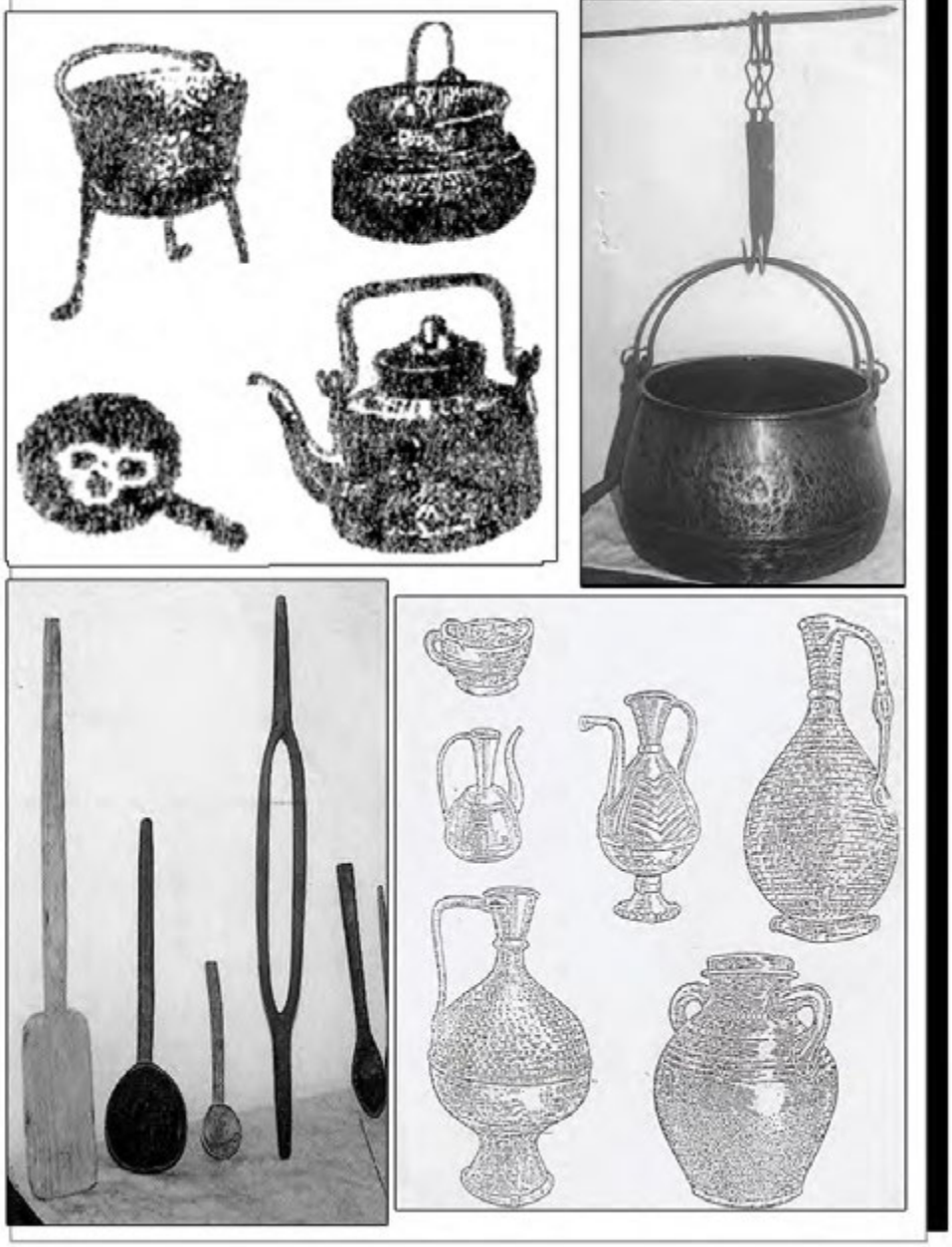


تابع أدوات المطبخ والطعام الشركسي
الشكل (٩ – ٢)



تابع أدوات المطبخ والطعام الشركسي

الشكل (١٠-٣)



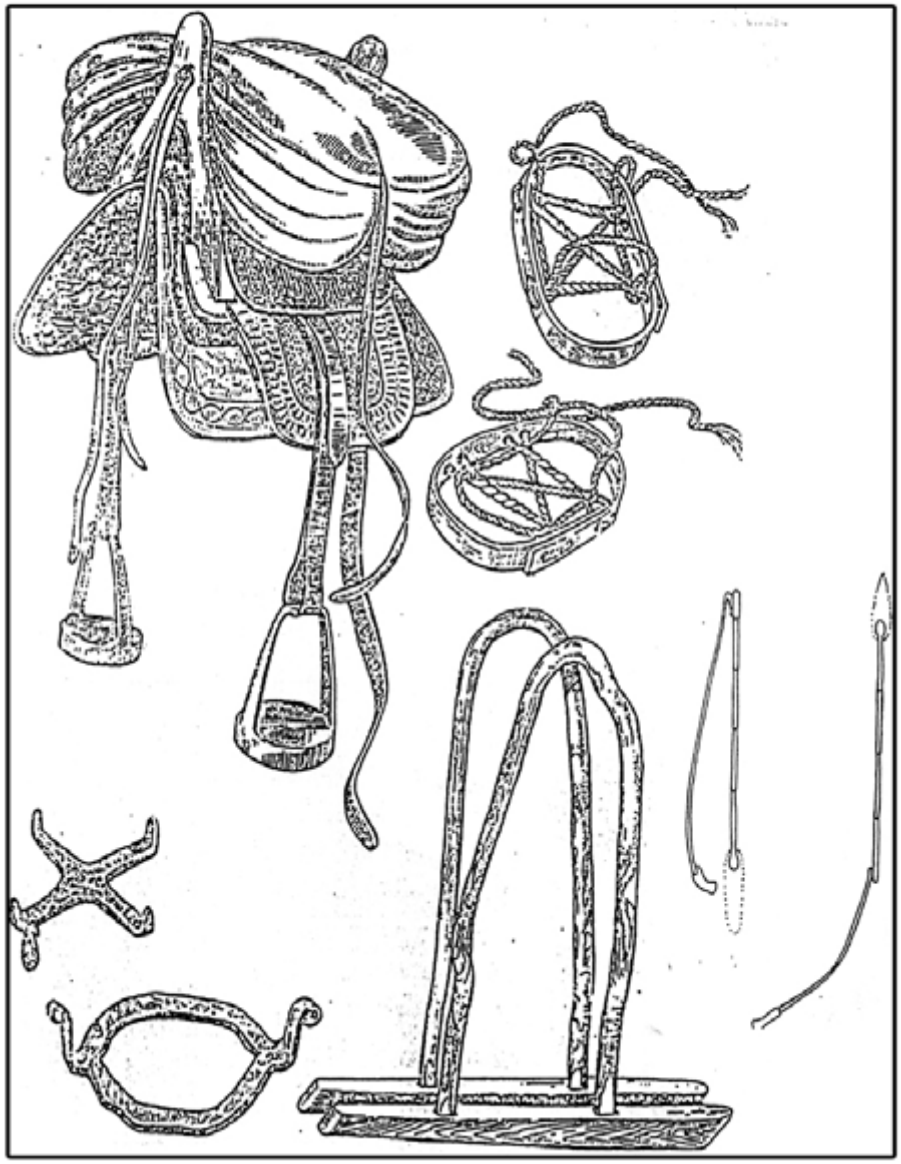
ويقول أحد الباحثين في الصناعات الشركسية اليدوية بأن (وعاءً كبيراً) من بين أوعية الطعام التي كانت توجد في بيوت الأمراء والنبلاء وهو عبارة عن الصحن الثقيل الذي يتجاوز قطره نصف متر ومنحوت من قطعة واحدة من خشب الجوز، وتصنع هذه الأوعية بواسطة طواحين دولاب مائية صغيرة مخصصة لهذا الغرض. والدولاب عبارة عن ناعورة صغيرة، يديرها تيار قوي من الماء يأتي بواسطة مجرى خاص من جدول مائي قريب، وتدير هذه الدواليب محاور يمر بمركزها وعلى الطرف الآخر من ذلك المحور يثبت قرص خشبي مأخوذ من جذع شجرة كبيرة، ويدور مع دوران الناعورة ويجري تجويفه وحفره بواسطة سكين معكوفة بشكل خطاف مثبت قرب الحافة العلوية للقرص الخشبي، وكان يجلس الصانع قرب نهاية المحاور المذكورة، مهمته تحويل القرص الخشبي إلى صحن كبير، وفي وسط الصحن توجد طاسة صغيرة محفورة من الخشب، وعلى أطراف الصحن تنقش رموز خاصة بالعائلة. وكان هذا النوع من الصحون مخصص لتقديم عصيدة الذرة وعليها قطع اللحم المسلوق [٥].

(١١) صناعة تجهيزات الخيول

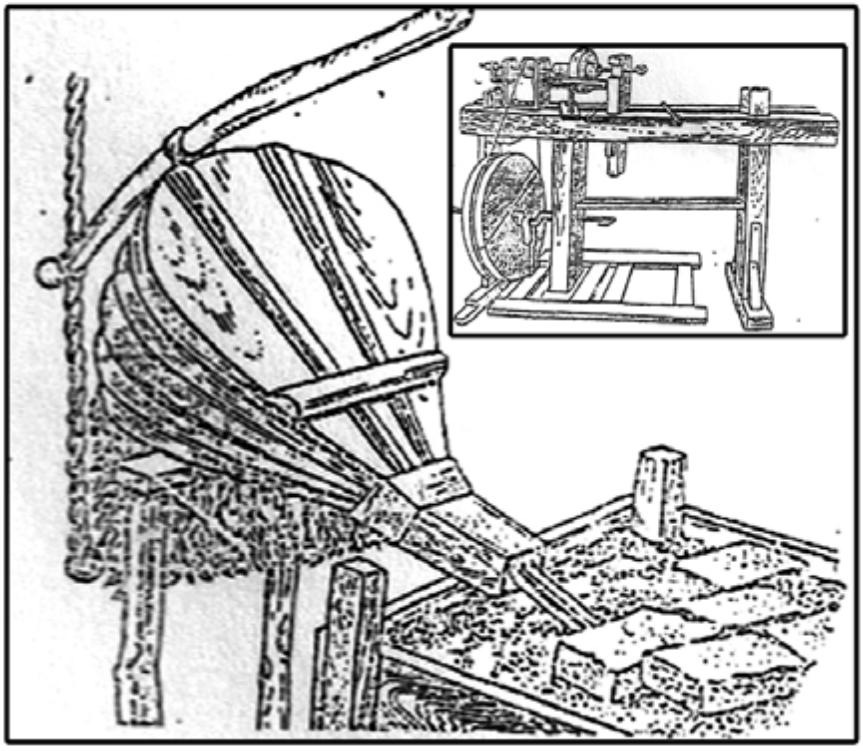
وهي الصناعة التي كان يساهم في صنعها خمسة حرفيين وهم:

- **النجار:** ويصنع هيكل السرج.
- **السروجي:** ويلبس السرج بالجلد ويصنع مقبض اللجام والمخدات والجيوب والسوط.
- **الحداد:** ويصنع الاجزاء الحديدية من لوازم تجهيزات الحصان مثل الركاب واللجام والحدوات.
- **الصايغ:** ويقوم بتزيين مقبض اللجام (الرسن) والسرج.. الخ بصفائح من الفضة المنقوشة بخيوط الذهب.
- **المرأة:** وتقوم بعملية تجديل السوط الصغير بالاوتار الجلدية المطرزة بخيوط حريرية وفضية كما هو مبين في الشكل رقم (١١).

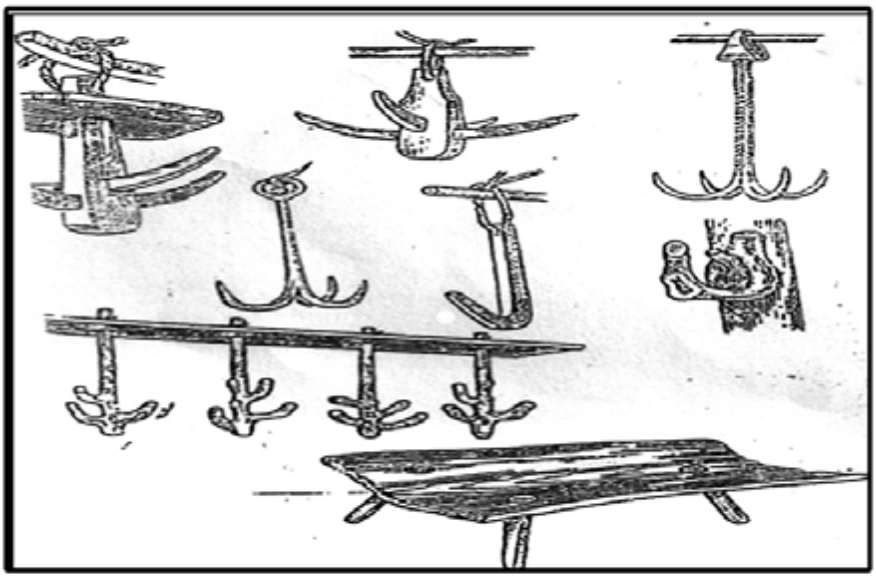
نموذج للسرج الشركسي وتوابعه

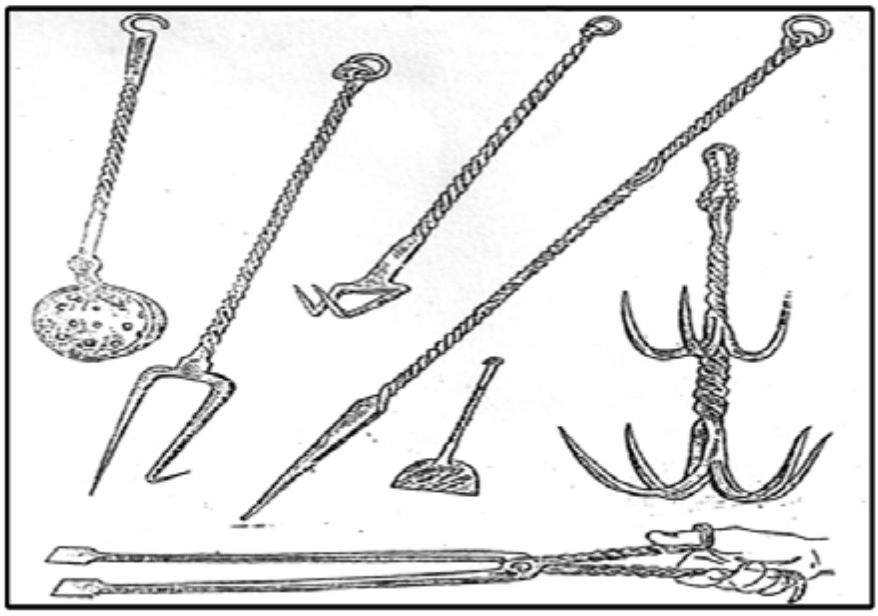


١٢- اللوازم والأدوات الخاصة بمهنة الحدادة: تعتبر مهنة الحدادة من المهن المحببة لدى الشراكسة منذ القدم، كما كانوا يقدسون هذه المهنة في مراحل المعتقدات الدينية الوثنية للشراكسة، حيث كانوا يعبدون إلها اسمه (لبش) وهو إله الحديد، وكما كان في كل بيت ورشة حدادة تسمى (جيش) ويسمون الحداد (جيشت) واخترعوا أجهزة وآلات وأجهزة لصهر الحديد وتطريقه، وطاولات لقطع وقص الحديد وثنيه وليه، كما ابتكروا لوازم تحريك الفحم، ولوازم صنع التماثيل والتحف من المعادن وقوالب الصب. إلخ كما هو مبين في الشكل رقم(١٢-١، ١٢-٢، ١٢-٣).

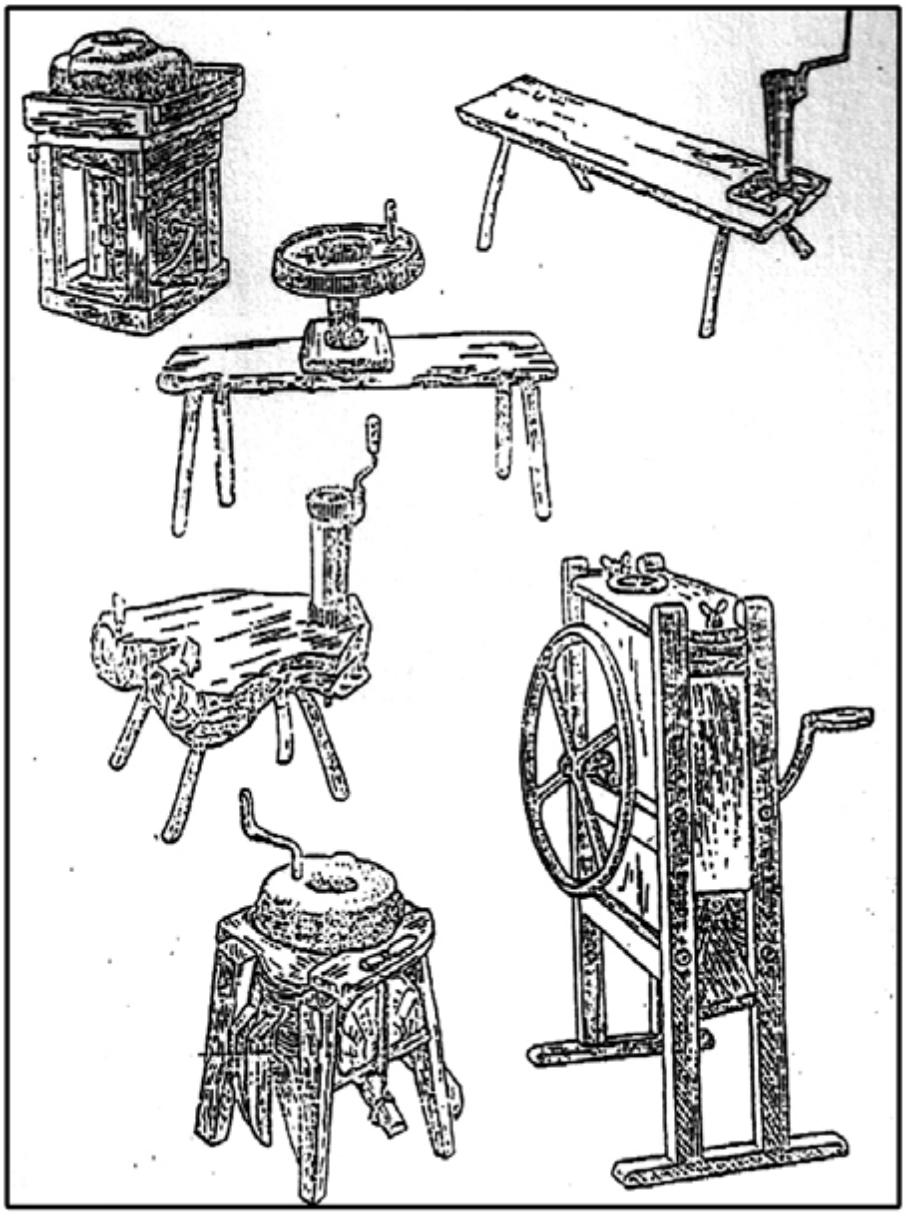


تابع لوازم وأدوات الحدادة عند الشراكسة منذ القدم

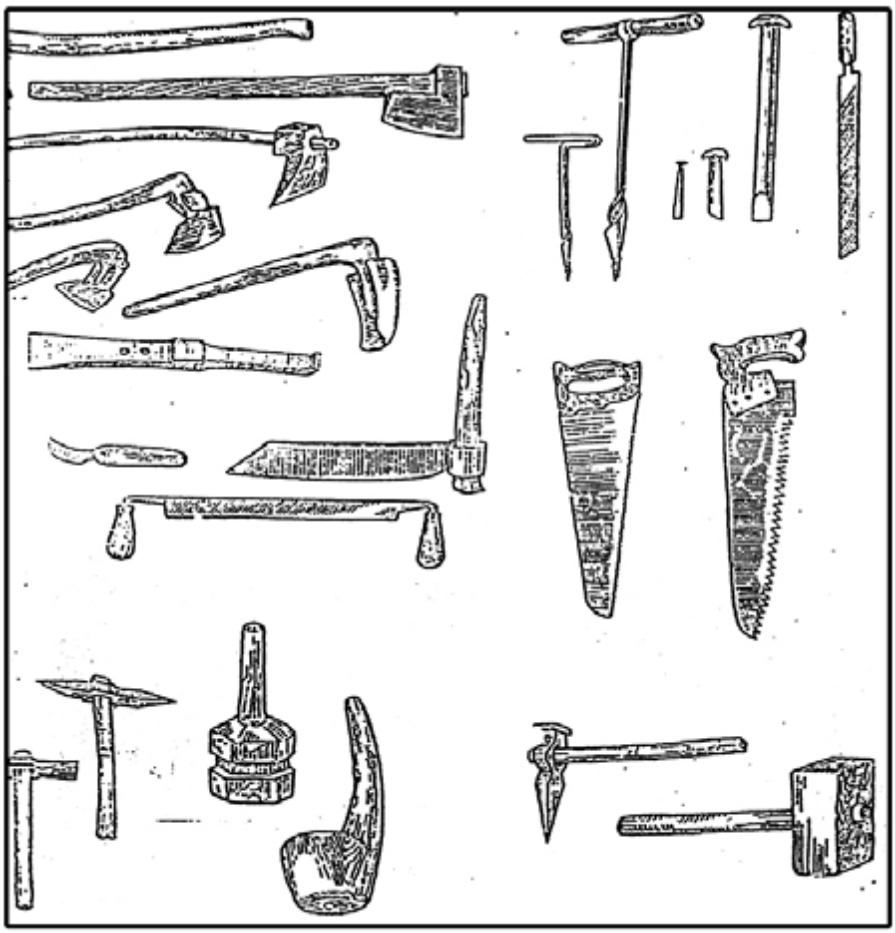




تابع لوازم وأدوات الحدادة عند الشراكسة منذ القدم



١٣- لوازم صناعة النجارة التي اتقن اجداد الشراكسة صناعتها، واشتهر في استخدامها في صناعة كل ما يلزمه من أعمال المنجور في المجتمعات الشركسية



١٤- صناعة الغزل والنسيج:

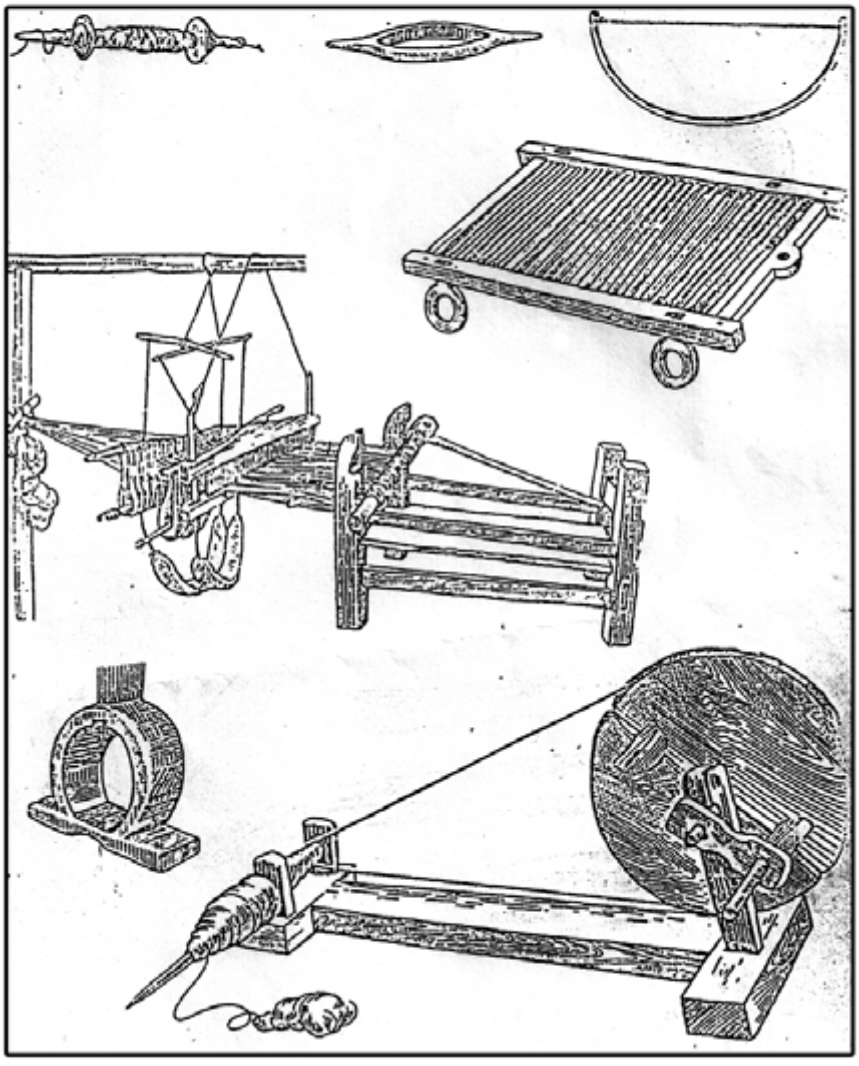
دلت الحفريات الاثرية في مناطق (الكوبان والترك ومايكوب) بأن صناعة النسيج في صورتها الاولية بدأت في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وخاصة الانسجة الصوفية من بسط (سجاد) وحياكة ملابس باستخدام الخيوط الحريرية، وذكر (المسعودي) في القرن العاشر في كتابه (مروج الذهب) بأن امة (الكشك) ويقصد بها (الجراكسة) وكانوا يصنعون أنواعاً من الثياب من نبات (القنب) كما اشتهرت نساؤهم في مراحل لاحقة في نسج الأقمشة بأنواعها، وأبدعوا في نسج أقمشة العباءات من اللباد المطرز بخيوط مذهبة كما أبدعوا في شغل المخرز ونسج الأقمشة من القطن والكتان والحرير، مما يدل بأن صناعة النسيج كانت متطورة في بلاد الشراكسة وصلت إلى مستوى تصديرها إلى بلاد القرم وروسيا وبعض الدول الاوروبية منها ايطاليا (روما).

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين توقفت صناعة النسيج تقريبا في بلاد الشراكسة، واندثرت هذه الصناعة نهائيا وأن تقرير الانتاج الصناعي في الجمهوريات الاتحادية الروسية التي يسكنها شراكسة الوطن الام لا تتضمن أي منتوجات نسيجية باستثناء (السجاد) الذي تنتجه بعض مصانع جمهورية (كباردينا-بلقاريا).

ويقول (نوح المرتوقي الشركسي) في فصل الصناعات في كتابه نور المقابس في تواريخ الجراكسة بأن: [١٠]

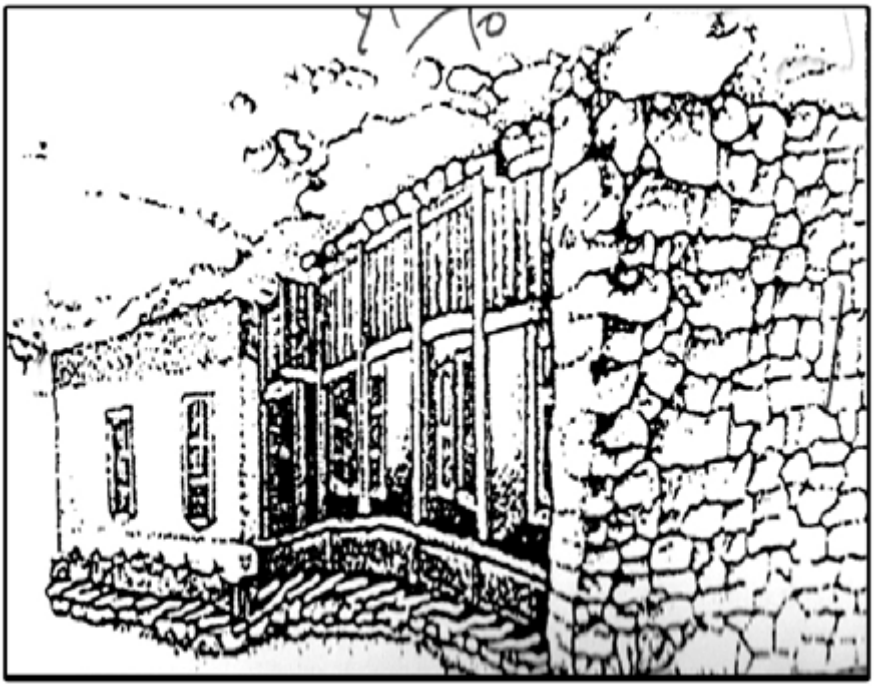
"نساء الشراكسة كن ينسجن الصوف نسجا متقنا بآلة (النول والمشط) ويعملن منها (الرداء) وكذلك فإنهن أتقن نسج الكتان والقطن، وعملن منها القمصان والسراويل، بالإضافة لنسج الحصير (السجاد) نسجا عجيبا متقنا، من خيوط نباتات مخصوصة منها ما يشبه القصب وتسمى (ثمام) وهو نبات لا قشر له كالقصب، ولونه مائل إلى السواد، ومنها نبات ذو ساق بيضاء، تتكون من طبقات تنبت في المستنقعات والمياه الراكدة على شواطئ الانهار كما هو مبين في الشكل رقم(١٤).

نماذج من الأدوات والاجهزة التي استخدمها اجداد الشراكسة منذ القدم في صناعة النسيج والغزل



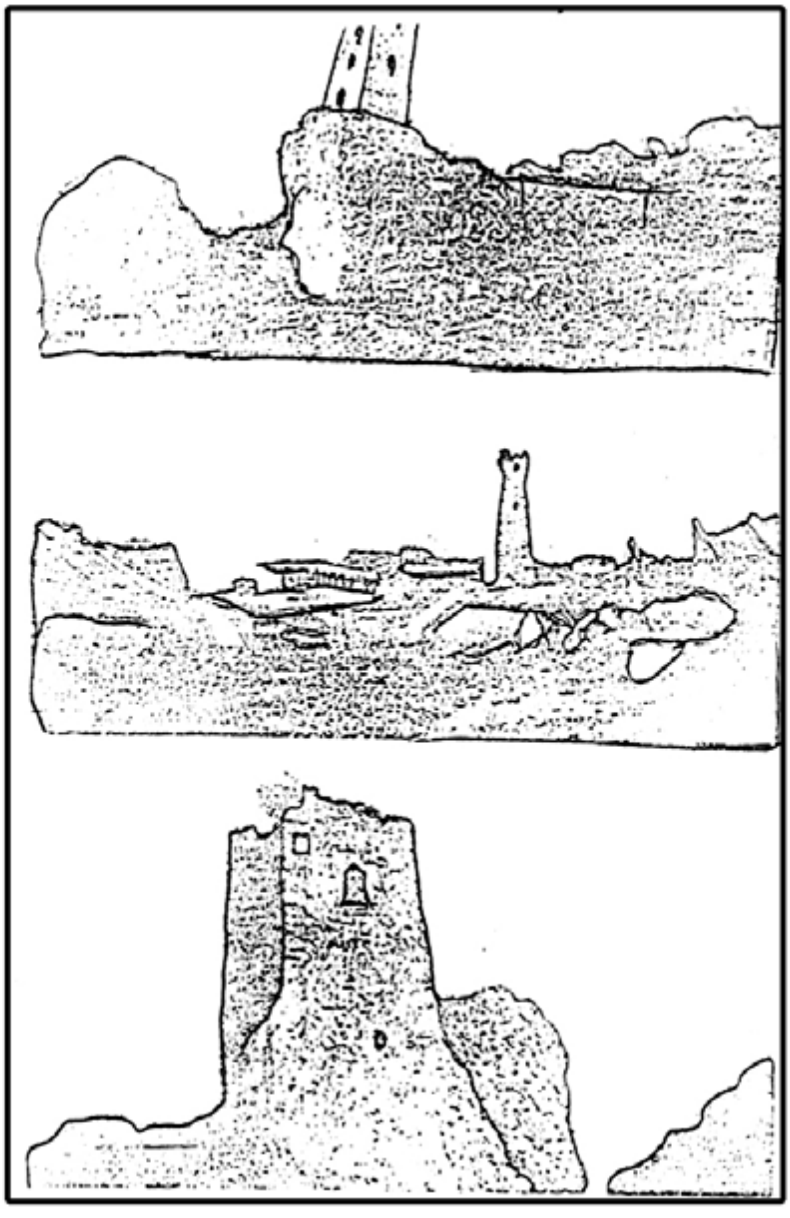
١٥- مهنة بناء البيوت والحظائر والأسوار الخشبية: اشتهر اجداد الشراكسة منذ القدم ببناء البيوت الخشبية المتحركة منها والثابتة، كما أنهم أتقنوا بناء حظائر الحيوانات والأسوار والحواجز الخشبية حول الحقول والمزارع والمراعي كما هو مبين في الشكل رقم (١٥).



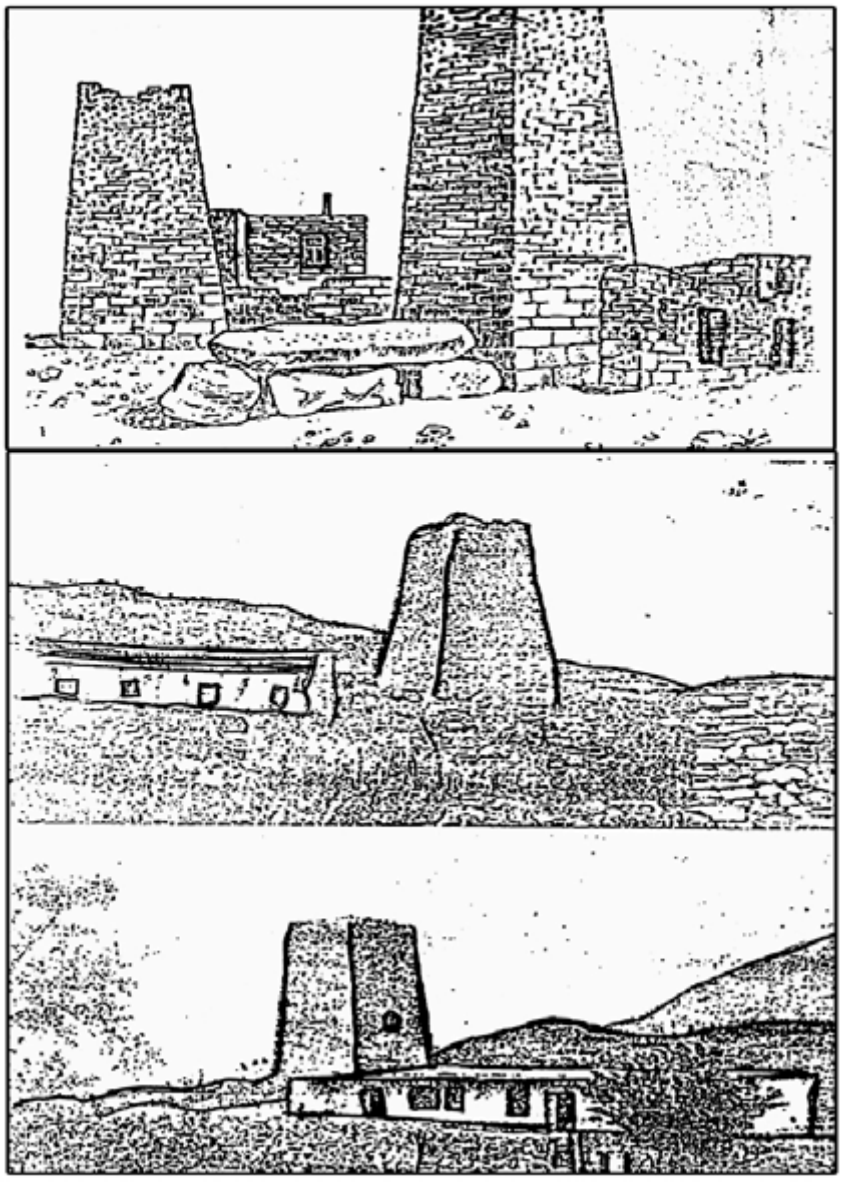


١٦- **مهنة بناء القلاع:** لم يكن بناء القلاع لدى أجداد الشراكسة من المهن الرائجة، حيث لم يكن المقاتلون منذ عصر الأجداد في عصور ما قبل التاريخ يقبلون الاحتماء بالقلاع في حروبهم، وكانوا يعتبرون الاحتماء بالقلاع جبناً، إلا أن تطور أساليب الحروب، واختراع أنواع من الأسلحة غير التقليدية، اجبر أجداد الشراكسة إلى اللجوء لبناء القلاع في السهول لحمايتهم من هجمات وغزوات الاعداء الذين كانوا يشنون هجماتهم بشكل مفاجئ وبأعداد كبيرة، وفيما يلي نماذج من القلاع التي وجدت في بلاد (الأديغة) لدى كل من شعوب القبرطاي، وشراكسة ما وراء الكوبان في الشمال الغربي كما هو مبين في الشكل رقم (١٦).

نماذج القلاع التي بناها أجداد الشراكسة منذ العصور القديمة



تابع نماذج القلاع في بلاد الشراكسة



١٧- مهنة التجارة البحرية وصناعة القوارب

يقول (نيقولا الدمشقي) بأن (الكركيت) كانوا شعبا بحريا من الدرجة الاولى وينقل لنا عادة من عاداتهم الغريبة ومضمونها إذا اقترف أحد أفراد الكركيت جريمة ما، كان يحرم من ممارسة طقوس العبادة المقدسة، وإذا برهن على عدم مهارته اثناء قيادته لسفينة أو زورق، كان كل المشتغلين بالبحر يقتربون كل بدوره (ويبصقون على وجهه) الواحد بعد الآخر وكما ان بعض الباحثين زعموا ان الشركس احتفظوا إلى زمان قريب نسبيا بذكريات عن الأهمية الكبيرة للملاحة التي امتهنها شعب الكركيت الشركسي الاصل وكانوا يسافرون كثيرا إلى بلدان عديدة وانهم تقدموا في الحضارة والمدنية اكثر من بقية قومهم، كما يضيفون بأن بعض الروايات الشركسية كانت تقول بأن غالبية شعب (الكركيت) فضلوا الهجرة إلى (بيزنطة) لانزعاجهم من تخلف جيرانهم حضاريا [١٠].

كما يشير بعض المؤرخين بأن قبائل شركسية قديمة مثل قبيلة (حانوخ) كانت قد وصلت من التطور والتقدم الحضاري إلى ما قادهم الى بناء مستعمرات لهم في الاناضول وتوسعوا في تجارتهم مع الدول المجاورة، كما ان بعض المجموعات من **هذه القبيلة كانت تمارس صناعة القوارب والبواخر وانهم كانوا يستخدمون مركبة تتسع لـــ (٣٠٠) راكب كان يسميها اليونانيون (كاماروي Kamaroi)**، وكانوا يتجولون فيها في البحر الأسود في كل الاتجاهات، وأحيانا كانوا يصلون إلى الشواطئ التراسية (غرب البحر الأسود).

وأن أبيات الشعر التي نظمها الشاعر اليوناني اوفيد (Ovide) شاهدة على الرعب الذي كانوا يسببونه لجيرانهم من ممارسة اعمال القرصنة احيانا، نقتبس منها الابيات التالية:

- كما ينطلق النباح الوحشي في شواطئ سكيلا (Scylla) الشيطانية،
  فإن سفن (الحانوخ) تسبب الذعر للبحارة،
- ولا يستطيع أحد أن يقارنهم مع الآخيين (Acheens) الرهيبين،
- الأمواج التي ابتعلتها على ثلاث دفعات،
  إن هؤلاء الغزاة يقضون حياتهم دون شك،
- في التجول على الضفة اليمنى للبحر،
  ولكن الضفة الأخرى التي اسكن عليها ليست في أمان اكثر من الاولى.

وهذه القرصنة ان كان في ظاهرها عمل (غير قانوني) إلا أنه كان كرد فعل تتسم بقوة وشجاعة وجرأة التصدي للبواخر الكبيرة التي كانت تتملكها امبراطورية مثل امبراطورية البسفور اليونانية القديمة.

١٨- **صناعة البارود:** توصل الشراكسة إلى صناعة ملح البارود من ثلاث مواد هي (الكبريت – وفحم الحطب – والملح الخالص) الموجود في اسفل الجبال في قفقاسيا أو نبات ذي ساق خضراء تسمى (بلسانهم) وكان يتم غليها جيدا لمدة اربع ساعات أو اكثر، ثم تصب في اناء كبير ويترك حتى يتجمد ويرسب الملح في اسفله ويترك حتى يجف ثم يؤخذ لاضافتها إلى المادتين الاخريين هما: الكبريت والفحم. ويلاحظ بأن الشراكسة اهتموا بصناعة ملح البارود في آواخر العصور الوسطى، إلا أنهم لم يتمكنوا من صناعة المدافع.

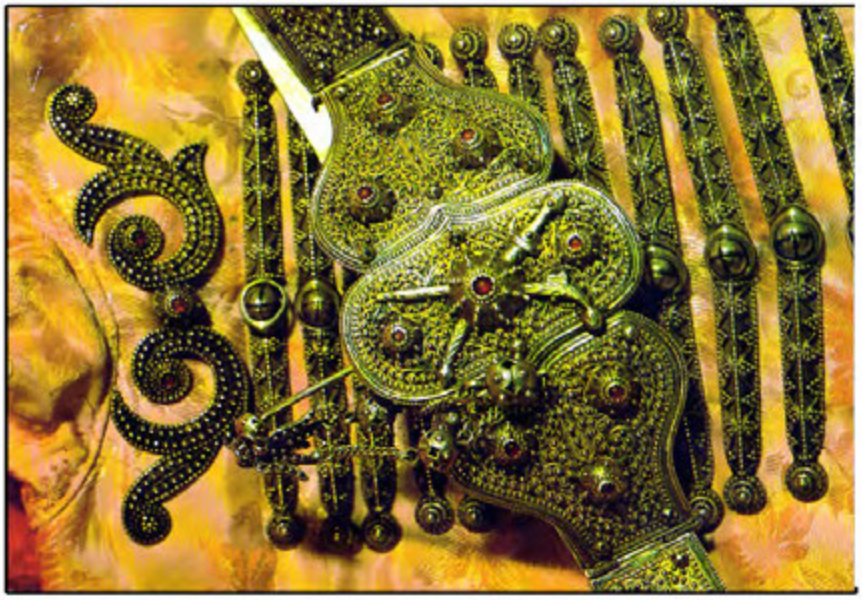
١٩- مهنة الصياغة: تعتبر الصياغة من المهن القديمة جدا عند الشراكسة، مثلها مثل صناعة الحدادة، واشتهرت الأمة الشركسية منذ العصور الحجرية والادوار (المعدنية) المختلفة في (مهنة الصياغة) ثم تطورت هذه الصناعة بعد اكتشاف الذهب والفضة والبلاتين، والصياغة هي مهنة احترفها العديد من الاجداد كما حافظت عليها الاجيال اللاحقة، ويسمى الصائغ باللغة الشركسية (ديشك) والعديد من العائلات الشركسية تحمل هذا الاسم حتى وقتنا الحاضر. وتزامن مع صناعة الصياغة فن الزخرفة باستخدام الرقائق والخيوط الذهبية والفضية، حيث استخدم هذا الفن في تزيين الزي القومي الشركسي للرجال والنساء، وفي زخرفة الأسلحة النارية من مسدسات وبنادق، وكذلك في تزيين الأسلحة الشخصية مثل (القامة) أي (الخنجر الشركسي) و(السيف الشركسي)، بالإضافة لزخرفة الاحذية النسائية والرجالية بخيوط فضية أو ذهبية، ومن أهم أنواع أشغال الصياغة وفن الزخرفة بالفضة والذهب لدى الشراكسة هي:

* صناعة الخواتم، والأساور والأطواق والحلق وغيرها من ادوات الزينة للنساء من مادتي الذهب والفضة كما هو مبين في الشكل .

نماذج من اعمال الصياغة التي اشتهر في صناعتها اجداد
الشراكسة منذ القدم



تابع نماذج الصياغة عند الشراكسة





٢٠- **صناعة الحياكة والتطريز:** تستدل من الكتابات الاثرية بأن الشراكسة منذ عصر الاجداد في فجر التاريخ بأنهم احترفوا مهنة الحياكة "الخياطة" وانهم ابدعوا في هذه المهنة وخاصة في حياكة الملابس القومية للرجال والنساء التي عم استخدامها لدى معظم الشعوب القوقازية، كما اشتهرت النساء في اعمال التطريز والزخرفة .

نماذج من اعمال الغزل والحياكة عند أجداد الشراكسة منذ القدم





نماذج من الزي القومي لكل من المرأة والرجل الشركسي



نماذج من اشغال
التطريز الشركسي التي
اشتهرت فيها النساء
الشركسيات منذ
العصور القديمة



نماذج أخرى
من اشغال
التطريز الشركسي

٢١- **صناعة الاسلحة الخفيفة وأدوات الدفاع عن النفس:** يؤكد الباحثون في تاريخ حروب الأمة الشركسية على مر العصور، بأن مقاتليها كانوا يستخدمون مختلف أنواع الأسلحة النارية وأدوات مختلفة من السلاح الشخصي الذي كان يستخدم في القتال (بالسلاح الابيض) وهي على أنواع وأشكال مختلفة كما هو مبين في الشكل التالي وأهمها:

- المسدسات الطبنجة وهي ايضا على اشكال مختلفة.
- السيوف وبأحجام مختلفة.
- القامات وبأشكال وأنواع مختلفة.
- الرماح والسهام وهي بأشكال مختلفة.
- التروس والدروع والخوذ.

وفيما يلي وصف تفصيلي لأهم الأسلحة وأدوات الدفاع عن النفس التي كان يصنعها الحرفيون الشراكسة بإتقان [٦].

الخوذة الفولاذية: مخروطية الشكل، مصنوعة من نصفين، وتغطي الرأس والعنق والرقبة من الخلف، وتكون الخوذة مزينة بنقوش فضية محفورة بأشكال متعاقبة متشابكة، وتحمل بعض الخوذ أسماء صانعيها، وتاريخ صنعها وأشهرهم كان المعلم (علي حاجي بك) في سنة ١٧٨٠م. ومعظم هذه الخوذ مزودة بحلقة في الأعلى وتثبت عليها قطعة من الجلد الأحمر مزينة بشريط حريري مطرز.

قمصان الزرد الفولاذية: كانت تصنع من حلقات تتداخل كل واحدة منها مع أربع حلقات متجاورات. والقميص مفتوح عادة في أعلى الصدر ليسهل ارتداؤه ومفتوح أيضا من الأسفل لئلا يعيق حركة المحارب. وكان الايرانيون والعثمانيون زبائن دائمين لشراء قمصان الزرد. ومنذ عام ١٦٦١م وبعد أن توطدت العلاقات بين موسكو والقبرداي انتقل بعض الصناع لعمل هذه الدروع في موسكو. وكتب

الشاعر الروسي (ميخائيل ليرمنتوف) عن الفارس القبرديني الجسور (اسماعيل بك انزور).

الرمح الخشبي: تطور عن طريق (عصا الحفر) المدببة والمثقبة بالنار، حيث كانت تلين القناة بالزيت والدهن اولا ثم تعزز بالرماد الحار لتصبح كالمعدن في صلابتها وقد استخدمها الشراكسة في الحرب والصيد.

القسي والنبال: ينتمي القوس الاديغي إلى النمط المعقد، لأنها مكونة من عدة طبقات من القرون، والخشب، والاوتار العضلية المجففة الملصقة إلى بعضها، وكانت الطبقة المصنوعة من القرون تشكل السطح الداخلي للقوس، والمواجه للوتر، وتؤمن للقوس شدة التوتر. والطبقة الوسطى مؤلفة من أوتار عضلات الحيوانات الملصقة بواسطة الصمغ المصنوع من عظام السمك، ومهمتها اكساب القوس المرونة اللازمة، التي يشد إليها وترها من صفائح عظمية، ويغطي ظهرا القوس المصنوع من الخشب، بطبقة تلتصق إليه من الجلد الاسود تزين بنجوم ذهبية صغيرة.

السهام أو النبال: وتصنع منزليا، وكان النبلاء يصنعون سهامهم يوميا، وقيل فيها إنها تطير بثبات إلى مسافات كبيرة، وكذلك رؤوسها تصب من الفولاذ، وتسقى ثم تسن حتى تصبح دقيقة الحدين.

وتختص النساء بصنع الكنانات، وأغلفة الأقواس، المصنوعة من الجلد الأحمر، أو الأسود وتزين بعدها بشرائط من الحرير المذهب، وهي صناعة كانت تختص بها النساء.

ظلت الأقواس والسهام مستعملة مع السلاح الناري حتى عام ١٧٥٠م تقريبا. لقد ذكر الكابتن الانكليزي (جيمس كوك) عن قدرة السهام الشركسية انها أدق وأفتك على مسافة ٥٠ مترا من بنادقه المصنوعة في القرن الثامن عشر. (٧)

سيوف الاديغية: يسمى السيف (بسه شخوة) وقد حرف الروس الاسم فأصبح (باشكا) وان كل من زار بلاد الاديغة في (كبردينا – بلقار) كان يلفت نظره أناقة السيوف الشركسية ذات (النصال) الانيقة الضيقة ومقابضها الفضية الموشاة بزخارف من أوراق النباتات، ويغضي المقبض دروب من الزخارف والخطوط المتكسرة المحفورة بأداة حادة من المعدن، وهذه الطريقة في تنفيذ الخلفية تميز الأسلوب الاديغي عن غيره.

قامات الاديغية: كانت تصنع نصالها من الفولاذ ومقابضها من الفضة، ولم تكن كالسيوف سلاحا فخريا ينتقل بالوراثة من جيل إلى آخر بل كانت سلاحا فرديا يستخدم في الحياة العادية، وقد برع الداغستان في هذه الصناعة وعنهم انتقلت إلى غرب القفقاس. (٧)

وفيما يلي نماذج من انواع الأسلحة التي اشتهر أجداد الشراكسة في صناعتها، واستخدامها في حروبهم على مدى الآف السنين.



نموذج للباس الحربي للمقاتل الشركسي

نموذج آخر من لباس الحرب للمقاتل الشركسي

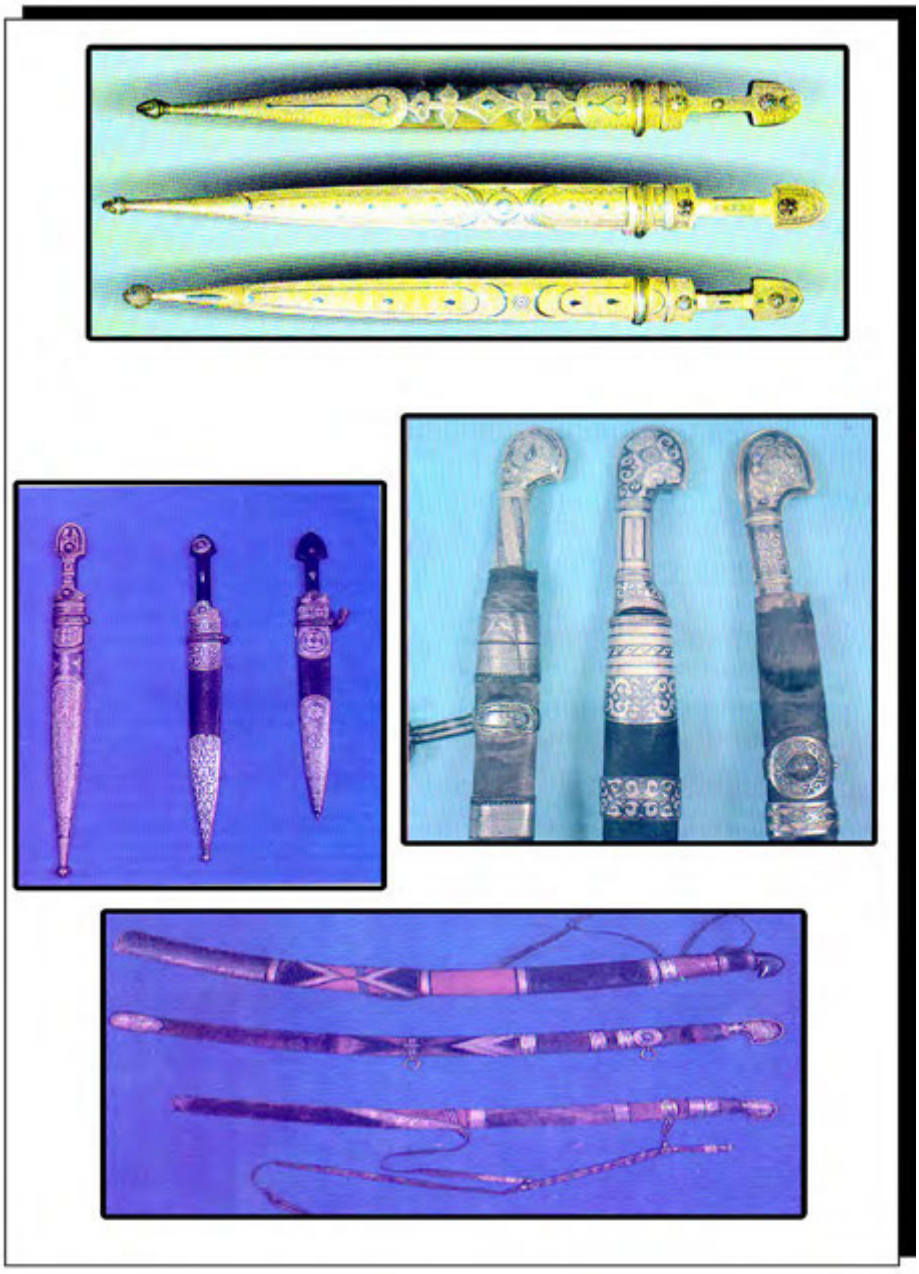


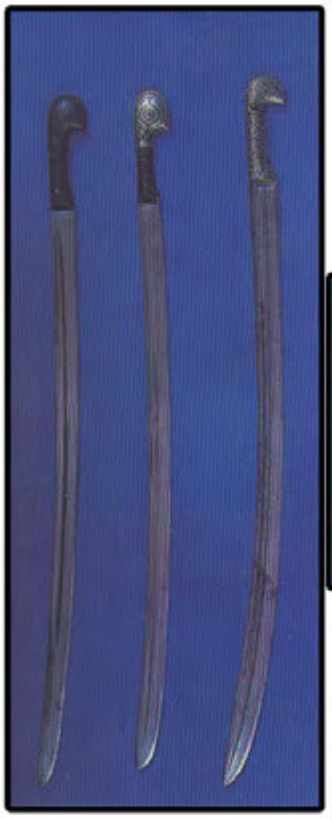




نماذج من (البندقية جراخوة) التي اشتهر أجداد الشراكسة بصناعتها واستخدامها في الحروب

نماذج من (القامات) أي السيوف التي اشتهر بصناعتها الشراكسة واستخدامها في حروبهم





نماذج من السيوف الشركسية القديمة التي صنعها اجداد الشراكسة قديما واستخدموها في حروبهم





نماذج من أجهزة الرماية بالسهام والنبال التي ابتكرها اجداد
الشراكسة منذ القدم





الصناعات والحرف المهنية لدى الشراكسة في ظل الحكم الروسي القيصري والشيوعي وروسيا الاتحادية (١٨٦٤-٢٠٠٦):

يجد الباحث في حياة الشراكسة (الاديغة) الذين تمسكوا بأرض الوطن الأم ولم يهاجروا أو يُهجّروا إلى الدولة العثمانية، بأن السلطات القيصرية ومن بعدهم السلطات الشيوعية البلشفية قامت بتحديد أماكن سكن (بقايا الشراكسة) في أربع مقاطعات أو جمهوريات ذات حكم ذاتي وهي*:

- جمهورية كباردينا – بلقاريا الفيدرالية.
- جمهورية تشركيس – قراشاي.
- جمهورية الاديغية.
- جمهورية ابخازيا.

وبالبحث في المهن والصناعات التي استمر الشراكسة في احترافها، والاشتغال بها في هذه المناطق الاربعة توصلنا إلى الحقائق التالية:

الحقيقة الاولى:

استمر الشراكسة في مزاولة الحرف المهنية والاشتغال بالصناعات الخفيفة اليدوية والشبه (آلية) التي سبق تناولها سابقا حتى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وبعد ذلك بدأ الشراكسة يتحولون تدريجيا عن مزاولة المهن القديمة والاشتغال بالصناعات اليدوية التقليدية سنة بعد سنة، كنتيجة حتمية لتطور الصناعات في روسيا، وظهرت صناعات كبرى، ومهن تخصصية في المناطق التي يسكنها الشراكسة، وتحول قسم منهم لمزاولة مهن صناعية جديدة تتطلبها طبيعة المصانع الكبرى التي انتشرت في القفقاس، مع بقاء الغالبية من شراكسة الوطن الأم تعمل في المهنة الرئيسية للشراكسة في (أوقات السلم) وهي الزراعة

* تحولت هذه الجمهوريات ذات الحكم التركي في عهد روسيا الاتحادية إلى جمهوريات اتحادية.

والرعي وأصبحت المهن القديمة والصناعات اليدوية جزءا من التراث الفلكلوري المهني الشركسي، كما أصبحت العديد من الصناعات اليدوية التقليدية (الخفيفة) تسوق كهدايا تذكارية للسياح والزوار الأجانب.

الحقيقة الثانية:

تخصص الشراكسة الذين عاشوا تحت الحكم الروسي القيصري ومن بعدهم الحكم الشيوعي ثم حكم روسيا الاتحادية الفيدرالية في المهن الجديدة واشتغلوا في المصانع التي أنشئت في كل منطقة من مناطق (الجمهوريات ذات الحكم الذاتي) وعلى النحو التالي:

* **الشراكسة من سكان جمهورية كباردينا- بلقاريا:** (والتي تحولت إلى جمهورية فيدرالية في عهد روسيا الاتحادية) ويشكلون ٥٢% من سكان الجمهورية من أصل (٩٠١٤٩٤٩) ويشتغلون في المصانع التي تنتج:

١) الفحم، والرخام، والماس، والتنجنسن، والالومنيوم.

٢) الآلات والمعدات والآليات ذات العلاقة بالفلاحة والزراعة.

٣) الالكترونيات الدقيقة، والكريستال.

٤) المنسوجات عامة والسجاد خاصة.

٥) المنتجات الغذائية من معلبات وسكاكر وزيوت.. الخ.

بالإضافة إلى اشتغالهم في الصناعات المتعلقة بالسياحة عامة والسياحة العلاجية خاصة، وهي من الصناعات التي تطورت كثيرا في هذه الجمهورية لتوفر البنية التحتية الطبيعية من مياه معدنية وكبريتية، حيث يوجد فيها أكثر من (١٧) نوعا من هذه المياه بالإضافة لتوفر البنية التحتية للرياضات الشتوية مثل التزلج ورياضات المغامرات كتسلق الجبال.

*** الشراكسة من سكان جمهورية تشركيس – قراشاي:**

تحولت هذه الجمهورية من مقاطعة ذات حكم ذاتي إلى جمهورية فيدرالية عام (١٩٩١) على إثر تفكك الاتحاد السوفيتي (سابقا) وقيام روسيا الاتحادية ويشكلون نسبة ٢٢% ويشتغلون بالمصانع الروسية التي تنتج المواد التالية:

١) الرخام، على اختلاف أنواعه وهي من أجود الأنواع في روسيا الاتحادية.
٢) مواد البناء، مثل الاسمنت والخراسانات والطوب والدهانات.
٣) مشتقات الالبان.
٤) اللحوم والخضراوات المعلبة.
٥) العسل والنباتات العطرية والعلاجية وازهار الزينة.
٦) الخضراوات التي تزرع داخل البيوت الزجاجية والتي تعتبر الاكبر من البيوت الزجاجية في روسيا وأوروبا.

*** الشراكسة من سكان جمهورية الاديغة والذين يشكلون ٢٦% من سكان الجمهورية ويشتغلون في المصانع الروسية التي تنتج المواد التالية:**

١) الأحجار الكريمة.
٢) المواد الغذائية المعلبة مثل اللحوم والفواكه والسكاكر.
٣) العسل والاجبان.
٤) الاخشاب خاصة خشب (الباركيه) والاثاث والمكاتب.
٥) الالات الصناعية الثقيلة.
٦) الغاز والبترول والالمنيوم والتنجيتون والكولين والسيلكا.

*** الشراكسة من سكان (جمهورية أبخازيا): والذين يشكلون٩٠% من سكان الجمهورية من أصل(٢٥٠٠٠٠)نسمة ويشتغلون في المصانع والحقول التي تنتج:**

١) الشاي والتبغ والفواكه المعلبة.
٢) السياحة العلاجية والمنتجات السياحية التي يبلغ عددها (٥) منتجات عالمية.[٩]

مراجع ومصادر الفصل الثاني من الجزء الاول
في المجلد الثاني

١) شانيز، أوفست، **مباحث سرية في القفقاس والمكتشفات الاثرية**، أوردها المؤرخ الفرنسي (مورجان).
٢) ابه زاو، محمد جمال، مصدر سابق، ص: ٨٢-٨٣.
٣) دومونتبورن، دوبريز، **المكتشفات الاثرية في القفقاس ١٨٣٤**، ص: ١٧-١٨.
٤) المرتوقي، نوح الشركسي، **نور المقابس في تاريخ الجراكسة**، قازان ١٩١٢.
٥) المحمد، محمد أحمد، مصدر سابق، ص: ٥٩.
٦) المصدر نفسه، ص: ٥٩-٦٠.
٧) لويسهمفورد، **اسطورة الالهة**، الجزء الاول، منشورات وزارة الثقافة السورية – دمشق ١٩٨١، ص: ١٦١.
٨) ابه زاو، محمد جمال، **موسوعة تاريخ الجراكسة**، مصدر سابق، ص: ٢٧٤-٢٧٥.
٩) **دليل اهلنا**، الجمعية الخيرية الشركسية، فرع صويلح، مصدر سابق، ص:٣١.
١٠) الحمد، محمد احمد، مصدر سابق.
١١) المرتوقي، نوح الجركسي، مصدر سابق، ص: ٥٧

الفصل الثالث

البعد التجاري في بناء حضارة الأمة الشركسية

تمهيد:

بالاطلاع على ما كتب عن ازدهار التجارة لدى الشراكسة قديما، ونقلا عما كتبه المؤرخون اليونانيون القدامى أمثال:

- **هيرودوت المؤرخ اليوناني** الذي زار القفقاس في القرن الخامس قبل الميلاد.
- **سترابون الجغرافي اليوناني** الذي زار القفقاس في القرن الأول قبل الميلاد.

وكذلك بالاطلاع على ما كتبه مؤرخو الدولة البسفورية التي انشأت المستعمرات اليونانية على سواحل البحر الأسود منهم المؤرخون. **سيكمونس وهيبوقراشن وايغورس، وسيلاكس،** حول ازدهار التجارة مع الشعوب القفقاسية عامة والشعوب الشركسية خاصة منذ القرن الثامن قبل الميلاد.

هذا بالإضافة للاطلاع على ما كتبه (جورج انتريانو) وعلى ما ورد في (التوراة) حول تجارة (الياوان) أي (اليونان) توصلنا إلى أن:

الحفريات الاثرية في مناطق مختلفة في القفقاس تدل بأن المصنوعات المعدنية القفقاسية كانت تصدر إلى أحواض نهري الفولغا والدون في الشمال وإلى بلاد العجم (الفرس) والعراق، وآسيا الصغرى، وما جاورها في الجنوب، من خلال **موانئ البحر الاسود التي كانت تشكل مراكز تجارية هامة تتعامل مع القوميات القفقاسية الأخرى في الداخل ومع الأمم المختلفة في الخارج.**

وفيما يلي أهم الدول التي كان لأجداد الشراكسة علاقات تجارية خارجية معها وهي:

(١) المستعمرات اليونانية

لا شك بأن الشعوب الشركسية من أوائل الشعوب القديمة التي كان لها علاقات تجارية منذ الالفية الثانية قبل الميلاد مع دول وشعوب اجنبية، وأن هذه العلاقات تطورت وازدهرت في الألفية الاولى ما قبل الميلاد بشكل كبير خاصة بعد

إنشاء المستعمرات التجارية اليونانية في مواقع مختلفة على ساحل البحر الأسود، وأن أكثر أنواع التجارة التي كانت رائجة حسب رأي (سترابون) كانت تجارة:

* **الحبوب** حيث أشار (سترابون) بأن حجم تجارة الحبوب مع القفقاسين وصل إلى (٢١٠٠٠٠٠) مديم (وهي وحدة كيل قديمة).
* **الاسماك المملحة.**
* **المصنوعات المعدنية عامة والبرونزية خاصة.**
* **جلود الحيوانات.**
* **النحاس والقصدير.**
* **الفراء.**

ولم تقتصر العلاقات التجارية القفقاسية عامة والشركسية منها خاصة مع اليونانيين، وإنما قامت الشعوب القفقاسية بتطوير علاقات تجارية جديدة مع دول أخرى عديدة وفي مقدمتها:

- **الإمبراطورية الايرانية**، حيث ذكر المؤرخ اليوناني (سترابون) بأن كل من أرمينيا وشعوب قفقاسيا الشمالية كانت تصدر عشرين ألف رأس (جواد) إلى شاه إيران سنويا.
- **الإمبراطورية الرومانية:** حيث ذكر المؤرخ الروماني (بليتوس) أن الرومانيين كانوا يربحون بتجارتهم مع الشعوب القفقاسية (مائة بالمائة) وأن المعاملات التجارية بلغت اكثر من (١٠٠) مليون قطعة ذهبية سنويا لصالح القوقازيين وكان من أهم المستوردات هي الأقمشة الحريرية الجركسية.

وفي الفترات التي تعرضت فيها الأمة الجركسية إلى حروب دامية وغزوات همجية من قبل قبائل (الهون) المتوحشة وجيوش (الاوار) المتعطشة للدماء تأثرت الانشطة والمعاملات التجارية مع الخارج وتوقفت لأكثر من قرن.

إلا أن امتداد نفوذ الخلافة العباسية وتوسعها في بلاد القفقاس أعاد الهدوء والاستقرار إليها وعادت معها النهضة الاقتصادية والتجارية من جديد في بلاد القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة، حيث توطدت العلاقات التجارية خلال القرون من (العاشر وحتى التاسع عشر الميلادي) مع العديد من الدول وأهمها:

البيزنطيون:

ذكر المؤرخ العربي (الاصطخري) بأن تجار البيزنطيين وتجار آسيا الصغرى كانوا يجتمعون في ميناء طرابزون على البحر الاسود، ومنها ينقلون بضائعهم إلى بلاد القفقاس، وأنهم كانوا يستوردون المواد الأولية لنسج الاقمشة من الشعوب القفقاسية.

كما ذكر السائحون العرب في بلاد الشراكسة في القرنين التاسع والعاشر ميلادية، بأن تجارة الحبوب والحيوانات بأنواعها، والأقمشة الحريرية التي تخصصت فيها (نساء الشراكسة) كانت مزدهرة، بالإضافة إلى ازدهار تجارة المصنوعات المعدنية عامة والنحاسية والفضية والذهبية خاصة.

وتطورت الأعمال التجارية تطورا كبيرا مع العديد من الدول الاوروبية في هذه الفترات مظاهر هذا التطور تتضح من خلال الحقائق التالية:

الحقيقة الاولى:

أكد السفير الفرنسي مسيو (بيسونيل) لدى دولة القرم في تقرير له حول كبر حجم التبادل التجاري مع شعوب غرب قفقاسيا وهي (بلاد بعض القبائل الشركسية) خلال الفترة من (١٧٥٠-١٧٦٢) حيث بلغت قيمة البضائع التي كانت تصدر إلى اوروبا من (جركستان) حتى القرن الثامن عشر حوالي مليون روبل سنويا وان (ميناء أنابا) كان يحتوي في القرن السابع عشر على (٤٠٠) مخزن للبضائع وعشرين مخزناً للأخشاب و (١٦) مخزنا للحبوب و (٧) مخازن للمجوهرات ومحلات كثيرة للصرافة وأن أكثر التجار الذين كانوا يتوافدون على بلاد القفقاس

هم **من جنوة وانكلترا وهولندا واسبانيا وتركيا والقرم**، وكانت ترسو في الموانئ القفقاسية كل عام حوالي (٩٠٠) سفينة، عدا عن السفن الصغيرة التي كانت تحمل البضائع وتقوم بالتجارة بين موانئ البحر الأسود، وحدد مسيو (بيسيونيل) في تقريره حجم الصادرات من الموانئ القفقاسية إلى مختلف الدول الاوروبية في تلك الفترة على النحو التالي:

١٠٠٠٠٠-٨٠٠٠٠	سنتيمتر من الصوف	١٠٠٠٠٠	جلود ثعالب
١٠٠٠٠٠	قطعة من القماش	٣٠٠٠	جلود دببة
٦٠٠٠٠-٥٠٠٠٠	سروال جاهز	٢٠٠٠٠٠	زوج من أنياب الخنازير البرية
٦٠٠٠-٥٠٠٠	ملابس جركسية جاهزة	٥٠٠٠٠	فراء حيوانات متنوعة
٥٠٠٠٠٠	رأس غنم	٥٠٠٠٠	برميل عسل ممتاز
٦٠٠٠-٥٠٠٠	قطعة من جلود منوعة	٥٠٠٠	برميل عسل رخيص
٢٠٠٠٠٠	قرون بقر	٦٠٠٠٠-٥٠٠٠٠	أوقية من شمع العسل
١٠٠٠٠٠	جلود ذئاب		

هذا بالإضافة إلى تجارة الخيول والأسماك وزيت السمك والمواد الأخرى المستخصلة من الأسماك.

كما أكد أن التعامل التجاري بين (القفقاسيين الغربيين) كان يجري في جو من الحرية والأمان كأحسن ما يكون يدل على سمو الروح الاخلاقية عندهم.

كما قال: "نظرا لعدم توفر الدراهم المسكوكة في (بلاد الجركس الغربيين) كانوا يتخذون (البوكاس) كوحدة قياس للبيع والشراء، وهو (ذراع من القماش) ويقدرون بذلك أثمان البضائع الاخرى [١].

الحقيقة الثانية

كانت تستورد كل من دولة القرم وبعض دول اوروبية في القرن الثامن عشر الميلادي (حسب ما ذكر السفير الفرنسي) من جركستان (ويقصد به بلاد الشراكسة) سنويا الكميات التالية من المنسوجات:

١٠٠٠٠٠-٨٠٠٠٠	سنتيمتر من الصوف
١٠٠٠٠	قطعة قماش
٥٠٠٠٠-٦٠٠٠٠	سروال جاهز
٥٠٠٠-٦٠٠٠	ملابس شركسية جاهزة [١]

الحقيقة الثالثة

يؤكد المؤرخون لحيادة الشعوب القفقاسية، بأن العلاقات التجارية بين انجلترا والشعوب القفقاسية بدأت منذ تأسيس "**الشركة الإنجليزية المتحدة للتجارة مع القفقاس**" عام (١٥٤٨) وأن هذه العلاقات تطورت بشكل كبير وأن الإنجليز استطاعوا خلال عشر سنوات من القيام بنشاط تجاري واسع في سائر بلاد القفقاس، وكتب (جون كيسون) إلى إدارة شركته في لندن تقريرا عن الإمكانات التجارية مع القفقاس يقول فيه: "**يوجد في هذه البلاد بصورة مجزية الجوز، والبندق، والقطن، والصوف وأنواع من الجذور النباتية، والصباغات، والبضائع الهندية، والمصنوعات المحلية من أصناف ممتازة ومتنوعة**".

كما جاء في تقريره بأن البلدة تعج بالتجار القادمين من سوريا وتركيا والبلاد العربية، وأن الحرير الخام يشكل الصنف المهم في البضائع لملك شيروان في كرجستان والداغستان وشمال قفقاسيا الشركسية.

وتمنى (آرثر ادوارد) في تقريره "**أن تصل شركتهم من الثراء ما يمكنها من شراء نصف ما يستحصل في هذه البلاد من الحرير الخام**".

وحسب تقرير الشركة المذكورة كانت تستورد كل عام من الاقمشة الحريرية ما قيمته (٤٠٠٠٠) ليرة انجليزية ذهبية.

وأن اكثر المواد استيرادا كانت:

* الفليفلة الحمراء. * الجوز الهندي صغير الحجم.
* الجوز الهندي الكبير الحجم. * القرنفل والقرفة. [١]

وكذلك فقد ذكر التاجر الانجليزي (ارثر ادوارد) في تقرير أرسله إلى شركته ضرورة "**انتقاء المرشدين من الوطنيين، لأن الروس يعبثون بمصالحنا**" **كما قال:** "**إن تعاملنا التجاري مع أهالي البلاد واستقبالهم الحسن لنا يثير الروس كثيرا، ذلك لأن الأهالي الوطنيين لا يحبون الروس بسبب سوء أخلاقهم، وأوصى** "**إرسال أشخاص ذوي أخلاق نبيلة للتعامل مع هذا الشعب النبيل**"، وكذلك فإن الصادرات القفقاسية من المنسوجات القماشية إلى الدول الاوروبية بلغت قيمتها سنويا حوالي (بليون) روبل في القرن الثامن عشر وأن ميناء (أنابا) على ساحل البحر الأسود، كانت تحتوي في القرن التاسع عشر على (٤٠٠) مخزن لحفظ بضائع المنسوجات القفقاسية. [٢]

الحقيقة الرابعة:

عند الكشف عن المقابر التي عثر عليها في مايكوب، وجدت معدات وأواني خزفية مزخرفة ومرصعة مصنوعة إما في إيران أو بيزنطة أو جورجيا، وأرمينيا أو حتى في بلاد العرب. من هنا يتضح أن كثيرا من المواد المصنعة في بلاد الهند والصين أو بلاد العرب او بيزنطة كانت تباع في الاسواق القفقاسية وبالمقابل نجد أن القفقاس، كان يصدر الاقمشة المطرزة بالذهب، والاسلحة بمختلف أنواعها،

والمواشي وكذلك الاسماك التي كانت تصطاد من بحري الخزر والأسود، ولقد كان للتجارة القفقاسية أهمية خاصة لدى العرب، والبلاد التي كانوا قد احتلوها مثل جورجيا واذربيجان حتى عام (١٢٠٠) م وكانت أهم طرق القوافل التجارية تمر إما عن طريق (دربند) إلى الداغستان او عن طريق (تفليس) في جورجيا إلى غرب القفقاس.

ولقد تحدث المؤرخ العربي (الاصطخري) في إحدى جولاته في قفقاسيا عن ثراء المدن القفقاسية وعن كثرة الاشياء الموجودة في أسواقها وعن رخص الأسعار فيها، حيث عبر عن هذا الثراء بقوله: ((**ان من لم ير ذلك بأم عينه لا يمكنه تصديق ما ذكرت**)). كما ذكر في كتابه تفصيلا كاملا لطرق القوافل وعدد هذه القوافل التي كانت تنقل البضائع التجارية من بغداد إلى قفقاسيا وبالعكس. [٣]

الحقيقة الخامسة:

توقفت الانشطة التجارية للشعوب القفقاسية عامة وللشعب الشركسي بشكل خاص وفي القرن التاسع عشر ، وأدت حرب الإبادة التي شنتها جيوش روسيا القيصرية خلال فترات متقطعة ابتداء من منتصف القرن السادس عشر وبشكل مستمر في القرن السابع عشر وحتى يوم ١٨٦٤/٥/٢١ وهو اليوم الذي اعلن فيه قيصر روسيا احتلاله لبلاد الشراكسة كاملة وتهجير اكثر من مليون ونصف مليون شركسي إلى بلاد البلقان والدول العثمانية.

الحقيقة السادسة

في مطلع القرن التاسع عشر وبالتحديد منذ عام ١٨٣٠ عاد اهتمام الاتراك والانجليز والفرنسيين للتعاملات التجارية مع (تشركسيا) وتحددت نقاط تجارية على طول الساحل البحر الاسود تدخل إليها السفن الاجنبية دون عائق، وكانت هناك اتصالات تجارية بين موانئ الاناضول التركية من (باطوم) حتى (سينوب) مع سكان شواطئ البحر الاسود، وكانوا يجلبون السلع إلى (أنابة) و (سونجوق قلعه)

و (غلينجيك)، وقام التجار الاتراك بمعونة حكومتهم تنظيم التهريب إلى شواطئ شركسيا، ووجدوا دعما من الشركات التجارية الانجليزية الموجودة في (طرابزون) التي كان لها علاقات ومتاجرة مع شركسيا حيث درس "بيل" الذي عمل مع هذه الشركة اثناء وجوده في شركسيا مسائل التجارة، وذكر في رسائله عن اسهل النقاط لإدخال البضائع الانجليزية [٤].

ويؤكد المؤرخون بأن من الأسباب الرئيسية لقيام حرب (القرم) بين تحالف قوات انجلترا وفرنسا والاتراك ضد القوات الروسية، هي نتيجة العراقيل التي كانت تضعها السلطات الروسية القيصيرية، حيث أصبحت التجارة مع الشراكسة اكثر شرعية بعد انتهاء حرب القرم، وابرام معاهدة باريس في عام (١٨٥٦) التي كان من بنودها اعطاء الحق للانجليز والفرنسيين للاتجار مع الشعوب الشركسية حرية اكثر، ويتضح ذلك من قول رئيس الوفد الانكليزي اللورد "كلاريندون" في ١٨٥٦/٢/١٨ بأن "**انكلترا ترغب في تسهيل تجارتها مع القفقاس وبالذات مع شركسيا**" أما النوايا الحقيقية للإنكليز تجاه المسألة الشركسية فقد ظهرت مباشرة قبل بدء الاجتماعات الرسمية للمؤتمر، وقد وصف الامير "فاليفسكي" بأن انكلترا تشكك في حقوق روسيا على المناطق الواقعة وراء الكوبان وعلى روسيا الاعتراف باستقلال وحياد المناطق الواقعة جنوب نهر (الكوبان) أو وضع هذه المناطق تحت السيادة الاسمية للباب العالي.

وقد اتضح أن الحلفاء لم يكن لديهم رأي واحد في عدد من المسائل، **ومن بينها المسألة الشركسية التي تدعم فرنسا فيها انكلترا فقط بالكلام** وهذا التعارض بين مصالح الحلفاء استخدمته الدبلوماسية الروسية بنجاح، وكان "بالمرستون" يعرف أن اللعبة غير سهلة، وأن "نابليون الثالث" سيظهر نفسه في المؤتمر بآراء غير واضحة تجاه حليفته انكلترا، لذلك قرر بالمرستون "عدم المغالاة في مطالبه، وكان على "كلاريندون" السعي للحصول على استقلال المنطقة الواقعة بين البحر الأسود

ونهر (الكوبان) وأرمينيا من (أنابه) وحتى (تشوروك سو)، وكان "بالمرستون" يرى صعوبة تحقيق هذا المطمح، لذلك طلب من "كلاريندون" "أن يصر فقط على استقلال شركسيا، بالإضافة لذلك اعتبرت الدبلوماسية الانكليزية ان قرارات المؤتمر المتعلقة بغرب القفقاس، يمكن ان تدخل في القرارات الخاصة بحياد البحر الأسود، مما لا يسمح لروسيا بحصار الساحل الشركسي، وكما ان حرية الملاحة والتجارة كانتا ضمانة لحرية التجارة في البحر الاسود(٥).

وفي عام ١٨٥٨ أعلم التاجر الانجليزي (هنري اوبراين) وزارة خارجيته أن الموانئ الشركسية التي يمكن منها الاتجار مع (شركسيا) هي بأيدي الشراكسة المستقلين، وبسبب ذلك فإن أية تجارة يريد ان يقيمها بريطاني مع الشراكسة يمكن منعها بواسطة السفن الروسية، وعندما سأل وزير الخارجية الانكليزي السفير الروسي، أعلمه الأخير أنه حسب مواد اتفاقية باريس والمادة الرابعة من معاهدة (ادريانوبولوس) لروسيا كامل الحقوق في شركسيا، وحدد خمسة مرافئ على الساحل القفقاسي يمكن ان تدخل إليها السفن الاجنبية.

ويقول أيضا: خف التوتر في العلاقات الروسية الانكليزية الفرنسية إلى حد ما حول التجارة مع الشراكسة بعد توقيع اتفاقية التجارة والملاحة البحرية بين البلدين في ١٨٥٨/١٢/٣١، وحسب المادة (١٤) من هذه الاتفاقية كان من المسموح به اقامة قنصليات لكل دولة في البلد الآخر حسب الحاجة، وبذلك أقامت انكلترا قنصليات في (صوخوم) و (بوتي) و (ريدوت قلعة) (٦).

الحقيقة السابعة

ظلت الاعمال التجارية معطلة في ظل حكم الاستعمار الروسي القيصري في المناطق التي سكنتها القلة القليلة من الشراكسة الذين لم تتمكن السلطات القيصرية من تهجيرهم، ولم يكن لهم نشاطات تجارية حتى انتهاء حكم القياصرة على يد البلاشفة في ثورتهم عام ١٩١٧.

الحقيقة الثامنة

وفي ظل الحكم الشيوعي لم يتمكن الشراكسة من الحصول على استقلالهم رغم ضمهم نهائيا للاتحاد السوفيتي، وتم تحديد سكنهم في أربعة مناطق رئيسية سميت بالمقاطعات أو الجمهوريات ذات الحكم الذاتي (كما سبق ذكرها) وبالتالي لم يعد للشراكسة أي نوع من العلاقات المستقلة مع العالم الخارجي.

وكذلك لم يكن لهم أي نوع من الانشطة التجارية لأن انتاجهم الصناعي أو الزراعي أو الحيواني كان تستولي عليه الحكومة الشيوعية بعد تخصيص نسبة ضئيلة من إنتاجهم للسكان الشراكسة وغيرهم من القوميات القوقازية الاخرى.

الحقيقة التاسعة

وفي عهد روسيا الاتحادية ابتداء من العقد التاسع من القرن الماضي سمحت السلطات الفيدرالية الروسية بأنشطة تجارية محدودة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

في جمهورية كباردينا – بلقاريا: نشطت الحركة التجارية والاقتصادية مع باقي الجمهوريات في روسيا الاتحادية، كما أصبح لها علاقات تجارية خارجية، وانفتحت على العالم الخارجي، وأصبحت لها علاقات تجارية مع بعض الدول الأوروبية والعربية بعد تأسيس شركات قطاع خاص.

وأما الانشطة التجارية الخارجية لجمهورية (الأديغية): فتعتبر اكثر تطورا من أنشطة جمهورية (كباردينا) حيث توطدت العلاقات الصناعية والتجارية مع القطاع الخاص في كل من فرنسا، وإيطاليا، وتركيا، والتشيك، وسوريا، والأردن، كما توسعت مجالات الاستثمار في الصناعة والتجارة مع النمو المتزايد في عمليات الخصخصة حتى اصبحت تشكل ٦١% من ناتج الاقتصاد القومي فيها وأن نسبة شركات القطاع الخاص بلغت ٥١% و ٤٩% لشركات القطاع العام.

وأما بالنسبة لجمهورية تشركيس – قراشاي وجمهورية الابخاز، كانت التجارة في هاتين الجمهوريتين مقصورة على التبادل التجاري مع جمهوريات روسيا الاتحادية المجاورة لهما [٧].

يتساءل بعض الكتاب باستغراب "لم لا يوجد بين الشراكسة تجار بأعداد كبيرة، وان هذا التساؤل يطرح بشكل دائم في بلاد المهجر، حيث قدم لنا "أبو درويش" مجموعة من الاسباب التي تمنع من الشركسي أن يكون تاجرا ومنها:

- التقاليد المتعلقة بعلاقة الاكبر سنا مع الاصغر سنا وهي العلاقة التي تؤثر سلبا على نفسية الاجيال الجديدة في التعامل مع طبقات الشعب... بينما التجارة قائمة اصلا على التعامل مع الجميع كبارا وصغارا، وهذا ما لا تتقنه الاجيال الجديدة.
- طبيعة التربية الشركسية التي تفرض الطاعة للآخرين وتفرز جيلا نشأ على الخجل وان الرجل الخجول لا يستطيع اقناع (الزبون) الذي يحتاج إلى مسايرة (ولف ودوران) واقناع كل حسب عقليته حيث اكد (ابو درويش) كلامه بقوله: "اذا فتخلفهم في الميدان التجاري هو شيء طبيعي فرضته عليهم طبيعة المكان والتربية واسلوب الحياة" مؤكدا بأن الشركسي يبرز في الاعمال التي تنسجم مع شخصيته فهو قدير في الاعمال اليدوية، وماهر فيها، ويتقنها ويجيدها، اذ هي اكثر ما تحتاج إلى الذكاء الذي لا ينقص الجركسي، وإلى التقيد بتعليمات الخبير. وهو ايضا اكثر بروزا في الأعمال الادارية والعسكرية، وأي عمل يتطلب الطاعة والتضحية [٨].

نستنتج من تحليلنا للبعد التجاري لحضارة الأمة الشركسية بأنهم منذ عصر الأجداد في فجر التاريخ مارسوا التجارة واتقنوها، وتفوقوا فيها لآلاف السنين، وان علاقاتهم التجارية امتدت إلى أوروبا وآسيا وأن حجم تجارتهم وصلت إلى ملايين

الروبلات وأن عدد السفن التجارية التي كانت ترسو في موانئ البحر الأسود زادت على (٩٠٠) باخرة في السنة الواحدة.

أما اليوم فإن شراكسة الوطن الأم عامة وشراكسة الشتات خاصة نجدهم بعيدين كل البعد عن حقل التجارة والأعمال التجارية الحرة.

وأن المجتمعات الشركسية في الدول العربية منها وغير العربية من دول الشتات اليوم يقبلون على مهنة التجارة وأن المقولة الشائعة بين الأجيال الشركسية المعاصرة بأن "الشركسي لا يصلح للتجارة" وانه لم يخلق لمهنة التجارة حتى أن أحد كتاب المهجر وهو (أبو درويش) أكد هذه المقولة بقوله "الجركسي ليس تاجرا" وان بعض الناس يتندرون عن الجراكسة في ذلك [٨].

وأما (خورما) وهو من رجال الأعمال والتجارة الشراكسة في الأردن، كتب لنا مقالا في (مجلة نارت) الشركسية الأردنية **بعنوان (كلمة بالصوت العالي) الشركسي ليس تاجرا قال فيها:**

"اذا حاول أحدنا الحديث عن التجارة أو العمل التجاري مع أبناء هذا المجتمع الطيب، وقبل أن يبدأ الحوار يأتيك الجواب: **لا فنحن لسنا تجارا وليس بيننا تاجر ولا يمكن أن نكون، فالتجارة شطارة ونحن لسنا كذلك**".

ويستطرد قائلا: ولا يستغربن أحدكم (قولي لا بالصوت العالي) ايها الاخوة والاخوات كما تعرفون على العكس من ذلك فنحن قادرون ومؤهلون وراغبون للقيام بأي عمل كان، لأننا نتحلى بالجدية، والتفاني، والاخلاص، ونتحاشى الكذب والتحايل والاساءة، وهي كلها مع كثير غيرها من صفات يجب ان تتوفر في رجل التجارة، وما ينقصنا هو روح المغامرة التي نخافها، وقد ورثناها عن ابنائنا واجدادنا، بعد ان اطاحت بهم مغامرات الاجداد، والقت بهم في جحيم التهجير والابعاد فكان من نتائج ذلك الفقر، والجوع، والمرض الذي قاسى منه الجميع،

وأصبح يقينهم يمنعهم من الاقدام على أي عمل ليس فيه ضمان أكيد لحياتهم ومستقبلهم.

ويؤكد بأن ذلك اصبح من الماضي وعلينا ان نقفز فوق هذا الوهم وبخاصة أننا نعيش اليوم عالما تسوده المعرفة، والمعلومة، والمغامرة المحسوبة، التي لا بد منها للعمل والنجاح والابداع والتقدم وبناء مستقبل الاجيال القادمة، وهذا ما ندعو إليه.

وضرب لنا مثلا حول نجاح مجموعة من رجال الأعمال الشراكسة في الشتات تنفيذ مشاريع تجارية واستثمارية في الوطن الأم [٩].

واعتقد بأن ما ذهب إليه كل من (أبو دردش، وخورما) من اسباب وتبريرات، يمكن أن تنطبق على (البائع) او (تاجر البقالة) لأن هذه المهنة تتطلب شخصيته غير الشخصية الشركسية التي تربى على الاستقامة والصدق والأمانة.

اما مهنة التجارة العامة او المعاملات التجارية وغيرها من الاعمال الاستثمارية فأعتقد بأن الإنسان الشركسي مهيأ لها ويمكن ان ينجح فيها نجاحا كبيرا إن تهيئت له الفرص مع توفر المال اللازم للقيام بمثل هذه الأعمال التجارية.

مراجع ومصادر الفصل الثالث من الجزء الأول في المجلد الثاني

١) آبة زاو، محمد جمال صادق، **موسوعة تاريخ الشراكسة والقفقاس**، مصدر سابق، ص: ٢٧٦-٢٧٧.
٢) المصدر نفسه، ص: ٢٧٤ – ٢٧٥.
3) Ivan Golovin – The Caucasus, London 1854,
٤) قاسوم، علي وحسن، **ابادة الشراكسة**، مصدر سابق، ص: ٥٧.
٥) المصدر نفسه، ص: ٨٥.
٦) المصدر نفسه، ص: ٩٠.
٧) **دليل اهلنا ... للتواصل والمحبة**، الجمعية الخيرية الشركسية، صويلح – الأردن ٢٠٠٦، ص: ٣٠-٣٥.
٨) ابو درويش، مصطفى، **التربية الشركسية**، مصدر سابق، ص: ٦٩-٧١.
٩) خورما، حسن، **كلمة بالصوت العالي (الشركسي ليس تاجرا)** مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٧٢) تشرين الثاني ١٩٩٩، ص:٢.

الجزء الثاني

دور النظم السياسية والاجتماعية والقضائية في بناء حضارة الأمة الشركسية

الفصل الأول

البعد الديمقراطي لحضارة الأمة الشركسية

تمهيد:

يقول ميخائيل لاخنسكي مؤلف الرواية التاريخية "دوي الرعد" فكرت بكل الأمور وتساءلت ألا تبدو الحرية التي يحياها الشركس مغرية جدا وتشكل خطرا على استمرارية الحكم الدكتاتوري للقياصرة الروس، كما أن معظم المؤرخين يؤكدون هذا الفارق الحضاري من حيث تمتع الشركس بالحرية والديمقراطية، وأنها كانت من أهم الأسباب لدى القياصرة لشن حرب الإبادة على شعوب شمال القفقاس.*

كما يقول المؤرخ (لوليه) في دراسته عن أنظمة المجتمعات القفقاسية عامة والشراكسة خاصة بأن قيادة المجتمع لا تحتاج إلى رأس وأن السلطة التشريعية والتنفيذية تبدأ من الشعب وأن المسؤولين الذين يتم اختيارهم لحل المسائل الاجتماعية في المجتمع الشركسي لهم حق النصح والتوجيه فقط، ولا يحق لهم فرض القوانين، وانما يعملون على تنفيذها، ولم يعرفوا الاعدام ولا التعذيب ولم يكن عندهم سجن، ولا سرقة أو نهب بينهم أبدا، والسبب الذي يعيق (الشركس) عن الأخذ بكل قوانين الشريعة الاسلامية هو ان بعضها يتسم بالقسوة تتعارض مع حبهم وتقديسهم للحرية.(١)*

* لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب "دوي الرعد" لميخائيل لاخفنسكي.

* قوائم ومراجع ومصادر هذا الفصل، ملحق في نهاية الفصل الرابع من هذا الجزء.

وقال أيضا:

"يجب الاعتراف أيضا أنهم حريصون كل الحرص على مبادئ العدالة والحرية المطلقة في ظل سيادة القانون، والأمن، والنظام، وصرفت من عمري ثلاثين عاما وأنا أتجول في هذه البلاد.. ولم يحدث لي أن تشاجرت مع إنسان، ولم يُسلب مالي أو تُنهب بضائعي.[**]

وربما كان كارل ماركس فيلسوف الاشتراكية في العالم، سبق أن كتب في جريدة نيويورك تايمز الأمريكية عباراته الشهيرة ونصها:

"**أيها العالم، ايتها الانسانية تعلموا معنى الحرية من الشراكسة، وانظروا ماذا يستطيع شعب يطلب الحرية أن يعمل، وشاهدوا البطولات التي قدمها هذا الشعب مع قلة قدراته، من أجل الحفاظ على حريته، فعليكم أن تأخذوا العبر منهم**".

وكذلك فإن المؤرخ العربي المسعودي يؤكد بأن الخصائص الحضارية التي تتحلى بها الشعوب (الشركسية) **وهي حبها العظيم للحرية وايمانها العميق بالديمقراطية وقد غاب هذا الفهم عن المؤرخين المحدثين ففسروا حبها للحرية وتمسكها بالاستقلالية فوصفوها بكثرة المنازعات على السلطة.**

واما (نغموقة) فيؤكد بأن "حكم الاشراف هو الحكم الذي كان سائدا عندهم، وكان موافقا لطبائعهم وأخلاقهم خصوصا، وأن مركز الحكم لم يكن يوما ما منحصرا في (زيد دون عمرو). وكانوا يتخيرون لهذا المركز من فاق أقرانه من الأشراف بأخلاقه الفاضلة وعلمه الغزير وما إلى ذلك من المؤهلات السامية. وإن رأوا اعوجاجا او نقصا فيه نزعوها منه وولوا عليهم غيره ممن تتوفر فيه الشروط المطلوبة".

[**] انظر كتاب انظمة المجتمعات القفقاسية (الشراكسة من قبيلة الشابسوغ) لمؤلفه ب. لوليه.

وتأكيدا لذلك تقول احدى الروايات بأن احد الامراء في بلاد القبردي جرد من صلاحياته وسلطاته، لتماديه في استغلاله لسلطاته، اذ قام بالاستيلاء على قطعان من الماشية تعود للفلاحين. *

فالمجتمعات (الاديغة) لم تكن مجتمعات (فوضوية) بل كانت محكومة بجملة من القوانين الاخلاقية الصارمة، يعاقب الخارج عليها أشد العقاب. والصغير يحترم الاكبر منه سنا، والكل يحترم الكبار في السن. والشعب كله يحترم الحاكم أو الزعيم ويطيعه في كل ما يفعل او يأمر، ما دام ملتزما بالقوانين، ويطبق مبادئ العدل والمساواة بين رعيته، فإذا خرج على القوانين وحابى المتنفذين او الاقوياء. اقالوه وانتخبوا غيره ليتولى الحكم.

فالحكم الدستوري كان معمولا به عند الجراكسة من قديم الزمان قبل أن تُعرف المجالس النيابية الحالية بآلاف السنين كما كان التشاور قبل اصدار الأحكام من تقاليدهم قبل ظهور الاسلام بزمن بعيد.

نستنتج مما تقدم بأن الامة الشركسية، أمة تؤمن بالحرية المطلقة، وانها اساس لحياتهم، وان العدالة اسلوبهم في التعامل، والديمقراطية نهجهم في اتخاذ قراراتهم.

وبالبحث عن مفهوم الديمقراطية لدى الشراكسة منذ عهد الاجداد في عصور التاريخ، وجدنا أنها تتكون من اربعة مبادئ ديمقراطية وهي:

المبدأ الاول: الشعب هو مصدر السلطات.

المبدأ الثاني: المجالس الشعبية هي مصدر القوانين والانظمة والعادات والاعراف والتقاليد.

المبدأ الثالث: حرية التعبير والجرأة في القول هو اسلوب حياة عند الشراكسة عامة.

* نغموقة، شورا بكمرزة، تاريخ القفقاس، مصدر سابق.

المبدأ الرابع: حرية اختيار أو انتخاب رؤسائهم وزعمائهم او اقالتهم وتنحيتهم عن الحكم.

المبدأ الخامس: ديمقراطية الامراء (البشى) والرؤساء (التحمادات) في تعاملهم مع مختلف طبقات وفئات الشعب عامة.

وفيما يلي تحليل لمراحل نشأة وتطور الديمقراطية عند اجداد الشراكسة.

المبدأ الديمقراطي الاول عند الشراكسة : الشعب هو مصدر السلطات

بالرجوع إلى المصادر التاريخية التي بحثت في مفهوم السلطة ومصادرها لدى الأمة الشركسية منذ عهد سلطة الام في العصر الحجري الاول توصلنا بأنها مرت بخمس مراحل وهي:

المرحلة الاولى: وهي المرحلة التي بدأ فيها مفهوم السلطة، وانه بدأ في عصر سلطة الام حيث اشارت الدراسة بأن مفهوم السلطة بدأ أول ما بدأ لدى التجمعات البشرية في العصر الحجري الاوسط (ميزوليت) وأن أول سلطة في التاريخ هي سلطة الام وهي التي كانت تصدر الاوامر، وتتخذ القرارات لتنظيم الافراد والاسرة والعشيرة على اعتبار بأن السلطة كانت بين (المرأة عامة والأم خاصة) ثم تطورت إلى ما يعرف (بالنظام الاسري) وتكونت العائلات، واصبح المجتمع القديم يتكون من قبائل وعشائر، ثم تطور مفهوم النظام الاسري، إلى مفهوم (مجلس الامهات) أو (مجلس السيدات القائدات) وهو المجلس الذي كان يتخذ القرارات الهامة والمتعلقة بالعشيرة او القبيلة، كما كان لهذا المجلس سلطة وضع قواعد (الخابزة) وهي مجموعة العادات والاعراف التي تنظم الحياة الاجتماعية والعلاقات بين افراد القبيلة او العشيرة الواحدة، كما ظهر ايضا في هذه المرحلة عند قدماء الشراكسة مفهوم (الالهة) واطلقوا عليهم (تواتم) ومفردها (توتم) وهو أول وجود لمفهوم (الآلهة) أو (الربائب). كما ظهر معها مفهوم الكهنة والعرافين الذين كانوا يشرفون على تنفيذ

مجموعة الانظمة او القرارات او العادات التي يتخذها (مجلس الامهات) كما كان كبار السن من الجنسين يقومون بتنفيذ ما تم اقراره من قبل هذا المجلس.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي تحولت فيها السلطة إلى (الاب) منذ العصر النحاسي البرونزي وبدايات عصر المعادن، وفيها تحولت السيطرة من (الام) إلى (الاب).

وتولي الرجل زمام الامور، واصبح هو مصدر القرارات في الأسرة كما اصبح شيخ العشيرة، هو مصدر السلطة داخل العشيرة او القبيلة كما ان مجلس الاباء تولى مهام سن الانظمة الاجتماعية والادارية التي كانت تنظم العلاقات داخل العشيرة او القبيلة الواحدة، كما ظهر في وقت لاحق (مجلس) يمكن تسميته بمجلس (الشعب) وهو المجلس الذي كان يتشكل من مجموع زعماء القبائل والعشائر ذات القومية الواحدة بالإضافة إلى مشاركة الكنهة وكبار السن من ذوي المكانة الاجتماعية[٢].

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة نشوء الدولة او الدويلات

ففي هذه المرحلة تشكلت حكومات تضم عدداً من القبائل الشركسية القديمة مثل: قبائل (السيند، والزيخ، والكاسوغ، والكركت)

وتطور مفهوم السلطة وتعددت مصادرها من مجلس الامهات إلى مجلس الآباء ثم إلى (مجلس رؤساء الدويلات) أو الامارات التي كانت تشكل الدولة او الاتحاد، وكان من صلاحيات هذا المجلس الاعداد للحرب واعلانها، كما ظهر في هذه المرحلة نظام (اللقاءات الشعبية) التي كانت تختص بإصدار وسن مختلف التشريعات من قوانين وانظمة وتقاليد اجتماعية .. الخ، وكان مسموحا لكل البالغين والبالغات في القبيلة الواحدة حضور مثل هذه اللقاءات، والمشاركة فيها، وابداء الرأي في كل صغيرة وكبيرة، والتحاور في قضايا الحكم والحرب بأسلوب ديمقراطي يتساوى فيه كل المواطنين، فقيرهم قبل غنيهم وكبيرهم مع صغيرهم.

المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التي ظهرت فيها القبائل والتجمعات الشركسية ابتداء من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن الثامن عشر الميلادي.

ففي القرن الرابع الميلادي وبعد تفكك الدول، والدويلات، واتحاداتها الشركسية، تكونت قبائل عديدة بلغت اكثر من (١٨) قبيلة وتحول زعماء هذه القبائل ورؤساء التجمعات الشركسية إلى امراء ونبلاء (بشى وتحمادة)، وتعددت الطبقات الشعبية، وتأصلت جذور النظام الطبقي بعد ان تعددت الملكية الفردية وظهرت طبقة التابعين للأمير (البشل) إلى جانب ظهور الاحرار والفلاحين والخدم (ونه ؤت) كما تأصل هذا النظام بتأثير من النظام الاقطاعي الذي نشأ في اوروبا في العصور الوسطى، ونتج عن ذلك ظهور نوعين من نظام الحكم في بلاد الشراكسة الأول: **هو نظام الامراء الوراثي** والثاني: **هو نظام حكم الشعب، وعرف بنظام المساواة أو النظام القفقاسي في الحكم**[٣]، ومهما اختلف اسلوب النظامين فإن مصادر السلطة كان واحداً تقريبا، وكان الاختلاف الوحيد فيهما هو اختيار الرؤساء (التحمادات) أو الامراء (البشى) ما بين تعيين، وانتخاب، او توريث. وكان من أهم **مصادر السلطة في هذه المرحلة هي:**

المصدر الاول: هم كبار السن في الاسرة او العشيرة الواحدة، من الأجداد أو الأباء او من أعيان القبيلة وحكمائها. وهي السلطة المعروفة حتى يومنا الحاضر في المجتمعات الشركسية بمعنى (نخج) أو (نخجاغة) أي الرئاسة بحكم السن.

المصدر الثاني: هم النبلاء وشكلوا مصدر قوة مساندة لقوة سلطة الأمراء، وكان لهم أكثر من دور كسلطة مساندة مثل:

- المشاركة مع الحكام من أمراء (بشى) أو رؤساء (تحمادات) في تنفيذ القرارات والأحكام التي كانت تصدرها مجالس الشعب في القبيلة أو مجموع القبائل المتحدة.

- إعداد مشاريع التشريعات أو القرارات التي كانت تعرض على مجالس الشيوخ للبحث فيها قبل عرضها على مجلس الشعب.
- المشاركة في اعمال مجلس النبلاء الذين كان لهم اكثر من مهمة، منها دعم ومساندة الامراء بالقيام في استقطاب واستمالة المشاركين في الاجتماعات، او المؤتمرات، او المجالس، للوقوف إلى جانب الامراء، وتأييد مقترحاتهم في المسائل والقضايا التي يطرحونها على المجالس المختلفة والتصويت إلى جانبها[٤].

المصدر الثالث: هم الزعماء او الرؤساء (التحمادة) والأمراء (البشى)

وهم أعلى مرتبة في سلم النظام الطبقي في الحكم لدى الشراكسة، وكذلك هم حماة الشعب، وكانت لهم مكانة كبيرة في المجتمعات الشركسية في تلك العصور، كما كان افراد الشعب يفتدونهم بالمال والنفس اذا اقتضى الأمر.

وبالرغم من علو مكانتهم وقدسيتهم بصفتهم (حماة الشعب) كانوا يعاشرون بقية طبقات الشعب ويعاملونهم على قدم المساواة، ويأخذونهم باللين واللطف، دون أن يظهروا في حديثهم أو معاملتهم كبرياء أو غطرسة.

كما كان الأمير مهما علا شأنه يسكن بيتا لا يختلف كثيرا عن بيوت عامة الشعب والنبلاء، وطعامه لا يختلف عن طعام غيره، وكان للتابعين من (البشل) الحق في الدخول على بيت أو مجلس اميره في أي وقت أراد، ويشاركه في طعامه وشرابه اذا شاء ذلك.

وكذلك وبالرغم من كون الامير الحاكم الآمر والناهي في قبيلته فإنه لم يكن يملك املاكا واموالا كثيرة وبعضهم لم يملك ما يكفيه لسد حاجاته الضرورية وفي مثل هذه الحالة كان يحصل على ما يحتاجه من الاموال والحاجيات الضرورية من أتباعه دون مقابل. وفي نفس الوقت لم يكن الامير يبخل على اتباعه بشيء، فإذا رأى التابع مثلا عند (سيده) كسوة أو ملابس جميلة او سلاحا جديدا فله أن يطلبها

لنفسه، وكان الامير لا يرد طلبه او يبخل عليه بشيء مهما غلا ثمنه، لذلك كان الامراء يرتدون أبسط ما لديهم من الملابس فيضطرون إلى الظهور بملابس وهيئة لا تمكن من التمييز بين الأمير والنبيل او الرجل العبد، وكثيرا ما كان يلتبس على عامة الناس ويظنون النبيل أميرا والامير رجلا عاديا لبساطة ما كانوا يلبسونه.

وبالرغم من محدودية ثروة الامراء وتواضع ممتلكاتهم الشخصية، وبالرغم من عدم تقاضيهم اية رواتب شهرية من اية جهة، فإن التاريخ الشركسي لم يسجل إن قام أمير من الأمراء، او زعيم من زعمائهم قديما أو حديثا باستغلال سلطته في الحكم وحصوله على اموال أو املاك او أية منافع شخصية، غير ما كان يقدم لهم من النبلاء ورجال الورق وغيرهم من أعيان واغنياء القبيلة من اموال او حاجيات ولوازم عينية وبمعرفة الجميع وعن طيب خاطر.

ربما المصدر المالي الرسمي الوحيد الذي كان من حق الامير الحصول منه على بعض الاموال، هو الجزء الذي كان يقتطع من الغرامات المالية التي كان يفرضها الامراء على الخارجين عن القوانين أو (الخابزة) وعلى من كان يثبت عليهم الجرم ويدانون رسميا من قبل الامير مباشرة [٥].

السلطات التي كان يتمتع بها الامراء وهي:

- الاشراف على تنفيذ قرارات واحكام المجالس الشعبية ويتم ذلك من خلال النبلاء واتباعهم.
- القيام بمهام القضاة وممارسة عملهم كقضاة وقيامهم بالفصل في المنازعات ما بين فئات الشعب المختلفة بما فيهم النبلاء انفسهم. ومن عامة الشعب من فلاحين وتابعين او خدم... الخ.
- متابعة تطبيق الانظمة والقوانين والعادات والاعراف وفق (الاديغة خابزة).
- رئاسة المجالس الشعبية وادارة جلساتها وتقديم مشاريع القرارات لها [٦].

وذكر (دانيليفسكي) عام ١٨٤٧ بأن (الامراء – البشى) في قبائل البجدوغ والقبارطي والكيميرغوي والحاتوقي كانوا ينصبون انفسهم كقضاة للفصل في قضايا شعوبهم، وكان بيدهم حق إعلان الحرب وإقرار السلم واتخاذ القرارات الأخرى الهامة".

كما اكد بأن (البشى) كان أعلى درجة من النبلاء عند الشراكسة، واما عن ادوارهم الحقيقية ووظيفتهم فكانت تختلف من قبيلة إلى اخرى، ليس فقط بين قبائل القبرطاي، بل ايضا بين (بيسليني، والبجادوغ، والاوبيخ، والابخاز) وكانت هذه الوظائف اقل وضوحا عند (الابزاخ والشابسوغ) [٧].

المصدر الرابع: وهو مجالس الشيوخ، تتكون من كبار السن من الاعيان والاغنياء والملاكين وتعد مجالس استشارية تقوم بمناقشة اقتراحات الامراء وحكام البلاد فإذا حازت على تأييد غالبية اعضاء مجلس الشيوخ كانت تحال إلى مجلس النبلاء لبحثها في اجتماع مشترك مع اعضاء مجلس الشيوخ، حيث يتم رفع ما يتم الاتفاق عليه إلى (مجلس الشعب) لاتخاذ القرارات التي يوافق عليها.

المصدر الخامس: هو مجلس النبلاء كمصدر مساند للسلطة التنفيذية التشريعية

وهو المجلس الذي كان يتكون من النبلاء التابعين للأمير (البشى) في القبيلة او القبائل المتحدة، وكانوا يستمدون سلطاتهم من سلطات الامراء (كما سبق ذكره) في البند الثاني.

المصدر السادس: وهو مجلس الشعب:

وكان يعتبر اعلى سلطة تشريعية لدى الامة الشركسية في الوطن الام حتى القرن الثامن عشر الميلادي، ويشارك في اجتماعاته ممثلو جميع طبقات، وفئات الشعب في القبيلة التي يعقد فيها جلسات المجلس، جنبا إلى جنب مع الامراء والنبلاء والاعيان، **وكان من اهم صلاحيات وسلطات مجالس الشعب هي:**

- انتخاب القادة العسكريين وغيرهم من القادة الامنيين.

- انتخاب (البشى) او (التحمادة) في النظام الشركسي القفقاسي (نظام المساواة) والذي كان معمولا به لدى القبائل في منطقة الكوبان مثل الشابسوغ والابزاخ.
- سن التشريعات واصدار قوانين وانظمة واعراف من عادات وتقاليد وتعديلها او تغييرها.

كما كان لهذا المجلس حق قبول أو رفض للقرارات التي تصدر عن المجالس الأخرى، وأي قرار يصدر عنه ولو كان قرارا شفويا تصبح له قوة القانون ويلتزم بتنفيذها الافراد والجماعات والمؤسسات دون اعتراض او تباطؤ.[٨]

المرحلة الخامسة: وهي المرحلة التي تحولت فيها السلطات إلى مجلس الاعيان (أو المجلس القومي العالي).

يلاحظ بأن (مجالس الشعب) التي كانت مصدر السلطات، حتى القرن الثامن عشر تحولت في القرن (التاسع عشر) إلى مجالس للأعيان أو (المجلس القومي الاعلى) بعد أن توحدت القبائل الشركسية ونقلا عن (الجوقة يقوة توفيق) بأن هذا المجلس كان يتكون من ممثلي الدوائر المتألفة منها القبيلة، بمعنى أن كل دائرة ترسل نائبها المنتخب ليمثلها في المجلس، ويشترط فيه أن يكون من (الورق) ومن (طبقة الشيوخ) حتى يعطى له حق المشاركة في مداولات المجلس. وفي أول اجتماع له ينتخب الحاضرون من بينهم رئيسا للمجلس بعد الاستئناس بآراء (العلماء) وأمير القبيلة والامراء الآخرين (اللقوة لاش) وبعد استيفاء المناقشة يتداولون فيما بينهم ويصدرون قراراتهم الفاصلة بأغلبية الاصوات ويعلنونها على الأهالي بعد التصديق عليها من أمير القبيلة ويبدأون بتنفيذها.

أما قرارات (اعلان الحرب) فكانت تعلن أولا على (الأهالي) مع بيان الأسباب التي دعت للجوء إليها حتى اذا ما قبلوها تعلن الحرب. [٩]

وكانت الاعراف والتقاليد تقضي بانتخاب (بشى جديد) في حال خلوه لأي سبب من الأسباب، ويتم الانتخاب من قبل (المجلس القومي العالي) وكان يشترط فيمن يرشح للرئاسة أو الامارة أن يكون متصفا، بالعقل الراجح، والفكر الثاقب، شجاعا مقداما، لا يهاب الكوارث، متمسكا بالتقاليد القومية، محافظا عليها، عاملا على تنفيذها ورعايتها.

فإذا توفرت هذه المزايا في الأمير المرشح فينتخبه المجلس القومي رئيسا وحاكما على القبيلة مدى الحياة وتسند إليه القيادة العامة في الحروب.

ومن البرتوكولات المتبعة بعد انتخاب امير جديد هو اتباع الاجراءات والمراسم التالية:

١- يؤدي (البشى الجديد) يمين الإخلاص للقبيلة أمام المجلس العالي ويتعهد بأن يبتعد عن الظلم والاستبداد، ويقيم العدل بالقسط بين الناس، ويواصل العمل لما فيه المنفعة العامة للقبيلة وفائدتها، وأن ينفذ قرارات المجلس الأعلى، كلما اجتمع واصدر قرارا، ويحافظ على التقاليد القومية (اديغة خابزة) ويحترمها وينفذها.

٢- يطلب (رئيس المجلس) من جميع الامراء الحاضرين (لقوه لش) ان يؤدوا بدورهم يمين الاخلاص والولاء (للبشى الجديد) وأن يعاونوه ويساعدوه في الحروب والملمات، وأن يكونوا اعوانه فيما يعلي شأنه ويعظم قدره، وأن يخلصوا له النصح والارشاد، وأن يكونوا جميعا يدا واحدة فيما يعود عليهم وعلى قبيلتهم وعشيرتهم بالفلاح والنجاح.

٣- يختار الرئيس الجديد ثمانية أو عشرة أمراء ليصبحوا حاشيته ويقسمون اليمين ليكونوا صادقين في قولهم مخلصين في عملهم، وأن يؤدوا ما يعهد إليهم من الاعمال والخدمات بكل اخلاص وجدية.

٤- بعد إتمام المراسم السابقة يعلن رسميا اسم الرئيس الجديد وأسماء الأمراء الذين اصبحوا ضمن حاشيته، ويبلغ ذلك بصفة رسمية لباقي القبائل المجاورة.

٥- تبدأ مراسم الاحتفالات القومية ويتقبل البشى الكبير الهدايا من الأمراء والأعيان [١٠].

المرحلة السادسة: وهي المرحلة التي انتقلت فيها السلطات إلى ممثلي الشعب المنتخبين مباشرة من عامة الناس في مختلف القبائل الشركسية

بدأت هذه المرحلة على إثر ظهور حدثين رئيسين في منتصف القرن الثامن عشر هما:

- **الحدث الاول:** هو قيام انتفاضة وثورة شعبية على الطبقة الاقطاعية في المجتمعات الشركسية.
- **والحدث الثاني:** تطور حرب الاستقلال الوطني ضد روسيا القيصيرية والتي بدأت منذ منتصف القرن السادس عشر، حيث تضاعفت الهجمات الوحشية والهمجية التي كانت تشنها القوات الروسية القيصيرية، بمعاونة المرتزقة من القوزاق على القرى الشركسية في كل انحاء شمال قفقاسيا في الكوبان. وحوض الترك وفي شرق وغرب البلاد.[١١]

ولتوضيح مدى تأثير الحادثين السابقين على طبيعة مصادر السلطات لدى الأمة الشركسية كان لا بد من اعطاء فكرة موجزة عن كل منهما

فالحدث الاول بدأ عام ١٧٦٧ عندما قام حوالي عشرة الاف قروي بثورة ضد زعماء وامراء القبرطاي.

وفي الفترة ما بين ١٧٩٠-١٨١٠ قامت ثورات شعبية اخرى ضد جميع الامراء والنبلاء في جميع القبائل الشركسية الاثنتي عشرة [١٢]. وتحولت بعضها

إلى حرب اهلية، استمرت حوالي عشرين عاما كما حدث في بعض القبائل مثل قبيلة الابزاخ التي انتهت بطرد الامراء والنبلاء وتجريدهم من سلطاتهم واماراتهم.

وأما شعب الشابسوغ فقام بتجريد امرائه ونبلائه من سلطاتهم بطريقة سلمية وبدون اراقة دماء(١٣).

تلك هي الأحداث التي كان لها تأثير كبير ومباشر على تغيير مصدر السلطات التشريعية والتنفيذية لدى الأمة الشركسية في الوطن الام في قفقاسيا الشمالية بالإضافة إلى طبيعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية الجديدة التي اوجدتها المعارك والحروب التي دمرت القرى، واحرقت المزارع وقضت على الثروة الزراعية والحيوانية، وأتلفت البنية التحتية من طرق وجسور ومصادر مياه وغابات، اضطر معها الشراكسة إلى اللجوء إلى الجبال والعيش داخل الادغال والغابات، ولم يعد لدى الشراكسة مؤسسات مجتمع مدني، ولا حياة اجتماعية منتظمة، حيث أصبح من المستحيل عقد مجالس الشعب أو التجمعات واللقاءات الشعبية بشكل منتظم. واصبح لزاماً على القادة الشعبيين لدى مختلف القبائل الشركسية في مثل هذه الظروف غير الطبيعية ايجاد مصادر بديلة لممارسة سلطاتهم واتخاذ القرارات المصيرية التي كانت تتخذها المجالس القومية او الوطنية او المجالس الشعبية التي كانت قائمة قبل الانتفاضة الشعبية اولا، وقبل تطور مجريات الحرب مع جيوش الروس القياصرة ثانيا، فأصبح المصدر البديل الوحيد الممكن توفيره هي الاجتماعات الشعبية او المؤتمرات الطارئة التي كان يدعى لحضورها جميع الشراكسة البالغين في كل قبيلة.

المرحلة السادسة: وهي المرحلة التي اصبحت فيها الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية بديلة عن المجالس القومية:

عقدت خلال هذه المرحلة التي ابتدأت منذ عام ١٨٢٦ وحتى انتهاء حرب الاستقلال وقيام روسيا القيصرية باحتلال الوطن الام في قفقاسيا الشمالية اعتبارا من ١٨٦٤/٥/٢١ عشرات المؤتمرات والاجتماعات نذكر منها الاجتماعات التالية:

اولا: اجتماعات عقدت في عقدي العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر وبالتحديد ما بين الأعوام (١٨٢٦ – ١٨٣٩)

وكان اول اجتماع هو الاجتماع الجماهيري الكبير الذي عقد عام (١٨٢٦) أعلن فيه قادة وزعماء الشراكسة وبتأييد من المحاربين والفلاحين رغبتهم في العيش بسلام مع الروس شريطة التزام الروس بعدم القيام بأية اعمال معادية للشراكسة [١٤].

والاجتماع التالي عقد عام (١٨٣٠) وهو الاجتماع الجماهيري الكبير الذي دعا إليه زعماء وقادة الشابسوغ والناتخوج في تشرين الاول من عام ١٨٣٠ وحصلت فيها مشادات كلامية حادة بين قادة مؤيدي تبعية (تركيا) وأنصار العيش مع (الروس) بسلام، وبالرغم من توجه رأي اغلبية القادة قبول التبعية الروسية، إلا أن ممثلي الفلاحين الحاضرين للاجتماع رفضوا رأي الاغلبية من القادة، ولم يتم اتخاذ قرار نهائي لتحديد التبعية لأي من الدولتين (الروسية منها أم التركية) [١٥].

اجتماع عام (١٨٣١) وتقرر فيه إرسال وفد برئاسة (صفر بك) لطلب المساعدة من السلطان العثماني.

واجتماع عام ١٨٣٣ وتم فيه اختيار اعضاء الوفد الرسمي المكلف للسفر إلى استانبول لمعرفة الموقف التركي النهائي من الصراع الشركسي الروسي.

وفي حزيران ١٨٣٦ عقد الاجتماع الجماهيري الكبير الذي دعى إليه زعماء الشابسوغ والناتخوج لمناقشة اسس وشروط محادثات السلام مع روسيا.. وكذلك الاطلاع على الاعلان المنشور في مجلة Portfolio باسم كل من ملك انجلترا ومحمد علي الكبير وسلطان تركيا، والذي تضمن استقلال شركسيا عن روسيا، كما قاموا بالايحاء بأن نجاة الشراكسة هو في اتحادهم، وإقامة حكومة شركسية مركزية(١٦).

وفي عام ١٨٣٨ عقد اجتماع شعبي آخر، حضره الابزاخ والشابسيغ والناتخواج لحل المسألة الرئيسية وهي: السماح بالتعامل مع الروس أم تطبيق القسم والعهد السابقين وبمعاقبة الخارجين عليه، وكان قد بادر الناتخواج عقد اجتماع خاص لتسوية الخلافات فيما بينهم، واتفقوا على قبول الخضوع لروسيا بشرط ان تقوم روسيا بإزالة القلاع والتحصينات من أراضيهم، والوعد بعدم إقامة قلاع أخرى في المستقبل، إلا أن رئاسة هذا الاجتماعات قررت عدم تطبيق هذا القرار حتى يتم عقد الاجتماع العام، وقد حاول أحد زعماء الناتخواج المدعو "بنزيم سووبوخ" اقناع الناس بعدم امكانية وصول مساعدة خارجية وأنه لا مفر من العيش مع الروس بسلام.

لم تكن شعوب ما وراء الكوبان تعرف حقيقة خفايا الصراع الدبلوماسي بين القوى الاوروبية، ولكن ومع مرور الوقت بدأ الشراكسة يدركون الوعود الكاذبة التي قدمتها كل من انكلترا وتركيا وفرنسا للشراكسة.

واختتم عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر بعقد المؤتمر الشعبي الكبير عام ١٨٣٩ واصدار البيان القومي الشركسي الموجه إلى دول العالم اجمع، تضمن بطلان وعدم قانونية (معاهدة ادرنه) التي تنازلت فيها تركيا عن بلاد الشركس لقياصرة الروس، كما تضمن تفاصيل اعتداءات الجيوش الروسية وسميت بوثيقة (الاستقلال) ووقعها جميع امراء الشراكسة المشاركين في المؤتمر (١٧).

ثانيا: الاجتماعات الجماهيرية التي عقدته في عقدي الاربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر وبالتحديد خلال الاعوام من ١٨٤١- وحتى عام ١٨٥٩.

الاجتماع الاول: وعقد عام ١٨٤١ بدعوة من قيادات الاوبيخ والابزاخ والشابسيغ والناتخواج تخللته محادثات جادة حول ضرورة تنظيم هجوم عام جديد على خط التحصينات الساحلي الروسي، وهو الاجتماع الجماهيري الحاشد الذي عقد على ضفة نهر (بشيحة) واتخذ فيه القرار التالي: (لا يجوز لأحد منا أن يذهب إلى الكفار وتكوين علاقات الصداقة معهم، ممنوع منعا باتا، وأن أي سلام أو اقتراحات من قبلهم يجب رفضها باستمرار، وفي حال دخول القوات الروسية إلى البلد فعلى كل واحد منا حمل السلاح والذهاب إلى حيث العدو الروسي (الخطر). [١٨]

الاجتماع الثاني: وهو الاجتماع الكبير الذي دعى إليه (صفر بك) لقادة الناتخوج وعقد في شهر ايار عام ١٨٥٦ على ضفاف نهر (أزيبب) وخطب فيه المندوبون العائدون من استانبول، وأوضحوا للمجتمعين بأن السلطان العثماني يرى بأن الشراكسة هم مواطنون تابعون للقيصر وليس للاتراك، ويمكن أن يقدم لهم الدعم إن هم اقسموا يمين الولاء للسلطان [١٩].

ثالثا: الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية التي عقدت خلال منتصف عقد الستينات من القرن التاسع عشر

وعقد خلال هذه الفترة اكثر من (٨) اجتماعات ومؤتمرات وأهمها هي التي عقدت خلال اعوام ١٨٦١ و ١٨٦٢ و ١٨٦٣ و ١٨٦٥ وعلى النحو التالي:

اجتماع عام ١٨٦١ وبدعوة من زعماء وقادة الشعوب الشركسية عامة وهو الاجتماع الكبير الذي عقد بمناسبة زيارة القيصر (الكسندر الثاني) لمنطقة الابزاخ، وخيب القيصر في هذا الاجتماع آمال المجتمعين عندما وجه كلامه للمجتمعين بقوله: عليكم الرضوخ لحكمي وإلا سترغمون على ذلك بالقوة، وكان رد المجتمعين وعلى لسان اثنين من الابزاخ هما (حاج يقو حازمزة) و (بشه تشي

بقوة) **فالأول وافق على رأي القيصر**، غير ان الناس الحاضرين لم يقبلوا بذلك، أما **الثاني فقد قبلوا بكلامه**، وبدأ الناس يتفرقون لكي يستعدوا للحرب.[٢٠]

الاجتماع الثاني: هو مؤتمر كبار الشراكسة والاوبيخ المنتخبين في ١٨٦١/٦/١٣ والذي تقرر فيه اقامة اتحاد شعوب ما وراء الكوبان وتأسيس المجلس الوطني، وانتخاب مجلس يمثل (الحكومة المركزية) من ١٥ شخصية وكان من صلاحية هذه الحكومة الدعوة للتعبئة العامة وإعلان الجهاد المقدس في أي وقت تراه مناسبا.

واعتمد في هذا الاجتماع، العلم الوطني الشركسي رمز وحدة واخوة شعوب ما وراء الكوبان، وهو العلم المصنوع من الحرير الاخضر عليه ثلاثة اسهم متقاطعة ترمز للعائلات (القبائل) الشركسية الاقدم بين الاديغة وهي (زان – اتيك – بولوتوقة) و (١٢) نجمة ترمز إلى عدد قبائل الاديغة المشاركة في الاتحاد[٢١] *

* اختلف المؤرخون حول الوقائع والاحداث حول قصة ولادة العلم الشركسي القومي كما توجد أكثر من رواية عن تاريخ اقرار العلم، منها رواية الكاتب الشركسي اسحق مشباش الذي اكد في كتابه بين "حجري الرحى" بأن ولادة العلم كانت في الاجتماع الذي عقد المؤتمر الشركسي العام (الخاسة) في وادي (بسه فابه) ١٨٣٠ حيث اجتمع مندوبو القبائل الشركسية وقام "نور محمد حاخور" بعرض موضوع الراية الشركسية قائلا: لقد أرسل لنا الأمير "زان" راية الوحدة الشركسية وطلب من "ترام" أن يفك الرزمة ويعرض الراية وعندما فردت الراية الحريرية الخضراء وعليها النجمات والسهام الذهبية بدأ العلم يخفق مع الريح كأنه يستعد للطيران وخيم الهدوء على الوادي وتركزت مئات العيون على الراية الخضراء الخفاقة والنجمات والسهام الذهبية فسأل حاغور: من يوافق على أن تكون هذه الراية علما موحدا لكافة الشراكسة، عندها ارتفعت القامات فوق هامات الشراكسة المجتمعين في الوادي.

واما الثالث فقد كان آخر اجتماع يعقد قبل الاحتلال الروسي وهو الاجتماع الذي عقد عام ١٨٦٤ بحضور حوالي (٤٠٠٠) شخص من الشراكسة المسلحين تسليحا كاملا وهو الاجتماع الذي وصفه شاهد عيان وهو (فون فيل) مؤلف كتاب السنة الاخيرة لحروب الشركس من اجل الاستقلال بقوله:

"في أحد الصباحات الرائعة احضر خدم (اسماعيل بك) لنا الجياد، وسار بنا للمشاركة في أحد الاجتماعات الشعبية الكبيرة لتدارس أوضاع المنطقة، وبعد ساعة من السير عبر الجبال، وصلنا إلى هضبة واسعة تجمع عليها (٥٠٠-٦٠٠) شخص. وفي وقت قصير بلغ عدد المجتمعين حوالي (٤٠٠٠) شخص، وكان (الجبليون) مسلحين بالكامل، وبعد أن ترجلوا عن خيولهم وربطوها إلى الاشجار شكلوا دائرة كبيرة، وأخذ القادة أماكنهم في وسطها وعلى وسائد محشوة بالقش، وبعد برهة من الصمت، افتتح الاجتماع وتكلم (اسماعيل بك) وكانت كلمته طويلة وشاملة، وبعدها أجاب عن استفسارات واعتراضات الحاضرين، ثم اعطى الكلام لغيره من المتحدثين. وقد دار في خلدنا أنه لا نهاية لهذه المناقشات، ولكن صمتا شاملا حل فجأة، وكأنه تم بفعل ساحر، وتكرر هذا عدة مرات واستمر على مدى ساعتين. لقد كنا شهودا على عقد مؤتمر وطني. وأخيرا انفضت حلقة الحاضرين، واعتقدنا ان الاجتماع قد انتهى إلا أننا أخطأنا، إذ التفتت كل العيون إلى جهة واحدة حيث تسلق شخص من المجتمعين بسرعة شجرة عالية، وصل قمتها واتخذ مكانا مريحا عليها وبدأ بإلقاء كلمة سمعها الجميع بكل سرور.

يعتبر هذا المجلس هو السلطة الوحيدة في البلاد، لأن الأمراء مع تمتعهم بالاحترام الكامل لا يملكون الحق بمخالفة مقرراته. لأنه يمثل كل الشراكسة من أمراء وأغنياء وفقراء، وهم مجبرون على تنفيذها. [٢٢]

يلاحظ مما تقدم بأن المصدر الوحيد للسلطة خلال القرن التاسع عشر كانت الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية الطارئة التي كانت تعقد بين فترة وأخرى وحسب مقتضيات ومجريات الحرب اولا، أو بتحريض من الجواسيس الاجانب عامة وجواسيس الاتراك والانجليز خاصة ثانيا. كما ان مجالس الامراء والنبلاء والشيوخ والمجالس الشعبية التي كانت مصدر السلطات لدى الأمة الشركسية لم يعد لها وجود بعد الانتفاضات والثورات الشعبية التي قضت على الاقطاعيين وعلى نظام الامراء والنبلاء ابتداء من عام ١٧٩٠ تقريبا.

المبدأ الديمقراطي الثاني عند الشراكسة هو أن:

"**المجالس الشعبية هي مصدر التشريعات القانونية من انظمة وعادات وتقاليد واعراف**".

ربما كانت الأمة الشركسية من أوائل الامم والشعوب القديمة التي حرصت على دستورية صدور التشريعات القانونية، وان هذه الدستورية تمثلت بالمظاهر التالية:

المظهر الأول: لم تصدر التشريعات القانونية على اختلاف مستوياتها، وابتداء من العادات والتقاليد وانتهاء بالانظمة والقوانين والدساتير.. لم تصدر عن زعماء او حكام من رؤساء وامراء ونبلاء وقادة سياسيين او قادة عسكريين، وانما كانت تصدر عن ممثلي الشعب المجالس الشعبية ابتداء من عصور سلطة الام وسلطة الاب وسلطة زعماء القبائل، وحتى ظهور الدويلات، والدول، والحكومات، وانتهاءً إلى تكوين الاتحادات والتجمعات الشركسية.

المظهر الثاني: حافظ الشراكسة منذ عصر الاجداد على تسلسل صدور التشريعات القانونية على اختلاف مستوياتها وعلى النحو التالي:

ففي عصر سلطة الام كانت التشريعات المتمثلة بالعادات والتقاليد (الخابزة) تقدم من الامهات وتصدر بعد مناقشتها من (مجلس الامهات) والتي كانت تسمى في مراحل لاحقة بمجلس (السيدات النارتيات).

وفي عصر سلطة الاب، كان الأباء يقدمون الأنظمة المتمثلة بالأنظمة الاجتماعية والإدارية التي كانت تحكمها العادات والتقاليد الشركسية منذ عصر قوم (النارتيين) وتصدر عن (مجلس الاباء).

وفي عصر نشوء الدويلات والدول المستقلة، كان زعماء وحكام الدويلات والامارات المشاركة في الدولة أو الاتحاد يقدمون مشاريع التشريعات إلى مجلس رؤساء الدويلات أو الامارات التي تشكل الدولة الاتحادية، وكان من صلاحيات هذا المجلس إصدار كافة القرارات مثل إعلان الحرب ضد الأعداء كما كان له صلاحياته بإصدار التشريعات من أنظمة وعادات وتقاليد اجتماعية.

المظهر الثالث: ويتمثل بمستويات صدور التشريعات:

وفي العصور التي ظهرت فيها القبائل وفروعها، ابتداء من القرن الرابع الميلادي وحتى منتصف القرن الثامن عشر اصبحت التشريعات تصدر عن (٦) مستويات من المصادر وهي:

المستوى الاول: كبار السن في الاسرة من اجداد وآباء والأخوة الاكبر سنا.

المستوى الثاني: اعيان القبائل، وكبار السن في العشيرة، تحت مفهوم (تحماداغة) بمعنى الاكبر سنا في العشيرة.

المستوى الثالث: مجالس النبلاء، وكان دورهم يتمثل في اعداد مشاريع التشريعات او القرارات التشريعية ويرفعونها للامراء (بشى) الذين كانوا يمثلون رأس الهرم في النظام الوراثي للحكم، وإلى الرؤساء أو الزعماء (التحمادات) الذين كانوا يمثلون رأس الهرم في النظام الشعبي الديمقراطي للحكم.

المستوى الرابع: الامراء (بشى) والزعماء او الرؤساء (التحمادات) وكان من سلطاتهم تقديم مشاريع الأنظمة والقوانين المتمثلة بالعادات والتقاليد وغيرها من أنظمة إلى مجلس الشعب، كما كان من مهامهم الإشراف على تنفيذ القرارات ومتابعة تطبيق الأنظمة والقوانين والعادات (الخابزة).

المستوى الخامس: مجلس الشعب المنتخب، وكان أعلى مصدر في المجتمعات الشركسية حتى منتصف القرن الثامن عشر وهو المجلس الذي كان له حق إصدار التشريعات أو الغائها أو تعديلها... الخ.

وأما المستوى السادس والاخير فهو المجلس القومي الاعلى الذي كان مصدر التشريع الاعلى في العصر الذي توحدت فيها القبائل الشركسية منذ منتصف القرن الثامن عشر، حيث اصبح المصدر الرئيسي للتشريعات القانونية هو مجلس الاعيان أو (المجلس القومي الاعلى) وهو المجلس الذي تشكل من الممثلين المنتخبين من الدوائر أو الامارات أو القبائل المشاركة في الاتحاد أو التجمع (كما سبق شرحه عند البحث في (المبدأ الديمقراطي الاول – الشعب مصدر السلطات).

حيث كان هذا المجلس هو السلطة الاعلى التي لها حق اصدار التشريعات او تعديلها او الغائها.

وفي العصر الذي انتفض فيه الفلاحون وعامة الشعب الشركسي، على الامراء والنبلاء أصبحت السلطات بيد عامة الشعب. كما أصبحت المجالس الشعبية المنتخبة مباشرة من الشعب هي مصدر التشريعات القانونية.

واخيرا، ربما كان أكبر دليل على حرص الامة الشركسية على ديمقراطية اتخاذ القرارات ودستورية صدور التشريعات القانونية، هو لجوؤهم إلى الشعب حتى في أقسى ظروفهم المعيشية التي فرضتها حروب الدمار والإبادة المتمثلة في استحالة عقد مجالس الأعيان، او المجالس الشعبية المنتخبة من القواعد الشعبية، حيث لجأ القادة وزعماء الشراكسة الذين كانوا يعيشون في الغابات وعلى سفوح

الجبال هربا من وحشية وبربرية هجمات الجيوش الروسية القيصرية... لجأوا إلى عقد اجتماعات شعبية ومؤتمرات طارئة، بديلا عن المجالس الشعبية المنتخبة التي كان يستحيل عقد اجتماعاتها الدستورية في ظل استمرار هجمات وجيوش القياصرة وتواصل اعتداءاتها على (الأرض والعرض) حيث عقدوا عشرات الاجتماعات الطارئة خلال الفترة من عام ١٨٢٦ وحتى عام ١٨٦٣ بلغ عددها اكثر من عشرين اجتماعا او مؤتمرا طارئا بحثوا فيها مختلف القضايا القومية للأمة الشركسية ومنها التشريعات القانونية.

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مبدأ دستورية إصدار التشريعات القانونية وعلى حرصهم أن يكون هذا المصدر من ممثلي الشعب وليس من القادة أو الحكام أو الزعماء.

المبدأ الديمقراطي الثالث عند الشراكسة: هو حرية التعبير والجرأة في القول كأسلوب حياة عند الشراكسة

كانت حرية التعبير مبدأ أساسياً من مبادئ الديمقراطية، ومارست الأمة الشركسية هذه الحرية على مستوى المؤسسات أولا، وعلى مستوى الأفراد ثانيا.

فبالنسبة لحرية تعبير المؤسسات والهيئات فإنها تتمثل في الاجراءات والقواعد التي كانت تتبع في الاجتماعات واللقاءات والتجمعات الشركسية، ابتداء من اجتماعات المجالس التي سبق ذكرها مثل: مجالس الأمهات والاباء، وزعماء القبائل واجتماعاتهم، وكذلك مجالس التحمادات والنبلاء والأعيان وفي المجالس الشعبية المنتخبة ومجالس الأعيان والمجالس القومية العليا نجد بأنها كانت اجتماعات تراعى فيها القواعد الديمقراطية التالية:

١- السماح لكل من كان لهم حق حضور اجتماعات المجالس على اختلاف انواعهم، كان يعطي لهم حق ابداء الرأي والتحدث بحرية كما كان لهم حق التعبير عن آرائهم بغض النظر عن مراكزهم أو مكانتهم الاجتماعية.

٢- حق اعتراض أي عضو من اعضاء المجالس او التجمعات الشعبية مهما كان مركزه ومكانته على قرارات الامراء (البشى) والتحمادات (الزعماء) كما كان لهم حق عدم تنفيذ القرارات او حتى الانظمة والقوانين بما فيها العادات والتقاليد ما لم تصدر عن المجالس التشريعية المعتمدة.

٣- صدور القرارات بأغلبية الاصوات الحاضرين للاجتماع او الجلسة.

وفيما يلي امثلة ونماذج من وقائع تاريخية، تؤكد مدى تمسك الشراكسة بمبدأ حرية التعبير، واستقلالية اتخاذ القرارات دون ضغط او تأثير من الامراء او الزعماء او الحكام نذكر منها الوقائع التاريخية التالية:

الواقعة الاولى:

المشادات الكلامية التي حدثت في الاجتماع الجماهيري الكبير الذي دعا إليه زعماء وقادة قبائل الشابسوغ والناتخوج في تشرين الاول من عام ١٨٣٠، وكان طرفا المشادة هما انصار القادة المؤيدين للتبعية التركية، وانصار القادة المؤيدين للتبعية الروسية والذين كانوا ينادون بمبدأ العيش بسلام مع السلطات الروسية.

إلا أن ممثلي الفلاحين الحاضرين للاجتماع رفضوا الرأيين، ولم يتم اتخاذ قرار نهائي لتحديد التبعية لأي من الدولتين [١٥].

الواقعة الثانية:

حاول بعض زعماء الناتخواج، حل مسألة السماح بالتعامل مع الروس بالرغم من صدور قرار شعبي مقرون بالقسم والعهد بين شعوب القبائل الشركسية على معاقبة كل من يخرج عن الاجتماع والتعامل مع الروس دون موافقة الاجماع، حيث كان قد سبق أن أقر الزعماء من قبيلة الناتخواج مبدأ قبول الخضوع لروسيا، بشرط ان تقوم روسيا بإزالة القلاع والتحصينات العسكرية عن اراضيها.. إلا ان رئاسة الاجتماع قررت عدم تطبيق هذا القرار حتى يتم عقد اجتماع شعبي للشراكسة لبحث هذه المسألة المبدئية.

الواقعة الثالثة:

وهي واقعة تدل على مدى جرأة الشراكسة من عامة الشعب في التعبير عن آرائهم في حضور الزعماء والحكام او حتى القياصرة، وهي واقعة زيارة القيصر (الكسندر الثاني) لمناطق الابزاخ في الوطن الام والذي وجه فيهم تهديدا باستخدام القوة ان لم ترضخ الشعوب الشركسية لحكم القيصر بقوله:

"**عليكم الرضوخ لحكمي والا سترغمون على ذلك بالقوة**". **(كما سبق الإشارة) إليها**

فما كان من احد حاضري الاجتماع وهو المعروف باسم (خاتر بي تسي) واسمه الحقيقي (لشه تسي) ان تقدم للامام عدة خطوات ووجه نظره إلى الحاضرين اولا ثم توجه إلى القيصر قائلا كلاما جرئيا وخطيرا نقتطف بعضاً منه:

الفقرة الاولى: إن ما سأقوله لن يتفق مع رغبته (ويقصد القيصر) ولن ينطبق على ما قاله".

الفقرة الثانية: "ان قيصر روسيا معجب بالقفقاس وحاربنا حربا متصلة منذ اكثر من ستين عاما لاحتلالها.... لكن نحن أيضا نحب وطننا مثل حبنا لأمنا ونقدسه.. ومن واجبنا ان نحمي الوطن ارضاء لربنا واجدادنا.

الفقرة الثالثة: "ليست العادة ان تقال الحقيقة للملوك مباشرة، لكنني لا استطيع ان **انكر حقيقة ان القيصر ليس صديقا بل هو عدو لنا ولا يمكن مهادنته ابدا.** انه ينادي ان نكون تحت حكمه، وانه ينادي بذلك عبثاً، وسيقاتل الشجعان الشراكسة وسيموتون رافضين العبودية، وإن قال بعض الضعفاء من أمثال (حاج يموقه)* كما يقوله القيصر.

* حاج موقه، كان المتحدث الاول في اللقاء وطلب الرضوخ لحكم القيصر وعدم معارضته.

وختم كلامه بقوله: "ايها الشجعان، الموت للمعتدين الغاصبين، والمجد للابطال ولتستمر جذوة الغزوات ضد الروس الاعداء *

الواقعة الرابعة: وتتمثل برفض زعيم الابزاخ معاهدة الصلح المنفرد مع السلطات الروسية القيصيرية، ورفع الامر إلى مجلس الشعب في منطقة الشابسوغ عام ١٩٣٨ وكذلك مواقف الزعماء الشراكسة المشاركين في مجلس الشعب ورفضهم لمعاهدة (أدرنة) التي وقعتها سلطات تركيا مع روسيا، تنازل الاتراك بموجبها عن بلاد الشركس لروسيا القيصيرية.. وهو الرفض الذي يعبر عن مدى تمتع الشراكسة عامة وزعمائهم خاصة بالجرأة في التعبير عن آرائهم ومواقفهم دون خوف، والمجاهرة أمام العالم بآرائهم ومواقفهم المبدأية، والتي تمثلت **(بالبيان)** الذي صدر عن زعماء الشراكسة عام ١٩٣٨، والذي سُمي **(بوثيقة الاستقلال)** نقتبس منها الفقرات التالية:

الفقرة الاولى: وتتمثل بالمجاهرة بكشف خيانة كل من سلطان تركيا، وملك إيران، وخداعهم للشراكسة بقولهم:

"إن مسلمي قفقاسيا يعتبرون الزعيم الديني و(الخليفة) لجميع المسلمين وهو السلطان العثماني، وبالرغم من ذلك فقد ترك الشراكسة وحدهم وتمثلت خيانتهم ان احد باشاوات السلطان كان يفتح أبواب (انابا) لموسكو ليضمن صداقة الروس ضد الزعماء الذين هم اعداء السلطان كما أن باشا آخر خدع الشراكسة وهرب من بلادهم في منتصف إحدى الليالي. وحاول الشراكسة تقديم طلبات مساعدة للسلطان ولكنها قوبلت في كل مرة ببرود زائد، وبدون جواب شاف. وبنفس الطريقة طلبت المساعدة من الدولة المسلمة الاخرى (ايران) ولكن لم نحصل على جواب شاف. وأخيرا اضطررنا إلى طلب المساعدة من (محمد علي باشا الكبير) والى مصر

* للاطلاع على نص كلمة (تسي) يمكن الرجوع للوثيقة الملحقة بالمجلد الثالث .

وفعلا حصلوا على الجواب الشافي والمقنع إلا ان بعد المسافة كان مانعا اساسيا في تقديم المساعدة.

الفقرة الثانية: وتتمثل في انتقاد مواقف اكبر دولتين في العالم آنذاك بقولهم: "انجلترا وفرنسا، هما اقوى دولتين في العالم، فعندما كان الروس يأتون بقوارب صغيرة للصيد في بحر آزوف كانوا يطلبون المساعدة والسماح لهم بالصيد معنا، وكانت انجلترا وفرنسا دولتين قويتين في ذلك العهد. اننا لا نأمل من انجلترا وفرنسا ان يهتموا بشعب صغير مثل الشعب الشركسي، ولكن مما لا شك فيه بأن هؤلاء الاصدقاء الاذكياء يعرفون أننا لسنا روسيا وعلمنا محدود ومدافعنا محدودة وأن جنرالاتنا لم يتدربوا تدريبا عسكريا حديثا، وأن بلادنا لا تملك السفن، ولا يوجد فيها اغنياء كثيرون. فهم يعلمون ذلك ويعلمون اننا شعب مستقيم امين صادق، وإذا لم نحارب او نحاصر فنحن شعب نحب السلام. فهم يعرفون ايضا اننا محقون في كرهنا للروس، واننا في معاركنا نهزمهم. لكل هذه الاسباب بدت دهشتنا واستغرابنا عندما علمنا ان هناك خرائط للعالم قد طبعت في اوروبا واظهرت ان بلادنا قطعة (جزء) من روسيا وهذا ما لم يخطر على بالنا مطلقا.

الفقرة الثالثة: وتتمثل في فضح اهداف وغايات القياصرة الروس واساليبهم البربرية الوحشية في حربهم ضد الشراكسة بقولهم:

"إن تصرفاته الظالمة وعدم الوفاء بالوعود التي كان يقطعها، وكيف كان يحاصر بلدنا وكيف كان يقطع ويمنع عنا ما هو ضروري لحياتنا، ويضع العراقيل امام تجارتنا، وكيف كان يترك زعماءنا الذين يجب إطاعتهم بدون أية، وسيلة وكيف كان يقضي على قرى كاملة وقبائل بأكملها، وكيف كان ينظر إلينا وكأننا متاع خاص به، وكيف استطاع بأكاذيبه وحيله ان يظهرنا شعباً لا يستحق العيش،

وأننا عبارة عن برابرة، وكيف اقنع بذلك كل من اوروبا والعالم المسيحي، حتى والعالم بأكمله. كلها حكاية طويلة إذا اردنا الدخول بتفاصيلها لن تكفينا المجلدات.

الفقرة الرابعة: وتتمثل بكشف اكاذيب وادعاءات القياصرة الروس بقولهم:

"ولكن نحن مستقلون واحرار ولا زلنا في حرب مع الروس والنصر لنا وأن ممثل الامبراطور الروسي قام باتصالات معنا لا ليعتذر عن حكومته التي قامت وطبعت خرائط تظهر فيها بأن شمال القفقاس قسم من بلاد القيصر، واننا عبارة عن عبيد في بلادهم، كما كانوا يوهمون اوروبا بأسرها، بل جاء ليتفاوض من اجل تبادل الاسرى واخراج (٢٠٠٠٠) جندي روسي محاصرين من قبل قواتنا.

تلك هي الحرية التي كان تتمتع بها الهيئات والمجالس والتجمعات الشركسية في التعبير عن آرائهم ومواقعهم الجماعية.

وأما بالنسبة لحرية التعبير على مستوى الافراد والاشخاص فإنها تمثلت بالحريات التالية:

* حرية الفتاة في اختيار شريك حياتها حتى وان كانت الاسرة بكاملها او احد افرادها معارضون زواجها من (الخطيب) وهو الذي يسمى باللغة الشركسية (بسه – لوخ) وفي هذه الحالة للفتاة حق تطبيق عادة أو نظام (الكواسة) وحسب هذه العادة تقوم الفتاة باتخاذ قرارها الارتباط مع الخطيب (البسه – لوخ) وفق قواعد وشروط اخلاقية وضوابط دينية وشرعية *
* حرية الشاب في اختيار شريكة حياته وهي نفس حرية الفتاة كما هو مبين اعلاه.

* للاطلاع على قواعد وشروط عادة (الكواسة) يمكن الرجوع للمجلد الأول.

* حرية الفتاة استقبال أي شاب شركسي في بيتها وفق عادة (البسة – لوخ) كما ان لكل شاب حرية زيارة أية فتاة في منزلها في المناسبات الاجتماعية وفي الاعياد وفق ضوابط وقواعد دينية وائتلافية.
* حرية مشاركة كل من الفتاة والشاب الشركسي في أي حفلة (جوك) او غيرها من الحفلات شريطة التزامها بالعادات المرتبطة بمثل هذه الحفلات والتقيد بالاخلاق والسلوك السوي.

المبدأ الديمقراطي الرابع عند الشراكسة: هو "حرية اختيار او انتخاب رؤسائهم وأمرائهم أو إقالتهم وتنحيتهم عن الحكم

الدارس لبعض المراجع التاريخية يجد بعض المدركات الخاطئة والمتمثلة بأن زعماء وحكام الشراكسة كانوا يفرضون بالقوة أو أنهم كانوا يحكمون بالوراثة. إلا أن الحقائق المؤكدة تشير أن زعماء الشراكسة وامراءهم وحكامهم حتى القرون الوسطى كان يتم اختيارهم او انتخابهم من قبل المجالس الشعبية، وكذلك فإن امراءهم وزعماءهم في عهود تفشي الطبقية وظهور الارستقراطيين من الاغنياء فإن غالبية القبائل الشركسية كانت تختار او تنتخب رؤسائهم أو زعمائهم (التحمادات) وهم قبائل القسم الغربي من شمال القفقاس، أما شراكسة شرق شمال القفقاس وهم قبائل القبرطاي والبجدوع والابيخ كان يجب ان يحصل على موافقة اجماع مجالس الشعب التي كانت تصادق على تعيين أو اختيار الامراء.

وفيما يلي بعض الحقائق حول هذا المبدأ:

الحقيقة الاولى:

يقول (نغموقة): كان يعتبر مجلس الشعب اعلى سلطة تشريعية لدى الأمة الشركسية في الوطن الام في القرن الثامن عشر الميلادي، ويشارك في اجتماعاته جميع طبقات وفئات الشعب جنبا إلى جنب مع الامراء والنبلاء والاعيان، وكانت احدى صلاحياتهم انتخاب (التحمادة) او (البشى) في القبائل التي كانت تطبق نظام

المساواة وهو النظام الذي كان يعرف (بالنظام الشركسي القفقاسي) ومن أهم القبائل التي كانت تطبق هذا النظام هم الشابسوغ والابزاخ[٨]، كما كان له صلاحية عزل ومحاكمة الزعماء (التحمادات) إن اخطأوا أو تجاوزا صلاحياتهم.

الحقيقة الثانية:

تؤكد بعض المصادر التاريخية بأن الاعراف والتقاليد كانت تقضي بانتخاب (بشى جديد) في حال خلوه لأي سبب من الاسباب، ويتم الانتخاب من قبل (المجلس القومي العالي) وكان يشترط فيمن يرشح للرئاسة أو الامارة ان يكون متصفا بالعقل الراجح والفكر الثاقب، شجاعا، مقداما، لا يهاب الكوارث، متمسكا بالتقاليد القومية، محافظا عليها، عاملا على تنفيذها ورعايتها.

فإذا توفرت هذه المزايا في الأمير المرشح فينتخبه المجلس القومي رئيسا وحاكما على القبيلة مدى الحياة وتسند إليه القيادة العامة في الحروب [٩].

وكان على (البشى الجديد) اداء قسم يمين الاخلاص للقبيلة أمام المجلس العالي ويتعهد بأن: **يبتعد عن الظلم والاستبداد، ويقيم العدل بالقسط بين الناس، ويواصل العمل لما فيه المنفعة العامة للقبيلة وفائدتها، وأن ينفذ قرارات المجلس الاعلى كلما اجتمع واصدر قرارا، ويحافظ على التقاليد القومية (اديغة خابزة) ويحترمها وينفذها.**[١٠]

الحقيقة الثالثة:

يؤكد (جوناتوقة) بأن القبائل التي كانت تطبق نظام الوراثة في تولي الإمارة مثل قبائل القبرطاي والبجدوغ والاوبيخ، فإن انظمتها وعاداتها كانت تقضي أن يتم مصادقة مجلس الشعب على الأمير الذي كان يستحق الإمارة بحكم الوراثة (كالأبناء)، وأن الأمراء في مثل هذه الحالة لم يكن يصبحون أمراء بحكم الوراثة فقط، بل كان للمجالس حق رفض تولي من ليس هو اهل للامارة، حيث كان يتطلب

توفر شروط في شخصية الأمير الوريث مثل (رجاحة العقل، والشجاعة، والجرأة، عارفا للعادات الخابزه) ويتمسك بقوميته الشركسية، متواضع وغير متعجرف)، كما كان يحق لهذه المجالس عزل من لم تثبت جدارته في الحكم من الامراء (البش)[١٠].

نستنتج من كل ما تقدم من حقائق بأن الشراكسة في مختلف العصور ومنذ عصر الاجداد، فإنهم كانوا يختارون زعماءهم وحكامهم ورؤساءهم وحتى في عهد الطبقية، وفي ظل نظم الحكم الوراثي، كان للمجالس حق تعيين ورفض الامراء.

المبدأ الديمقراطي الخامس: ينص هذا المبدأ على شعبية وديمقراطية الامراء (البش) والرؤساء (التحمادات) وديمقراطيتهم في تعاملهم مع مختلف الطبقات والفئات من أمراء، وفلاحين، وتابعين (بشل) وخدم، ونستدل على مدى تطبيق هذا المبدأ الديمقراطي من قول احد المؤرخين: "وبالرغم من علو الامراء وقدسيتهم بصفتهم (حماة الشعب) وما فيها، كانوا يعاشرون بقية طبقات الشعب ويعاملونهم على قدم المساواة ويأخذونهم باللين واللطف، دون أن يظهروا في حديثهم أو معاملتهم كبرياء أو غطرسة.

كما كان يسكن الامير مهما علا شأنه وعظمته بيتا لا يختلف كثيرا عن بيوت عامة الشعب والنبلاء، وطعامه لا يختلف عن طعام غيره، وكان للتابعين الحق في الدخول على بيت او مجلس اميرهم في أي وقت ومشاركتهم طعامه وشرابه اذا شاءوا ذلك.

وكذلك وبالرغم من كون الأمير الحاكم كان الآمر والناهي في قبيلته، فإنه لم يكن يملك املاكا واموالا كثيرة وبعضهم لم يكن يملك ما يكفيه لمعيشته وفي مثل هذه الحالة كان يحصل على ما يكفيه من الاموال والحاجيات الضرورية، من أتباعه دون مقابل، وفي نفس الوقت لم يكن الامير يبخل على اتباعه بشيء، فإذا رأى التابع مثلا عند (سيده) ملابس جميلة جديدا فله أن يطلبها لنفسه، وكان الامير لا

يرد طلبه او يبخل عليه بشيء مهما غلا ثمنه، لذلك كانوا يرتدون ابسط ما لديهم من الملابس فيضطرون إلى الظهور بملابس وهيئة لا يمكن التمييز بين الامير والنبيل او الرجل العادي، وكثيرا ما كان يلتبس على عامة الناس ويعتقدون النبيل اميرا والامير رجلا عاديا لبساطة ما كانوا يلبسونه. (١٠)

الفصل الثاني

البعد الاجتماعي في حضارة الأمة الشركسية

تمهيـــد

تميزت الأمة الشركسية منذ عصر الاجداد، وابتداء من الألف الثـــاني مـــا قبل الميلاد بقوة نظامها الاجتماعي ومتانته، كما تميـــزت بتماســـكها وتعاضـــدها وتكاتفها الاجتماعي.

وفيما يلي تحليل موجز لنشأة وتكوين المجتمعات الشركسية، وتطورها مع تطور الحياة وتقدم المدنية وتشعبها، حتى أصبح النظام الاجتماعي لدى الشراكسة ركنا من اركان التقدم الحضاري للأمة الشركسية وبعداً من أبعادها الأساسية.

أولا: نشأة المجتمعات الشركسية في الوطن الام

تشير الدراسات الانثروبولوجية بأن المجتمعات الشركسية نشأت وتطورت على مراحل زمنية وهي:

المرحلة الاولى:

في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وظهـــرت الملكيـــة الخاصـــة فـــي المجتمعات القوقازية عامة، وبين الشراكسة خاصة، ونتيجة لتطور الزراعـــة بعـــد البدء في تصنيع المحاريث واستخدامها بدلا من الفؤوس الحجرية حيـــث ظهـــرت الحاجة إلى أيدي عاملة أكثر عددا من السابق، ومن هنا ظهرت (العمالة المأجورة) وتكونت طبقة (الفلاحين العاملين لدى اصحاب الاراضي) ومن هنا نشأة أول مجتمع لقدماء الشراكسة، وأصبح المجتمع الواحد يضم ملاكين وعمال وفلاحين وأغنيـــاء يملكون الأراضي وفقراء لا يملكون أراضي زراعية وانما يعملون لديهم بالاجرة.

المرحلة الثانية:

وهي المرحلة التي حدثت فيها الخلافات على ملكية الأراضـــي الزراعيـــة الرعوية، ومصادر المياه، حيث تطورت هذه الخلافات إلى نزاعات مـــسلحة بـــين القبائل أو العشائر، خاصة بعد البدء في تصنيع الاســـلحة والادوات الحـــادة مثـــل:

صناعة (القامة) وصناعة رؤوس الحراب من المعدن بالإضافة إلى اختراع الدروع الواقية، وغيرها من الادوات والاسلحة المصنوعة من نوع من انواع المعادن المكتشفة في بلاد القفقاس، ومع تطور النزاعات المسلحة وتعددها ظهرت طبقة الاسرى الذين أسروا بعد النزاعات والغزوات، واستخدموا كعبيد لدى الملاكين ورؤساء وشيوخ القبائل، وربما كان افضل وصف كتب حول مرحلة ظهور (العبيد) المتمثلة في أسرى الحروب هو ما كتبه (برزج) بقوله:

"لقد زاد النمو السكاني، وزادت الأرض المستغلة، وزاد السكان المستقرين، وحدثت صدامات عنيفة حول الأرض، وقوي الشعور بملكية الأراضي، وظهرت أخطار الحروب وبدأت الهجرات الجماعية والصدامات المسلحة المحلية، وعمت سلطة الزعماء وتركزت الثروة في ايديهم عن طريق غنائم الحرب، وخير دليل على ذلك تلك الثروات التي تشاهدها في المدافن الغنية بالحلى والادوات حتى اننا نجد قطعا من المعادن الثمينة، ومن هنا وجدت طبقة العبيد لدى الأسر الغنية، والذين كانوا على الغالب اسرى الحروب وبقيت هذه (العبودية) على مستوى الزعماء فقط، وظهر بعد ذلك التفاوت الاجتماعي وظهرت الأرستقراطية الحربية يمثلها الفرسان، وكان الحصان دائما محملا بالأسلحة الثمينة الغالية، والمعدات المتنوعة الكثيرة، **ودخلت القبائل المتجاورة في اتحادات كبيرة للوقوف في وجه الاعداء، مما استدعى وجود روابط تنظيمية للسلطة، وهكذا تشكلت هذه المجتمعات على شكل ديمقراطيات حربية**" (٢٣).

المرحلة الثالثة:

بدأت في هذه المرحلة مفاهيم اقطاعية جديدة في المجتمعات الشركسية، ويؤكد بعض المؤرخين بأن الاقطاعية الشركسية ظهرت بعد ظهور الاقطاعية في اوروبا ابتداء من القرن الرابع الميلادي اولا، وبسبب انحلال وانتهاء الحكم في الدول والدويلات واتحادات القبائل الشركسية بسبب حروب (**السكيت والهون**

والقوت) وغيرهم ثانيا، حيث تفككت تلك الدول وتفرقت وظهرت القبائل والعشائر الشركسية المتعددة في مختلف انحاء قفقاسيا الشمالية كما أشرنا إليها سابقا.

كما يؤكد هؤلاء المؤرخون نشوء نظامين رئيسيين من نظم الحكم لدى الأمة الشركسية في الوطن الام منذ القرن الرابع بعد الميلاد.

فالنظام الاول هو الذي سمي (بنظام حكم الامراء) وهو ما يشبه النظام الارستقراطي الذي كان سائدا في اوروبا في العصور الوسطى وكان مطبقا لدى قبائل القبرطاي والبسلني والبجدوغ.

أما النظام الثاني فهو الذي سمي (بنظام المساواة) أو نظام الحكم الشعبي، كما اطلق عليه في مراحل لاحقة (بالنظام الشركسي القفقاسي) وهو نظام ديمقراطي يعتمد على حكم الشعب من خلال مجالس شعبية يرأسها (تحمادات) منتخبين من الشعب.

وبالبحث عن مفاهيم كل نظام من النظامين السابقين تبين ما يلي:

١- يلاحظ بأن نظام الامراء كان مصبوغا بصبغة اقطاعية اكثر من النظام الثاني، إلا أن النظامين يلتقيان في كثير من الامور والتشريعات المشتركة والمتشابهة، وقد اقتبس كل منهما بعض تشريعاته من النظام الاقطاعي الذي كان سائدا في العالم اجمع تقريبا في ذلك العصر.

٢- الاختلاف الاساسي بين النظامين يكمن في أن (النظام الشركسي) لم يكن يقبل بوجود سادة وعبيد، بينما (نظام الامراء) كان يعتمد على ذلك، بالإضافة إلى وجود امتيازات خاصة للأمراء والنبلاء في كثير من امور الحياة، كما اصبحت السلطة وكثيرا من المناصب وراثية، داخل عائلات معينة في هذا النظام.

٣- إن سلطة سن القوانين والتشريعات كانت من صلاحيات (المجالس) المنتخبة من الشعب، وكانت القرارات والمشاريع التنظيمية التي يجري

اعدادها من قبل تلك المجالس تخضع لموافقة المؤتمرات الشعبية العامة حتى تصبح قوانين نافذة. بل أن الامراء في نظام الامراء او الزعماء وفي النظام الشعبي كان يجري انتخابهم وتعيينهم في المجالس والمؤتمرات الوطنية [٢٤].

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة ظهور الطبقية في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم

مع حلول القرن السادس عشر ظهر في بلاد الشراكسة نظم اجتماعية تعتمد على تعدد الطبقات الاجتماعية، حيث قام العديد من الباحثين والرحالة الذين زاروا القفقاس بدراسة النظم التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر وقدموا لنا تصورا عاما عن اقسام وانواع الطبقات التي كان يتكون منها المجتمع الشركسي في ذلك الوقت ومن اهمها:

- **تقسيمات الرحالة الاجانب الذين زاروا بلاد الشراكسة خلال القرن التاسع عشر:**

١- تقسيم دولبيز دومونتبارو (١٨٣٩) وقسم الشركس إلى خمس فئات وهي على النحو التالي:

١- الامراء.

٢- النبلاء.

٣- الاحرار.

٤- الخدم.

٥- الاتباع.

إلا أن (مونتبارو) كتب بشكل موجز دون توضيح تاريخي او تمييز بين التقسيمات في مختلف القبائل الشركسية [٢٥].

٢- تقسيم ن.ج. دانيليفسكي (١٨٤٧) حيث قام بتقسيم مجتمع القبرطاي إلى خمسة اقسام وعلى النحو التالي:

١- الامراء.

٢- أصحاب السلطة الروحية.

٣- اوزدن (النبلاء).

٤- الفلاحون.

٥- غير الاحرار – الاسرى [٢٦].

٣- تقسيم ث. لابينسكي (١٨٦٣) الخبير بتاريخ مجتمع الشراكسة حيث قسم شراكس الغرب إلى (٤) فئات عام ١٨٦٣ وهي:

١- الامراء.

٢- النبلاء.

٣- الاحرار.

٤- العبيد. [٢٧].

٤- تقسيم الباحثة ساندرز (١٩٤٤) حيث قامت بتقسيم المجتمع الشركسي إلى خمس طبقات وهم:

١- الامراء.

٢- النبلاء.

٣- الاحرار.

٤- العبيد.

٥- التابعين (الاتباع) [٢٩]

٥- تقسيم (جاباغي) عام (١٩٦٩) الذي قسم شراكسة تركيا إلى ثلاث طبقات فقط.[٣٠]

١- الامراء (بشي).

٢- النبلاء (ورق)
٣- الفلاحون الاحرار (تليقوتل).

يلاحظ من تقسيمات الرحالة الاجانب المشار إليهم اعلاه، العمومية في التقسيم، وعدم الدقة فيها وانها تقسيمات لبعض القبائل الصغيرة وليست للفئات الطبقية لدى القبائل الكبيرة.

الفئات الطبقية وانواعها لدى الشراكسة من وجهة نظر بعض المؤرخين الشراكسة.

ربما كان من اكثر المؤرخين الشراكسة دقة في وصف النظام الاجتماعي لدى الامة الشركسية في الوطن الام منذ القرن السادس عشر هو المورخ (خان كراي) مؤلف كتاب "مشاهير الجراكسة" عام ١٨٣٥. كما ان الامير (جان خواتوقة بسلان) قام بإدخال بعض التعديلات على الفئات الطبقية التي كانت سائدة في القرن السادس عشر بعد الميلاد. وكذلك فإن المؤرخ الشركسي (شورا نغموقة) يعتبر افضل من وصف النظام الاجتماعي لدى الأمة الشركسية في الوطن الام، حيث يقدم لنا تصنيفا دقيقا وشاملا للفئات الطبقية التي كانت سائدة لدى مختلف القبائل الشركسية منذ القرن السادس عشر حتى بداية القرن التاسع عشر، وبالتحديد حتى قيام الفلاحين وعامة الشعوب الشركسية بانتفاضات وثورات شعبية أدت إلى إلغاء النظام الطبقي منذ مطلع القرن التاسع عشر، **وفيما يلي وصف لكل فئة من الفئات الطبقية كما حددها (نغموقة).**

- **الاعيان لدى القبرطاي:**

يقول (نغموقة) بأن اعيان الشراكسة كان يتكون من خمس طبقات هي على النحو التالي:

الفئة الاولى: لقوه لاش – وهي كلمة مركبة من ثلاثة ألفاظ وتأتي بمعنيين:

- بمعنى الشهير المعروف المنتمي لثلاثة جدود امجاد.

- مشتقه من كلمة (لاب قوش) وتأتي بمعنى حائز لأوصاف الشهامة. والشجاعة وأصله من ثلاثة جدود أبطال فما فوق.

الفئة الثانية: ديظنوقة وهي مركبة من كلمتين (ديظين – و – قوه) بمعنى "ابن الفضة" وتطلق على اولاد الامراء من الطبقة الثانية.

الفئة الثالثة: كوه دز (كوه دس) من المعتقد أنها تطلق على أعيان ونبلاء الاجانب الذين تجركسوا واستوطنوا مع الجراكسة.

الفئة الرابعة: بشيش ورق (بسلان ورق) وتطلق على الورق الموجودين في معية الامراء "البشى".

الفئة الخامسة: ورق صاوه له غوسه – كلمة مركبة من ثلاثة ألفاظ وهي:

(ورق – صاوه له – غوسه) ومعناها الرفيق الأصيل الشجاع المرافق للورق ويلاحظ بأن القاب الشرف الثلاثة الأول تطلق اليوم على النبلاء والعظماء من الدرجة الاولى.

وهذه الأوصاف والألقاب التي ابتكرها أمير القبرداي (جان باسلان) كما ذكرها (شورانوغموقة) غير مستخدمة إلا في قبائل القبرداي. ولا يؤيد هذا الرأي (خانكراي) مؤلف (مشاهير الجراكسة) سنة ١٨٣٥. بقوله: "إن هذه الالقاب والدرجات كانت موجودة ومحترمة ومرعية في عموم القبائل بلا استثناء" وليس فقط لدى قبائل القبرطاي. [٢٨].

وفيما يلي وصف ملخص لكل فئة من فئات الطبقات الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم حتى مطلع القرن التاسع عشر.

(١) الامراء (البشى):

البشي هو أعلى درجة في طبقة الأمراء النبلاء عند الشركس، أما دوره الحقيقي ووظيفته فكانتا مختلفتين من قبيلة إلى أخرى. ليس فقط بين القبرداي بل أيضا بين (بيسليني، البجادوغ، الاوبيخ، الابخار)، وكان أقل وضوحا عند الأبزاخ

والشابسوغ، وعلى هذا فإن البشي يأخذ عند الشركس أعلى درجة في التصنيف الاجتماعي.

ويلاحظ أن كلمة بشي بالذات لها ثلاثة معاني:

المعنى الاولى (كما ذكر سابقا): أعلى طبقة بين الأمراء.

" لقد كان عند البجادوغ، القبارداي، الكيميرغوي، والهاتيكواي أمراء نصّبوا أنفسهم أيضا قضاة للفصل في قضايا شعوبهم لقد كان بيدهم حق إعلان الحرب وإقرار السلم واتخاذ القرارات الاخرى الهامة" (دانيليفسكي) [٣١].

"وعند القبارداي كان النظام المتميز بحاكمية الامراء متطورا جدا. وكان هناك اتباع بدرجات مختلفة، فلاحون وبشل". (لاينبسكي) [٣٢].

لقد كان الامراء كما (ذكر سابقا) واعين تماما لوضعهم، وكانوا لا يحبذون التزاوج مع الطبقات الادنى، ومع ذلك كان بإمكان (البشي) ان يتزوج امرأة من أي طبقة ادنى إذا وافق والده على ذلك. أما بالنسبة للاميرات فكان مسموح لهن بالزواج من طبقة النبلاء وليس أقل من ذلك، وحتى هذا لم يكن مقبولا ومرضيا عنه، ولذا كان نادرا أن يحدث ذلك. حيث كان من المقبول اجتماعيا زواج احد النبلاء من طبقة أدنى وليس العكس، كما كان يعتبر زواج إحدى النبيلات من طبقة أدنى عارا وغير مقبول اطلاقاً.

لقد لعب (الأمير) دور الحامي والكفيل لأتباعه. وإذا اصاب أحدهم ضرر ما كان على الامير ان يتصدى لإعادة الحق إلى نصابه، بل قد يصل الأمر إلى حد تعويض الاضرار من ماله الخاص.

وفي بلاد القبردي يقال بأن الامراء قسموا الشعب إلى درجات وحددوا حقوق وواجبات كل درجة فيها، ومن الملحوظ أن الصراعات بين النبلاء كانت تنتهي بتجريد المهزوم من سلطته أو طرده ولم يكن يقتل، بينما كانوا يقتلون الامراء

في مثل هذه الصراعات مما يوحي بأن الامير والامارة ما هي إلا ترتيبات جديدة على المجتمع الشركسي جاءته قد تكون من الخارج، ثم جرى رفضها فيما بعد.*

المعنى الثاني للبشى هو كل من يرأس مجموعة. فيمكن ان تفهم كلمة (بشي) على انها مرادف لـ (تحمادة) (لابينسكي) (٣٤).

المعنى الثالث للبشى هو اللقب الذي تطلقه الزوجة على زوجها او حماها أو ابو حماها (الجد) إن كان حياً.

٢- طبقة النبلاء (لقوالاش)

صنف (داينليفسكي عام ١٨٢٧) نبلاء القبارداي ونبلاء البيسليني إلى (٣) **فئات. فالفئة الاولى:** هي فئة النبلاء الكبار، وهم في المرتبة بعد الامراء مباشرة، **والفئة الثانية:** ولهم نفس المرتبة ولكن سلطتهم اقل. **وأما الفئة الثالثة:** فهي تشمل النبلاء الفقراء والذين يتبعون ويخضعون لنبلاء الدرجات الاعلى، ويدعى نبلاء الدرجة الاولى والثانية: الازدان الكبار (النبلاء الكبار) اما نبلاء الدرجة الثالثة فكانوا يدعون (النبلاء التابعين للنبلاء الكبار).

* حسب رأي لابينسكي (١٨٨٣ جزءا) بعض النبلاء كانوا من الغرباء، جاءوا من قرغيزية وموسكوفية واختبأوا بين السكان المحليين، هربا من القوات الروسية النظامية. وقد سمى (لابينسكي) هؤلاء الهاربين (تشركس) واستعمل هذا التعبير فيما بعد من اجل هذه الفئة، بينما يسمي السكان المحليين (أباظة) لا شك إن وجهة نظر (لابينسكي) تستدعي التأمل. لعدم وجود معلومات عن وجود جماعات وعصابات هربت إلى بلاد الشركس بحثا عن ملجأ ثم سيطرت عليها ولكن من الممكن لمثل هؤلاء ان يجدوا لانفسهم مكانا بين السكان المحليين لكن من المستبعد أن يكونوا الطبقات في المجتمعات الشركسية، وفي مكان آخر يقول لابينكي بأن بعض فئات من (الورق) الذين يسميهم بالنبلاء القدماء هم من غير الشركس وهو قول يحتاج إلى تدقيق وبحث.

لقد كان النبلاء متكاتفين ومتماسكين ويتزاوجون فيما بينهم، حفاظا على ميزاتهم، وإن حدث وأن يتزوج بعض النبلاء من طبقات أدنى فإن أولاد هذه الزيجات يعتبرون من الاحرار (فقولء)

ويقول (جباغي) بأن الامراء والنبلاء كانوا محبوبين ومقربين إلى شعوبهم، ويندر أن تجد عند الشراكسة عامة والابزاخ خاصة امثال فيها انتقاد او انتقاص من طبقة الامراء والنبلاء[٣٥].

٣- طبقة الاعوان (ورق):

هم طبقة من الفرسان الاعوان ويعتبرهم القبرطاي بعد طبقة النبلاء مرتبة، ويعظّمهم الناس وينسبون إلى اسمائهم القرى والاحياء التي يقيمون فيها هم وأفراد عائلاتهم واتباعهم [٣٣].

٤- طبقة الفلاحين (تلاقوتل) أو (فوتول)

ويمكن تفسير كلمة (تلاقوتل) في لغة الاديغة: (تلاقو)، ومعناها تقريبا (القبيلة – العشيرة) أما (تل) فمعناها (رجل) ويصبح معنى تلاقوتل (أعضاء العشيرة او رجال القبيلة).

والقسم الاكبر من الشعب الشركسي انتمى، وينتمي إلى هذه الفئة من فئة الفلاحين الاحرار. وقد اختلفت قوة هذه الطبقة وتأثيرها السياسي من قبيلة إلى أخرى، فمنهم من تمتعوا بحرية غير محدودة في بلاد (الابزاخ) والشابسوغ مثلا. اما عند القبارطاي والابخاز فكانوا تابعين للأمراء أو النبلاء ويصف (دانيليفسكي – ١٨٤٧) الفلاحين القبارطاي بقوله:

"انهم مرتبطون بالأرض ويعاملون تقريبا (كالعبيد) مع انهم ليسوا كذلك وفي بعض الحالات الضرورية يمكن ان يباعوا كأفراد او كعائلات واغلب الفلاحين يتبعون النبلاء وفئة صغيرة منهم يتبعون الامراء [٣٦].

اما (لابنسكي) الذي كتب عن احرار الابزاخ (١٨٦٣) فيقول بأن "كل شركسي (تلاقوتل) (حر ينتمي إلى قبيلة). وإذا أراد امير أو نبيل الانضمام إلى قبيلة، فإنه يصبح فيها ايضا (تلاقوتل). ويحوز بذلك على حقوق وحماية القبيلة، وبين الاحرار لا توجد فروق، فكلهم متساوون مع بعضهم بشكل كامل" وفي عام ١٧٩٠ وبعد الثورة الاهلية للأبزاخ انتقلت السلطة بكاملها إلى الاحرار (تلاقوتل).[٣٧]

وطبقة الاحرار كانوا يتزاوجون فيما بينهم ومعظم افراد هذه الطبقة هم من الفلاحين الكبار ميسوري الحال (خاصة عند الابزاخ والشابسوغ). ولم يجدوا غضاضة في القيام بالعمل، بعكس الامراء والنبلاء الذين لم يكن يعملون على الاطلاق.

٥- طبقة ال (بشيل) (الاتباع أو رجال الأمير) [٣٨]

إن كلمة (بشيل) باللغة الشركسية ترجمت من قبل العديد من الرحالة والمؤرخين خطأ (بالعبيد) ومع الاعتراف بأنهم كانوا يعدون من ملكية الامراء أو النبلاء أو الورق، حيث كانوا يشترون أو يؤخذون أسرى في الحروب، مما أدى لوصفهم (بالعبيد) علما بأنهم كانوا يحملون السلاح ويشكلون جزءا من القوات المحاربة ويقدمون أعطيات معينة أو العمل عنده والمحاربة من أجله. وفيما عدا ذلك فإنهم كانوا يتمتعون بنفس الحريات تقريبا التي تتمتع بها الفئات الاخرى، كما كان لهم حق مقاضاة سيدهم (النبيل الأذرن) والمثول امام القاضي كما كان (سيده) ملزما بتحمل كامل نفقات معيشته. وأما (بشل) أبتاع قبائل (القبرطاي) فلم يكن لهم الكثير من الحقوق والحريات المذكورة سابقا، وكانوا يعتبرون في غالب الاحيان من أملاك الامراء او الاغنياء. صحيح انه كان من حقهم مقاضاة سادتهم، إلا أن الغرامات المفروضة على الأتباع تجاه سادتهم كانت أكبر من تلك المفروضة على السادة تجاههم.

وكانت شروط حياة الأتباع الملحقين بسادتهم في القبائل الشركسية الاخرى افضل من شروط حياتهم لدى القبرطاي، خاصة ما يتعلق منهـا بعـادات الـزواج والدفن وغيرها من أمور الحياة اليومية فكانت نفس عادات الاحرار [٣٩].

ويؤكد (بيل) الذي كتب عن نظام الطبقية لدى الشراكسة عام (١٨٤٠) بأن الاتباع يصبحون (اتباعا) في احدى الحالات التالية:

- أسرى الحرب: سواء كانوا من قبائل شركسية اخرى او من شعوب اخرى.
- الاشخاص الذين اصبحوا اتباعا بحكم قضائي (الأمر المألوف عند القبارطـاي عندما لا يتمكن البعض من دفع الغرامات للأمير يصبحون (اتباعا- بشل).
- المسروقين أو (المخطوفين) من القبائل الاخرى خلال الغـزوات والنزاعـات القبلية.
- الاتباع المسروقين أو (المخطوفين) من غير الشركس اثناء غزوة يقـوم بهـا شخص أو اكثر من القبائل الشركسية [٤٠].

ويشير (لابينسكي) في كتابه جزء (١) المنشور عام (١٨٦٠) بـأن طبقـة (البشل) من اتباع الامراء كانوا يشكلون ربع سكان قبائل الاوبـيخ وعـشر قبائـل الابزاخ وخمس قبائل القبرطاي [٤٠].

ويؤكد (لابينسكي) بأن (الاتباع) (البشل) عند الابزاخ كانت لديهم حقوق اكثـر من الاتباع في القبائل الاخرى ولم يكن عليهم العمل لفترة اطول من أي سيد آخـر في القبيلة، وكانت لهم بعض الممتلكات الخاصة المنقولـة، وعـائلاتهم الخاصـة، ويسكنون بيوتا خاصة بهم، كما امكنهم استصلاح وزراعة قطعة من الأرض إلـى جانب السماح لهم بتربية المواشي وغيرها من الحقوق الشخصية.

٦- طبقة الخدم (وونة – أوت)

ومعناها خدم البيوت او الترجمة الحرفية لها (الذين يقفون امام البيت) فهم أدنى طبقة في التنظيم الطبقي في المجتمعات الشركسية القديمة. ونستدل على ذلك من المثل الشركسي القائل ان تكون من الاتباع (البشل) شيء جيد، اما ان تكون من الخدم (وونة – اوت) فإنه امر سيّئ جدا [٤٢].

يؤكد المؤرخون للنظام الطبقي في المجتمعات الشركسية، بأنه كان نظاماً مختلفاً عن النظم الطبقية الاخرى التي كانت سائدة منذ العصور الوسطى في المجتمعات الاوروبية، وان هذا الاختلاف يكمن في عدم وجود حواجز الانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى، هذا بالإضافة بأن مفهوم العبودية بالمعنى المتعارف عليه في نظام (الرق) لم يكن موجودا لديهم وفئة (البشل) الذين يعتبرون من اتباع الامراء كانت لهم حقوق وحرية شخصية من حيث السكن، والزواج، والعمل، وكذلك الامر بالنسبة لأدنى طبقة في المجتمع الشركسي وهم (ونة اوت) أي الخدم (العاملين في البيوت) فكان لهم الكثير من الحقوق كما كانوا يعاملون معاملة حسنة من قبل الامراء والنبلاء والاعيان التابعين لهم ويقومون بخدمتهم. [٤٣]

*** الثورات والانتفاضات الشعبية في الوطن الام:**

يشير المؤرخون للمجتمعات الشركسية في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي إلى حدوث تحول كبير في النظام الاجتماعي الطبقي لدى الامة الشركسية في الوطن الام، كما يشيرون إلى الثورات والانتفاضات الشعبية التي حدثت ضد الامراء (البشي) والنبلاء (أذون) والاحرار (الورق) من طبقة الاغنياء ملاكي الاراضي الزراعية، والذين كانوا يسيطرون على الثروات الزراعية والحيوانية. ففي عام ١٧٦٧ انتفض حوالي عشرة آلاف قروي بزعامة (داميلي ما مسرقوه) بثورة شعبية ضد زعماء القبرطاي إلا أن تكاتف وتحالف رجال الدين والزعماء، ادى للقضاء على هذه الانتفاضة، كما قامت انتفاضات اخرى في مناطق البزادوغ

إلا انها لم تكن بحجم انتفاضة (مامسرقوه) ومن اجل القضاء عليها كان بعض الزعماء والأمراء والشراكسة يطلبون المساعدة من الروس.

وفي سهول الكوبان، نشطت القبائل الشركسية واستطاعت ان تجمع قواتها ضد امرائهم ونبلائهم وفي الاعوام ما بين ١٧٩٠ ولغاية ١٨١٠ استطاعوا القضاء على نظام الاقطاع مما اضطر الكثير منهم إلى اللجوء إما إلى روسيا أو إلى القرم.

ومع حلول عام ١٨١٠ استطاعت جماهير الشعب الشركسي اخذ الصلاحيات من الامراء والنبلاء في عموم مناطق شمال غرب القفقاس مما صبغ هذه الحركة بصبغة العصيان او التمرد التي ادت لحدوث انقلاب اجتماعي بمعنى الكلمة، وحركة تصحيح عامة، وكانت البداية الاولى الحقيقية لبدء سقوط نظام الاقطاع الشركسي الذي كان منتشرا في تلك المنطقة. (٤٥)

كما أكد كل من (تشيراسي وليجوت) وهما من المؤرخين الشراكسة في (مايكوب) على قيام ثورات شعبية، تحولت إلى حروب اهلية (عام ١٧٧٠) دامت لأكثر من عشرين عاما، وأدت إلى قتل غالبية الامراء الشراكسة في قبائل الابزاخ، وطرد النبلاء وتجريدهم من سلطاتهم واماراتهم، وكذلك قيام احرار الشابسوغ بتجريد الامراء والنبلاء من سلطاتهم (سلميا) دون سفك الدماء، وان هذه الثورة تزامنت مع الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر. كما هاجر كثير من النبلاء الفرنسيين إلى روسيا، فإن الكثير من امراء الشراكسة هاجروا إلى روسيا. (٢٠)

وفي عامي ١٨٤٦ – ١٨٤٧ قامت ثورات أخرى ضد زعماء وامراء الشراكسة عندما قام احرار وفلاحي الناتخواج والابزاخ بمصادرة بيوتهم وتحرير اكثر من (٥٠٠٠) فلاح وعبد (بشل) من تبعية الامراء والنبلاء (٤٧).

بالرغم من قيام السلطات القيصرية في القفقاس بإجراءات عسكرية لحماية الأمراء والنبلاء وارسال حملتين تأديبيتين لبلاد الشابسيغ والناتخواج فإن رد فعل شعوبهما هو الاستيلاء على كل ممتلكات النبلاء الذين التحقوا بالروس، أما النبلاء الذين بقوا في ما وراء الكوبان، وخوفا من فقد كل ممتلكاتهم وباقي عبيدهم وجدوا حلا وسطا مع كبار الشعب بحيث يصبحون متساوين في الحقوق مع باقي الشعب تحت طائلة الطرد من أراضيهم في حال مخالفتهم لهذا الحل، كما كان الصراع الاجتماعي حادا لدى (الاديغة) من المجموعة الارستقراطية الذين كانوا يعتبرون انفسهم خاضعين لروسيا.

كانت اكبر وآخر الانتفاضات الشعبية تلك التي قام بها فلاحو البجدوغ في شباط عام ١٨٥٦ التي عرفت باسم (حرب الامراء والنبلاء)، ولم يستطع النبلاء والامراء البجدوغ اخماد الانتفاضة إلا بالاستعانة بالقوات الروسية، فقد تم تنظيم عدة حملات تأديبية روسية ضد البجدوغ نتج عنها تدمير الكثير من القرى [٤٧].

المؤسسات الاجتماعية للأمة الشركسية في الوطن الام في مرحلة ما قبل طردهم من الوطن الأم

ومع نهاية القرن الثامن عشر تكوّن مجتمع الامة الشركسية من عشرات المؤسسات الاجتماعية والتي تسمى اليوم بمؤسسات المجتمع المدني، من اهم هذه المؤسسات هي:

- **البيت:** وهي اللبنة الاولى المكونة لمجتمعات الامة الشركسية وتتكون من اسر كبيرة تضم (الجد والابن والحفيد) والتي تسمى بمفهوم علم الاجتماع الحديث (بالاسرة الممتدة) أي ان الاسرة تكونت من ثلاثة اجيال.
- **المسجد:** كان المسجد المؤسسة الهامة في المجتمعات الشركسية بعد اعتناقهم للديانة الاسلامية، فكان له دور تربوي وتثقيفي جنبا إلى جنب مع الدور الديني.

- **مجالس المضافات** وربما كانت الأمة الشركسية أكثر امة متميزة في مضافاتها التي كانت تعتبر مؤسسة تربوية واجتماعية وسياسية وقضائية. فالمضافات الشركسية والتي تسمى (حاشيش) كانت مؤسسة لها مكانتها ودروها في المجتمعات الشركسية قديما وحديثا. ففيها تلتقي مختلف طبقات الشعب من امراء ونبلاء واحرار وفلاحين وحتى التابعين للامراء (البشل) كان لهم حق حضورها كما كان يحضرها المغنون والمنشدون ورواة الحكايات والاساطير. كما كانت المضافات هي مكان اقامة الضيوف من مختلف الاجناس والاقوام الذين كانوا يلقون كل ترحاب وتكريم، وكان الويل والعار للمضيف الذي يهمل ضيفه او يعجز عن حمايته .
- **مجالس الشعب**، وهي المجالس التي تضم في عضويتها الامراء والنبلاء والاعيان الممثلين والمنتخبين من عامة الشعب.

وكانت المجالس هي اعلى سلطة في النظام الاجتماعي والسياسي لدى الامة الشركسية وتحولت في مراحل لاحقة من القرن الثامن عشر إلى مجالس نيابية قومية منتخبة من الشعب مباشرة.

في مرحلة ما قبل طردهم من الوطن الأم تكون المجتمع الشركسي من الفئات التالية:

- **فئة الحكام**، وهم الامراء والنبلاء وزعماء ورؤساء القبائل أو الامارات والدويلات التي كانت تتكون منها مجتمعات الأمة الشركسية.
- **فئة رجال الدين (المولات أو الشيوخ)** وهم الفئة التي تشرف على دور العبادة وتطبيق الشريعة الاسلامية.
- **فئة القضاة** وهي الفئة التي كانت تسهر على نشر العدالة والفصل بين المنازعات في المجتمعات الشركسية.

- **فئة الفلاحين (المزارعين)** وهي الفئة الغالبة في المجتمعات الشركسية في تلك الفترة.
- **فئة الحرفيين**، وهم الذين يمتهنون مختلف الحرف اليدوية من نجارين وحدادين، وصاغة سروجية وصانعي الاسلحة وخياطين وبناءين... الخ.
- **فئة الفنانين** وهم المغنون والموسيقيون.. الخ.
- **فئة الشعراء ورواة الاساطير** وهم فئة متخصصة في تأليف القصائد والأشعار وكذلك فئة (الرواة – حكاواتية).
- **فئة المقاتلين:** وهي الفئة التي كان يتكون منها مجموعات المقاتلين المدافعين عن الأرض والعرض خلال حروب الدمار والابادة التي تعرضت لها الامة الشركسية وهي فئة متطوعة وغير محترفة.
- **فئة التربويين** وهي فئة ظهرت في مراحل لاحقة بعد أن أنشئت المدارس والمعاهد التعليمية.
- **فئة رجال الامن (الحراس)** وهم بعض المحاربين أو قسم من الجيش المفرغين لحفظ الأمن والسهر على سير القوانين وتنفيذها، بالإضافة بعض الرماة المسلحين المعنيين لحفظ الامن وتطبيق القانون في كل قرية، بحيث يخصص رجل امن واحد اذا كانت القرية صغيرة، وعدد أكبر من الرجال في كل قرية كبيرة أو بلدة.

خصائص المجتمعات الشركسية ومقوماتها:

تميزت المجتمعات الشركسية منذ عصر الاجداد في فجر التاريخ وحتى عصرنا الحديث بمجموعة من الصفات والخصائص والمقومات الاجتماعية، كان أهمها هي:

علاقة الفرد بأسرته في المجتمع الشركسي:

ربما كان المثل الشركسي التالي خير دليل على خصوصية علاقة الفرد بالاسرة ومجتمعه وهو المثل القائل (تتشكل القرية من مجموعة من الاسر)، أما المعنى الاوسع للمثل فهو (صلاح المجتمع من صلاح الاسرة)، فإذا كانت العلاقة بين افراد الاسرة علاقات صحيحة، يسودها الحب والتعاون، واذ كان كل من افرادها يدرك حقوقه وواجباته ودوره في الاسرة، فإن مثل هذه الاسرة، لا بد ان تكون اسرة سعيدة تتمتع بالمواصفات اللازمة لبناء العلاقة السلمية بالمجتمع الكبير الذي تعيش ضمنه.

وهذه المظاهر كانت تتجلى بشكل واضح في الاسرة الشركسية منذ القدم، فالمجتمع الرعوي الزراعي، وحياة الفروسية، والحروب المستمرة، كانت كلها اسبابا مساعدة لتنامي العلاقات الجيدة بين افراد الاسرة، بحيث نتج عنها تراث كبير من العادات والتقاليد والاغاني والقصص والاشعار والامثال وكلها وضعت لتحكم تلك العلاقات وتوجهها بشكل صحيح.

*** العلاقة بين الجيران في المجتمع الشركسي**

نأتي إلى العلاقة الاوسع قليلا، وهي العلاقة بين الجيران بعضهم ببعض، ولنستعرض بعض الامثال الشركسية كمدخل للتعرف على هذه العلاقة في التراث الشركسي نذكر منها:

المثل الذي يشبّه (الجار باللباس) فكما ان اللباس يستر عورة الانسان فإن الجار الصالح، يستر عورة جاره، ويظل اقرب الناس إليه بعد اسرته، لا بل ان المثل الشركسي يقول بأن الجار الجيد اشبه بالاخ، كما أن مثلا آخر يشبّه (الجار الصالح بالأخ الصالح) وبمعنى آخر فإن الجار الصالح أفضل من الأخ الطالح!!

هذا بالاضافة إلى أن من المعايير الحقيقية (للأديغا خابزة) هو مدى المحافظة على حرية الجيرة واعتبار الجار قبل الدار، ومن الامثلة التي تدل على ذلك المثل الشركسي القائل: (إن جارك القريب افضل من قريبك البعيد) وكذلك (من يعيش بجوارك يمت لك بالقربى اكثر من اهلك البعيدين)، فإنك تجد جارك عندما تحتاجه وتقاسمه احزانك وافراحك في الحياة، وان الشركسي يحافظ على جاره مثل محافظته على قميصه الداخلي الابيض نظيفا.

مفهوم الاخوة والصداقة في المجتمع الشركسي:

إن قواعد (الأديغا نيميس) تؤكد على متانة علاقات الصداقة بين الرجال والنساء، حيث تتصف هذه العلاقات بأنها الأكثر متانة وعمقا واخلاصا، وإذا لم يكن بالإمكان أحدهم الوثوق بصداقة، فإنه يعتبر غير محترم اجتماعيا، والصديق المعتمد (وفق معايير تلك الايام) أقرب الناس إليك هو بمثابة أخيك، وإن لم يكن بالدم فبالروح، وانك تتقاسم معه الأفراح والاتراح وصعوبات الحياة ومسراتها، والصديق يصارح صديقه بالحقيقة مهما كانت مؤلمة، ويحاول دائما ان يتفهم ويدرك وضع ومزاج الصديق، ويغفر له تصرفاته وفاء للصداقة، وان الشركسي يكون مستعدا للتضحية حتى بحياته من اجل صديق، وان انقاذ صديق له يعتبر شرفا كبيرا له. ومثل هذه الصداقات كانت تمتد إلى عائلات الصديقين، وخاصة إلى ابنائهم. وإذا ما توفي أحد الصديقين، فإن من بقي حيا منهما يأخذ على عاتقه وحتى نهاية عمره الاهتمام بعائلة صديقه المتوفى وخاصة ما يتعلق بتنشئة اطفاله الايتام.

فتقول (رايا مامخيغ) حول خصوصية الصداقة في القفقاس بأن ثمة كلمة متعارف عليها هي (كوناك)، وهي الصديق من مرتبة الاخ ويقدمون كل ما لديهم فداء هذا الصديق حتى الحياة نفسها.

كما أكد الرحالة الذين زاروا بلاد الشراكسة على انتشار عادة (قسم الاخوة) الذي أدى إلى تعاضد وتكاتف الشراكسة في كل المراحل الزمنية وهو (القسم) الذي يتم بعد ان يتقدم من بين صفوف الجماعة التي تتسم بالاخوة رجل ينعقد الرأي على احترامه، بينما تتقدم سيدة من بين الجماعة الاخرى وتعرض على الرجل صدرها، ويختتم هذا الحفل بالقسم على القرآن.

مفهوم التعاون في المجتمع الشركسي:

من العادات المتأصلة في نفوس الجراكسة التعاون، فهم يتعاونون ماديا ومعنويا واجتماعيا. وبذلك تقل الفروق بين طبقاتهم.

ومن مظاهر التعاون الجميلة عندهم تطوع الشباب والرجال في عملية لإنجاز عمل لأحدهم لا يستطيع انجازه وحده في اسابيع مثل بناء بيت او حرث أرض، او حصاد زرع، أو درس بيدر، أو جلب ما يحتاج إليه من حطب. وقد يكون غير قادر على القيام بهذا العمل، لأنه ينقصه بعض مستلزماته من آلة وما شابه ذلك. ففي مثل هذه الحال، فإنهم يتبعون عادة من أجمل العادات وهي: قيام صاحب العمل باقامة حفلة غداء في مكان العمل، تشترك في تحضيره واعداده قبل يوم العمل (الجارات) وهكذا يقومون بالعمل دون ان يشعروا بتعب او ملل، وعند الانتهاء منه يعودون إلى بيوتهم على انغام موسيقاهم الجركسية، واغانيهم الحماسية، ورقصاتهم الرياضية، متمنين من صميم قلوبهم ان يدوم العمل الجدي على هذا الشكل المبهج والمفرح، وان لا ينقطع ابدا، وبذلك ينجز صاحب العمل عمله، وما خسر إلا قليلا، لأن الأكل قد شاركت بتحضيره جارات زوجة صاحب البيت، فكل واحدة منهن تبرعت بأكلة من عندها.

ولم تكن "العونة" تقتصر على امور الزراعة بل كانت تشمل كثيرا من الاعمال التي كانت تتطلب التعاون والعمل الجماعي.

كما كانت هناك انماط اخرى من الحياة الاجتماعية التي تعكس مظاهر هذا التعاون، فهناك فرن (الطابون) المشترك في الحارة، والذي كان يستعمل من قبل اكثر من عائلة، حيث كان لكل منها دور في استخدامه لاعداد خبزهم، كما كانت العائلات المتجاورة تتعاون في اكثر من عمل، فالبرغل (المادة الرئيسية لصناعة الباسطة) والذي لم يكن يخلو أي بيت شركسي منه، كان يتم صنعه عن طريق العونة تماما مثل (تصويل القمح)، أي غسله وتنظيفه تمهيدا لطحنه، وتحضير مستلزمات طبخة (العاشوراء) الذي كان يتم في اماكن محددة في القرية، والتي يتواجد فيها (الجرن الخشبي) الذي يستعمل لإزالة قشرة الذرة الصفراء والقمح المادتين الرئيستين لهذه الطبخة.

كما كانت المعونة في اعداد وتوفير مستلزمات البناء وصيانة البيوت من حجارة واخشاب وقصب واغصان شجر الدفلى والتراب المخصص لاعمال القصارة في البيوت الطينية والتراب اللازم لبناء الطوب والذي كان يستخرج من اماكن محددة على اطراف القرية. كل هذه المظاهر التي ذكرتها وغيرها، تدل دلالة واضحة على التعاون (ولو بطريقة غير مباشرة) في الحياة الاجتماعية الشركسية.

وبفضل هذا التعاون لم تكن هناك حاجة لطلب العون من مناطق اخرى الا نادرا، فكل المهن اللازمة لحياة القرية الشركسية في كل قرية كانت متوفرة، من الحداد إلى النجار والبناء والطحان وصانع الجلود والادوات الزراعية وحتى والمعالجين بالطب الشعبي.

*** مفهوم التكافل والتضامن في المجتمع الشركسي**

يؤكد المؤرخون والباحثون الاجتماعيون بأن المجتمعات الشركسية تكاد تخلو من (المتسولين) وان فقراءهم لا يمدون اليد، لأن الأمة الشركسية من الامم القديمة التي طبقت مفهوم التكافل والتضامن منذ ان كانوا وثنيين وقبل اعتناقهم

للديانة المسيحية ومن ثم الدين الاسلامي، ومن أهم مظاهر التكافل التي كانت تطبق منذ عهد الاجداد هي:

- **مبدأ كفالة الاطفال الايتام** من قبل اصدقاء ابائهم او من قبل جيرانهم، لأن من اكثر العادات التي كان يتمسك بها الشراكسة منذ القدم هو قيام اصدقاء الابـــاء او جيرانهم برعاية اطفالهم بعد موتهم او استشهادهم في المعارك.
- **مبدأ (العونة)** التي تحدثنا عنها، وكذلك مبدأ اعتبار الارض ملكا مشاعا بـــين الناس، وبعبارة ادق فإن الشراكسة كانوا يؤمنون بأن لكل انسان الحـــق فـــي الحصول على قطعة ارض لإعالة عائلته. فكان الرجال في قرية ما، يعزقـــون الارض ويحرثونها ثم يزرعونها، بجهد مشترك، وعنـــد الحـــصاد والاثمـــار يقسمون الأرض وناتجها فيما بينهم. فالعائلة الاكبر عددا والاقل حظـــا، تأخـــذ الحصة الاكبر. والحصة الثانية تذهب إلى العائلة التي تليها في الترتيب، وهكذا إلى ان تحصل كل عائلة على ما يكفيها، وإذا حدث جفاف أو قحـــط، وانعـــدم الحصيد والثمر، هبت القرية المجاورة إلى مساعدة سكان القرية المنكوبة. وإذا عجزت عن الوفاء بكل الالتزامات هب أهالي القرية التي تليها في سد النقص، وإذا اصاب الولاية كلها، قحط او نكبة ما، تقدمت الولاية المجاورة للمساعدة. وهذا ما حدث في الحروب الاخيرة التي جرت بين ابخازيا وجورجيـــا حيـــث هبت الجمهوريات والمجتمعات (الاديغية) في الوطن الأم إلى مساعدة الابخاز، ولما اشتكى الجورجيون إلى الروس، حاول الروس أن يوقفوا تدفق المساعدات إلى ابخازيا، وفشلوا في تحقيق ذلك، لأن الشعب أصر على التمسك بمبـــدأ أو نظام (العونة) الشركسية واستمرت الشاحنات والقطارات تفرغ حمولاتها فـــي مختلف مناطق الابخاز.

- **مبدأ تخصيص حصة من المزروعات للفقراء والمحتاجين والغرباء وابن السبيل:**

كان من عادات الشراكسة منذ القدم هو قيام الفلاحين في القرية بزراعة الاراضي الخاصة بالأرامل والايتام وكبار السن والضعفاء او المرضى، كما كانوا يقومون بحصدها بشكل جماعي، هذا بالإضافة إلى قيام اهل القرية بزراعة قطع اراضي اضافية من غير الاراضي المخصصة لكل عائلة وتخصيص انتاجها للفقراء او للغرباء الذين قد يصادف حضورهم عند الحصاد، وهو النظام الذي كان يسمى بالشركسية (حامة – أحه) ومعناها (حصة الغريب) لأن الشراكسة كانوا يؤمنون بالمبدأ الشعبي القائل (اللي بحضر السوق بتسوق).

- **مبدأ المسؤولية الجماعية في المجتمعات الشركسية:**

لم يكن يوجد أحد في المجتمع الشركسي قديما وحتى إلى وقت قريب في الوطن الأم أو في بلاد المهجر شيخ يعيش وحيدا بلا رعاية أو ايتام هائمون أو اطفال شوارع أو اطفال أسر مفككة وذلك بفضل (الأديغة – خابزة) التي تجبر أبعد قريب لذلك الشيخ أو (الطفل اليتيم) أو (المرأة الوحيدة) عن رعايتها، وإن لم يوجد مثل هذا القريب يعتبر أهل القرية أو الحي مسؤولون عن رعاية هذه الفئة المهمشة.

- **مبدأ احترام العمل والعمال في المجتمع الشركسي:** *

اعطت العادات والتقاليد الشركسية (الخابزة) اهمية كبرى للعمل والعمال، والتراث الشركسي الشفوي غنية في الاقوال والحكم التي تعتبر العمل قيمة

* للاطلاع على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى مقالة عاطف طاس يخول في مجلة الاخاء – العددان (١١٣-١١٤) اذار – حزيران – ٢٠٠٠، ص: ١٠-١٤.

اجتماعية كبيرة، وأنه متأصل في المجتمعات الشركسية منذ القدم، وأن اهمية العمل لا تقتصر على كونه وسيلة الانسان لتوفير مأكله وملبسه وحاجاته وحسب، بل أنه يمنح الانسان، الثقة بنفسه، ويكسبه احترام الآخرين، وينمي لديه الطموح والأمل، والفرد الذي يأكل من عرق جبينه هو الذي يعرف قيمة الحياة ويشعر بلذتها وينسى متاعبها، كما يتضح ذلك في المثل الشركسي القائل: **(ألذ الزاد، أصعبه منالا)**.

كذلك المثل القائل: **(كل من كدك، لأن زاد الاحسان لا يشبع)**.

وكذلك فإن المجتمعات الشركسية كانت تنظر إلى المكانة الاجتماعية للانسان الشركسي وقيمته بقدر اقباله على العمل واتقانه له، كما يتضح في المثلين التاليين: **(قيمة الانسان تقاس بمقدار ما ينجزه من عمل)**.

(جمال الانسان بعمله، وجمال الاشجار بثمارها)

واعتاد الشراكسة منذ القدم على احترام العمل، وعدم الخجل منه، ولو كان عملاً متواضعا، وهذا ما تعكسه قصة "الحكيم جباغي"، عندما جاءه شخصان يريدان استشارته، فلما رأياه يعمل في الحقل مع زوجته، عاد أحدهما من حيث أتى قائلا: **وهل يمكن أخذ الحكمة من رجل يعمل مع زوجته في الحقل؟ فكان رد (جباغي) المشهور (لا تحتقر العمل الشريف، مهما كان حقيرا)**.

مبدأ قرابة (الاتالق) والاخوة بالرضاعة او بالتعاهد:

فقرابة الاتالق هي القرابة التي تنشأ بين أسرة (الولد) المطلوب تربيته ويسمى (قان) وأسرة المربي ويسمى (الاتالق) حيث كان من عادات الشراكسة منذ القدم تربية طفل من أسرة ما عند اسرة اخرى، بهدف اقامة علاقة قرابة بين الاسرتين، ويصبح الزواج محرما بين هاتين الاسرتين، وكان الامراء والنبلاء يرسلون ابناءهم إلى عائلات (الورق) ليربونهم ويدربونهم لمدة سبع سنوات ثم يعود الشاب إلى منزله في السادسة عشرة من عمره، وتسمى هذه العادة عند القبرطاي (أوزدن) والوالد المربي (بوف خاكؤه) والطفل المربى (قان) وكان المربي يغني

للطفل "**أنت اليوم طفل صغير وغدا ستغدو بطلا عظيما فإذا ما اشتدت ساعدك، لك ان تغزو وتأتي بقطعان الخيل والغنائم والاسلاب وعليك ان لا تنساني أنا مربيك العجوز**" وقد يغدو الولد (المربى) أغلى من الولد الحقيقي وعند الشراكسة اسطورة شعبية تقول بأن امرأة انقذت ولدها (القان) من حريق قبل ولدها الحقيقي الذي مات حرقاً.

والمبدأ الثاني هو مبدأ الاخوة بالرضاعة الناشئة من ارضاع طفل او اكثر من قبل جارة او مربية، وفي هذه يكون الاولاد او البنات اللاتي رضعن على ابن او بنت المرضعة محرماً التزاوج بينهم وهي عادة كانت مطبقة من قبل الدخول في الاسلام.

واما الاخوة بالاتفاق او التعاهد وهي الاخوة الناشئة عن اداء قسم التآخي ويصبح من المحرمات بالزواج من بعضهم البعض وهو ما يعرف باللغة الشركسية (آخرة زش) أو (آخره قدش) **ومعناها أخوة حتى يوم القيامة**، وهو مبدأ شائع حتى يومنا الحاضر في كل من الوطن الام وبلاد المهجر.

مبدأ رفض الكسل واحتقار العاطل عن العمل:

ربما كان من اكثر الاشخاص ازدراء واحتقارا في المجتمعات الشركسية هو الشخص الكسول العاطل عن العمل وهو قادر على ذلك، وهناك امثلة شركسية عديدة تعبر عن الموقف الرافض للمجتمعات الشركسية للكسل والعاطل عن العمل:

(ان الرزق يأتي مع العمل، كما تأتي المشاكل مع الكسل).

(يوم الكسول طويل).

(من لا يتقن الحصاد، يتعلل بسوء منجله).

(العاطل عن العمل، أكول).

(من يزرع اشجار الغابة، لا ينتظر ان يأكل من ثمرها)

(لا تغتر بجمال مظهرك، بل باتقان عملك)
(الذي يأتي بالسهل، يذهب بالسهل).

وربما كانت الابيات الشعرية التهكمية التالية خير دليل على احتقار الذين يأكلون من كد وتعب غيرهم.

(نحو العمل لا يندفع لكن السباق عند الاكل).
(يستصعب حلب البقرة وذيبك عند اكل القشطة).
(يستقل ما يأكله ويستكثر ما يعمله).

المرحلة الخامسة: من مراحل تطور المجتمعات الشركسية هي مرحلة الاضطهاد الاجتماعي للأمة الشركسية

بدأت هذه المرحلة مع انتهاء حرب الابادة والدمار الروسية في يوم ١٨٦٤/٥/٢١ فأصبح من بقي من الأمة الشركسية في الوطن الأم (احياء) والذين لا يتجاوز عددهم مائتي ألف من مجموع اربعة ملايين شركسي وهو عدد سكان الامة الشركسية قبل بدء الحروب، حيث استشهد او فقد نسبة كبيرة منهم في الحروب او هجروا قسرا لبلاد الاتراك وبعض الدول العربية.

وربما كان افضل وصف للاوضاع الاجتماعية للشراكسة الذين بقوا ملتصقين بأرض الآباء والأجداد هو ما كتبه (برزج سمكوغ) في تقديم ترجمة كتاب (القوقازيون الشراكسة) من تأليف (يا. أبراموف) المنشور عام (١٩٢٧) واقتبس منه هذه الفقرة. (٤٨) *

* يا. ابراموف، القوقازيون الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٥٢.

(رغم عمليات الإبادة التي مارستها الجحافل القيصرية، ورغم سياسة الأرض المحروقة والمذابح الجماعية بعد زج الضحايا في الحفر المشتركة في القفقاس، وفناء قبائل كاملة مثل (محاصرة قبيلة جان الملتجئة إلى الاحراش وإحراقها بمن فيها).

وبالرغم من عمليات التهجير القسري إلى مناطق مستنقعات الكوبان او التهجير إلى البلاد العثمانية، والانتظار في المحطات والموانئ بدون غذاء أو كساء او مأوى، هذا عدا عن هلاك الاطفال والشيوخ على طرق التهجير براً، وإغراق البواخر التي اقلتهم على طرق التهجير البحرية، وفتك الامراض السارية بهم في المناطق الموبوءة التي خصصت لهم، أو الموت في ساحات القتال في البلقان، رغم كل هذا بقي قسم من الشعب الشركسي ملتصقا بأرض الآباء والاجداد يتحمل الظلم والذل والاهانة والقتل العلني، وكان مسموحا به للمستوطن الروسي والقوزاقي، يوميا بدون حساب.

والشراكسة الذين بقوا على أرض الوطن لم يتخلوا عن الدفاع عن وجودهم ابدا، وأنهم ظلوا يقاومون المحتلين والمستوطنين الذين أُقطعت لهم أخصب الأراضي وأنشئت لهم المستعمرات، وسنّت من أجلهم القوانين، وأوكلت إليهم مهمة قتل أو تهجير من بقي حيا من الشراكسة ".

كما قال (أبراموف) في رده على بعض الكتاب الروس الذين اتهموا الشراكسة بالهمجية والبربرية وانهم شعب كسول لا يحب العمل، اجاب عليهم قائلا "**فإننا يجب ان نعترف بأن الأمة الأقل حضارة، والأقل حبا للعمل هي الأمة الروسية بالذات لقد تحدثت عن تمليك املاك شاسعة في القفقاس الغربية للروس، تلك الاملاك التي كانت مغطاة ببساتين وكروم ومراع وحقول أنشأها السكان الجبليون (ويقصد بهم الشراكسة).** مثل هذه الظاهرة لاحظتها ايضا في منطقة (التيرك) من خلال السنوات الثلاث التي قضيتها في هذه المنطقة وعشت قسما منها

في (نالتشيك) كما عشت في مناطق سكن الروس ايضا، وفي قرية في وسط قبرطاي الكبرى، حدث أن رأيت بنفسي – كيف ان الروس ودون أي خجل كانوا يتلفون غلال المزروعات للقبرطاي التي بذلوا من أجلها جهداً كبيرا عدة سنوات.[٤٨]

والدارس للأوضاع الاجتماعية الشراكسة الذين تمسكوا بالأرض ولم يهاجروا يلاحظ حقيقة الظروف المعيشية الصعبة جدا التي عاشوها خلال فترة وقوعهم تحت حكم الاستعمار الروسي في عهد القياصرة خلال الفترة من (١٨٦٤-١٩١٧) ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

- تعامل القوزاق المحتلين مع السكان الاصليين من الشراكسة وكأنهم (ليسوا بشرا) وإنما هم مخلوقات نكرة لا ضرورة لإيلائهم أي اهمية.
- إعطاء القوزاق المحتلين حقوق خاصة (مميزة) والحصول على دعم السلطات الروسية الرسمية في كل المواقف.
- تعيين رؤساء وسادة من القوزاق على السكان الاصليين من الشراكسة، مما سبب حدوث اصطدامات دموية بين (القوزاق والشراكسة)، منها ما حدث صيف ١٨٨٣ من مذابح وتقتيل للشراكسة من قبل القوزاقيين المحتلين.
- إعطاء الروس الذين يعيشون في قرى بالمناطق الشركسية حق انتخاب (المختار) أما (مختار) القرى الشركسية فيتم تعيينه من قبل رؤساء اقسام الروسية.

ويتابع (ابرامانوف) قائلا: [٤٨]

"إن نتائج مثل هذا النظام محزنة للغاية، فإن استياء مجتمعات القرى الأصلية من مخاتيرهم (المعنيين) واقع عام، وهذا الاستياء مفهوم تماما، إذ أن وظيفة المخترة التي يشغلها أناس شغلوا قبلها أدنى المراتب في المجتمع، أشخاص محتقرون ويكرههم المجتمع الشركسي كله، أشخاص عندهم عدة إخباريات

(جرائم)، أو خبرة عملية في اللصوصية. وكان (رؤساء القرى) والمخاتير دائما وأبدا ينفذون عملية استغلال السلطة غير المبررة يشجعون الآخر بالثأر من الشراكسة، أو يترسون على الجرائم، وقد يكونون هم أنفسهم أعضاء في المجموعات اللصوصية التي تنفّذ اكثر السرقات وحشية دون أي عقاب. ولما كان هؤلاء المخاتير تعينهم السلطة الروسية فإنهم كانوا يلقون التأييد منها، فليس من العجب أن تتحول كراهية السكان الاصليين من الشراكسة نحو (المخاتير) موجهة للنظام الروسي الذي يظهر للشراكسة تجسيدا للقمع والطغيان. ولذلك فإن الألم والحقد كله الذي يتراكم في مثل هذا المجتمع يقع على الروس انفسهم، ومن جهة أخرى فإن الشراكسة حينا يرون سكانا من الروس لهم استقلالهم بشكل واسع في شؤونهم الداخلية فإنهم يبدؤون لا إراديا بالإحساس بأنهم في وضع غير عادل ويبدؤون بحسد جيرانهم. إن مثل هذا التمايز الذي يشعر به السكان الأصليون كان شديد الوطأة". (٤٨)

- غياب العدالة في التعامل مع الشراكسة، وخير مثال على ذلك ما يحدث عند وقوع جرائم ضد (شخص شركسي) فإنها في غالبية الحوادث تبقى دون عقاب، وبالعكس تماما تكون القضية فيما يتعلق بالجرائم التي ينفذها او يظن أن الشراكسة نفذوها. فإنها تتابع وتوقع فيها أكثر العقوبات شدة وإن مسؤولية (الجبليين) في منطقة (التيرك) عن الجرائم محاطة بشروط لا شبيه لها في طول أراضي الامبراطورية الروسية. فالنظام الموضوع بالقانون للكشف عن المجرمين وسوقهم وتثبيت المسؤولية عليهم نادرا ما يطبق على السكان المحتلين من الروس "القوزاق" بينما مسؤولية الشراكسة تحدد بأفكار مسبقة ويمكن ردها إلى النقطتين الاساسيتين التاليتين:

النقطة الاولى: في كل مرة تحدث جريمة ما في منطقة او في أي مكان يفترض أن يكون الفاعل هو من (الشراكسة) وحتما ليس من الروس بأي شكل كان.

النقطة الثانية: يعتبر كل شركسي يعيش قرب مكان حدوث الحادث مسؤولا عن هذه الحادثة حكما، في حين يكون لا يزال الفاعل غير معروف، وحتى في الحالة التي يكون فيها الفاعل معروفا، ولا تملك السلطة الادلة الكافية للإثبات، فإنه كان يتم تطبيق نظام (الاحكام) الادارية الخاصة بدلا من تطبيق (الاجراءات القضائية) تجاه الشراكسة وهو نظام غير عادل تطبق فيه الإجراءات التي يرغب قائد الشرطة بتطبيقها.

- إن الغرامات التي يدفعها السكان الشراكسة بسبب (المسؤولية الجماعية) تفوق مرات عديدة جميع الضرائب والرسوم التي يدفعها الروس، وقد أحرق أحد الروس منزله بنفسه ولما لم يُعرف الفاعل فقد حصل على اربعة اضعاف قيمة منزله المحروق من السكان الاصليين المجاورين من الشراكسة.
- فتح العشرات من جمعيات (إعادة نشر الدين المسيحي) في القفقاس عامة وفي المناطق الشركسية خاصة بهدف إعادة تنصير الشراكسة.
- قلة المدارس في المدن الشركسية وندرتها في القرى، كما أن هذه المدارس بالرغم من قلة عددها فإنها كانت مدارس (صورية) وبدائية وليس لها أية علاقة بنظام التعليم العام ويقول (ابراموف) في وصف التعليم عند الشراكسة في زمن حكم القياصرة الروس.

"إن خمس إلى ست سنوات يقضيها التلميذ من الشراكسة في المدرسة (الجبلية) يعتبر وقتا ضائعا وبلا فائدة ولا يكتسب من المدرسة أي معرفة تفيده في حياته العامة، إن الشيء الوحيد الذي يتعلمه في هذه المدارس هو **التكلم باللغة الروسية**، وهذا التعلم ليس مهما جدا إلى هذه الدرجة التي من أجلها يفني ست سنوات من حياة الاطفال".

واخيرا فإن الشراكسة (الاديغة) وغالبيتهم من القبرطاي والبزادوغ عاشوا في قرى متباعدة ولم يكن لهم الحق في حكم أنفسهم بأنفسهم، كما أنه لم يكن لهم أي شكل من أشكال الحكم الذاتي بل أنهم كانوا محكومين من قبل الإدارة المحلية الروسية، ومن خلال (المخاتير) المفروضة عليهم من قبل السلطات الروسية.

بالإضافة إلى الحقائق المؤلمة المشار إليها سابقا فإن الباحث في اوضاع الحياة الاجتماعية للقبائل الشركسية التي نجت من التهجير (الروسي/ العثماني) القسري، وتمسكت بأرض الوطن الام يكتشف الحقائق المؤلمة التالية:

الحقيقة الاولى: تناقص اعداد القبائل الشركسية التي عاشت في الوطن الام بعد الاحتلال الروسي في عام ١٨٦٤.. وان عددها انخفض إلى (٥) قبائل من أصل (١٨) قبيلة كانت تعيش في القفقاس قبل حرب الابادة. وأن بعض القبائل اندثرت نهائيا ولم يعد لها وجود بسبب القضاء عليها خلال حرب الإبادة الروسية، وأن بعضها الآخر اندمجت مع قبائل شركسية أخرى ولم يعد لها وجود كقبيلة مستقلة. وأن اكثر القبائل الشركسية التي عاشت في الوطن الام في ظل حكم روسيا القيصيرية هي:

- القبرطاي: وهم أكبر قبيلة شركسية في الوطن الام ويعيشون في جمهورية (كباردينا – بلقاريا) ويشكلون ٥٢% من سكان الجمهورية البالغ عددهم ٩٠١٤٩٤.
- بسليني: وهم من قبائل القبرطاي اصلا ويعيش الغالبية العظمى منهم في جمهورية تشيركيس – قراشاي.
- البظه دوغ – بزادوغ: ويعيشون في (٣٨) قرية في جمهورية (أديغية).
- الشابسوغ: ويسكنون على ساحل البحر الاسود وفي المنطقة الواقعة ما بين الأبزاخ ونارت قوجه علما بأن ٩٠% منهم هجروا إلى الدولة العثمانية وما

تبقى يعيشون موزعين في أكثر من منطقة، مثل اقليم الشابسوغ الصغير نسبيا في (الأديغية) وفي قرية من قرى جمهورية تشركيس – قراشاي.

- تيمر قوي: هُجرت الغالبية العظمى منهم ومن تبقى منهم يعيشون في جمهورية (أديغية).
- الأباظة/ الابخاز: هُجرت الغالبية العظمى منهم، ومن تبقى يعيشون في جمهورية (أبخازيا) التي استقلت اواخر القرن العشرين عن جمهورية جورجيا.

الحقيقة الثانية: تناقص اعداد الشراكسة القاطنين في الوطن الأم لأقل من (٦%) من العدد الاجمالي للشراكسة قبل بدء حرب الإبادة الروسية.* حيث يشير أكثر من مصدر بأن عدد الشراكسة في مطلع القرن التاسع عشر في الوطن الام القفقاس كان (٥) مليون تقريبا، وأن عدد الذين لم يشملهم التهجير القسري وبقوا في موطنهم لم يتعدَ ٦% منهم وتوصلنا إلى هذا الاستنتاج من تحليل الاحصائية الرسمية الوحيدة التي اجريت بعد حرب الإبادة وهي إحصائية عامي (١٩٢٤-١٩٢٦) كما هو مبين في الجدول الذي أورده (آبه – زاو) نقلا عن قادرجان قافلي في كتابه المنشور باللغة التركية.

* تؤكد الوثائق بأن عدد الشراكسة ما قبل حرب الابادة في القرن الثامن عشر كان في حدود (٥) مليون، وبعد الحرب لم يبقَ منهم في الوطن الأم أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) إلى (٣٤٠,٠٠٠) شخص شركسي والباقي قتلوا في الحروب او ماتوا بالامراض أو ماتوا خلال التهجير ومن بقي حيا هُجّر إلى تركيا.

الولايات	المساحة بالكيلومترات المربعة	النفوس	كثافة النفوس بالكيلومتر مربع واحد
داغستان	٥٨٩٠٠	١,٢٥٦٠٠٠	٢١
جاجانستان	١٢٣٠٠	٢٤٥٠٠٠	٢٠
سونخ	١٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٠
إينكوش	٣٧٠٠	١٥٢٣٠٠	٤١
أوستيا	١٠٤٠٠	٤٣٢٩٠٠	٤١
تيرك	٢١٢٠٠	٥٠٨١٠٠	٢٤
* قبارداي–بالقار	١٢٠٠٠	٣٥٩٢٠٠	٢٩
* قاراشاي– جركس	١٣,٣٠٠	٢٤٢٤٠٠	١٨
* مايكوب	١١٩٠٠	٢٩٢٣٠٠	٢٤
* آديكة	٦٠٠٠	٢٤١٨٠٠	٤٠
البحر الاسود	١٥٥٠٠	٢٩١٠٠٠	١٩
المجموع	١,٧٥٨,٠٠٠	٤,٤٢٩,٩٠٠٠	٢٦

نستنتج من الجدول السابق بأن عدد سكان الجمهوريات والمناطق التي كان يسكنها مواطنون من أصول شركسية حتى عامي ١٩٢٤ –١٩٢٦ *

* محمد جمال صادق آبه زاو – موسوعة تاريخ القفقاس ص: ٣٨–٣٩.

٣٥٩٢٠٠	في جمهورية كباردينيا بلقاريا	منهم (١٩٧) الف شراكسة وبنسبة ٥٥%
٢٤٢٤٠٠	في جمهورية قراشاي يشركس	منهم (٨٠) الف شراكسة وبنسبة ٣٣%*
٢٤١٨٠٠	في جمهورية اديغية	منهم (٦٣) الف شراكسة وبنسبة ٢٧%
	مجموع الشراكسة	(٣٤٠) الف نسمة

الحقيقة الثالثة: استولى الروس بعد حرب الإبادة على ٩٠% من مساحة الأراضي التي كانت تسكنها القبائل الشركسية قبل بدء حرب الإبادة.

الحقيقة الرابعة: ارتفاع كبير في عدد ونسب المستوطنين من قوميات غير شركسية الذين احتلوا وسكنوا اراضي الشراكسة في الجمهوريات الثلاث التي يفترض أن يكون سكانها من الشراكسة فقط إلا أن آخر الاحصائيات التي أشار إليها (جموخة) للمستوطنين الذين كانوا يسكنون مع الشراكسة ويمثلون اكثر من (١٥) قومية ونسبتهم حوالي ٦٠% والشراكسة ٤٠% فقط *.

الحقيقة الخامسة: بالرغم من قيام السلطات القيصيرية المستعمرة للأمة الشركسية في الوطن الام محاولة القضاء على النظام الاجتماعي الشركسي، وكذلك بالرغم من محاولة (ترويسهم) بتحويلهم إلى روس في ثقافتهم وقيمهم وعاداتهم، فإنها لم تتمكن من ذلك وظلت المجتمعات الشركسية في اماكن تواجدهم في الوطن الام متمسكة بتراثها وعاداتها وتقاليدها ولغتها الشركسية ومعتقداتها الدينية، كما انها لم

* في ضوء الاحصائيات الحديثة فإن نسبة الشراكسة في جمهورية قراشاي – تشركسيا لا تتعدى ١٢%.

* امجد جموخة، الشراكسة (باللغة الانجليزية) مصدر سابق.

تتمكن من القضاء على مؤسساتها الاجتماعيـــة والتربويـــة والـــسياسية المتمثلـــة بمؤسسة: البيت، والمسجد، ومجـــالس المـــضافات العائليـــة، وربمـــا المؤســـسة الاجتماعية الوحيدة التي قضي عليها في عهد القياصرة هي المجالس الشعبية التي ألغيت وحل مكانها (المخاتير). كما ان الفئات المكونة للمجتمعات الشركسية ظلـــت مع اختفاء طبقة الامراء والنبلاء والقضاة وظهور فئات جديدة مثل فئة المـــوظفين والعسكريين والعمال المهنيين والصناعيين....الخ.

*** أوضاع شراكسة الوطن الأم في عهد الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي**

عاشت الامة الشركسية تحت الحكم الشيوعي في عهد الاتحـــاد الـــسوفيتي ابتداء من عام ١٩١٧ وحتى انهياره في عام ١٩٨٩. حيث كانت ثورة ١٧ اكتوبر سنة ١٩١٧* بداية النهاية بالنسبة لروسيا القيصيرية، وبدأ عهد جديد وزالت سلطة القياصرة بعد حكم دام اجيالا وقرونا عديدة، ولم يتردد البلاشفة الروس في استخدام جميع الامكانيات والوسائل، وتسخير الشعوب والقوميات المختلفة لخدمة المبـــادئ الشيوعية وتأمين مصالحهم منذ اندلاع ثورتهم. حيث نادى المنظرون الشيوعيون عند بناء دولتهم بالمساواة بين القوميات ووضعوا مبادئ تلك المـــساواة فـــي كـــل تشريعاتهم نظرياً، وبقي العنصر الروسي متفوقا عمليا، ووجدت بقيـــة الاعـــراق

* إن فكرة استقلال القوقاز وفصلها عن روسيا نشأت واختمرت لأول مرة سنة ١٩١٥ في دار (جمعية التعاون الجركسية) التي سبق أن تأسست في استانبول عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨، وقد طلب اعضاء هذه الجمعية من الدولة العثمانية رسميا السعي من اجل فصل القوقاز المسلمين عن الحكومة الروسية وجعلها دولة مستقلة.
وعلى ذلك قررت الحكومة تشكيل هيئة رسمية من أكابر رجال الدولة العثمانية وعينت المارشال فؤاد باشا الجركسي (توغا) رئيسا. والامير (ماحايللي) (وتوغريدزه)، وكلاهما من الكرج والبروفسور عزيز مكر، والدكتور عيسى روحي باشا وكلاهما من الجركس، وسليم باهبودوف الاذربيجاني اعضاء، وكلفت هذه الهيئة بالسعي المتواصل لتحرير القوقاز، فقامت هذه الهيئة بالاتصالات اللازمة مع الدول الكبرى وقدمت لها مختلف المذكرات طالبة المساعدة إلا أن بعض اعضاء هذه الهيئة انسحبوا منها وبقيت مؤلفة من اعضائها القوقازيين الشماليين فقط.

نفسها امام نظرية تدعو للمساواة، وتسخر تلك النظرية لخدمة الايديولوجيا السياسية التي نادت بها، وقصرت تطبيقاتها على فئة صغيرة من أبناء الشعوب التي قهرها القياصرة سابقا، وجعل الشيوعيون منها شعوبا سوفيتية. ووجدت تلك الفئة انه من اجل المحافظة على مصالحها، ضرورة إقناع شعوبها بجدوى الشعارات التي ادعت المساواة بين القوميات، بحجة ان التشريعات السوفيتية قد ضمنت تحقيقها ومراعاتها فأصدروا "إعلان حقوق شعوب روسيا" الذي صدر بعد اسبوع واحد من تسلم الشيوعيين للسلطة ونصه:

"**إذا جرى الاحتفاظ بأي أمة بالقوة كجزء من دولة ما، وإذا حرمت قسرا وضد رغبتها المعلنة سواء في الصحف أو المجالس الشعبية او قرارات الاحزاب السياسية أو عن طريق الثورات والانتفاضات ضد الظلم، وإذا حرمت من الاختيار الحر للشكل الدستوري لوجودها القومي، فإن دمجها في تلك الدولة يعتبر نوعا من الضم القسري وقهرا واغتصابا**".

وفي كانون الاول عام (١٩١٧) وجه كل من (لينين وستالين) نداء مشتركا إلى الشعوب المسلمة في روسيا كان نصه:

"**ايها المسلمون في روسيا، يا تتار الفولغا والقرم، والقرغيز، وسيبيريا وتركستان، ويا اتراك وتتار ما وراء القوقاز، ايها الشيشان وجبليي القوقاز (الشراكسة)، ويا جميع من دمرت مساجدهم ومزاراتهم، ويا من انتهكت عقائدهم وتقاليدهم على يد قياصرة روسيا وظالميها، من الآن فصاعدا نعلن بأن عقائدكم وعاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة ومصانة من الانتهاك. ابنوا حياتكم القومية بحرية وبدون عائق. ان ذلك من حقكم، اعلموا ان حقوقكم كحقوق جميع شعوب روسيا ستحميها قوة الثورة ومجالس نواب العمال والجنود والفلاحين**".

وانطلاقا من مبادئ الضرورات التكتيكية في مرحلة انتقالية، سعت السلطات الشيوعية لاستغلال الإسلام والقوميات المسلمة في الاتحاد السوفيتي بهدف ان تكون جسرا للتغلغل ومد النفوذ إلى بلدان الشرقين الادنى والأوسط الإسلامية. فعملت على استمالة مسلمي الشرق لمساندة ثورتهم وقبول مبادئهم وعقيدتهم الجديدة.

ففي عام (١٩١٩) وجه لينين بيانا آخر إلى مسلمي العالم جاء فيه: [١٠٠]

"يا مسلمي العالم الذاهبين ضحايا الاستعمار استيقظوا... استيقظوا ان روسيا قد أقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية، تلك السياسة الضارة الخبيثة التي كانت تتبعها حكومتنا السابقة. إن روسيا اليوم تمد يدها إليكم لتعينكم وتنصركم على تحطيم أغلال استعباد واستبداد روسيا القيصرية".

"إن روسيا تطلق لكم الحرية الدينية وتعترف بحدود بلادكم المعروفة ولن توافق على اعطاء رقعة من البلاد التركية إلى الأرمن، وستبقى مضايق البسفور والدرنديل في أيديكم، والقسطنطينية عاصمة العالم الاسلامي، وسيمنح المسلمون في روسيا الاستقلال التام".

"ان ما نطلبه منكم لقاء هذا هو قيامكم لمقاتلة المستعمرين الغاشمين، الذين دأبهم ومبتغاهم هو استنزاف بلادكم واستلاب ثرواتكم واستعباد أوطانكم".

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان رضي الله عنه الذي كان في حوزة القياصرة إلى ممثلي المسلمين في مؤتمر بتروغراد (وهو موجود الان في متحف تاريخ شعوب اوزبكستان في مدينة طشقند) كما قام بإعادة تسليم عدد كبير من الوثائق والآثار الإسلامية الهامة التي كان القياصرة قد استولوا عليها إلى مسلمي القرم والقوقاز وتركستان، كما اعاد للمسلمين مسجد "كازافان ساريا" في اونبرغ وبرج سوميكي في قازان بعد ان كان القياصرة قد صادروهما في السابق.

وعلى أثر الوعود التي قدمها زعماء الثورة البلشفية وعلى رأسهم (لينين وستالين) عقد ممثلو شعوب شمال القوقاز في الاول من ايار عام ١٩١٧ المؤتمر الشعبي القفقاسي للهيئة التشريعية العليا وهي الهيئة التي لها حق التخطيط لمستقبل تلك الشعوب القفقاسية.

وفي ١١/ ايار/ ١٩١٨ أعلن المؤتمر عن **تأسيس دولة شمال القوقاز المستقلة وسميت (جمهورية الجبل)**.. واعترفت بها كل من: **المانيا والنمسا والمجر وتركيا والبلاشفة ظاهريا**. إلا انها تعرضت لغزو من الجيش القيصري الذي كان يقاوم الثورة البلشفية، وحرق العديد من القرى القوقازية خاصة قرى الشيشان، وصمد المجاهدون القوقازيون أمام جيش القيصر حتى ان تشيتشيرين وزير خارجية الحكومة السوفيتة قدم اعترافا باتحاد شمال القوقاز وباستقلال الجمهورية قائلا:

"**إننا نعلن أمام العالم كله بأن الجمهورية السوفيتية الاشتراكية لم تنوِ مطلقا احتلال أراضي أجنبية وإقامة حكم سوفيتي عليها، وأن روسيا تعترف بحق الشعوب في تقرير مصيرها. فإذا كنتم ايها المسلمون القوقازيون راضين عن شكل ووضع جمهوريتكم فعيشوا بسلام وعمروا بلدكم**".(٧٤)

وبعد وفاة أول رئيس حاجي لدولة شمال القوقاز في آذار/ مارس ١٩٢٠، بدأ الجيش الأحمر يفرض سلطانه على تلك الدولة بعد ان تضعضع الجيش الابيض (القيصري) كليا، ورفض الشيوعيون الاعتراف باستقلالها رغم الوعود التي أعلنوها لشعوب العالم، فانهارت آمال شعوب القوقاز في مصداقية الشيوعيين الذين اعتقدوا انهم اقرب لهم من القوات القيصرية التي استبسلوا في قتالها.

الا ان زعماء الشيوعيين نقضوا تعهداتهم للشعوب والقوميات الاسلامية عامة وشعوب شمال القفقاس خاصة، ونسوا او تناسوا مضمون اعلان حقوق شعوب روسيا.

وبدأ (لينين) يصدر البيان بعد بيان عن آرائه وسياسته نحو القوميات عامة والاسلامية منها خاصة، حيث قال: وهكذا **فإن الشيوعيين يعتبرون القومية ظاهرة تنشأ في فترة معينة من مراحل التطور التاريخي، ورغبة القوميات في أن تكون دولا مستقلة ذات سيادة ظهرت مع ظهور الوعي الطبقي البرجوازي، وعندما يسيطر الشيوعيون على السلطة، يصبح الوعي القومي متخلفا عن العصر.**
وقال ايضا:

"**لا يقتصر هدف الاشتراكية على الغاء التقسيم الحالي للبشر إلى دول صغيرة والغاء العزلة القومية بل يتعدى ذلك إلى دمج الامم.** (١٠٣)

وقال أيضا "لا يوجد أي ماركسي يستطيع ان ينكر بأن مصالح الاشتراكية فوق مصلحة حق الأمم في تقرير المصير. وإذا فعل ذلك، فإنه يناقض أسس الماركسية والاشتراكية". واستطرد قائلا:

"**إذا تعرض حق تقرير المصير لبعض الأمم لمصلحة أو وجود جمهورية اشتراكية في أي وقت، فإن الأولوية تكون عادة لمصالح الجمهورية الاشتراكية والمحافظة عليها**".

من هنا بدأت المقاومة وبدون هوادة ضد أي ميول قومية أو وطنية تظهر بين شعوب الاتحاد السوفيتي خوفا على كيانات جمهورياتها الاشتراكية السوفيتية، وعمل (ستالين) على ادخال بند في قرارات المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي لمقاومة (**الوطنية المحلية**) في الاتحاد السوفيتي، واصبح هذا البند سيفا مسلطا ضد أي عضو في الحزب أو الحكومات المحلية يشتبه بأنه يسعى إلى توسيع صلاحيات الحكم المحلي، وقام بتصفية واعتقال ونفي مئات الالوف من الذين اتهموا بميول وطنية وقومية.

وكان (ستالين) أكثر تشددا في مواقفه ضد القوميات، ويتضح ذلك من قوله: "**يجب أن نتذكر انه بالإضافة إلى حق الامم في تقرير المصير، ثمة حق ايضا للطبقة العاملة في توطيد مكانتها، وفي حالات تعارض حق تقرير المصير مع مصالح الطبقة العاملة، تكون الاولوية لدعم هذه الطبقة. فحق تقرير المصير يجب أن لا يكون عقبة امام ممارسة الطبقة العاملة لدكتاتورية البروليتاريا**".

كما قال: "**إن المسائل القومية تخضع لمسألة أهم وأعم، وهي الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا**".

وعلى هذا المقياس فإن اهتمام أي مواطن غير روسي في الاتحاد السوفيتي والتفكير بحقوق شعبه أو حتى تاريخه وتراثه كان يوصف بأنه (قومي برجوازي). وكلتا التهمتين كانتا سببا كافيا ليكون موضع الشك بعدم الولاء لقضية البروليتاريا العمالية، وعدم الإخلاص للدولة السوفيتية، ويصبح معرضا لعمليات الاعتقال والتطهير، وقد تمت في الثلاثينات من هذا القرن تصفية عشرات الالاف من كوادر الحزب والإدارة في جمهوريات القوقاز ومناطق نفوذ الاتحاد السوفيتي.

وفسر (ستالين) بأن تعيينه كوميسارا للقوميات في أول حكومة سوفيتية عام ١٩١٧: "لا يعني بأن على (البروليتاريا) تأييد كل حركة قومية في كل مكان وزمان وفي كل الأحوال، بل يعني بأن التأييد يجب ان يبذل للحركات القومية التي تستهدف إضعاف الامبريالية والإطاحة بها لا تقويتها والمحافظة عليها. أما في الحالات التي تصطدم الحركات القومية والوطنية مع تطور حركة البروليتاريا، فإن التأييد غير وارد مطلقا. كما وأن حقوق الأمم ليست مسألة منعزلة مكتفية بذاتها، بل ينبغي ان ينظر إليها بما يتفق مع مصالح الحركة البروليتارية". (٧٤)

ويقول (المفتي) في كتابه (أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاز) بأن "**انكسار دولة القياصرة في روسيا وحلول العهد الشيوعي اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها لم يغير شيئا بالنسبة للقوقازيين، وأن اعمال الشيوعيين في القوقاز لم**

تكن الا تكملة لما قام به القياصرة الروس في عهدهم السابق، وان التبدل الوحيد الذي طرأ على احوال القوقازيين لم يكن الا ظاهريا او اسميا. (٧٥)

ربما كان هذا القول صحيحا بالنسبة للجمهوريات والمقاطعات القفقاسية عامة، وبالنسبة للجمهوريات أو المقاطعات التي كان يسكنها الشراكسة الذين تمسكوا بالبقاء في الوطن الأم بعد حرب الإبادة الروسية القيصيرية خاصة، حيث قامت السلطات الشيوعية بتقسيم قفقاسيا إلى تقسيمات ادارية في عهد الاتحاد السوفيتي وحتى نهاية عام ١٩٩١ على الوجه التالي:

*** جمهوريات شمال القوقاز**

وعددها سبع جمهوريات حيث تم دمجها في الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية وهي:-

- جمهورية الشيشان – انجوش ذات الحكم الذاتي.
- جمهورية الداغستان ذات الحكم الذاتي.
- جمهورية القبرطاي – بلقر ذات الحكم الذاتي.
- جمهورية أوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتي.
- جمهورية الكالموك ذات الحكم الذاتي.
- مقاطعة قراشاي – شركس ذات الحكم الذاتي ضمن اقليم ستافروبول.
- مقاطعة أديغة ذات الحكم الذاتي ضمن اقليم كراسنودار.

*** جمهورية جورجيا السوفيتية الاتحادية وتضم:**

* جمهورية الابخاز ذات الحكم الذاتي.

* جمهورية الادجار ذات الحكم الذاتي.

* مقاطعة اوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي.

*** جمهورية اذربيجان السوفيتية الاتحادية وتضم:**

* جمهورية ناختشيفان ذات الحكم الذاتي.

* مقاطعة ناغورنو كاراباغ ذات الحكم الذاتي.

*** جمهورية ارمينيا السوفيتية الاتحادية**

والجمهوريات والمقاطعات التي يهمنا امرها، هي الجمهوريات التي يسكنها الشراكسة الذين نجوا من التهجير القسري وبقوا في الوطن الام، حيث كان الشيوعيون حريصين على عدم تخصيص هذه المقاطعات للشراكسة وحدهم وانما تعمدوا توطين قوميات أخرى فيها، ففي جمهورية القبرطاي مثلا تم اسكان البلقر وبعض القوزاق والروس معهم، فأصبح اسمها جمهورية (كباردينا – بلقر) واصبحت نسبتهم ٥٠% تقريبا والمستوطنون من غير الشركس ٥٠% وفي مقاطعة تشركسيا، تم اسكان قبائل القراشي مع الشراكسة بالإضافة إلى الابازة والنوغوي والروس حتى أصبح الشراكسة أقلية نسبية في موطنهم الاصلي، والمستوطنون هم الغالبية.

وفي مقاطعة (اديغي) تم اسكان اعداد كبيرة من الروس والقوزاق واصبح الشراكسة المواطنين الاصليين في المقاطعة أقلية نسبية والمستوطنين هم الاغلبية.

نستنتج مما سبق بأن الحكم الشيوعي في القفقاس عامة وفي المناطق التي يسكنها شراكسة الوطن الام خاصة قد اتبعوا سياسات عنصرية للقضاء على أي تفكير لاستقلال القوميات القوقازية عامة والشركسية خاصة. ومن هذه السياسات هي:

- **عدم السماح ببقاء مواطني القومية القوقازية الواحدة وحدها في مناطق سكنهم**، واتباع سياسة اسكان اكثر من قومية في المنطقة الواحدة حتى يضطر الجميع لاستخدام اللغة الروسية لغة رسمية اولا، ولغة تخاطب بين سكان المنطقة الواحدة ثانيا، بدلاً من استخدامهم لغتهم القومية.

- **القضاء على جمهورية شمال القفقاس التي تشكلت في عام ١٩١٧** بموافقة البلاشفة الشيوعيين (آنذاك) وهي الجمهورية التي ضمت ست قوميات هي: **الشيشان والانجوش، والاستين والاديغة في منطقتين (القباردي وتشركسيا) والبلقار والقراشي** وكان عددهم حوالي مليون ونصف نسمة آنذاك.

وفي مرحلة لاحقة تم القضاء على هذه الجمهورية الاتحادية وقسمت إلى ثلاث جمهوريات صغيرة وهي:

جمهورية القباردي والبلقار، وجمهورية الشيشان والأنجوش، وجمهورية الآستين الشمالية.

*** السياسة الجديدة للحكم الشيوعي في التعامل مع الجمهوريات القوقازية ذات الحكم الذاتي:**

اتبعت السلطات الشيوعية المركزية سياسات تتفق وقيادتها الشيوعية، نذكر منها:

- **تعيين رؤساء من الشيوعيين المحليين في كل جمهورية،** ففي جمهورية القباردي مثلا تم تعيين بطال قالموق في عهد ستالين.

وفي مقاطعة (اديغي) عين هاهينكري حاخوراتوف كأول رئيس لها وغيرهم من الرؤساء الشراكسة المنتمين للحزب الشيوعي.

وفي مرحلة لاحقة اعتبر (ستالين) هؤلاء الرؤساء الذين دعموا الثورة البلشفية وساعدوها على احتلال القفقاس عامي ١٩١٩-١٩٢٠ اتهمهم بأنهم يشكلون فئة (بورجوازية مناوئة للثورة) وأنهم اعداء للشيوعيين ووضعوا تحت الحراسة وابعد بعضهم وحكم على البعض الآخر بالنفي او السجن او الاعدام.

- **لم تطمئن الحكومة السوفياتية المركزية إلى سلوك وتصرفات الزعماء الشيوعيين من قوميات أخرى في القفقاس،** كما أنها كانت تشك في اخلاصهم، لذلك فقد اتبعت الحكومة المركزية سياسة تعيين مواطنين (روس)

ذوي مهام خاصة لمراقبة اعمال الزعماء الشيوعيين المحليين في الجمهوريات القفقاسية.

- **إقرار مبدأ الإلحاد والمادية**، لما كانت الماركسية في نظرهم ليست مجرد نظام مادي اقتصادي، بل هو اتجاه عقائدي ايضا، وأن من أهدافه ومهامه محاولة اقناع الناس بعدم وجود قوة إلهية تسيطر عليهم وتوجههم. وليس هناك ما يسمى بالبعث والخلود، لذلك عليهم الكفاح لتحسين احوالهم المادية، وتحقيق أهدافهم الدنيوية، فبعد الموت فناء نهائي لا بعث ولا نشور. ويرون ان الديانات ما هي إلا آراء دنيوية (خرافية) تعبر عن أوضاع اقتصادية وبأن "الدين هو مخدر الشعب" حسب قول ماركس أو "أنه مسكر روحي" حسب قول لينين، ومن الضروري محاربة الكنيسة بصفتها حليفة للطبقة المعادية للثورة البروليتارية. ففي ١٩١٨/١/٢٣ صدر عن مفوضي الشعب في الجمهورية الروسية مرسوم، يتضمن النظام الاساسي للمنظمات الدينية بشأن حرية الضمير وحرية المجتمع والدين، وأعلن بموجب هذا المرسوم فصل الدولة عن الكنيسة فصلا تاما، كما أعلن تأميم المنظمات الدينية المسيحية ومصادرة أملاكها. كما وجد الشيوعيون بأن الاسلام أخطر وأشد من غيره من الأديان على النظام الشيوعي، لأن عمل المسلمين بأحكام الشريعة واخلاقيات الاسلام تميزهم عن غيرهم، ويقيم بينهم وبين الشعوب السوفيتية غير المسلمة، وبالأخص الروس، – حواجز نفسية من الصعب التغلب عليها.

وبدأ اضطهاد ضد الدين الاسلامي وأئمته منذ عام ١٩٢٨، وحملوا حملة شرسة على الدين الإسلامي وعلى أئمته، ونفذت الحملة على عدة مراحل وعلى النحو التالي:

ففي المرحلة الاولى، أغلقت المطابع التي تطبع الكتب والمنشورات الدينية وفرضت ضرائب كبيرة على رجال الدين وحرموا من حق التصويت.

وفي المرحلة الثانية، طلب البوليس من رجال الدين التوقيع على بيانات تنشر في الصحف، يعبر فيها الموقعون عليها بأن **الاسلام إنما هو خديعة للشعب والموافقة على خلع جباتهم واقرارهم بأنهم أصبحوا ملحدين**. وحيث إن أغلبية الأئمة رفضوا توقيع مثل هذه البيانات فقد جرى نفيهم إلى سيبيريا، فخلت المساجد والمدارس الدينية من القائمين عليها.

وفي المرحلة الثالثة، تمت مصادرة الأملاك الوقفية والمساجد والمدارس الدينية، وتحويلها إلى نواد ومستودعات.. الخ أو هدمها كليا. فأقفل فيما بين ١٩٢٩ إلى ١٩٣٩ حوالي ١٤الف مسجد في تركستان، و ٦ آلاف مسجد في بشكيريا، و ٤ آلاف مسجد في شمال القوقاز، والف مسجد في جزيرة القرم[٦] واعتبرت جميع المدارس الدينية مؤسسات غير قانونية، وتم اقفالها كما دنست المقامات الاسلامية ومنع المسلمون من أداء فريضة الحج، وألغيت المحاكم الشرعية.

وفي المرحلة الرابعة تم الغاء الملكية الفردية ومصادرة الممتلكات الخاصة، حيث أصدرت الحكومة الشيوعية عام ١٩٢٩ قرارا بإلغاء الملكية الفردية على اختلاف أنواعها من اراض وعقارات ومصانع ومتاجر، تحت شعار، الارض للفلاحين والمصانع للعمال.

أدوار ايجابية للحكم الشيوعي في تطوير المجتمعات الشركسية في الوطن الام:

بالرغم من الأدوار السلبية التي لعبها الحكم الشيوعي في المجتمعات الشركسية بالجمهوريات والمقاطعات سابقة الذكر فإن النظام الشيوعي كان له بعض الادوار والايجابيات في المجالات التالية:

- **مجال الفلكلور القومي الشركسي:** تطور الفلكلور الشركسي المتمثل بالرقص والموسيقى والفنون عامة بشكل ملحوظ حتى أصبحت فرق الرقص الشركسي من أشهر الفرق الفلكلورية في العالم مثل فرقة البروز وفرقة كباردينا بلقاريا..

الخ. كما تطورت الموسيقى الشركسية بشكل كبير واستخدمت فيها الات موسيقية عديدة كما اصبحت تدرس في المعاهد الفنية المتخصصة

- **في مجال التعليم:** تطور التعليم عامة وتعليم اللغة الشركسية خاصة، واصبحت تدرس في المدارس كلغة قومية بجانب تدريس اللغة الروسية، وكذلك اصبح التعليم العام الزاميا بالإضافة إلى انشاء الجامعات والمعاهد العلمية في التخصصات المختلفة، وان كان التدريس فيها باللغة الروسية، بالإضافة إلى تدريس اللغة والأدب الشركسي، ومنح الدرجات العلمية العليا، فيها كما كان التعليم مجانيا لكل الدارسين في المدارس والجامعات والمعاهد العلمية.
- **في المجال الصحي:** اهتم السوفيت بصحة المواطنين عامة وأصبح جميع المواطنين مؤمنين صحيا ولجميع الفئات من الطفولة وحتى الشيخوخة.
- **في مجال الثقافة والادب:** تطورت الثقافة القومية في العهد الشيوعي وإن كانت ثقافة موجهة لخدمة النظام الشيوعي، وكذلك بالنسبة للآداب، حيث اهتم الشيوعيون بالأدب القومي والأدباء عامة، وانشأوا لهم اتحادات ونقابات أدبية وخصصوا جوائز قيمة للمبدعين من الأدباء والكتاب في مختلف المجالات الادبية والثقافية العلمية.
- **في مجال الامومة والطفولة،** ربما كان الاتحاد السوفيتي من اكثر الدول اهتماما بالطفولة والامومة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، فأنشوا مراكز الطفولة والامومة واهتموا بصحة الام والطفل، وكانت من اولويات البرامج الصحية والثقافية في الاتحاد السوفيتي هي رعاية الامومة والطفولة.
- **في مجال الشباب والرياضة،** اهتم السوفيت برعاية الشباب في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي عامة وفي الجمهوريات القفقاسية خاصة، فأنشأوا المراكز الرياضية والمنشآت الاولمبية حتى اصبح الاتحاد السوفيتي المنافس الرئيسي للولايات المتحدة الامريكية في البطولات الدولية والاولمبية. وكان للابطال من

اصول شركسية نصيب وافر من الفوز بالميداليات الذهبية في الدورات الاولمبية، خاصة في رياضة المصارعة ورياضات الدفاع عن النفس والفروسية وغيرها.

- **في مجال الصناعة والزارعة**، اثار (كارل ماركس) في أحد مؤلفاته تحت عنوان الأهمية الاقتصادية والعسكرية والسياسية للقفقاس قائلا: من الصعب تقدير أهمية القفقاس في حياة الدولة السوفيتية، فقد أدى وجود الاحتياطات في باطن الأرض وظاهرها إلى جعل القفقاس مصدرا هائلا للمواد الخام الصناعية، كما كان (لينين) يعتبر بلاد القفقاس من أغنى المناطق السوفيتية في انتاج القمح والذرة والتبغ والعنب والحمضيات والزيتون والشاي [١٠٨].

نستنتج مما تقدم بأن لأوضاع الشراكسة عامة وأوضاعهم الاجتماعية خاصة في عهد الحكم السوفيتي الشيوعي أصبحت أفضل بكثير من اوضاعهم في العهد الروسي القيصري في مجالات التعليم والصحة والثقافة والصناعة والادب واللغة، والفلكلور، إلا أن كل ذلك لا يشفع للشيوعيين سياستهم في صهر القوميات الاثنية المختلفة، وتحويلها إلى شعوب تابعة للروس في كل مجالات الحياة، والقضاء على أي أمل لأي قومية منها حق تقرير مصيرها والحصول على الاستقلال السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي.

الفصل الثالث

مفهوم الدولة والنظم السياسية في حضارة الأمة الشركسية

تمهيد:

لا شك بأن البعد الاستقلالي الوطني هو من المكونات الأساسية لأية حضارة (قديمة كانت أم حديثة) وأنها مظهر من المظاهر الرئيسية للتقدم الحضاري لأي شعب أو أمة أو قومية من القوميات.

والشراكسة كأمة كانت من أوائل الامم القديمة التي أولت اهتمامها للقضايا السياسية الداخلية والخارجية، بعكس ما ذهب إليها العديد من المؤرخين والمهتمين بالدراسات القوقازية عامة، والشراكسة خاصة، ويتضح ذلك من شرح الاديب الشركسي (احمد مدحت) من شراكسة تركيا في كتابه (الكشوكول) المنشور عام ١١٩٥هـ بقوله:

"يجب ان لا تستولي علينا الدهشة حينما نعلم بأن الجراكسة كانوا بعيدين كل البعد في احكامهم وادارتهم عن "المطلقية الاستبدادية"، وبسبب ذلك كان نظام الحكم الاستبدادي او المطلق لا يجد بينهم مرتعا خصيبا ولا جوا ملائما. فلهذا كانت حكومة (الاشراف) شكلا من أشكال الحكومة الدستورية فعلا. والسبب الذي جعلنا لا نعدها دستورية بحتة هو ان التقاليد في الحكومات الدستورية تقضي بأن الملك ينتخب رئيس وزرائه والمسؤولين في الحكم. أما عند الشراكسة فإن الحاكم او الامير الكبير كان ينتخب انتخابا أو تنتقل إليه الرئاسة بالارث".

"واذا قارنا هذه الطريقة بطريقة الحكم عند القبائل والعشائر التي تعيش على الفطرة والبداوة نجد أن حكام هذه القبائل كانوا يتمتعون بسلطة غير محدودة ويعتبرون مالكين لجميع ثروة القبيلة ولهم حق التصرف فيها من غير معارضة".

"اما عند الشراكسة فإنك تجد أن سلطة الأمير (البش) محـــدودة لا تتعـــدى قانون (الاديغة خابزة) وما عدا ذلك فإنه كان يستمد سلطته مـــن مجلـــس الامـــراء والاعيان".

"وكذلك ثروته فإنها كانت محدودة لا تتعدى احتياجاته الشخصية"..*

"ولا يمكننا أن نطلق عليهم نظام الجمهوريات لأن الرؤساء والحكام كـــانوا ينتخبون ويتقلدون الحكم بالارث، ثم انهم كانوا خاضعين في كل احكامهم للـــشورى ولا يعزلون مدى الحياة إلا اذا خالفوا التقاليد". **

وللتعرف على المكونات السياسية ومظاهرهـــا ومحاورهـــا لـــدى الأمـــة الشركسية منذ عصر الاجداد ابتداء من الالفية الثانية ما قبل الميلاد، وحتى الالفيـــة الثالثة ما بعد الميلاد، كان لا بد من الرجوع إلى ما كتب حول هذا الموضوع مـــن قبل مؤرخين وباحثين ورحالة متخصصين، خرجت منها بحقائق مؤكدة تفيـــد بـــأن الدولة عند أجداد الشراكسة نشأت منذ الالفية الثانية ما قبل الميلاد وانها تطـــورت حتى وصلت إلى مفهوم (دول متحدة) لها حكومات، ورئاسات، وانها في تطورهـــا هذا قد مرت بست مراحل زمنية وهي على النحو التالي:

* نفى العديد من المؤرخين والكتاب الفكرة القائلة بأن الشراكسة أمة لم يكن لديها سياسات داخلية وعلاقات خارجية، وان من أسباب تعرضها للغزوات والاعتداءات هو عدم قدرتها على تكوين علاقات جيدة مع الشعوب المجاورة، وقصر نظر امرائهم وزعمائهم في معالجة القضايا الداخلية.

** لمزيد من المعلومات حول الادارة والحكم عند الشراكسة يمكن الرجوع إلى كتاب أحمد باشا مدحت، وعنوانه (الكشكول) ترجمة عبد الحميد غالب.. وكذلك يمكن الرجوع لمزيد من المعلومات حول نفس الموضوع إلى مقال (نارت عليم) في مجلة (الواحة) اصدار الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٤٣) لشهر تشرين اول عام ١٩٨٠ ص: ٢٥-٢٦.

في المرحلة الاولى: نشأة مفهوم الدولة لدى الامة الشركسية.

وفي المرحلة الثانية: تكون اول دولة مستقلة في تاريخ اجداد الشركسية.

وفي المرحلة الثالثة: تكون عدد من الحكومات والدول في الفترة ما بين القرن الاول للميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي.

وفي المرحلة الرابعة: تكون عدد آخر من الحكومات والدول في الفترة ما بين القرن الثالث وحتى القرن الثامن الميلادي.

كما تكونت في المرحلة الخامسة: عدد من الحكومات والدول والاتحادات خلال الفترة ما بين القرن التاسع وحتى القرن السابع عشر الميلادي.

وفي المرحلة السادسة والأخيرة: حاول القادة والرؤساء والامراء الشراكسة لتكوين حكومات وتشكيل اتحادات بين القبائل الشركسية في الوطن الام في القرون الثلاثة الاخيرة (الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين)

وفيما يلي دراسة لكل مرحلة من المراحل الست السابقة.

المرحلة الاولى: نشأة مفهوم الدولة لدى الامة الشركسية

بالرغم من محاولة حكومات روسيا القيصيرية ومن خلال الكتاب المأجورين او الكتاب المخدوعين في الترويج لفكرة استعمارية حاقدة، وهي ان القفقاسيين كانوا مجرد قبائل وعشائر لا رابط بينها وأنهم من سكان الجبال المتوحشين، والهمجيين وغير المتحضرين، وأنهم حفنة من المشاغبين (والزعران) يجب تأديبهم [٤٨] .

وبالرغم من كل محاولات التشويه والاساءة للقوقازيين عامة والشراكسة خاصة، فإن بعض الكتاب والمؤرخين الروس امثال (ب. ب بتروفسكي) الباحث في الدراسات السوفيتية ومؤلف كتاب تاريخ القفقاس الشمالي[٤٩] وكذلك الكاتب (ف. ف. تورنشيانيتوف) مؤلف كتاب (ذهب الكوبان) وكتاب (اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة)[٥٠] يؤكدون بأن قفقاسيا الشمالية كانت بلادا متطورة اقتصاديا،

وان شعوبها كانت اصحاب حضارة ومدنية متقدمة منذ الالف الثالث قبل الميلاد وأنهم هم بناة حضارات مايكوب والكوبان، وغيرها من الحضارات، وكذلك هم أول من كونوا امبراطورية اتحادية في القفقاس وهو ما عرف (باتحاد الكيمريين) في فترة ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد الذي شارك فيه اجداد الشراكسة من شعوب **(الميئوت والسيند والتوربت والداندار)** وغيرهم من سكان ساحل البحر الاسود والجزء الغربي من القفقاس الشمالي.

وظل هذا الاتحاد قائما حتى نهاية القرن الثامن ق. م وإلى حين قدوم قبائل (السكيت) من آسيا عن طريق الساحل الشرقي للبحر الاسود (حيث كان يسكن اجداد الشراكسة) وطردت شعب (الكيمريين) وواصلت زحفها حتى وصلت بلاد القفقاس الشمالية حيث لقوا مقاومة عنيفة، إلا ان قوات (السكيت) المتوحشة حسب قول (بتروفسكي) استطاعت هدم العديد من قرى أجداد الشراكسة وحرق المزروعات ونهب الممتلكات والقضاء على (الاتحاد الكيمري) حتى تناقص عدد السكان الاصليين تناقصا مفجعا وكبيرا، وأن قسما من الشراكسة، اجبروا على الاندماج مع المجتمع (السكيتي) والانخراط بقواتهم خوفا من بطشهم ووحشيتهم[٥١].

المرحلة الثانية: وفيها تكونت اول دولة مستقلة في تاريخ اجداد الامة الشركسية

حيث تشير بعض الدراسات بأن أول دولة شركسية تشكلت في التاريخ كانت (دولة السيند)، وكان ذلك في الالفية الثانية قبل الميلاد، كما تأسست في نفس المرحلة دولتان أخريان بمشاركة شعبي (الكاسوغ والزيك) أو (الزيخ) كما تشكلت دولة متحدة باسم اتحاد شعوب (المه – وَت) أو جامعة (المأ وت) وشارك في تكوينها (٢٥) قبيلة من قبائل اجداد الشراكسة [٥٢].

ومع نهاية القرن الاول ما قبل الميلاد ومع مطلع القرن الاول وبعد الميلاد تشكلت **دولة خامسة للأمة الشركسية، حسبما ما اشار إليه الجغرافي اليوناني (سترابون) الذي عاش من عام (٦٢) قبل الميلاد وحتى عام (٢٠) ما بعد الميلاد، حيث أشار بأن شعب (الكركيتين) شكلوا حكومة قائمة على النظام الطبقي** [٥٣].

نستنتج مما تقدم بأن القفقاسيين عامة واجداد الشراكسة خاصة كانت لهم دولة بل امبراطورية اتحادية منذ منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد أي قبل أكثر من ٢٥٠٠ سنة من تاريخ تأسيس الدولة الروسية.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي تكونت فيها دولة "اللان" بمشاركة معظم قبائل "الاديغة" في الفترة الممتدة من القرن الأول الميلادي إلى القرن الثالث الميلادي. حيث تؤكد الدراسات بأن

شعب (اللان) وهم أجداد الاستين استطاعوا في القرن الأول الميلادي من انشاء دولة لهم شاركت فيها معظم قبائل (الاديغة) في شمال القفقاس، كما أن بعض قبائل (الاديغة) ظلت ضمن اتحاد دولة البسفور اليونانية، بينما قسم ثالث منها رفض المشاركة مع حكومة دولة (اللان) أو البقاء مع اتحاد دولة البسفور، وانشأت لنفسها حكومة شبه فيدرالية، إلا أن قبائل (القوط) التي انحدرت من البلاد الاسكندنافية ونزحت إلى منطقة القفقاس واستوطنت حوض نهري الفولجا والدون وشمال البحر الاسود غزت بلاد (اللان) وقضوا على اغلبيتها في القرن الثالث الميلادي وواصلت زحفها إلى مناطق شمال قفقاسيا، حيث كان يعيش اجداد الشراكسة، وقتلوا العديد منهم ودمروا قراهم وحرقوا مزارعهم، وكان من اكثر المعارك شراسة هي المعركة التي حدثت في عهد ملك الهون (أتيلا) وهي المعركة التي عرفت بمعركة (داو) قتل فيها ابناء (داو) الثمانية وقامت اختهم الوحيدة التي ظلت على قيد الحياة بجمع جثث اشقائها الثمانية ودفنتها بالقرب من نهر (ايتوقو)

وكلفت (نحاتين) يونانيين لنحت تمثال لهم، ولا زال هذا التمثال قائما حتى وقتنا الحاضر.

والجدير ذكره هو ان ذكرى هذه المعركة وغيرها من الغزوات الهمجية التي قام بها قبائل (القوط والهون) يذكرها الشراكسة في الوطن الام، وفي المهجر، حتى وقتنا الحاضر، ويعبرون عن وحشيتهم بالمثل الذي ما زال متداولا بين الشراكسة حتى اليوم وخلاصته بأن (الأرض التي مر منها جيش الهون لا ينبت فيها زرع لمائة عام) [٥٤].

المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التي استعادت فيها الأمة الشركسية حيويتها ونشاطها وبتشكيل دولة زيخيا الفيدرالية، تؤكد الدراسات بأنه

تشكلت مع مطلع القرن السادس الميلادي دولة جديدة سميت بدولة (زيخيا-الفيدرالية) وهم اجداد الاوبيخ شاركت فيها جميع القبائل في شمال قفقاسيا التي كانت تعيش في المنطقة الممتدة ما بين شبه جزيرة تامان وحتى جنوب مناطق الابخاز، واستمر حكم هذه الدولة قوياً ومستقلاً حتى نهاية القرن الثامن الميلادي.

انتهى حكم (دولة زيخيا) مع نهاية هذا القرن بسبب الخلافات التي حدثت بين القبائل المشاركة فيها، واندمجت مع الدولتين الحديثتين اللتين ظهرتا في القرن التاسع الميلادي وهما:

الدولة الأولى وهي دولة (ابشوا) وهم أجداد الابخاز وتشكلت في القسم الجنوبي من شمال غرب القفقاس.

وأما الدولة الثانية فهي دولة (القاسوغ) وهم اجداد (الاديغة) وتشكلت على ضفاف نهر الكوبان في القسم الشمالي من غرب القفقاس [٥٥].

المرحلة الخامسة: وهي المرحلة الممتدة من القرن العاشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي:

قام الامير (ينال) الجد الاكبر لأمراء قبائل القبرطاي في القرن العاشر الميلادي بتشكيل حكومة مركزية، وقام بأعمال عظيمة وجرئية تمهيدا لتوحيد شعب القبرطاي والابخاز نذكر منها الاعمال التالية:

١- مطاردة الأشقياء من الامراء الشراكسة الذين عصوا اوامره وخرجوا عن طاعته، ونشروا الفساد في البلاد، وقاموا بإحداث الشغب ونشر الفتن بين عامة الشعب.

٢- صد هجمات الامراء الشراكسة الخارجين على القانون والهاربين إلى الغابات والمعتصمين بأعالي الجبال الوعرة، حيث قام الامير بمهاجمة معاقلهم وقضى عليهم وعلى اتباعهم، وألقى القبض على ثلاثين من قادتهم وزعمائهم وأعدم عشرة منهم وأجبر الباقين على أداء يمين الطاعة والولاء.

٣- تأديب السكان الجبليين الجنوبيين الذين أعلنوا العصيان والتمرد على قيادته بزعامة الامير (أوزدنير) وقتل عدداً من المتمردين العاصين الذين اعتبروا خارجين على القانون.

استطاع الامير (ينال) بعد القضاء على الفساد والمفسدين في البلاد، من توحيد قبائل القبرطاي والابخاز وتأسيس (دولة) شركسية مزدهرة عم فيها الخير والرخاء، وأقام فيها (٤٠) حاكما من القضاة وكلفهم بإدارة البلاد وتسيير دفة الحكم فيها بعدل واستقامة ونزاهة.

وبعد انجازه هذه الاعمال العظيمة لقب الامير ينال (بالامير العظيم) واطلق عليه بعضهم بالأمير (الحكيم) تقديرا لأعماله الجليلة وحمايته للنظام، ونشره للأمن والاستقرار في طول البلاد وعرضها، وفي آخر أيام حكمه كافأه شعبه

على جمعه شمل البلاد وتوحيد كلمتها وقيامه بالاعمال الصالحة بإطلاق لقب (إينال القديس) عليه. [٥٦]

مات الامير (ينال) في بلاد الابخاز موتة الرجل العظيم، بعد أن وحّد البلاد وعقد صلحا مع الابخاز الذين انضموا لحكمه قبل وفاته بوقت قصير، ودفن فيها، وقبره موجود حتى اليوم هناك ونقشت عليه عبارة (هذا قبر ينال)، وما زال الشعب يحيي ذكراه ويترحم على أيامه وعهده، ويقولون "ليت عهد ينال يعود إلينا يوما [٥٧]. كما يتذكرون قوله المشهور: (لا يمكن لطوابسة وهي المنطقة الممتدة ما بين البحر الاسود وبحر الخزر ان يكون فيها غير ملك قفقاسي واحد).

تزوج الامير ينال في حياته ثلاث نساء، ورزق منهن خمسة من الاولاد وهم (جانخوت Janchot) من امرأته الاولى و (منبولات Minbolat) وبسلان Besslan) من الثانية، و (أونارمس Unarmess و قرغيش Kirgish) من امرأته الثالثة.

ويقول (نغموقة) بأن "احدا من ابنائه الخمسة لم يتصف بصفات ابيهم الذي اشتهر بالحكمة وحب الشعب له، وانهم لم يحرزوا في حياتهم شهرة ما ولم يأتوا بعمل يذكر، بل كانوا عاجزين كل العجز عن تسيير دفة الحكم في البلاد الواسعة التي تولوا ادارتها بحكم الوراثة" كما يقول:

"ان طيشهم وحماقتهم وانصرافهم للتنافس فيما بينهم، واثارة الفتن ونشر الشقاق بين ابناء الشعب الواحد وبين زعمائهم، ادت إلى ضياع جهود والدهم العظيم الامير (ينال) فاضطربت الاحوال، وانعدم الاستقرار، وانتشر الفساد، وانقسم الشعب على نفسه وظهرت الفرق والاحزاب، وكانت النتيجة ان انقسم شعب القبرطاي إلى (ثلاثة فرق)، فاستوطن الفريق الاول على الضفة اليسرى من نهر الكوبان، والثاني

هاجر واستوطن اقليم (كمركوي) أما الفريق الثالث فوصل إلى بلاد القبرطاي واسسوا ثلاثة اقاليم وهي اقليم قبارطاي واقليم بسلني واقليم مزدوك[٦١].

وفي نهاية القرن العاشر وابتداء من عام ٩٥٧م تشكلت قيادة مشتركة لاتحاد شمال القفقاس لمقاومة محاولات توسع دولة الخزر نحو الجنوب، ومنعهم من بسط نفوذها على بلاد (الشركس) حتى اضطرت لمواجهتهم بجيش شركسي مشترك. تمكنوا احتلال عاصمة دولة الخزر (سرقلة) واطلقوا سراح الامير (الجوقة) أمير القبرطاي الذي سبق أسره في معارك سابقة. واستولت القوات الشركسية بمشاركة (خانات التتر) الذين كونوا حلفاً مع الشركس ضد جيوش (الخزر). وعادوا إلى البلاد بغنائم كثيرة من أموال وممتلكات وقطعان من الماشية..الخ.. الامر الذي خفف من وطأة المجاعة التي حلت ببلاد الشراكسة بعد الغزوات والحروب الهمجية السابقة مثل هجمات (الهون والاوار والقوط).

وكذلك فإن الحروب التي قامت ضد جيوش (جينكيز خان) المغولية التي بدأت في عام ١٢١٤ ثم غزوات (الجيش الذهبي) ومن بعده الهجمات البربرية لجيوش (تيمورلنك وهولاكو) التترية التي وصلت بلاد الشراكسة عام ١٣٩٠ وقامت باحتلال بلادهم، وحرق القرى الشركسية، اضطروا معها إلى الفرار والالتجاء إلى المناطق الجبلية حتى عام ١٤٠٢م. [٥٨]

وكنتيجة مباشرة لاستمرار الغزوات والهجمات والحروب المدمرة فإن الامة الشركسية لم تتمكن من مواصلة الحياة المدنية الاعتيادية خلال الفترة من القرن الثاني عشر وحتى القرن السابع عشر، وتعتبر هذه الفترة من اكثر الفترات في حياة الأمة الشركسية ضعفا وتفككا وتشتتا لعدة اسباب منها:

اولا: المنازعات والخلافات التي حدثت بين امراء الشراكسة في مختلف المناطق عامة ومختلف قبائل القبرطاي والاديغة والابخاز والاوبخ خاصة.

ثانيـــا: وحشية الحروب والغزوات التي تعرضت لها الأمة الشركسية في هذه الفترة من جيوش المغول والتتار والاوار والخزر.

المرحلة السادسة وهي المرحلة الممتدة من منتصف القرن السابع عشر وبالتحديد ابتداء من عام ١٦٤٥.

ساد نوع من الهدوء النسبي على جميع الجبهات الروسية، والتركية، وخانات القرم، أشبه ما تكون بحالة هدنة غير متفق عليها حيث بادر زعمائه الشراكسة إلى عقد سلسلة من الاجتماعات، ضمت الامراء والنبلاء والوجهاء ورؤساء العـــائلات الكبيرة في الوطن الام، بهدف تقييم الاوضاع العامة في عموم بـــلاد الشراكـــسة، واستغرقت المداولات سنين عديدة، نظرا لاتساع رقعة البلاد واختلاف الاجتهادات، حول المسائل المطروحة للبحث. **وفي النهاية اتفقوا على ضرورة التوحـــد، فـــي سبيل الدفاع عن حرية واستقلال البلاد وكان حامل راية الدعوة إلى التوحيد شاب يتصف بالحماسة الشديدة والعقلانية في آن واحد، يدعى "قازان يوقـــه جبـــاغي"** حيث كان قد اختير هذا الشاب ليكون مربيا (أتالق) للأمير الصغير **(اسلان قايتوقة)** وغرس المربي الحكيم في نفس تلميذه كل المبادئ السامية التي كان يعمل من اجل تحقيقها. وكان لا بد لهذا الغرس المبارك من ان يأتي أكله، حيث تم انتخابه حاكمـــا عاما على منطقة القبرطاي (قباردا) وكرس وقته كله، خلال الفترة الاولى من حكمه – للاصلاحات الداخلية حيث وحّد في البداية، كل الامارات والولايات الشركـــسية وقد بلغ عددها (اثنتي عشرة) امارة، ثم عمل على نشر الأمن والسلام في المنـــاطق المتاخمة لحدود دولته. وفي عهده ازدهرت التجارة والزراعة، وانتعشت الصناعات التقليدية مثل صناعة السجاد والملابس والاسلحة والاثاث وغيرها من الـــصناعات اليدوية التي كانت تصدر إلى تركيا وبريطانيا وايطاليا بالإضافة إلى تصدير كميات كبيرة من الاخشاب والعسل والخيل إلى تركيا والقرم. واختـــار (جبـــاغي) ليكـــون مستشارا له، حيث قام بتحديث (الخابزة) وتحديث القوانين، فحذف منها ما لم يعـــد

صالحا او مواكبا للعصر، واضاف إليها عادات جديدة تتناسب مع أحكام الدين ومتطلبات عصره.

وأنشأ الأقنيون ثلاثة انواع من المحاكم في بلاد القبرطاي وهي: "١- محكمة البداية ويرأسها قاض مشهود له بالنزاهة والمعرفة بالقوانين والعادات والتقاليد، وعضوية اثنين او ثلاثة اشخاص من الحكماء، يتم انتخابهم من قبل اهالي المنطقة. ٢- المجلس العالي ويرأسه المستشار نفسه. ٣- المجلس القومي الأعلى. ويدعى ايضا مجلس الاعيان ومن اختصاصه النظر في القضايا القومية القضائية الكبرى، مثل محاكمة الأمراء والامير الحاكم نفسه.

كما تم تنظيم الإدارة المحلية بتقسيم البلاد إلى مقاطعات وبلديات (آوول) ويدير كل مقاطعة أمير من طبقة (لي قوه لي آش) (الامير النبيل المحارب) وكما كان يدير البلديات وزراء تنفيذيون من طبقة ورق.

واعتبر المؤرخون بأن فترة حكم الامير (اسلان قايتوقه) ومستشاره (جباغي) من أزهى الفترات التي مرت في القفقاس الغربي منذ قرون عديدة. ولا زالت التماثيل الحجرية التي اقيمت تخليدا لاسم هذا المصلح الشركسي العظيم (قازان يوقه جباغي) قائمة حتى الآن في ساحات مدن جمهورية كباردينا بلقاريا وجمهورية الاديغة.

المرحلة السابعة: وهي المرحلة التي حاول فيها القادة والرؤساء والامراء تكوين اتحادات في الوطن الأم ابتداء مع نهاية القرن الثامن عشر حيث حاول زعماء وأمراء الشراكسة أكثر من (١٢) محاولة تشكيل اتحادات شركسية بين الشعوب القفقاسية عامة والشركسية منها خاصة في القرون الثلاثة الاخيرة (الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين) وبالتحديد في الفترة ما بين ١٧٩٠ وحتى عام ١٩٨٩ وهو العام الذي انهار فيه الاتحاد السوفيتي وقيام دولة شمال قفقاسيا الاتحادية.. وفيما يلي أهم المحاولات التي حدثت في هذه الفترة:

المحاولة الاولى: في عام ١٧٩٠.

المحاولة الثانية: في عام ١٨٠٣.

المحاولة الثالثة:

المحاولة الرابعة: في عام ١٨٤١.

المحاولة الخامسة: في عام ١٨٤٨.

المحاولة السادسة: في شهر حزيران من عام ١٨٦١.

المحاولة السابعة: في شهر تشرين ثاني عام ١٨٦١.

المحاولة الثامنة: في عام ١٨٦٢.

المحاولة التاسعة: في عام ١٨٦٣.

المحاولة العاشرة: وتمت خلال الاعوام ١٨٧٢، ١٨٧٣، ١٨٧٤ في عهد الاستعمار الروسي القيصيري.

المحاولة الحادية عشرة: وبدأت في يوم ١٩١٧/٣/١٥ وفي اعقاب اعلان تنازل القيصر عن سلطاته الدستورية وقيام الثورة البلشفية وقضى عليها الجيش الاخر عام ١٩٢٥.

المحاولة الثانية عشرة: وبدأت يوم ١٩٨٩/٨/٢٥ على إثر انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهت في عام ١٩٩٤.

وفيما يلي تحليل موجز لكل محاولة من المحاولات الاحدى عشرة التي حاول فيها قادة وزعماء شراكسة الامة الشركسية وشعوبها لتشكيل حكومات واتحادات تضم شعوب الامة الشركسية في الوطن الام خلال القرون الثلاثة الاخيرة وعلى النحو التالي:

المحاولة الاولى:

في عام ١٧٩٠ بدأت اولى المحاولات لتشكيل اتحاد بين شعوب القفقاس عامة حيث كانت خطة زعماء وقادة الشراكسة هو الاتحاد مع الشعوب القفقاسية

الموجودة في الداغستان بقيادة الشيخ (منصور) ولتنفيذ هذه الخطة كان لا بد من مهاجمة القوات الروسية المرابطة على الضفة الشمالية من نهر الكوبان، وفعلا قامت القوات الشركسية المشتركة مع القوات التركية من السيطرة على ارض المعركة، وتراجعت القوات الروسية إلى ما وراء الكوبان، ولكن وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الشركسية على وشك انزال الضربة النهائية للقوات الروسية المنهزمة، أمر الوالي التركي (بطال باشا) ايقاف المعركة فورا لكن قادة الشراكسة رفضوا ذلك.. إلا أن الخائن التركي (بطال) أصر على ايقافها في اكتوبر عام ١٧٩٠.. وتقول الوثائق التركية بأن هذا الوالي التركي الخائن سرق (٨٠٠) كيس من الذهب في ذلك الوقت ولجأ إلى روسيا، كما تقول تلك الوثائق أيضا لو سمح للقوات الشركسية متابعة فلول الجيش الروسي على الضفة الشمالية لنهر الكوبان لخرجت جميع القوات الروسية من شمال القفقاس، ولاستطاعت تحقيق وحدة شعوب شمال القفقاس التي بدأت بزعامة (الامام منصور) في كل من القبرطاي والداغستان والشيشان وكان من نتائج هذه الخيانة وقوع الامام منصور في الأسر عام ١٧٩١ والقضاء على فكرة وحدة شعوب القفقاس. [٦٢]

المحاولة الثانية:

في عامي (١٨٠٣-١٨٠٤) اتحدت القوات القفقاسية الشمالية في المنطقة الساحلية، حيث كان قادة الاوبيخ يصدون هجوما روسيا.. وفي الجنوب كانت قوات الاستين والابخاز جاهزة لصد أي عدوان يمكن ان يأتي من جورجيا التي كانت في حلف مع روسيا.. أما القوات الداغستانية والشيشانية والاديغة فكانت تواصل الحرب في الشمال وتدمر القوات الروسية. إلا أن الوباء الخطير الذي ظهر في بلاد الاديغة اولا وانتشاره في جميع مناطق شمال القفقاس عام

(١٨٠٤) ثانيا، أدى إلى توقف هذه القوات وتوقف اتحادها بعد أن قضي على معظم سكانها وأصبحت قرى بأكملها بدون سكان. *

المحاولة الثالثة:

وفي عام ١٨٣٩ عقد مؤتمر شعبي كبير في منطقة الشابسوغ حضره معظم زعماء وامراء القبائل الشركسية الاخرى، وأصدروا بياناً ردا على معاهدة (أدرنة) التي وقعت بين تركيا وروسيا، تنازلت تركيا بموجبها عن بلاد الشراكسة إلى روسيا القيصرية وهو البيان الذي سُمي (بوثيقة الاستقلال) الموقعة من قبل امراء الشراكسة الاتحاديين.

وتكونت الوثيقة من خمس صفحات من الحجم الكبير، وارسلت إلى رؤساء وملوك وحكومات الدول الاوروبية الغربية وبعض الدول الآسيوية، وكان الهدف الاول من اصدار (البيان) هو الاعتراض على معاهدة (ادرنة) الموقعة عام ١٨٣٨ بين الاتراك وروسيا اولا، وفضح الاساليب الوحشية التي تستخدمها الجيوش القيصرية في حربها ضد شراكسة الوطن الأم للعالم أجمع ثانيا [٦٤].

المحاولة الرابعة:

وفي عام ١٨٤١ قامت شعوب (الاوبيخ والشابسوغ والحاتقوي) بتشكيل اتحاد فيما بينهم، واعلنوا الجهاد المقدس ضد الروس وخاضوا (٨٨) معركة ضد القوات الروسية القيصيرية الغازية في الفترة ما بين ١٨٤١ و ١٨٤٦ ، بالرغم من

* وهو الوباء الذي اطلق عليهم الشراكسة (يمنه وز) حيث أدى هذا الوباء إلى هجرة اعداد كبيرة من الاديغة إلى المناطق القفقاسية الاخرى، كما ادى إلى موت مئات الالوف وان عددهم انخفض بعد (٨٠) عاما من انتشار هذا الوباء إلى اقل من نصف عددهم في عام ١٧٤٠ وان انخفاض عدد سكان الشراكسة في تلك الفترة تعود إلى ثلاثة عوامل أولها الوباء وثانيها الهجرة وثالثها الحروب المدمرة [٦٥].

تحالف بعض الامراء الابخاز (الخونة) من امثال الاميرين (احمد اوبلا وقاش زورا) مع روسيا بعد ان أديا قسم الولاء والطاعة والصداقة لها.

المحاولة الخامسة:

وفي عام ١٨٤٨ عين الشيخ شامل (محمد أمين) نائبا (ممثلا) له لدى الابزاخ والناتخواي ليثبت للعالم حقيقة بأن جميع القوميات في شمال القفقاس عبارة عن وحدة سياسية متكاملة فعلا، بالرغم من فشل (شامل) في ضم شراكسة غرب القفقاس إلى الاتحاد الذي شكله منذ عام ١٨٤٦. واحتل الروس شمال شرقي القفقاس يوم ١٤ ايار عام ١٨٥٩ [٦٤].

وبقيت مناطق الابزاخ والشابسوغ والحاكوج والاوبيخ وقسم من البزادوغ خارج سيطرة الروس حتى عام ١٨٥٩. كما أن أعداداً كبيرة من المناطق الشركسية التي وقعت تحت الاحتلال الروسي هاجرت إلى هذه المناطق، فازداد عدد سكانها وأصبحت معيشتهم صعبة للغاية، بعد أن دمّر الروس قراهم وحرقوا مزارعهم وأتلفوا المواد التموينية لديهم، فظهرت المجاعة في بعض المناطق، وانتشرت الأمراض المعدية في مناطق أخرى واتبع (محمد امين) نفس خطى سيده (شامل) واستسلم للروس عام ١٨٥٩ بالرغم من معارضة مجلس الشعب الشركسي فكرة الاستسلام باعتبارها نوعا من (الانهزامية).

المحاولة السادسة

وفي اليوم الثامن عشر من الشهر السادس من عام ١٨٦١ عقد زعماء الاوبيخ والابزاخ والشابسوغ مؤتمرا كبيرا في وادي نهر (سوتشي) وقرروا تأسيس (اتحاد شعوب ما وراء الكوبان) وشكلوا مجلسا وطنيا، واتخذوا القرارات التالية:

١- ارسال بيانات إلى جميع الدول الاوروبية لاطلاعهم على آخر الاوضاع في القفقاس، واحتوى البيان على القرارات التالية:

- إعلان يوم ١٣ حزيران ١٨٦١ يوم الاستقلال لدى الشراكسة.

- انتخاب مجلس لعموم الشراكسة في الـوطن الأم باسـم **المجلـس الـوطني الشركسي.**
- تشكيل وحدة في جميع مناطق شمال القفقاس، وكل من يحاول الانفصال عـن هذه الوحدة سيعاقب أشد العقاب.
- انتخاب مجلس وطني بطريقة الاقتراع السري مؤلف من (١٥) شخصا سـمي المجلس المستقل لبلاد الشراكسة.

٢- تقسيم البلاد إلى (١٢) منطقة وتعيين قاضٍ ومفتٍ ومختار وضابط أمن في كل منطقة وتكليفهم بتطبيق قرارات المجلس والقيام بجباية الضرائب مـن خـلال توظيف (خمسة خيالة) لكل مئة منزل، وتخصيص هـذه الـضرائب لـصرفها بعدالة وبمعرفة أعضاء المجلس الذي يعتبر ممثل قفقاسيا الحرة في إدارة شؤون البلاد على أحسن وأكمل وجه.

٣- الطلب من انجلترا المساعدة في حربهم ضد روسيا القيـصرية، لعلمهـم أنهـا الدولة الوحيدة التي كان يمكن أن تؤثر علـى الـسلطان العثمـاني والقيـصر الروسي.

لم تصل أية مساعدة من أية دولة وربما المساعدة الوحيدة التـي وصـلت كانت من (الشعب البولوني) الذي كان يرى في استمرار الحرب القفقاسية وانتصار القفقاسيين دعما لحركتهم في سبيل الخلاص من الاستعمار الروسي. حيث شـكلوا لجانا بهدف تقديم المساعدة للشعب الشركسي، كما قام الجنود والضباط البولونيـون بالهروب من الجيش الروسي والانضمام إلى القوات القفقاسية، وقـد تمكنـوا مـن تهريب الأسرى الشراكسة الموجودين لدى الجيش الروسي حسبما ذكرت المراثـي الشركسية. (٧١)

٤- اعتماد العلم الوطني الذي يرمز لوحدة شعوب ما وراء الكوبان، المصنوع من الحرير الاخضر ومرسوم عليه ثلاثة اسهم متقاطعة وحولها (١٢) نجمة، بالاسهم الثلاثة ترمز للعائلات الاقدم بين الاديغة وهي (زان-آيتيك- بولوتوقة)، كما ترمز النجوم الأثنتي عشرة للقبائل الأثنتي عشرة الشركسية التي انضمت للاتحاد [٦٧]

٥- الطلب من الجنرال الروسي قائد القوات توقف قواته الروسية عند نهر (فارس) وكان جواب (الجنرال) المتعجرف "أنني لا أطلب من الأبزاخ الجيرة الحسنة والمسالمة بل أطلب منكم الاستسلام دون قيد أو شرط".

واستطرد قائلا: "لن أوقف الهجوم حتى يرحل آخر شركسي إلى الأمكنة التي أحددها أنا" فأدرك زعماء شراكسة ما وراء الكوبان عامة وزعماء الابزاخ خاصة مدى خطورة الموقف، فأرسلوا وفدا (للقيصر اسكندر الثاني) وأعلموه بأن الابزاخ جميعهم من الكبار والنساء والاطفال والشباب يقبلون التبعية الروسية ويطلبون منه البقاء في أراضيهم... إلا أن جواب القيصر كان اكثر حدة وتشدداً من الجنرال حيث قال: "اعطيكم مهلة شهر للتفكير.. وبعد الشهر يجب ان تعطوا للأمير "بفيديكموف" جوابا بأنكم ترغبون في الرحيل إلى الاماكن المحددة لكم على نهر الكوبان او الرحيل إلى تركيا". [٧٢]

المحاولة السابعة:

وفي نفس العام وبتاريخ ١٨٦١/١١/١٨ عقد اجتماع لممثلي اتحاد شعوب ما وراء الكوبان الذي تأسس يوم ١٨٦١/٦/١٣ في مكان اسمه (حم جة تي) قرب (مامروقة جي) على مسافة ٣٥ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مايكوب (وتوجد فيه اليوم قرية روسية) حيث كان هذا الموقع مخصصا لعقد اجتماعات الابزاخ.[٦٩] حضره ممثلو المجلس الذي شكل في "سوتشي" في شهر حزيران من سنة ١٨٦١،

وكان يضم ممثلي جميع شراكسة غرب "القفقاس"، وكان هذا المجلس عبارة عن برلمان (حسب مفاهيم اليوم) اطلقوا عليه اسم (الاجتماع الكبير من اجل الحرية).

وعقد الاجتماع برئاسة السيد "حاج برزج" رئيس المجلس، تم في نهايته ارسال مطالب المجلس إلى القيصر والتي تضمنت (١) وقف الحرب، (٢) عدم احتلال اراضي الشراكسة، (٣) الكف عن اسكان الروس فيها. (٤) عدم محاولة فتح الطرق داخل الأراضي الشركسية، (٥) التوقف عن انشاء الحصون العسكرية.[٧١] إلا أن السلطات الروسية لم تستجب لهذه المطالب.

المحاولة الثامنة:

وفي عام ١٨٦٢ عقد اجتماع شعبي كبير، وكان من اكبر الاجتماعات الشعبية التي عقدت حتى تاريخه، وتم فيه تأسيس (المجلس الشركسي الحر الاعلى) حضره ممثلو القبائل الشركسية جميعها، وكان من اهدافه حشد قوى الشراكسة في شمال القفقاس ضد قوات روسيا القيصرية الغازية، وأرسل وفد إلى استانبول للمطالبة بالحماية والمساعدة الحربية كما ارسلوا وفوداً اخرى إلى كل من لندن وباريس[٧٢] لنفس الهدف.

المحاولة التاسعة:

وفي عام ١٨٦٣ عقد في استانبول اجتماعا تقرر فيه تأسيس (المجلس الوطني الاعلى) لقيادة الصراع الشركسي مع الروس، وكان هذا المجلس بمثابة حكومة في (المنفى) شارك فيه ممثلون عن اللاجئين والمهاجرين الشراكسة في تركيا، كما شارك فيه كمستمعين ممثلين عن المهاجرين البولونيين الذين كانوا من اكثر الاجانب الداعمين للشراكسة في حربهم ضد الروس، كما تشكل في لندن في نفس الفترة لجنة (شركسية انجليزية مشتركة) [٧٣]. واصبحت هذه اللجنة مع اللجنة المشكلة في استانبول وثيقة الاتصال مع مركز المهاجرين البولونيين في باريس وهي اللجنة التي كانت تهتم بالمسألة الشركسية وقامت بتزويد الشراكسة بالسلاح

والذخائر ونظمت الاعمال السياسية المناوئة للروس بالتنسيق مع اللجنة الشركسية في كل من لندن وباريس.

المحاولة العاشرة:

بالرغم من كل اشكال الاضطهاد السياسي والاقتصادي الذي مارسته السلطات الروسية القيصرية على من تبقى من الشراكسة في الوطن الام بعد احتلالها لبلاد الشراكسة عام ١٨٦٤.

وبالرغم من كل محاولات (ترويس الشراكسة) بهدف تحويلهم إلى (روس) وطمس الهوية القومية للشعوب القوقازية عامة والشركسية خاصة، فإن الشراكسة أصبحوا أكثر تمسكا بقوميتهم ووطنهم، ورفضوا كل أشكال الاضطهاد. وازدادت حركات التمرد وسرعان ما تحولت إلى انتفاضات شعبية لمقاومة الاستعمار القيصري في أكثر من منطقة قوقازية منها منطقة الكوبان، وتمثلت هذه الانتفاضات بإعلان شراكسة الكوبان الانفصال عن روسيا ورفضهم الخضوع للقوانين الروسية على مدى ثلاث سنوات متتالية وهي (١٨٧٢، ١٨٧٣، ١٨٧٤) واعتبروا انفسهم من رعايا الدولة العثمانية، وأن لا سلطة للحكومة القيصيرية الروسية عليهم.

إلا أن السلطات الروسية استطاعت قمع هذه الانتفاضات قبل تحقيق أهدافها المتمثلة بالاستقلال عن روسيا وتشكيل حكومة قوقازية وطنية.

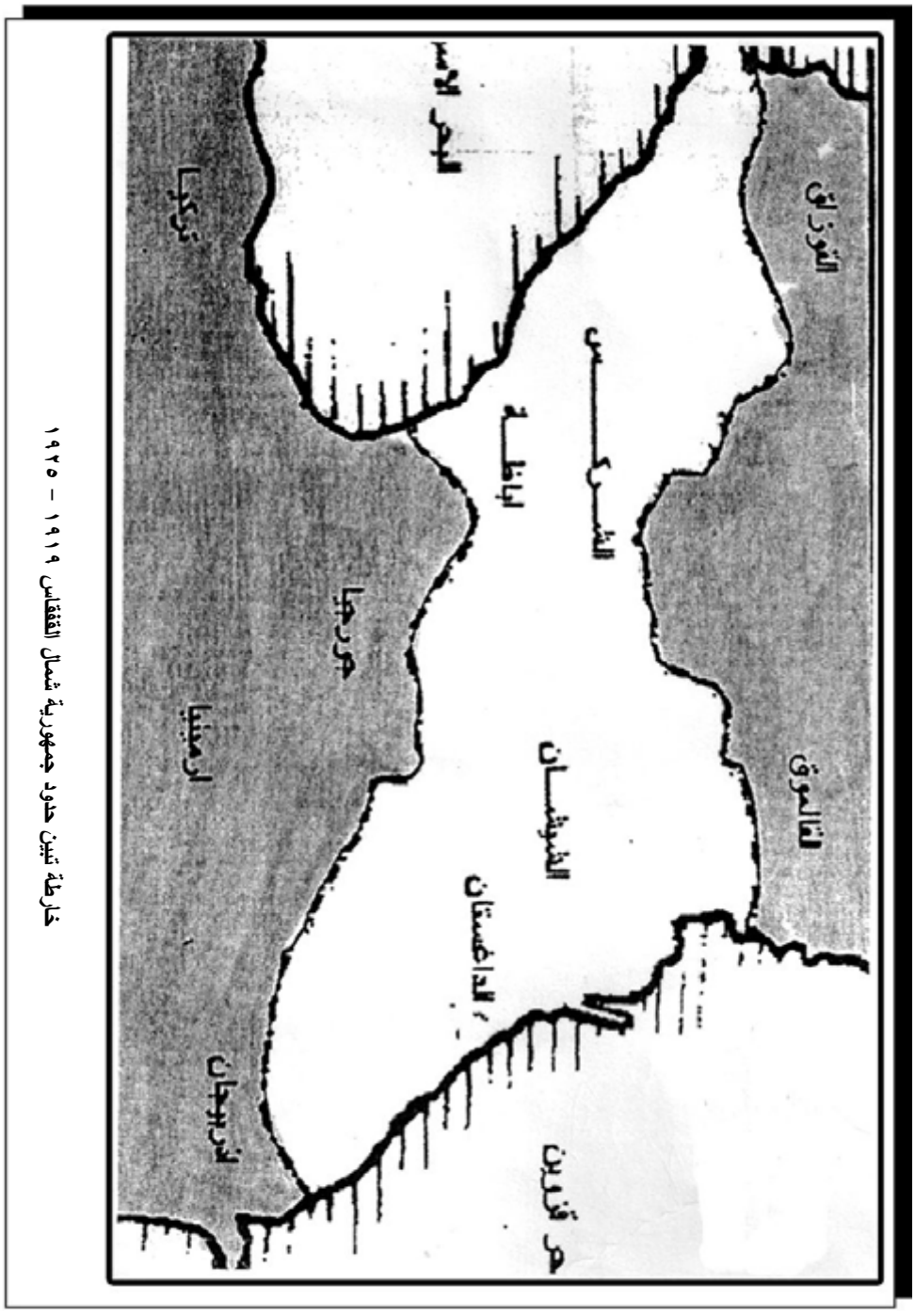
المحاولة الحادية عشرة:

في يوم ١٩١٧/٣/١٥ وبعد تنازل القيصر عن سلطاته الدستورية، اجتمع ممثلو شعوب شمال القوقاز لبحث امكانية تأسيس دولة لهم في يوم ١١ من شهر أيار/ مايو ١٩١٧ وشكلوا (مؤتمر شمال القوقاز الاول) ليكون الهيئة التشريعية العليا التي تنظر في مستقبل تلك الشعوب، وتعمل كحكومة انتقالية لدولة شمال القوقاز المستقلة. وفي ايلول / سبتمبر من نفس العام وخلال المؤتمر الثاني لنفس الهيئة تم التصديق على مشروع دستور الدولة، وفي ١١ آيار/ مايو ١٩١٨ اعلنت

الحكومة المؤقتة لدولة شمال القوقاز استقلالها، وتم الاعتراف بها من قبل القوى العظمى في ذلك الوقت منها: **المانيا والنمسا والمجر بالإضافة لتركيا. وانتخب (عبد المجيد جرويوييف) (اوتشيرموي)**، أبرز رجالات الهيئة التشريعية العليا كأول رئيس للدولة الجديدة وهو شيشاني الاصل كما تم انتخاب برلمان لها برئاسة (سنغيري جباغي) وهو شركسي الاصل، وأقر بأن اللغة العربية واللغة التركية هما اللغتين الرسميتين في الجمهورية الجديدة، بالإضافة للغات القومية للشعوب الأعضاء في الجمهورية.

وفي يوم ١٩١٨/١٢/١٥م: استقال عبد المجيد جرويوييف (تشيرموي) أول رئيس لجمهورية شمال القفقاس، وقام بتأليف الحكومة الجديدة (بشه ماف كوسك) من شراكسة القبرطاي.

وفي يوم ١٩٢٠/١/٢٠م: اعترض الشيوعيون على تسميتها بجمهورية شمال القفقاس، واطلقوا عليها اسم (الجمهورية الجبلية الاشتراكية السوفيتية) وعاصمتها (فلادي – كفقاس) وضمت (٧) شعوب قوقازية وهي: الشيشان، والانجوش، والاستين، والقبارطاي والجركس، والبلقار والقرشاي، والبالغ عددهم مليونين ونصف المليون كما هو مبين في الخارطة المرفقة.



خارطة تبين حدود جمهورية شمال القفقاس ١٩١٩ – ١٩٢٥

وفي عام ١٩١٩ غزا الجنرال القيصري (دينيكن) جمهورية شمال القفقاس ورفض الاعتراف بها لقناعته بأن روسيا وحدة واحدة ولا يمكن تجزئتها. وعندما رفض القوقازيون الانضمام لقواته، قام (دينيكن) بحرق عشرات القرى والمدن الشيشانية من بينها قرى (شيشان أآول – Chechen Aul) وألخان يورت وغودرميس وستاري يورت وغيرها، كما أن القوقازيين لم يكونوا على وفاق مع الشيوعيين وكانوا يجهلونهم في بداية عهدهم، فصدقوا الشعارات التي رفعوها معلنين عن اعترافهم بحقوق القوميات في الاستقلال والانفصال. أما بالنسبة لجنرالات القيصر الروسي المخلوع فقد كان التفاهم معهم معدوما لما لاقته الشعوب القوقازية (سابقا) من قهر على أيديهم.

وبالرغم من تأسيس الجيش من قدامى المقاتلين المريدين الذين أعيد تنظيم صفوفهم، حيث بلغ عددهم ما ينوف على عشرة آلاف مقاتل بقيادة مرشدان هما الشيخ نجم الدين الذي اعترف به كإمام للداغستان والشيخ اوزون حاجي الشيشاني الذي سبق أن قضى خمسة عشر عاما (١٩٠٢–١٩١٧) منفيا في سيبيريا في العهد القيصري إماماً للدغستان وبالرغم من كل ذلك استطاع هذا الجيش الصغير تحرير الداغستان وشيشانيا وإنغوشيتيا وأوسيتيا وكاباردا (بلاد القبرطاي) وقيام (إمارة شمال القوقاز). [٥٧]

وفي شهر آذار/ ١٩٢٠ قامت وحدات الجيش الأحمر (الشيوعي) باحتلال الجمهورية الجبلية الاشتراكية بعد أن استنفدت قوتها في حربها ضد القوات القيصرية بقيادة (دينكن) وألغيت الجمهورية عام ١٩٢٥. وبذلك ضاعت آمال الشعوب القوقازية المسلمة في نيل حريتها واستقلالها عن الحكم الروسي في عهد الشيوعية[٧٦].

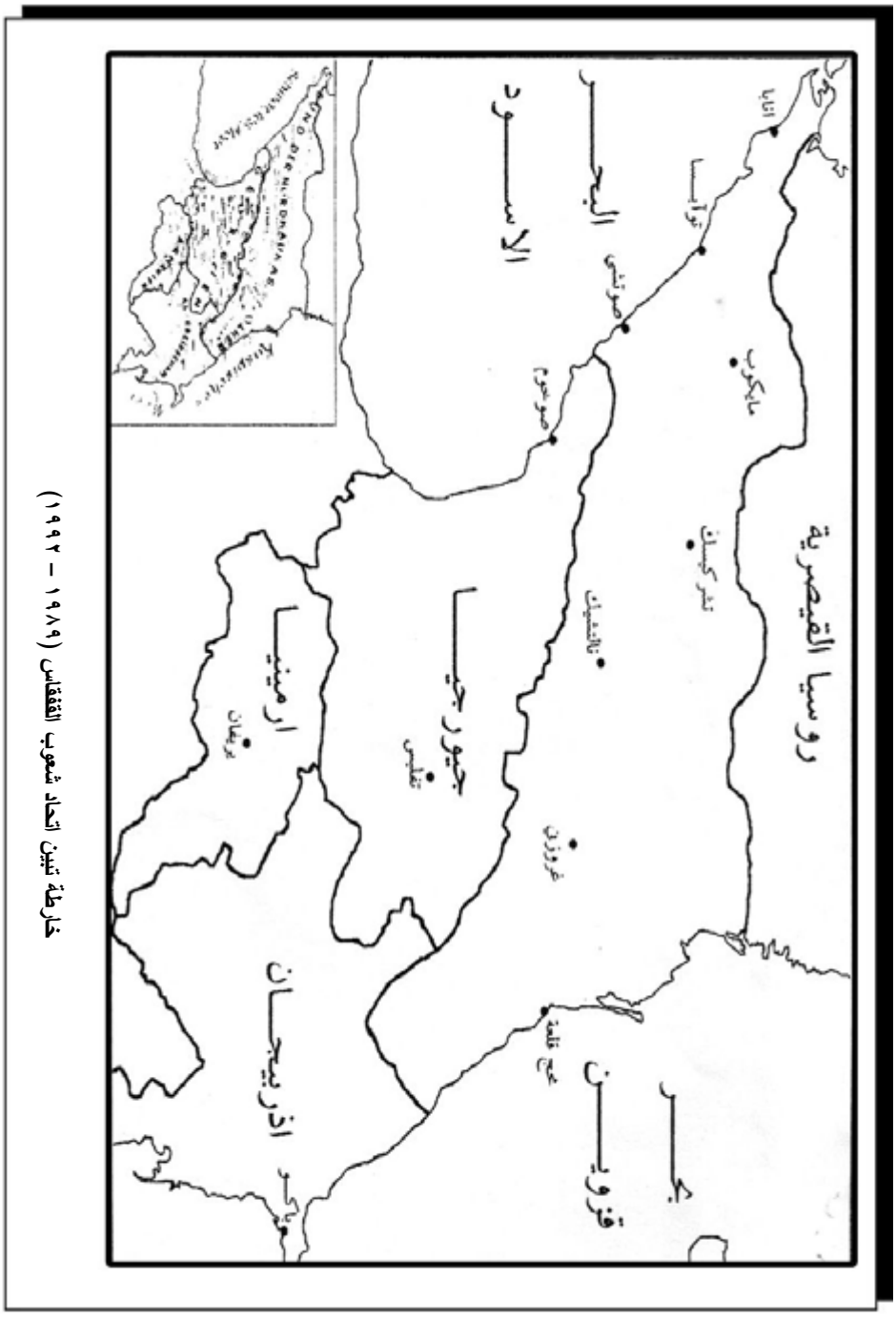
المحاولة الثانية عشرة والأخيرة:

تمت هذه المحاولة في اواخر الحكم الشيوعي السوفيتي، حيث لم تتوقف محاولات القوقازيين عامة والشراكسة خاصة للاستقلال عن التبعية الشيوعية في عهد الاتحاد السوفيتي، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق ذلك إلا في السنوات الاخيرة من الحكم الشيوعي، حيث تمكنوا في يوم ١٩٨٩/٨/٢٥ من عقد المؤتمر الاول لممثلي شعوب القفقاس في مدينة سوخومي عاصمة جمهورية ابخازيا، وأقر فيه نظامه الداخلي وأرسل إلى مؤتمر نواب الشعب في الاتحاد السوفيتي (السابق) **وشارك فيه ممثلو الابازة من جمهورية قرتشاي شركسيا، والابخاز سكان جمهورية ابخازيا، والاديغة سكان جمهورية الأديغي، والانغوش سكان جمهورية الشيشان أنغوش، والقبرطاي سكان جمهورية قبردينيا بلقاريا، والشركس سكان جمهورية قرتشاي شركيسيا، والشيشان سكان جمهورية الشيشان انغوش ولم يحضر المؤتمر الداغستان والاستين الشمالية والجنوبية.**

وأعلن المشاركون في المؤتمر تأسيس (جمعية الشعوب الجبلية في القفقاس)، وانتخب (يوري موسى تشنيه) لرئاسة مجلس التنسيق، وفاخر كوتسويف) لرئاسة مجلس الشيوخ. [٧٦]

وفي يومي ١٣-١٤/ ١٩٩٠ انعقد المؤتمر الثاني في مدينة نالتشك، وأقرت فيه وثائق كثيرة، كما تم وضع الحلول للمشاكل التي تعترض بناء الدولة الجديدة وإصدار بيان رسمي حول الأخذ بمبدأ عدم استخدام القوة في حل المشاكل القومية القوقازية.

وفي تشرين الأول من عام ١٩٩٠ وافقت حكومة الاتحاد السوفيتي على إقامة مؤتمر لممثلي الشعوب الصغيرة حضره (٤٦) شعبا صغيرا من الشعوب التي تعيش في الاتحاد السوفيتي، وتشكلت جمعية وطنية قومية متخصصة في رسم حدود الأراضي التي تعيش عليها هذه الشعوب وانتخب (يوري) رئيسا لهذه الجمعية.



خارطة تبين اتحاد شعوب القفقاس (١٩٨٩ – ١٩٩٢)

وفي يومي ١-٢ / تشرين الثاني/ ١٩٩١ انعقد المؤتمر الثالث للجمعية حضره ممثلو (١٣) قومية وأقرت فيه عدة اجراءات وقرارات منها:

- اعتماد نص بيان إعلان إنشاء اتحاد الشعوب الجبلية القفقاسية.
- تعيين الهيئات القيادية للاتحاد.
- انتخاب البرلمان (القفقاسي) للاتحاد والذي تكون من ثلاثة (مندوبين) ممثلين من كل شعب شارك في الاتحاد وانتخب (يوسوب سولانبيك) رئيسا للبرلمان.
- انتخاب مجلس رئاسة الاتحاد للبرلمان.
- تعيين المحكمة الثلاثية لشعوب القفقاس.
- اختيار اعضاء مكاتب البرلمان للوفاق الوطني.
- تحديد الحقوق القانونية للشعوب المشاركة في الاتحاد.
- وضع أسس ووسائل الدفاع عن أمن واستقلال شعوب الاتحاد.
- انتخاب رئيس تحرير صحيفة الاتحاد المسماة (القفقاس).
- انتخاب (يوري موسى تشبه) وهو أحد النواب عن شعب القبرطاي رئيسا للاتحاد.

وفي ٣ تشرين الثاني من عام ١٩٩٠ وقع في قرية (ليخي) وهي قرية أثرية تاريخية للثقافة الأبخازية على عقد تأسيس (اتحاد شعوب القفقاس) من قبل الرئيس ونوابه [١٧]. في شمال القفقاس كما هو مبين في الخارطة المرفقة

وفي ٤ تشرين الثاني عام ١٩٩١ عقد المؤتمر الأول لشعب الشابسوغ للمطالبة بإعادة إحياء (منطقة الشابسوغ الوطنية) التي ألغيت في عهد ستالين عام ١٩٤٤.

وفي يومي ٤، ٥/ تشرين الاول عام ١٩٩٢ عقد المؤتمر الرابع للاتحاد للنظر في بقاء القفقاس موحدا مع الاستمرار ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية او عدم بقائهم معها وتقرر البقاء ضمن روسيا الاتحادية، كما تقرر الغاء كلمة (الجبليين) من اسم الاتحاد واصبح اسمه (جمهورية شعوب القفقاس) كما سمحوا بانضمام شعوب اخرى من غير الاصول القوقازية للاتحاد إلا أن السلطات الروسية قاومت قيام الاتحاد وألقي القبض على رئيس الاتحاد (يوري) ووجهت له اتهامات تقضي بسجنه ونفيه لمدة (٩٣) سنة، إلا أن ضغط الجماهير الشعبية القوقازية أجبرت السلطات الروسية على الإفراج عن الرئيس (يوري) المعتقل.

وفي أواخر شهر أيار عام ١٩٩٢ انعقدت الدورة المشتركة لكل من البرلمان والمجلس الرئاسي للاتحاد لبحث ومناقشة مسألة اعتداء جورجيا على شعب استينا الجنوبية واستمعوا إلى النداء الذي وجهه ممثلو هذه الجمهورية ونصّه:

"أصبح الشعب الاستيني يلفّه اليأس والقنوط ودول العالم ما زالت صامتة تتفرج على مدى ثلاث سنوات من الإبادة الجماعية للشعب الاستيني دون تدخل منها او تنديد بما يحدث من مجازر ودمار.

كما أن العالم المسيحي يغض النظر عن جورجيا المسيحية التي تشن حملة إبادة جماعية على استينا المسيحية ايضا، إذا انقذتمونا من الموت فالاستين الجنوبيين مستعدون لدخول الإسلام".

وتأثر المجتمعون كثيرا من نداء نواب اسيتنيا الجنوبية ومن اليأس الذي وصلوا إليه حيث بادر المجتمعون بالرد عليهم قائلين: "إن شعوب القفقاس ليسوا على استعداد لقبول هذه التضحية لتغيير الديانة في سبيل تقديم المساعدة الاخوية لهم كما قالوا بأن توجيه النداءات إلى جورجيا وروسيا لا يجدي نفعا الآن، وأنه يجب على رئيس اتحاد الشعوب القفقاسية اتخاذ وسائل أكثر راديكالية لمنع الإبادة الجماعية في استينا الجنوبية، وبناء عليه وجه رئيس الاتحاد للمجتمع الدولي لوضع

حد لاضطهاد وإبادة الشعب في استينا الجنوبية، نداء قال فيه: إن هذه الأعمال تؤكد أن هناك خططا لبعض القوى من اجل اشعال الفتنة، ومن اجل التدمير الشامل للحضارة القفقاسية، هذه الحضارة التي لعبت دورا كبيرا في تطوير البشرية، التي كان لها كثير من التأثير الفعال، كما أنها ساعدت البشرية، فمثلا استمر حكم المماليك الشراكسة ٣٠٠ سنة تقريبا في العالم العربي، وقامت الفرقة الشركسية بتدمير المغول قرب جدران مدينة دمشق، حيث انقذوا الحضارة العربية من التدمير الشامل. كما كان الشركس من القوى الفعالة التي ساعدت على تشكيل الدولة المركزية الروسية، وعلى إعادة بناء تاريخهم، والمؤرخون الاتراك وصلوا إلى نتيجة، مفادها إنه بدون الشركس وخيالتهم لما كانت الجمهورية التركية قائمة الآن".

واستطرد قائلا "١٥٠٠ سنة من الحرب المستمرة لإخضاع القفقاس ولم تستطع تدمير هذه الحضارة القديمة والعريقة، أما الآن فهناك أفق واسع وحقيقي لذلك، فسيناريو الدراما لما وراء القفقاس يتحول إلى شمال القفقاس بهدف إبادة شعوبها مرة أخرى".

"ولكن لن يستطيع العالم أن يغض النظر طويلا، كما حدث في القرن التاسع عشر، أثناء ابادة الشراكسة. إن ما يجري هو إبادة جماعية للشعب الاستيني وأن الكارثة في استينا الجنوبية نذير لشعوب المنطقة وللمجتمع الدولي، فالكارثة عبارة عن فاتحة لنقل سيناريو الدراما لما وراء القفقاس بهدف الإبادة الشاملة لشعوب شمال القفقاس.

وفي الختام وجه إنذارا لجورجيا بقوله: " فإن لم يتوقف العنف ضد الشعب في استينا الجنوبية، خلال مهلة قدرها عشرة أيام، فاتحاد الشعوب القفقاسية سيقدم الدعم لها بكل ما لديه من وسائل". (٧٨)

يقول (يوري) وهو أول رئيس للاتحاد: "بأن الاتحاد وبالرغم من الظروف الصعبة التي عمل فيها، وبالرغم من ملاحقتي شخصيا واعتقالي وتقديمي للمحاكم بتهم باطلة فإن الاتحاد وخلال السنوات الخمس من عمله (١٩٨٩-١٩٩٤) استطاع تقديم مساهمات فاعلة وجادة، كما استطاعت حل العديد من الإشكالات القومية ولعب دور بارز في حل الخلافات القوقازية القوقازية.

وبالرغم من كل هذه المساهمات والإنجازات القومية فإن كلاً من السلطات الروسية (المحلية) منها والفدرالية قاومت قيام الاتحاد واعتبرته المنظمة الأكثر خطورة، والمهددة لوحدة روسيا الفيدرالية، وأنها تشكل مركزا من مراكز التطرف القومي، وأنها منظمة التي تهدف إلى فصل شعوب القفقاس الشمالي عن روسيا، وتأجيج الصراعات القومية التي ستؤدي إلى تجدد الحرب الروسية – القفقاسية التي استمرت من القرن السابع عشر وحتى التاسع عشر، وكان من نتائجها التهجير الجماعي للشراكسة ويستطرد قائلا:

"كما اتهموا هذه المنظمة بتشكيل هيئات حكومية غير شرعية (تشريعية- تنفيذية- قضائية) وتشكيل مجموعات عسكرية غير قانونية، لتدريبها وتجهيزها لتكون مستعدة لخوض الحرب من أجل الحصول على الاستقلال والانفصال عن روسيا الفيدرالية.

وأعلنت السلطات الروسية بأن اتحاد شعوب القفقاس، هو العدو الثاني لروسيا بعد (جوهر دودايف) رئيس جمهورية الشيشان، كما ألصقوا شتى التهم الراديكالية والانفصالية ضد هذا الاتحاد، وتعرض قياداتها إلى الملاحقة والاعتقال، عن طريق توجيه تهم غير مثبتة ومؤيدة بدلائل". (٧٩)

وكان مصير هذا الاتحاد، نفس مصير عشرات الاتحادات والدول والحكومات القومية القوقازية التي تشكلت خلال أكثر من عشرين قرنا بدءاً من اجتياح القفقاس عامة والمناطق الشركسية خاصة من قبل الجيوش الأجنبية الغازية، ابتداء من القرن السابع للميلاد وحتى أواخر القرن العشرين.

الفصل الرابع

البعد القضائي في حضارة الأمة الشركسية

تمهيد:

ربما كانت الأمة الشركسية من أوائل الشعوب والأمم القديمة التي تكوّن لديها نظام قضائي متكامل في أبعاده الثلاثة المتمثلة بـ:

- **البعد القانوني للقضاء:** ويتمثل بوجود قوانين وأنظمة وقواعد تنظيمية للعلاقات في المجتمعات الشركسية.
- **البعد المهني للقضاء:** ويتمثل بوجود هيئة أو مجلس مختص بالقضاء في المجتمعات الشركسية.
- **البعد التخصصي للقضاء:** ويتمثل في وجود قضاة مختصين في إصدار الاحكام وفق التشريعات القانونية الموضوعة والمتفق عليها (شفاهة او كتابة).

وفيما يلي تحليل لكل بعد من الأبعاد الثلاثة لنظام القضاء عند الشراكسة منذ عصور ما قبل فجر التاريخ وحتى العصور الحديثة:

البعد الاول: للنظام القضائي الشركسي وهو: البعد القانوني:

لا شك بأن وجود قوانين وأنظمة ولوائح للفصل بين المتخاصمين او المتنازعين هو البعد الأول والاساسي لأي نظام قضائي قديما وحديثا.

والشراكسة منذ عصر الاجداد من قوم (النارتيين) وضعوا لأنفسهم أحكاماً ضابطة لسلوك الإنسان الشركسي ضمن مفهوم ما يعرف حتى اليوم (بالخابزة)، وهي مجموعة من القواعد السلوكية التي تنظم العلاقات بين الافراد بعضهم مع بعض من جهة، وبين الجماعات مع بعضها البعض من جهة أخرى، وهي ايضا تنظم الشؤون المتعلقة بالمجتمع الشركسي ومؤسساته الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية وغيرها من قضايا المجتمع ومؤسساته، وهي ما تعرف بالعادات والتقاليد والأعراف الشركسية (الخابزة) وكانت (ولا زالت) لها قوة القوانين والأنظمة الحديثة.

كما كان لها قوة أكثر من قوة الأحكام الدينية في عهد الديانة المسيحية، كما كان بعض هذه العادات استمر تطبيقها حتى في الفترات التي اعتنق فيها اجداد الشراكسة الدين الاسلامي الحنيف وخاصة عند القبائل الشركسية التي كانت تطبق النظام الوراثي في إدارة الحكم وهو ما يعرف بنظام (البش) والذي يتمثل بنظام حكم الامراء واما في النظام الديمقراطي والذي كان يتمثل في حكم (التحمادة) فكان للعادات والتقاليد قوة التشريعات الدينية ايضا. حيث كان الامراء يفضلون تطبيق احكام (الخابزة) في كثير من الحالات لأنها كانت تحقق مصالحهم الشخصية.

وفيما يلي نماذج من الانظمة والقوانين التي كانت تتمثل بالعادات الشركسية التي كان يترتب على مخالفتها احكام تصل إلى حد (الموت).

(١) عادات قديمة يعود تاريخها إلى الالف الاول ما قبل الميلاد وأهمها:

عادة الحكم على المسنين بالموت، حيث ورد في الروايات القديمة التي كان يتناقلها الاجداد حتى في بلاد المهجر تغيير تطبيق مثل هذه العادة لديهم نقتبس منها:

"يولد الانسان طفلا صغيرا، ويربى في المهد، ويهدهد حتى يكبر، فإذا أصبح مسنا، أعادوه إلى المهد، وكالطفل هدهدوه واعتنوا به، فإن لم يمت، اخذوه إلى جبل عالٍ وتركوه وحده هناك"* وتعود عادة (قتل المسنيين) (رجالا ونساء) إلى عهد قوم (النارتيين) وورد ذكرها في الأساطير والملاحم التراثية وخلاصتها:

"كان يتم قتل المسنين الذين ما زالوا على قيد الحياة من قبل قبائلهم بعد أن يصدر حكم عليهم من قبل ما كان يسمى بمحكمة المسنيين أو (مجلس الموت) ويترك للمحكوم اختيار وسيلة من الوسائل التالية لطريقة (موته) وهي:

* هذه الرواية ذكرها باتري أوزيك، في كتابه أساطير النارتيين نقلا عن عجوز من شراكسة تركيا واسمه (غواشيخوراي) وعمره تسعين سنة ص: ٥٧.

- الموت بالسم أو:
- الالقاء من جرف صخري، أو:
- وضع المسن في قفص معلق على جدار الجبل حتى الموت، أو إلقاء القفص في شق في الأرض أو رمي القفص في نهر أو في البحر.

ويذكر (موللر) ان الاغريق كانوا يستخدمون نفس الاساليب حيث "كان المسنون في جزيرة (هيدرا) يوضعون في قفص ويرمون في البحر. أما النارتيون فكانوا يلقون مسنيهم من الجرف الصخري [*].

وحاول (ليفي شتراوس) تفسير دوافع ظاهرة قتل المسنين قديما في العالم، بأنها دوافع اقتصادية، وهو تفسير يعتبر معقولا، حيث إن المجموعات البشرية ذات الموارد غير المستقرة (الصيادين، جامعي الغذاء، البدو الرحل) كانت تبرز لديهم مشكلة إطعام ونقل المسنين الذين صاروا ضعيفي الحركة، وبالفعل فإننا نجد في بعض نصوص الروايات والأساطير عن حدوث كوارث غير متوقعة مثل حدوث (قحط، وانتشار أوبئة) تهدد وجود النارتيين.[**]

كما تؤكد الروايات والأساطير بأن حكم الموت كان يصدر على المسنين الذين لم يعودوا قادرين على امتطاء الخيل أو غير القادرين على حمل السيف وشد القوس وحزم القش.

ويقول (حاداغالة) بأن: "إلغاء نظام قتل المسنين حدث بعد أن طرح أحد الملوك مرة على شعبه ثلاثة اسئلة، ووعد بأن يزوج ابنته لمن يجد الإجابات الصحيحة عنها. وقد استطاع بطل القصة بمساعدة والده (وكان البطل قد انقذه من

[*] لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب أساطير النارتيين للكاتب اوزبك باتريك ص: ١٦٠-١٦٥.

[**] انظر كتاب حاداغالة – مصدر سابق، جزء ٣ ص: ٢٤٩-٢٥٣.

القتل بسبب الشيخوخة) أن يجد الإجابات الصحيحة، وتزوج ابنة الملـــك، وعنـــدما سأله الملك كيف عرف الإجابات اعترف الشاب بأنها من كانت بفضل ما عده أبوه الذي لم يطبق عليه حكم الموت. ومنذ ذلك الحين ألغيت عادة قتل المسنين.

وفي رواية اخرى تحمل نفس المعنى مع اختلاف الاسباب، وخلاصتها بأن احد النارتيين واسمه (بادنيقوا) قام بحمل والده على ظهره وذهب به إلـــى الجبـــل ليقتله حسب العادة، وزلت قدمه اثناء الصعود فوقع، فضحك والده، ولم يفهم الإبـــن كيف يضحك ابوه بدلا من ان يحزن، وسأله ما الذي يبعث على الضحك يا أبتـــي؟ فأجاب الوالد: **يا بني منذ سنوات طوال، وبينما كنت احمل والدي في نفـــس هـــذا الطريق زلت قدمي في نفس هذا الموقع فضحك والدي، ولم افهم سبب ضحكه في حينه، والان فهمت لماذا ضحك، لأن ابنك انت ايضا ســـيحملك إلـــى هنـــا مثلمـــا حملتني انت ولذلك اضحك (لأن التاريخ يعيد نفسه). عند ذلك عرف بأن اباه محق في قوله، وعدل عن قتل ابيه، واعاده إلى البيت سرا، خوفـــا مـــن النـــارتيين اذا علموا بذلك، ووضع أباه في غرفة ليس لها إلا نافذة صغيرة.**

وبعد سنوات أصاب بلاد (النارتيين) قحط وجفاف تسبب بتلف ثمار التفاح، وقدم (بادينقوا) لأهله حلا للمشكلة، وفي مرة ثانية مرضت الاغنام وماتت الاكباش، فكان الحل ايضا باقتراح منه، وفي المرة الثالثة اصيبت حقول الحبوب بالتلف نتيجة قحط، فكان ايضا الحل عند (بادنيقوا) .

فتعجب قوم (نارت) وازداد فضولهم تجاه نصائح (بادنيقوا) الذكية، فـــسألوه من أين تعلمت كل ذلك، فصارحهم بالحقيقة قائلا: "**إنني لم اقتـــل والـــدي**" **وتـــابع كلامه: "انه هو منقذنا، فهو الذي قدم لي النصائح التي انقذتكم"، وعنـــدها قـــرر مجلس النارتيين التوقف عن قتل المسنين.**

*** عادة قتل الخونة أو الذين يقومون بأعمال تلحق ضررا كبيرا بالأمة الشركسية**

ربما كانت (الخيانة) في جميع اشكالها وانواعها من الكبائر عند الشراكسة منذ عصر الاجداد، وهي تشبه بما يسمى في عصرنا الحاضر (بالخيانة العظمى للوطن) التي تلحق ضررا كبيرا بالأمن القومي، يترتب عليها (الحكم بالموت) خاصة إن كانت الخيانة لمصلحة الاعداء، وهذا ما حدث فعلا إبان حرب الابادة والدمار التي نفذتها القوات الروسية القيصيرية، حيث أصدر القادة الشراكسة من القبرطاي والاديغية حكما بالموت على أكثر من جاسوس وهم الجواسيس الذين كانوا يتعاونون سرا مع السلطات الروسية الاعداء للأمة الشركسية.

*** عادة تحريم قتل (المرأة)**

وهي من العادات التي كان الشراكسة منذ القدم حريصين على تطبيقها حيث كان من أهم العادات المرتبطة بذلك هي:

- تحريم قتل المرأة أو أخذ الثأر منها.
- عادة تحريم القتل تحت سقف بيت المرأة أو بحضورها وإذا حدث ذلك كان يحاكم فاعلها وتوقع عليه اشد العقوبات.
- عادة تحريم ضرب المرأة او اهانتها او التحدث معها بألفاظ نابية، وكل من يفعل ذلك كان يحاكم ويحاسب أمام مجلس كبار السن (التحمادات)، كما كان يعزل عن المجتمع.

(٢) العادات الاجتماعية الشركسية التي تعتبر مخالفتها أو تجاهلها أو عدم تطبيقها من الأفعال التي يتوجب فيها محاكمة مرتكبيها وهي:

١) عدم توفير الحماية اللازمة للضيف الذي نزل ضيفا على مضافة من المضافات الشركسية، حيث كان من أكبر الكبائر هو عدم قدرة المضيف على حماية الضيف من أي أذى قد يلحق به.

٢) عدم حماية الشخص المستجير أو طالب الحماية بعد (دخوله) إلى البيت وحتى ولو كان قاتل أبيه أو أحد أفراد عائلته. وخير دليل على ذلك ما أوردته (رايا مامكيغ) في كتابها (لمحات عن العادات الشركسية) رواية تؤكد مدى التزام الشراكسة بآداب وقواعد حماية المستجير، وملخصها:

"بينما كان رب عائلة في احد الايام يمارس بعض الاعمال في ساحة داره، دخل شاب غريب هارب يبحث عن ملجأ، فأخفاه رب الدار في بيته، وبعد قليل وصل بعض شبان القرية ممتطين خيولهم وسألوا الرجل: هل رأيت شابا هاربا؟ إننا نبحث عنه لنقتله فقد (اغتال ابنك) فأجابهم الرجل بأنه لم ير أحدا، وهكذا ذهبوا لمواصلة البحث عنه، أما صاحب الدار فقد أكرم الشاب دون أن يبدو عليه أنه يعرف ما فعله بابنه، ودون أن يلحظ الشاب منه أي شيء. وبعد أن هدأت ثورة وغضب فرسان القرية جهز الرجل لضيفه الشاب جوادا وزادا وقاده ليلا إلى موقع آمن خارج القرية وتركه ينصرف، وهكذا فقد حمى قاتل ابنه التزاما منه بتقاليد (حماية المستجير)، ولو كان فعل عكس ذلك فإنه كان قد تعرض لمحاكمة صارمة من قبل مجلس التحمادات (الرؤساء).

٣) محاكمة من كان يهرب من ساحة المعركة خوفا من الموت بإيقاع أحد الاحكام التالية بحقه:

- الاحتقار والازدراء من قبل المجتمع عامة والنساء خاصة وعدم قبول الفتيات الزواج منه.
- تلبيسه قبعة قذرة وتجليسه على ظهر حصان أجرب، ثم عرضه أمام الجماهير للتشهير به وتعريف عامة الناس بأنه جبان.
- الحكم عليه بدفع غرامة بقيمة (ثورين) على الأقل.

٤) عادة محاكمة كل من تهاون بالمحافظة على كرامته وشرفه.

جرت العادة أن يطرد من القبيلة كل من تهاون بكرامته أو أخل بالشرف، بالإضافة إلى نزع كل الألقاب التي يحملها (إن كان من حملة الالقاب)، كما كان الشعراء ينظمون أشعارا للتشهير به بين القبائل الأخرى.

٥) معاقبة الزانية والزاني :

يقول (ابن فضلان)* بأن الشراكسة قديماً قليلا ما كانوا يزنون، حتى في ايام الوثنية، ومن زنا منهم كائنا من كان ضربوا له أربع سكك وشدوا يديه ورجليه إليها وقطعوه من رقبته إلى فخديه، وكذلك يفعلون بالمرأة ايضا ثم يعلق كل قطعة منه أو منها على شجرة".

(٣) مجموعة الأعمال والأفعال التي كان يعاقب عليها فاعلها من الشراكسة من قبل المجالس المختصة ومن هذه الأعمال:

* الكسب عن طريق النهب أو السرقة، خاصة بعد أن اعتنق الشراكسة الإسلام.
* خرق حرمة الجيرة أو الصداقة.
* العيش عالة على الآخرين، وكذلك الذين لم يكن لهم عمل ما وهم من نوع (الكسالى).
* إهمال الوالدين وعدم رعايتهما الرعاية اللازمة عند الكبر.
* خطف الفتاة بالقوة وبدون موافقتها.
* مخالفة شروط الزواج عن طريق (الكواسة).
* إهانة الكبار وعدم احترامهم وتقديم يد المساعدة لهم.

* ابن فضلان: مؤرخ عربي زار بلاد الشراكسة في القرون الوسطى وكتب عن بعض عاداتهم وتقاليدهم وحياتهم الاجتماعية ص: ١٦٢.

البعد الثاني للنظام القضائي الشركسي وهو: البعد المهني

يتمثل هذا البعد بالهيئات والمجالس التي انشأها الشراكسة منذ عهد الأجداد للتقاضي أمامها حتى تفصل بين الناس في منازعاتهم وقضاياهم، وهي التي كانت تقوم مقام المحاكم النظامية منها والشرعية المورثة حالياً.

وبالرجوع إلى ما كتب حول نظام القضاء لدى الأمة الشركسية، تبين بأن أهم الهيئات والمجالس التي كانت تقوم بمهام المحاكم هي:

- **مجالس الأمهات**، في عهد سلطة الأم، ومن ثم مجالس الآباء، عندما انتقلت السلطة للأب.
- **مجالس النارتيين** منها (مجالس الموت).
- **مجالس رؤساء الدويلات** عندما نشأت، الدول منذ فجر التاريخ.
- **المجالس الشعبية** المكونة من الامراء أو الرؤساء والنبلاء والأعيان، بالإضافة إلى ممثلي الاحرار والفلاحين عندما تكونت القبائل وأصبحت بعض قبائل الشراكسة تتبع نظام حكم (الامراء) الوراثي والبعض الآخر نظام حكم الرؤساء (التحمادات).
- **المحاكم المتخصصة بالقضاء** وهي التي ظهرت أول ما ظهرت في القرن العاشر الميلادي في زمن حكم الامير ينال الكبير، حيث أقام في الدولة الشركسية التي انشأها في بلاد الشركس والأبخاز بعد ان قضى على الفساد والمفسدين، وبعد أن قضى على العصيان والتمرد الذي قام به بعض الأمراء الخارجين على القانون بزعامة الأمير (اوزوفير)، حيث أنشأ (٤٠) منطقة وعين لكل منها حاكما من القضاة لتسيير دفة الحكم فيها، وكان من مهامهم الاساسية القيام بالفصل في المنازعات بين الأفراد التابعين لكل منطقة إدارية.

- **محاكم الصلح**، وتأسست في عهد الأمير (قايتوقة برسلان) وهو أول من اسس هذا النوع من المحاكم المنظمة المسماة (خه – ساه) وعين في كل بلدة (آوول– Aoul) وهو بمثابة محكمة صلحية للسهر على مصالح العامة، ونشر الامن والاستقرار في البلاد، وكان من صلاحيات هذه المحاكم الفصل في كل القضايا ما عدا القضايا الجنائية، كما كانت تنظر في قضايا المزارعين والفلاحين من سكان القرى، وسميت بالمحاكم الابتدائية التي كان يرأسها أحد النبلاء وعضوية اثنين أو ثلاثة منتخبين من عامة الناس المشهود لهم بعلمهم وبالسمعة الطيبة. كما تألفت كل محكمة من هذه المحاكم الصلحية من اعضاء مختصين وقسم منهم كان يعين من جانب حاكم البلاد وهم في الغالب من طبقة (الاوزدن) والقسم الثالث كان ينتخب في كل سنة من بين افراد الشعب الاكفاء، ويصادق على عضويتهم امير البلاد نفسه.

وكانت الأحكام تصدر عن هذه المحاكم طبقا للاصول القضائية المرعية ووفقا للقوانين والانظمة التي كان يصدرها امير البلاد حسب مقتضيات الظروف والاحوال السائدة في البلاد. *

* **المحكمة العليا:** وهي التي تأسست ايضا في عهد الامير (برسلان) وكانت تختص بالفصل في الشكاوى الموجهة ضد القضاة انفسهم، والقضايا الجنائية، والمسائل العامة التي تتناول مصلحة الشعب بأسره، فكان ينظر ويفصل فيها مجلس برئاسه الامير نفسه في المحكمة العليا أو الرئيسية التي كانت تسمى (خاسة) والتي كانت تعقد بصورة دائمة في مكان اقامة الامير الدائمة.

* لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب تاريخ الاديكة (الجركس) القديم للمؤرخ شورا بكمرزا نغموقوه ص: ١١٩ و ١٢٠.

وفضلا عن ذلك فقد سن الامير برسلان عدة أحكام ووضع مواد قانونية لمعاقبة المخالفين للقوانين التي وضعها هو والقوانين المرعية الاخرى من قديم الازمان. وكان حريصا كل الحرص على تنفيذ القوانين والاحكام الصادرة من المحاكم العامة، وما كان ليتردد في معاقبة المخالفين والمجرمين والخارجين على القانون واعداء النظام، وحتى الامراء والنبلاء انفسهم لم يسلموا من عقابه، وكان يطبق عليهم اشد انواع العقوبات طبقا لما يقترفونه من الجرائم مهما كان نوعها، كما كان في كثير من الاحيان ينتزع منهم ألقابهم ويجردهم من مناصبهم ومراتبهم ويخرجهم من البلاد اذا ثبت عليهم أنهم أساؤوا إلى سمعتهم أو شرفهم.

* **المحاكم الشرعية:** وهي المحاكم التي تأسست في أوائل القرن التاسع عشر في عهد الأمير (عادل كيراي) امير القبردى، وبإشراف العالم وقاضي زمانه صاحب الفضيلة (آبوق حاجي اسحاق افندي) وبفضل هذا العالم الفاضل انتشرت المحاكم لدى قبائل القبردى، ونفذت أحكامها بدقة وعناية حسب نصوص الشريعة الغراء.*

* **المحاكم التي انشأها محمد امين نائب الامام شامل**

انشأ (محمد امين) في عامي ١٨٤٩ – ١٨٥٠ وبعد توليه الحكم (باسم الشيخ شامل) في بلاد الاديغة في منطقة الكوبان التي تضم قبائل الشابسوغ والابوخ، والابزاخ والبجادوغ والناتخواج عددا من المحاكم الشرعية منها:

- محكمة اقليم الناتخواج.
- ثلاث محاكم على ضفاف الانهار وفي سهول الشابسوغ.
- خمس محاكم في بلاد الابزاخ.

* لمزيد من المعلومات حول المحاكم الشرعية يمكن الاطلاع على كتاب نغموقة (سابق الذكر) ص: ١٩٣-١٩٤.

وتشكل كل محكمة منها على النحو التالي:

- **رئيس محكمة** ويتم تعيينه من قبل النائب محمد امين شخصيا.
- **عضوان ينتخبان** من قبل الزعماء (التحمـــادات) او الـــشيوخ وكانـــت القـــوة التنفيذية للاحكام من صلاحية رئيس المحكمة.

كما كان من صلاحيات هذه المحاكم اضافة إلى الفـــصل فـــي المنازعـــات ومحاكمة الخارجين على القانون الاشراف على فرقة (الدرك) المكلفة بحفظ الامـــن وحراسة الموقوفين، والمحكومين، وتنفيذ قرارات المحكمة... الخ.

وتوقف العمل بهذه المحاكم في بلاد الشراكسة في عهد الاستعمار الروسي القيصيري بعد عام ١٨٦٤م، وكذلك في ظل الحكم الشيوعي ابتـــداء مـــن عـــام ١٩٢١ حين اصبح الشراكسة في الوطن الام موزعين على مقاطعات وجمهوريات ذات حكم ذاتي تابعة لحكومة الاتحاد السوفيتي في الكرملين في موسكو.

٧) تطبيق قواعد الشريعة الاسلامية

يقول (نغموقة) بأن الامير عادل كري ابن حاتوظوقه ادخل عدداً كبيراً من أفراد قبيلة القبارطاي للدين الاسلامي بمساعدة الملا (اسحق آبوقو) وأخذ يطبـــق احكامها بحذافيرها على المذنبين والمجرمين دون استثناء احد مهما كان مركـــزه الاجتماعي، وبموجبها كان كل شخص يقترف ذنبا، يعاقب بنوع من أنواع العقاب الجسماني بما فيه عقاب الموت، وكذلك تطبيق مبدأ "الحد" على السارق ولو كانت (سرقة) شيء لا تتجاوز قيمته "روبلا فضيا" بقطع اليد اليسرى، والـــسرقات التـــي تتجاوز قيمتها الروبل حتى المئة روبل كان عقابها قطـــع اليـــد اليمنـــى والرجـــل اليسرى، وأما الفاحشة فكان عقابها الموت، وكذلك كان القاتل يقتل، كما كان القضاة الشرعيون يطبقون احكام الشريعة على الزواج وعلى الطلاق، وكان الأرث اكثـــر القضايا التي حازت على اهتمام القضاة الشرعيين، حيث تشير الوقائع التاريخية بأن الدعاوى كانت تسمع فيها لمدة اربعين عاما، حفاظا على الحقـــوق الـــشرعية مـــن

الضياع، وان حكام الشراكسة وزعماءهم لم يمسوا مسائل الأرث عند تعديل بعض العادات القومية عند القبرطاي في عهد الفيلسوف (جباغي) عام ١٨٠٧ واجازوا المبدأ القانوني القائل بجواز النظر فيه خلال اربعين سنة. وكذلك بالنسبة للقضايا الحقوقية المتعلقة بالممتلكات الشخصية، فكانت تحل وفقا للأحكام الشرعية الإسلامية، وأما المسائل التي تتناول العلاقات بين الأمراء والاوزدون، أو الاوزدون وأفراد الشعب، فكانت تحل وفق العادات القديمة والأصول المرعية.

لا شك ان تطبيق الأحكام الشرعية المذكورة جاء بفوائد جمة، وساعد على انتظام الاحوال المدنية والاجتماعية في المجتمعات الشركسية، إذ كان كل فرد يخشى ان يقترف ذنبا أو يأتي بعمل مخالف لأحكام الشريعة والقانون. [٨١]

البعد الثالث للنظام القضائي الشركسي وهو: البعد التخصصي للقضاة:

ناقشنا في البعد الاول العادات والقوانين والانظمة التي كانت تطبق في المجتمعات الشركسية منذ عصر الاجداد وهي التي تتمثل في العادات والتقاليد والاعراف التي كانت سائدة في العصور التي كان اجداد الشراكسة يدينون فيها بالديانة المجوسية او الوثنية، ثم بدأ تطبيق بعض مبادئ الدين المسيحي جنبا إلى جنب مع العادات والتقاليد الشركسية، وعندما اعتنق الشراكسة الدين الاسلامي بدأ تطبيق احكام الشريعة الاسلامية إلا أن تطبيق العادات والتقاليد ظلت سارية المفعول في حل بعض القضايا الاجتماعية خاصة لدى القبائل التي كانت تطبق نظام حكم الامراء (بشي).

وفي البعد الثاني، ناقشنا الهيئات والمجالس التي كانت تشرف على تنفيذ العادات والانظمة والقوانين ابتداء من مجلس الموت في عهد قوم النارتيين وانتهاء بالمحاكم الشرعية في عهد الاسلام.

وسنناقش في هذا البعد الاشخاص الذين كانوا يقومون مقام القــضاة منــذ عصر الاجداد وإلى حين بدأ تشكيل المحاكم الــصلحية والاســتئنافية والــشرعية الاسلامية منذ القرن الثامن عشر تقريبا.

وفيما يلي موجز ملخص لنشأة وتطور اعمال القضاة لدى الامة الشركسية وهي على النحو التالي:

ففي عصر حكم الامهات: كانت الامهات او النارتيات يقمن بدور القــضاة في مجالسهن.

وفي عصر حكم سيطرة الاباء على السلطة، أصبحت مجالس الاباء تقــوم بهذه المهمة.

وفي عصر قوم النارتيين الذين هم اجداد الشراكسة، كان القاضي (اليدج) هو اول رئيس محكمة لدى هذا القوم، كما هو وارد في اساطيرهم، وكــان رئيــسا لمجلس (موت النارتي) وهو المجلس الذي كان يصدر احكام قتل المسنيين من قوم النارتيين، ويتضح ذلك من الحوار الذي دار بين (الاميرة الكبيرة والكنّة) في احدى اساطير النارتيين ونصه:

- "**الاميرة كبيرة السن:** "لا تدعيهم يأخذوني إلى (اليدج) يا اميرتي العزيزة، فهناك يقتل المسنون يا اميرتي.. وعندما كنت انا كنة يا أميرتي، اعتنيت بأميرتي الام دائما وبشكل جيد، ورعيتها وأطعمتها ولم ادعهم يأخذونها (لمجلس الموت).
- ورواية أخرى تؤكد بأن (اليدج) كان رئيس مجلس الموت عند النــارتيين مــن الحوار الذي دار بين الجدة والكنة وزوجها (تسيرخوج) ونصه:
- "ان الكنة السيئة عديمة الرحمة".
- "او يا عزيزتي" "خوج".
- "لا تدعهم يأخوذوني" إلى (اليدج).
- "ان من يؤخذ إلى (اليدج) سوف يؤخذ إلى تلال او جبل وسوف يقتل".

وفي العصر الذي بدأ فيه تشكيل الدويلات والدول منذ الالفية الثانية ما قبل الميلاد اصبح رؤساء هذه الدول يقومون بمهام الفصل في القضايا والمنازعات بين الافراد، كما ان مجالس الرؤساء كانت تقوم في الفصل في القضايا الكبرى بالدولة.

وفي العصر الذي اعتنق فيه اجداد الشراكسة الديانة المسيحية كان الكهنة والخوارنة الذين كان يسمون (شوجن) يقومون بالفصل في بعض القضايا التي لها علاقة بتعاليم الدين المسيحي، إلا أن رؤساء مجالس الشعب (التحمادات) هم الذين كانوا يقومون بمهام القضاة في حل النزاعات عامة والمتعلقة منها بالنبلاء وأعيان الشراكسة والامراء خاصة.

وفي العصر الذي تشكلت فيه القبائل الشركسية ابتداء من القرن الرابع الميلادي: أصبح زعماء القبائل ورؤساؤها مخولين بالفصل في القضايا والمنازعات المتعلقة بعامة الشعب من التابعين لهم والفلاحين والخدم. **كما ان المجالس الشعبية** التي كانت تشكل لدى كل قبيلة هي التي كانت تقوم بالفصل في القضايا الكبرى وفي المنازعات والقضايا المتعلقة بالنبلاء والامراء او الزعماء انفسهم.

وابتداء من القرن التاسع الميلادي وفي عهد الامير (البش) ينال الكبير امير أمراء القبرطاي، ظهر مفهوم التخصص في اعمال القضاء عندما عين (٤٠) قاضيا بمعدل قاضٍ لكل مقاطعة أو إمارة، بالإضافة إلى انتخاب شخصين أو ثلاثة من ذوي السمعة والكفاءة والعدالة اعضاء في كل محكمة.

وفي عهد الامير (رسلان) او (برسلان) تم اختيار القضاة من الاشخاص المؤهلين تأهيلا متخصصا في تطبيق الانظمة والقوانين عامة والعادات والتقاليد الشركسية خاصة.

وفي العصر الذي اعتنق فيه الشراكسة الدين الاسلامي اصبح (الشيوخ) والذين كانوا يسمون (المولات) هم القائمون بأعمال القضاة جنبا إلى جنب مع القضاة المختصين بتطبيق الانظمة والقوانين المتمثلة بالعادات والتقاليد التي لا تتعارض مع احكام الدين الاسلامي *.

(٢) قضاة وعلماء شراكسة اجلاء كان لهم دور فاعل في القضاء الشركسي

يجد الباحث في تاريخ القضاء الشركسي بأن اشخاصاً وعلماء أجلاء كان لهم شهرة في العدل والاستقامة حكموا بين الناس بنزاهة واقتدار.. نذكر منهم القضاة الشراكسة التالية:

- **القاضي (ورى)** وهو من القضاة المشهورين بالعدل والنزاهة في حكمهم، وعاش في فترة ظهور القاضي والفيلسوف (قازنوقة جباغي).
- **القاضي والفيلسوف جباغي،** بدأ نبوغ (قازنوقة جباغي) منذ ان كان صبيا.

ومن الروايات التاريخية الموثوقة حول نبوغه المبكر الرواية التاريخية التالية:

في فصل الربيع وعلى هضاب القفقاس صادف ان كان اربعة رعاة يرعون معا قطعانا من الماعز. وكان الرعاة يملكون من جملة ما يملكون (جديا) أو معزة اهداها لهم احد اصحاب القطعان، وتوزعوا ملكية هذا الجدي فيما بينهم بأن اصبح يملك كل منهم طرفا من اطراف الجدي. وحدث ان انكسرت يد هذا الجدي العائد ملكيتها لأحدهم فجبروا الكسر، وعجز الجدي عن الخروج مع القطيع فكان يبقى في

* ملاحظة: بالرغم أن غالبية الشراكسة أصبحوا مسلمين منذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادي إلا أن غالبية الشعب كانوا يجهلون تفاصيل الدين والشريعة الأسلامية لعدم وجود من يعلمهم اولا ولانشغالهم بالحروب ثانيا، ومثل هذه الظاهرة كانت موجودة في القرى وسكان البوادي والطبقة الجاهلة من الحضر في جميع بلدان العالم الاسلامي مثل الاتراك والعجم والهند حتى والعرب، فالطبقة الجاهلة فيها لا تعرف من الاسلام إلا النزر اليسير، وهذه الحالة موجودة حتى يومنا الحاضر.

مركز (مأوى) الرعاه، وفي إحدى الليالي وبينما كانوا يتسامرون والجدي جالس معهم حول النار التي أوقدوها، ويبدو أن الجدي اقترب من النار كثيرا طلبا للدفء، فاشتعلت النار في رباط الكسر. فهرب الجدي فلحقوا به ليمسكوه، ولكن يبدو ان الجدي كان اكثر سرعة من الاخرين فلم يفلحوا بالامساك به الا بعد ان مر بأكوام المحاصيل وخلايا النحل القريبة من المكان، فاشتعلت النار واتت عليها ونتيجة للأضرار التي لحقت بأصحاب الاملاك التي احترقت محاصيلهم، رفعوا قضية أمام القاضي (وري) الذي كان قاضيا عشائريا مشهورا في المنطقة. وبعد أن استمع (وري) إلى أقوال أطراف الدعوى والشهود.. أصدر حكمه المتضمن **تحميل مسؤولية ما حصل لواحد من الرعاه الأربعة وهو صاحب اليد المكسورة، وتبرئة الاخرين.** وذات يوم تشاجر بعض الصبية فتدخل (جباغي وكان صغير السن) بينهم لحل النزاع ولما عرفوا نتيجة الحكم، دهش الصبية من هذا الحكم وبدأوا بالضحك والاستهزاء ولكن دهشتهم انقلبت إلى حيرة حينما قال لهم (جباغي) ان حكمه يشبه حكم القاضي (وري).

سمع (وري) بتعليق جباغي فاستدعاه وسأله عن سبب تعليقه، وقد دهش القاضي (وري) حينما رفض جباغي ابداء رأيه في موضوع حكمه إلا بحضور اعضاء المحكمة وعلية القوم. نزل (وري) عند رغبة (جباغي) وجاء القضاة وعلية القوم فقال (جباغي): سادتي القضاة، هل يمكن أن ينسب إلى شيء (ميت) فعل؟ وهل من الممكن أن يرتكب الميت جريمة؟ صحيح ان يد الجدي المشتعلة هي التي سببت الحريق ولكن اليد كانت ميتة وملفوفة بالكفن، ان السبب الاصلي للحريق، هو اطراف الجدي الثلاثة الاخرى التي حملت المكسورة المشتعلة لمكان الحريق ولو لم تفعل ذلك لما تحركت اليد المحروقة من مكانها ولما حدث الحريق، وعليه فإن مسؤولية ما حدث يتحمله اصحاب الاطراف الاخرى للجدي وليس صاحب اليد المكسورة، وساد الحضور صمت ودهشة، ثم قطع الصمت بأصوات

الإعجاب والدهشة التي انطلقت من افواه الحاضرين مبدين إعجابهم بذكاء الشاب (جباغي).

طلب (وري) من جباغي أن يلازمه دائما لكي يستفيد من ذكائه أولاً، ويستفيد (جباغي) الشاب من خبرة يوري الطويلة، وطلب من الحضور أن يقروه على الرأي، فكان ما أراد. وهكذا اصبح (جباغي) ملازما للقاضي وري، ومرت السنون إلى أن توفي القاضي العجوز (وري). وفي حفلة تأبينه انتخب (جباغي) خلفا له، وتوالت الاقتراحات من المتكلمين لتكريم شيخهم الراحل وتخليد ذكراه. وكان من بين المتكلمين (جباغي) الذي تخللت كلمته بعض ابيات الشعر، فأعجب الحاضرون بها وحفظوها سريعا وعزفت لحنا يعزف في يوم زفاف العروس إلى يومنا هذا. *

- **القاضي آبوق حاجي اسحاق**، وهو القاضي العالم من اصل طبقة (الورق) يعود إليه الفضل في انتشار المحاكم لدى قبائل القبرطاي في عهد الامير (عادل كراي) ويعتبر مؤسس المحاكم الشرعية التي انتشرت بين الجراكسة القبرطاي بعد ان اعتنقوا الدين الاسلامي.
- الامير عادل كراي، ويعتبر من اكثر الامراء والحكام الشراكسة في زمانه حرصا على تطبيق القوانين والمحافظة على حقوق العامة، حيث دخل يوما إلى جلسة المحكمة المنعقدة برئاسة القاضي الجريء (أبوق حاجي اسحاق)

* للاطلاع على أصل الرواية التاريخية يمكن الرجوع إلى مقالة (من القضاء الشركسي) في مجلة الواحة الصادرة عن الجمعية الخيرية الشركسية في عمان العدد الاول – السنة الاولى ١٩٧٤، ص: ٨.

* للاطلاع على اعمال جباغي وفلسفته وحكمته يمكن الرجوع لفصل العادات والتقاليد في المجلد الأول من هذه الموسوعة.

المشهور بأنه لا يخشى في الحق لومة لائم، واستمع للمناقشات والمرافعـــات، وعندما هم بالانصراف التفت الأمير إلى القاضي قائلا:

"**إذا لم تحافظ على الحقوق العامة في دائرة العدالة التامة فلأقيمن العدل بهذا**" **وأشار إلى سيفه.**

فالتفت إليه القاضي مجيبا:

"**وإذا رأيت فيك إهمالا أو تقصيرا في تنفيذ أحكامي التـــي اســـتمدها مـــن الشريعة الغراء فأني أنفذ فيك أمر ربي**" **وأخرج من تحت الوسادة الجالس عليهـــا مسدساً (طبنجة) وصوبها نحوه.**

وهكذا كان شأن الامراء العظام في اعلاء كلمة الله واحكامه، وهكذا كان جرأة القضاة العادلين الذين يتوعدون الامراء (بالقتل) ان لم ينفذوا قراراتهم واحكامهم [*] .

[*] هذه الرواية مقتبسة من كتاب شورا نغموقة – تاريخ القوقاز ص: ١٩٣

مصادر ومراجع الفصل الاول والثاني والثالث والرابع من فصول الجزء الثاني من المجلد الثاني من الموسوعة

١) دوغوظ، فؤاد، **الاديغة خابزة ((العادات والتقاليد والقوانين الشركسية وتاريخها))**، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان ١٩٨٩، ص: ١-٥.
٢) المصدر نفسه، ص: ٦-٨.
٣) المصدر نفسه، ص: ٩.
٤) نغموقة، بكمرزا شورا – مصدر سابق، ص: ٣٥-٣٦.
٥) المصدر نفسه ص: ٣٦-٣٧.
٦) جوناتوقه، مصدر سابق، ص: ١٩٠-١٩٢.
٧) دانيليفسلي، **اقسام شعب القبرداي**، عام ١٨٦٣، ص: ١٣٨٠.
٨) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٣٦.
٩) المصدر نفسه، ص: ١٨٨.
١٠) مصدر سابق، ص: ١٨٩-١٩٠.
١١) البروفسور، عزيز مكارا "Le Caucase entre" (١٧٦٠-١٨٦٤) باريس، ص: ٦٦.
١٢) ساركسيان Sarkisyan ارمني الجنسية في كتابه: **الانتفاضة الشعبية في شمال غرب قفقاسيا وسقوط نظام الاقطاع الشركسي (١٩٦١).**
١٣) يزبك، باتريك– مصدر سابق، ص: ٧٠-٧١.
١٤) قاسوم، علي حسن ، حسن علي قاسوم، **ابادة الشراكسة**، ترجمة: عمر شابسوغ، دمشق، ١٠/١/١٩٩٥. ص: ٤٠.
١٥) المصدر نفسه، ص: ٥٩-٦٠.

١٦) المصدر نفسه، ص: ٦٠-٦١.
١٧) سبينسر، ادموند – **رحلة إلى القفقاس**، لندن عام ١٨٣٨، ص: ٦٨.
١٨) قاسوم، علي حسن قاسوم، مصدر سابق، ص: ٦٠.
١٩) المصدر نفسه، ص: ٩٢.
٢٠) ارسلان، مخوص، **تاريخ حرب القفقاس ونتائجها من احداث**، ترجمة واعداد احمد اسماعيل – دمشق عام ١٩٩٥، ص: ٤٠-٤٢.
٢١) قاسوم، علي وحسن قاسوم، مصدر سابق، ص: ١٠٧.
٢٢) نول فيل، **السنة الاخيرة لحروب الشركس من اجل الاستقلال**، ١٩٢٧– دمشق عام
٢٣) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٢٦.
٢٤) دوغوظ، فؤاد، مصدر سابق، ص: ١٢.
٢٥) دولبيز مونتبارو – **رحالة زار بلاد الشركس عام ١٨٣٩ ونشر تقريرا عن النظام الطبقي الذي كان سائدا على اجزاء** (الجزء الاول ص: ١٠٩).
٢٦) ن. ج. دانيلينس – **رحالة زار منطقة القبرطاي عام ١٨٤٧ ونشر مؤلفا حول احوالهم المعيشية ونظامه الطبقي** عام ١٨٤٧، ص: ١٣٨-١٣٩.
٢٧) ث لابينسكي، **الخبير بتاريخ حياة الشراكسة نشر عدة مؤلفات** – الجزء الاول ١٨٦٣، ص: ١٠٧.
٢٨) خانكري، **مشاهير الجراكسة**، عام ١٨٣٥ ونقل عنه نغموقة ص: ٤.
٢٩) الباحثة ساندراز، **نشرت مؤلف حول النظام الطبقي لدى الشراكسة**، عام ١٩٤٤، ص: ١٥٣.

٣٠) جباغي، **باحث تركي من اصل شركسي كتب عن المجتمع الشركسي في الوطن الام** عام ١٩٦٩ ص: ١٠٥-١٠٦.
٣١) دانيلفيسكي، مصدر سابق ص١٣٨.
٣٢) لابينسكي، **رحالة زار بلاد القبرطاي عام ١٩٣٠ وكتب عن النظام الطبقي لديهم** ص: ٤٢٩.
٣٣) لابينسكي، مؤرخ روسي، **كتب عن الشراكسة ونشر اجزاء منه عام ١٨٨٣** ، الجزء الاول ص ٦١-٦٥.
٣٤) المصدر نفسه، جزء ثاني ١٨٦٣ ص: ١١٠-١١١.
٣٥) جباغي، مصدر سابق، ص: ١٠٩.
٣٦) دانيليفسكي – مصدر سابق، ص: ١٣٩.
٣٧) لابينسكي، الجزء الثاني – مصدر سابق، ص: ١١٠.
٣٨) باتري، أيزبك، مصدر سابق، ص: ٦٥.
٣٩) المصدر نفسه، ص: ٦٦.
٤٠) م. سبل، باحث **كتب عن المجتمع الطبقي وعن التعامل مع اسرى الحرب عند الشراكسة ١٨٤٤** – ص: ٢٨.
٤١) لابينسكي – جزء اول، مصدر سابق،١٨٦٣ص: ١١٣.
٤٢) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٩٤.
٤٣) قاسوم، حسن علي، **ابادة الشراكسة**، مصدر سابق، ص: ٧١.
٤٤) مكارا، عزيز، مصدر سابق، ص: ٦٦.
٤٥) ساركسيان – مصدر سابق، ص: ١٢٠.
٤٦) يزبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ٧٠.
٤٧) قاسوم، علي وحسن علي قاسم، مصدر سابق، ص: ٧٢.

٤٨) يا. أبراموف، **في كتابه القوقازيون – الشراكسة والمنشور لأول مرة في مجلة العمل رقم ١٨٨٤**، وأعادت نشرها (إدارة مجمع دراسة منطقة اديغي وترجمه إلى اللغة العربية زهدي سطاس وراتب سطاس)، ونشر في اللجنة الثقافية لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية بدمشق عام ١٩٩٨/٤/١٧.

٤٩) ب. ب. بتروفسكي، الباحث في دراسات القفقاس الشمالي، **ومؤلف كتاب تاريخ القفقاس الشمالي** (فصل ظهور الدول في القفقاس الشمالي) نقلا عن ترجمة المؤرخ برزج سمكوغ المنشور في كتاب: **الشركس في فجر التاريخ** عام ١٩٩٥، ص: ٢٣٦٠- ٢٤٠٠ .

٥٠) ف. ف. تورتشيا نيتوف، في **كتابه ذهب الكوبان، وكتابه اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس** ونقلها إلى العربية برزج سمكوغ ونشرها في كتابه **فجر التاريخ** ص٢٣٦٠/٢٤٠٠.

٥١) سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ٢٤١.

٥٢) دوغوظ، فؤاد، مصدر سابق، ص: ١٠.

٥٣) ستاربو، عاش في الفترة ما بين ٦٢ قبل الميلاد وحتى عام (٢٠) ما بعد الميلاد وهو من أشهر الجغرافيين اليونانيين الذين كتبوا عن (الكركتيين) اجداد الشراكسة وعن الدولة التي تشكلت في عهده.

٥٤) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٤٩-٥٠.

٥٥) **مجلة الثقافة القفقاسية** – عدد خاص عام ١٩٧٢ – ص: ٣٨-٤٣.

٥٦) نغموقة، مصدر سابق، ص٦٦-٦٩.

٥٧) المصدر نفسه، ص: ٦٩-٧٠.

٥٨) آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٢٥٠-٢٥٩.

٥٩) المصدر نفسه، ص: ٦٢.

٦٠) النسور، مصدر سابق، ص: ٣٤-٣٥.

٦١) **الوثيقة رقم ٤٦٨١، ص: (٣٠)** وهي من ارشيف رئاسة الوزراء التركية كما اوردها نهاد برزج في كتابه تهجير الشراكسة ص: ٦٠-٦٢.

٦٢) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٦٠-٦٤.

٦٣) كتاب تاريخ جمهورية قبردينو – بلقاريا

64) Edmound Spencer Travels in the Circassia. London 1838 p. 68.

٦٥) الجنرال (دفيسكي) المجلد الاول، ص٢١٣-٢١٥.

٦٦) **وثائق لجنة الدراسات (الاثار) القفقاسية**، المجلد (١٢) ص: ٦١٨.

٦٧) قاسوم، علي حسن، وحسن علي قاسوم – مصدر سابق، ص: ٦٤.

٦٨) المصدر نفسه، ص: ١٠٧-١٠٨.

٦٩) شمسو، غازي، حنين التراب ص: ١٩.

٧٠) المصدر نفسه، ص: ٢٠.

٧١) قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ٩٨.

٧٢) المصدر نفسه، ص: ٩٩.

٧٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٦.

٧٤) بينو، سعيد، مصدر سابق.

٧٥) المفتي، شوكت ، مصدر سابق، ص٢٨٦.

٧٦) تشنبه، يوري موسى، **رئيس اتحاد شعوب شمال القفقاس نالتشك عام ١٩٩٤**، ترجمة اميرة قبرطاي، دمشق، عام ١٩٩٧، ص: ٣٩.

٧٧) المصدر نفسه، ص: ٤٦.

٧٨) المصدر نفسه، ص: ٤٨-٥٨.
٧٩) المصدر نفسه ص: ١٠٧.
٨٠) دوغوظ، فؤاد، مصدر سابق، ص(١٠).
٨١) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٣٦.
٨٢) آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٢٥٠-٢٥٩.
٨٣) نغموقة، شورا، مصدر سابق، ص: ١١٦+١٢٣.

الجزء الثالث

دور التربية والثقافة والمعرفة العلمية

في بناء حضارة الأمة الشركسية

الفصل الأول

بُعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية لحضارة الأمة الشركسية

تمهيـــد

أولت الامة الشركسية اهتماما كبيرا بتربية الطفل منـــذ اليـــوم الاول مـــن ولادته، واحسنوا تربيته وتنشئته التنشئة السليمة التي تتوافق مع طبيعة البلاد القاسية اولا، ومع الظروف المعيشية الصعبة التي نتجت عن التعـــرض الـــدائم للحـــروب والغزوات ثانيا.

ويقول حول هذه الاهمية الباحث الشركسي "عز الـــدين ســـطاس" * مـــن شراكسة سوريا بأن الشركسي منذ القدم أدرك ما للطفل الشركسي من أهمية وما له من دور في الحياة منذ أن أحس بضعفه وعجزه عن مواجهة التحديات، التي هددت وجوده، وبدأ يركز على مسألة التكاثر، ويهتم بتربية الأطفال في إطـــار الخبـــرات والمفاهيم، التي تراكمت لديه، والطموحات التي تطلع إليها، وحاول أن يغرس فـــي الطفل قيمه وتصوراته، عبر مختلف طرق التعبير والممارسة، واستغل المناســـبات التي كان يحييها، ليوظفها في مسائل التنشئة والتربية. كما ادركوا ما في المراحـــل الاولى من الطفولة من اهمية واعتبروا هذه المرحلة من أهم مراحل حياة الانسان، في تحديد شخصيته وتنمية صفاتها وغرس المفاهيم السائدة في المجتمع، وقد عبروا عن هذه النظرة بالمثل القائل:

"**يثنى العود وهو طري، ويُربى الطفل وهو غض**".

ويستطرد قائلا: "وجعلوا من الطفل محور اهتمام الاسرة في هذه المرحلة، وغمروه بالعطف والحنان، إلى درجة المبالغة إن جاز لنا التعبير، فقد اعطوا للطفل مكانة متميزة، واعتبروه بمثابة الجد الكبير للأسرة، الذي يحتاج إلى رعاية خاصة،

* عز الدين السطاس، مجلة الاخاء الشركسية، اصدار الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، الاردن، العدد (١٢٣) ايلول عام ٢٠٠٢م.

والذي يأمر، فيطاع دون أي تردد، ولعل اكثر الاقوال في اللغة الشركسية تعبيرا عن هذه النظرة، هو المثل الذي يقول:

"**الطفل هو اكبر افراد الاسرة عمرا**".

وقد شكلت مسألة النجاح والفشل في تربية الطفل هاجسا كبيرا لديهم، وحرصوا على نجاح تربيته، ولجأوا لضمان هذا النجاح إلى الجيران، والاقارب، وحتى أبناء الحي والقرية، ليساهموا في تربية الطفل، بعد أن رأوا في فشله كارثة، وقد جسّدوا هذا الهاجس في أمثالهم وحِكمهم الشعبية، فقالوا:

"**من يفشل في تربية أطفاله، يدفع دموعه ثمن هذا الفشل**".

(١) دوافع وعوامل اهتمام الشراكسة منذ عصر الأجداد بتربية الطفل:-

يؤكد (سطاس) بأن دوافع الاهتمام بالطفل تعود إلى عدة عوامل، ويختلف ترتيب هذه العوامل في سلم الاولويات من شعب لآخر، بسبب اختلاف البيئة، وتباين درجات التطور والمفاهيم، والوضع الأمني، كما يختلف هذا الترتيب لدى الشعب الواحد، من مرحلة لأخرى من مراحل تاريخه.

وتعتبر الحكم والامثال الشعبية الشركسية أحد المصادر الأساسية، التي تعبر عن الدوافع الكامنة وراء اهتمام المجتمع بالطفل، وقد جسد الشركس هذه الدوافع في حِكَمهم وأمثالهم الشعبية، تأكيدا على أهمية الطفل ودوره في الحياة.

وأوجز (سطاس) دوافع الاهتمام الشركسي بالطفل وعواملها على النحو الآتي:

العامل الاول: فهو العامل الاقتصادي

اكتشف الإنسان القديم بأن الطفل يد عاملة واعدة، ترفد الأسرة بطاقة جديدة، وازداد دور الطفل واهميته مع انتقال الانسان من مرحلة (الصيد) إلى مرحلة الزراعة والرعي وقد عبر الشراكسة عن اهمية هذا العامل بالمثل القائل

"**كثرة الاولاد بمثابة غلة وفيرة**" في إشارة واضحة إلى العلاقة الطردية، القائمة في مسألة الكم، بين اليد العاملة والمحصول.

العامل الثاني: فهو العامل الامني

احتل الطفل مكانة هامة في المسألة الامنية لدى مختلف الشعوب القديمة، بسبب التحديات التي كانت هذه الشعوب تتعرض لها، على صعيدي الفرد والجماعة على حد سواء، فهو عنصر واعد من عناصر القوة، في الاسرة والمجتمع في آن واحد. وتوضح الحِكَم والامثال الشركسية مدى اهتمام الشركس بهذا العامل، فالولد في هذه الحكَم والامثال "**عماد البيت**"، "**والرجل بلا ابناء كعظمة بلا لحم**"، و"**الشجرة الوحيدة تهاب الريح**".

العامل الثالث: فهو عامل التكاثر والبناء

اهتم الشركس كثيرا بهذا العامل ولا سيما بعد أن تعرضوا لتحديات هددت وجودهم منذ بدايات تكوين هويتهم القومية، وأدركوا العلاقة القائمة بين البقاء والتناسل فالبقاء رهن نسبة التكاثر، ولا سيما في المجتمعات التي تعاني من نسبة وفيات اعلى من نسبة مواليدها، نتيجة الحروب الدامية شبه المتواصلة، والكوارث الطبيعية، وقد عبروا بوضوح عن هذه المسألة في حكمهم وأمثالهم، منها على سبيل المثال:

"**لا تتشكل القرية دون اسرة**"

"**مجتمع بلا نسل، مجتمع كروي أي دائري**" **أي لا يزداد ولا ينمو.**

"**حجر واحد لا يبني دارا**".

"**شجرة واحدة لا تشكل غابة**".

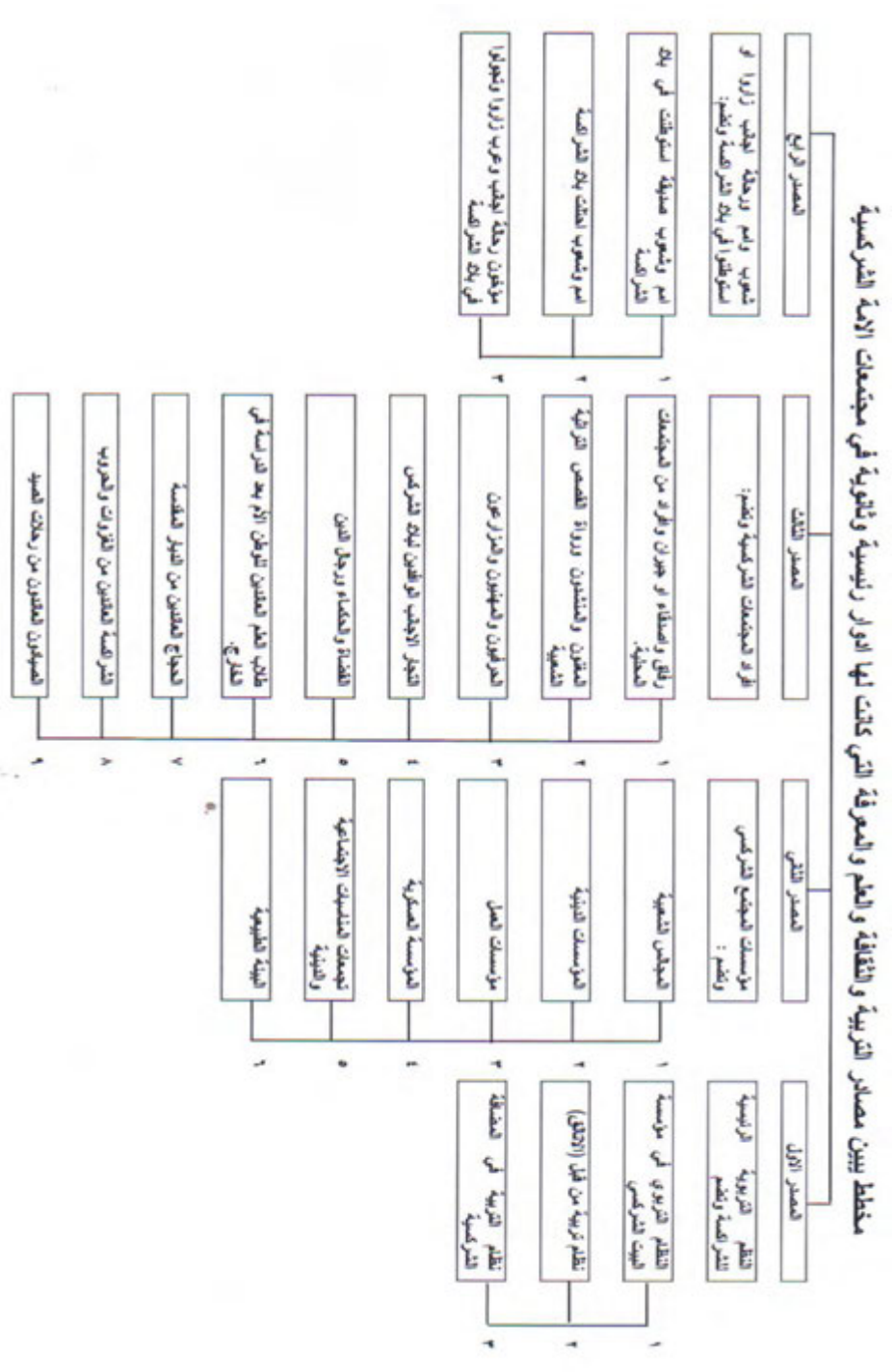
العامل الرابع فهو عامل نفسي:

أكد الشركس على عبء تربية الاطفال، وجسامة مسؤولياتهم، حتى انهم قالوا: "**الابناء نار**"، وأكدوا في الوقت نفسه بأن الابناء مصدر من مصادر سعادة الإنسان، حتى انهم قالوا: "**من لم يرزق بطفل، يعتقد أنه لا يملك شيئا**".

لقد ربط الشراكسة بين عبء المسؤولية والسعادة تأكيدا على محوري الحياة، فالسعادة عموما هي الإحساس بالمسؤولية، والالتزام بما يمكن أن يقدمه المرء من عطاءات مادية وروحية للإنسان عامة وللأطفال خاصة، واهتم الانسان **الشركسي القديم بتحقيق** "**الأنا**" رغم صعوبة الوصول إليها، فسعى إلى الخلود من خلال التناسل، ولعل المثل العربي القائل "**من خلف ما مات**" أكبر دليل على وجود هذا المفهوم لدى الشراكسة [٢٠].

*** مصادر التربية والتنشئة الاجتماعية في المجتمعات الشركسية:**

يشير المؤرخون للأمة الشركسية بأنه لم يكن يوجد وحتى عصر النهضة مدارس نظامية ومعاهد علمية عند الشراكسة، كما أن المجتمعات الشركسية لم تعرف مثل هذه المدارس حتى أواسط القرن التاسع عشر بعد الميلاد، لذلك فإنها كانت تعتمد على أربعة مصادر في تعليم وتربية وتنشئة أبنائها، وفي تزويدهم بمختلف المعارف العلمية والثقافية كما هو مبين في المخطط المرفق.


مخطط يبين مصادر التربية والثقافة والعلم والمعرفة التي كانت لها ادوار رئيسية وثانوية في مجتمعات الأمة الشركسية
المصدر الأول
المصدر الثاني
المصدر الثالث
المصدر الرابع
التنظيم التربوي الرئيسي للشركسية ونظم
مؤسسات المجتمع الشركسي ونظم :
افراد المجتمعات الشركسية ونظم:
شعوب وامم ورحلة ايقاب زاروا او استوطنوا في بلاد الشركسة ونظم:
التنظيم التربوي في مؤسسة البيت الشركسي
المجلس الشعبية
رفاق وأصدقاء او جيران وافراد من المجتمعات المحلية.
امم وشعوب احتكت بلاد الشركسة
نظام تربية من قبل (الاقران)
المؤسسات الدينية
المعلمون والمثقفون ورواة القصص الشعبية
امم وشعوب مدينة استوطنت في بلاد الشركسة
نظام التربية في العشائر الشركسية
مؤسسات العمل
الحرفيون والمهندون والمزارعون
مؤسسون لجاليات ايقاب وعرب زاروا وتجولوا في بلاد الشركسة
المؤسسة العسكرية
التجار الايقاب الوافدين لبلاد شركس
نجمعات المنتسبين الاجتماعية والدينية
القضاة والحكماء ورجال الدين
البيئة الطبيعية
طلاب العلم العائدين للوطن الام بعد الدراسة في الخارج.
الحجاج العائدين من البلاد المقدسة
الشركسة العائدين من الفزوات والحروب
المسافرون العائدون من رحلات الصيد

وبتحليل ادوار كل مصدر من هذه المصادر الاربعة في تعليم وتربية وتثقيف وتنشئة الاطفال وفي تزويد الكبار والصغار بالعلوم والمعرفة والفكر والثقافة توصلنا إلى قيام كل مصدر بالأدوار التالية:

*** المصدر الأول: مؤسسة البيت الشركسي في تربية الاطفال وتنشئتهم في المجتمعات الشركسية منذ عصر الأجداد:**

للوقوف على الاساليب المرتبطة بالنظام التربوي في الاسرة الشركسية، قمنا بمراجعة بعض الدراسات التي قام بها بعض المهتمين من الباحثين الشراكسة منها دراسة "يخول" والذي لخص لنا المراسم المرتبطة بتربية الطفل منذ الولادة وحتى نهاية السنة الاولى من عمره [١].

وبتحليل هذه الدراسة توصلنا بأن الشراكسة كانوا يولون المراسم المرتبطة بكل مرحلة من المراحل العمرية في السنة الاولى من ولادة الطفل اهمية خاصة، وانها تمر بأربعة انواع من المراسم:

١- مراسم مرحلة الولادة وتقام خلال الشهور الستة الاولى من ولادة الطفل:

ففي اليوم الأول وبعد الولادة مباشرة كان يتم تعريض الطفل للتبريد المفاجئ **بغسله بماء بارد جدا**، وهذا ما عبر عنه نويمان بقوله: (نسائهن يستلقين على القش – التبن – حيث يستلقي المخلوق الجديد ايضا عند ولادته بجوارها ثم يؤخذ إلى النهر ويغسل بمائه مهما كان الجو باردا او صقيعا). [٢]

وفي اليوم الثالث من ولادته يتم وضع الطفل في (الكوشة) وهو عبارة عن (سرير خشبي هزاز خاص بالطفل) كما هو مبين في الشكل المرفق ويسمى ذلك اليوم (كوشة كابخ) وكانت اول عملية تتم هي احضار (قطة) لتنام فيها، وبعد ذلك توضع فيها (بيضة) حيث كان الاعتقاد بأن القطة ستترك نومها الجميل في "الكوشة" حتى يصبح نوم الطفل هنيئاً كنوم القطة واما (البيضة) فكانت توضع على امل ان يمتد عمر الطفل حتى يصبح لون شعر رأسه وحاجبيه مثل بياض البيضة!

بعد ذلك يُلبسون الطفل ثوبا يسمونه (تسيغوه جانة) أي ثوب (الفأر) وكان بدون فتحات أمامية، ودون ثني في نهاية الثوب من الاسفل اعتقادا منهم أن يصبح عمره طويلا بطول الفستان.

وجرت العادة ان يقدم للمدعوين في هذا اليوم، الطعام (كل عائلة حسب إمكانياتها) فمنهم من يذبح الدجاج ومنهم من يذبح الإوز، ومنهم من يذبح الخراف، والذبح يتم عادة على يد أكبر المعمرين في القرية، كما جرت العادة ان تحضر واحدة من المعمرات في الحي قطعة قماش بيضاء، وتعرضها على الحضور مع الدعوات للطفل بطول العمر وحتى يصبح شعر رأسه مثل بياض قطعة القماش، كما كانت العادة ان يقدم المدعوون الهدايا للطفل، ويتم اختيار اسم للطفل في هذا اليوم، والشخص الذي يسمي الاسم كان عليه ان يشتري قميصا لأحد الاطفال المجاورين للطفل المحتفى به، كما كان يحصل على هدية قد تكون بقرة أو حصانا.

٢- مراسم مرحلة تربيط الطفل في السرير:

جرت العادة أن يتم تربيط الطفل على يد احدى المعمرات في الحي، كما كان يشترط ان تكون ممن قمن بتربية عدد كبير من الاطفال وأحسنت تربيتهم، وكانت تضع بيضة في اناء مملوء بماء يتلى عليه دعاء معين!! ويوضع بجانب السرير، وتعلق على ثوب الطفل أشرطة (حمراء) بهدف حماية الطفل من العين، ولنفس السبب كانوا يعلقون جمجمة (افعى) على "الكوشة" أو تربط على طوق يوضع حول عنق الطفل، كما كانوا يعلقون قطعة من المعدن على "الكوشة" تيمنا لأن يصبح الطفل صحيح الجسم قويا كالمعدن، كما كانوا يضعون على جبينه (شحبار) كي لا يصاب بالعين!!

وللمحافظة على صحة الطفل ومظهره العام كانوا يهتمون بوضعية رأسه عند النوم، بحيث لا يكون مائلا إلى الامام أو إلى الخلف، وكذلك الاعتناء بحاجبيه

وتعويد أذنيه على الالتصاق برأسه بشكل مباشر، وتسريح شعره، وعدم ابقائه نائما على جنب واحد لفترة طويلة، كي لا يؤثر ذلك على نمو عظام رأسه.

٣- مراسم مرحلة اطعام الطفل:

عندما يصبح عمر الطفل ستة أو سبعة اشهر، يبدأون بتقديم طعام اضافي للطفل مع حليب الرضاعة، وعندما يصبح عمره سنة، كان يأكل من الأكل المخصص للكبار، ويعلمونه مسك بعض الاشياء مثل الملعقة والكأس وغيرها، ولكي يكتسب صحة اكثر متانة كانوا يخرجون به إلى الهواء الطلق، ويعودنه على البرد بالتدريج، ويتم عمل حمّام له مرة أو مرتين يوميا، وكانوا يطوفون به في ارجاء "الحوش" ليتعرف على جميع الموجودات فيه، من دواجن وحيوانات وغيرها، ويسمحون له بالمسح عليها بيديه، كي يحصل التقارب بينه وبينها لإبعاد خوفه منها.

كما كانت تقدم الهدايا للطفل من قبل افراد البيوت التي كان يدخلها الطفل للمرة الاولى *، وبعكس ذلك فإن نمو الشعر سيتأثر (حسب اعتقادهم). كما كان يقدم للطفل "مشاية" في هذا العمر تسير على عجلات يمسك بها ويسير خلفها، فتساعده على تعلم المشي.

٤- مراسم مرحلة مشي الطفل:

يصبح الطفل جاهزا للمشي في هذه المرحلة وتسمى (لا قوه تيوفة) أي الوقوف على رجليه أو على أطرافها، حيث كان يفصّل له ثوب احمر جميل، يزينونه بألوان مختلفة مزركشة، كي يلتهي الناظرون من الحضور بها، ويبعد عنه عين الحسد، وكانوا يقضون ذلك اليوم بالغناء والرقص وتكرار المحاولات ليتعلم

* لا زال شراكسة المهجر عامة، وفي الأردن خاصة يمارسون هذه العادة من قبل الجمعية تقريبا.

الطفل على البدء بالمشي، ويكون الطفل محور كل النشاطات والبرامج التي تتم في ذلك اليوم، ومن طقوس هذا اليوم ايضا ان يوقفوا الطفل فوق شيء صلب ككحجر كبير او خشبة يابسة، وقصدهم من ذلك ان تصبح ساقا الطفل بصلابة الحجر. كما كانوا يحملون مقصا ويتظاهرون بقص الحبال الوهمية (غير الموجودة) والتي تعيق مشي الطفل!! وكانوا يعتقدون بأن مستقبل الطفل المهني يتحدد في هذا اليوم لذلك كانوا يعرضون عليه اشياء ويتركونه يختار ما يرغب منها، (شاكوش، قامة، منجل، صورة فرس...) الخ هذا بالنسبة للذكور، أما الاناث فكان يعرض عليهن ادوات مثل: (الابرة، الخيط، المقص، طنجرة) وغيرها، فالاداة او الغرض الذي كان يلتقطه الطفل او الطفلة، يكون دلالة على المهنة التي سيتقنها عندما يكبر.

٥- مراسم مرحلة قص شعر الطفل:

عند بلوغ الطفل السنة من عمره كانوا يحلقون شعره "على الصفر" وكان الذي يقوم بذلك احد الاشخاص المشهود له بالصلاح، ويشترط فيه ان يكون أبواه على قيد الحياة. وكان يقدم في هذا اليوم الطعام للحضور، كما كان يتم وضع رغيف طابون على طاولة الطعام الدائرية المعروفة باسم (الانة) ويحملون الطفل للوقوف على الرغيف!! ومن ثم يتم اقتطاع جزء مساو لمساحة قدمه من الرغيف، وتقطيعه قطعا صغيرة وتقديمها للاشخاص الذين قاموا بالتجهيز لذلك اليوم ولوالدة الطفل!![1].

(٢) العادات والنظم المرتبطة بتربية الاطفال من الذكور الشراكسة

توصل "بززج" بأن أهم ما كان يميز حياة الشراكسة منذ فجر التاريخ، كثرة الحروب والغزوات، فكان تاريخهم حافلا بالحروب الطاحنة لسنوات مستمرة، مع ما تخلفه من مآس وويلات، فلم يعيشوا حياة هادئة ولم يشعروا بنعمة الأمن والسلام قط. وقد انعكست كل هذه الأمور على نظام التربية في الأسرة الشركسية وهي التربية التي وصفها (برزج) على النحو التالي:[٣]

- التربية القاسية للطفل بعيدا عن عاطفة الأبوة:

كان أهم ما يميز نظام التربية الشركسية هو قسوتها، فعندما يولد الطفل يبقى في حجر والدته بعيدا عن والده التي تقتضي واجبات رجولته ان لا يداعب ولده ولا يحمله ولا يأكل معه، لاعتقاد قدامى الشراكسة أن العاطفة والرجولة لا تجتمعان، وتعتبر هذه السمة في التربية اعتيادية غير مستهجنة في تلك الظروف القاسية التي سادت بلاد القفقاس، إضافة إلى ذلك فقد كان المولود الذكر يرسل إلى قبائل أخرى بعيدا عن الأهل، ويقوم "الاتالق" بتربيته تربية خشنة في إطار الفروسية لينشأ فارسا قويا يتصف بصفات الشجاعة والمروءة.

- التربية من خلال اللعب:

يتعلم الطفل الشركسي كيف يصبح رجلا من خلال اللعب، والالعاب لم تكن مجرد تسلية، وانما كانت ألعاباً هادفة، ومن الالعاب التي كان يمارسها الطفل الشركسي، (ألعاب القوى) التي يتنافس بها مع أقرانه في (رمي الحجارة) إلى مسافات معينة، (والقفز) عن الحواجز، وصناعة الالعاب من الخشب مثل (السيوف) الخشبية الصغيرة و(القامات) وغيرها، اضافة إلى تربيته وتعليمه كيف يصنع مجسمات صغيرة لأشياء كبيرة يراها دائما، كصناعة السلال من القش والكراسي والطاولات الخشبية، وكيف يصنع من الخشب نموذجاً للعربة التي يراها دائما امام منزله لنقل القش والمتاع، وهكذا، كما كانوا يدربونهم عندما يصبحون فتيانا وشبانا على الجري والرماية والقفز وغيرها من التدريبات والتمارين التي تنمي القوة العضلية والتحمل، وحسن التصرف والبداهة والتصميم وغير ذلك من متطلبات بناء شخصية الرجل الشركسي.

(٣) العادات المرتبطة بتربية الاطفال من الاناث وتتم من خلال:

الأسلوب الأول: خلال اللعب بألعاب خاصة بالاناث:

جرت العادة أن تلازم البنات امهاتهن، يمارسن العابا خاصة بهن كصنع العرائس الصغيرة، وصنع ملابس لتلك العرائس، وتتعلم كيف تعتني بمنزلها من خلال اللعب ايضا، وبذلك تربَّى عند الطفلة الشركسية ملكة حب العمل وحياكة الملابس والتطريز وصناعة المنتجات الحيوانية وغيرها من خلال ما تراه من والدتها. وكانت العادة ان لا تكلف البنت بأية اعمال شاقة، فتربيتها تختلف كل الاختلاف عن تربية الولد لدى الاسرة الشركسية [٣].

الأسلوب الثاني من خلال التدريب على حركات الرشاقة

اكدت (مامخيغ) بأن الاسرة الشركسية كانت تولى اهتماما كبيرا للمظهر الخارجي للفتيات الصغيرات وللشابات ولموضوع الرشاقة والجمال، وقد دربوهن على تعلم الحركات الرشيقة في المشي، وعلى الوقار والاتزان في حركاتها، إضافة إلى تعليمهن الرقص بكل نواحيه الجمالية من تناسق في حركات الاقدام واليدين، وشد الظهر ورفع الرأس وكيفية الجلوس والنهوض بكل خفة على اطراف الاصابع برشاقة، إضافة إلى جمال المشي وايقاع حركتها.

الأسلوب الثالث من خلال التدريب على الحياة الزوجية:

يمكن أن نستدل على مدى اهتمام الاسرة الشركسية بتربية (البنت) من قول (مامخيغ) بأن "الاسرة الشركسية كانت تركز اهتماما خاصا بسلوك الفتاة الشابة المغادرة ((للحياة الزوجية)) للعيش في كنف اسرة اخرى بصفتها كنتهم، حيث كان يتم تعليمها أي مستوى من الاحترام عليها ان تبديه للكبار (والدي الزوج) وكذلك تعليمها اسلوب التخاطب معهما، والاهتمام الذي عليها ان توليه لوضعهما الصحي

ومظهرهما العام (الخارجي)، وابداء المشاعر الصادقة في التعامل معهما، وبكلمة موجزة فإن الاهتمام الاول لدى (الكنة) يكون موجها لوالدي (الزوج) والاهم بينهما هو والد الزوج، (البشة) لدى القبرداي والتحمادة لدى الاديغة، حيث تعتبر اهميتهم من اهمية الاب، وبموجب الادب الشركسي فإنه يتوجب على (الكنة) أو (النسة) ان تتعامل معهم بكل لباقة واحترام، كما كان عليها ان تفكر بإطلاق اسم محبب تنادي به كل فرد من أفراد أسرة الزوج، حيث لم يكن من اللباقة مناداتهم بأسمائهم الأصلية، لذلك كان أهل الفتاة وقبل وقت طويل من بلوغها سن الرشد والزواج، يقومون بتربيتها وفق هذه العادات بحيث تتقنها تماما قبل الزواج، لأن لفظ اسم أي من: (الحمو والسلف وبنت الحمي او الزوج) يعتبر دليلا على نقص في التربية، وكان يتم تأنيبها بكلمات: (لم تستطع أن تتدارك عدم لفظ اسم سلفها) وإن نادت حماها باسمه ينقدونها بقولهم (وكأنها هي من اطلقت عليه هذا الاسم).

وفي الحالات الضرورية، وبدلا من استعمال الاسم الاصلي او الكنية، كن يستعملن القابا وصيغا محببة، إن لم يكن للتدليل فللباقة [٤].

وذكرت (مامخيغ) قصة نقلا عن الكاتب الشركسي (كيشييف) حول هذه العادة تضمنت الخلاصة التالية: "عاش في قرية من قرى القبرطي شاب بالغ وفتاة في الخامسة عشرة من عمرها، وأرسل أهل الشاب (خطَّابا) إلى أهل الفتاة، ولم يكن في المنزل سوى الفتاة وجدتها، وقد أجابت الجدة، بعدم الموافقة على الزواج **لأن الفتاة لا تستطيع بعد التكتم على اسم (سلفها) ثم عاد أهل الشاب وأرسلوا (الخطَّاب) مرة ثانية، وأيضا أجابت الجدة إن الفتاة التي تتحدثون عنها لا تستطيع ان تكتم اسم (سلفها).**

ولما كانت الفتاة معجبة بالشاب وترغب الزواج منه، ولكنها لا تستطيع مجاهرة جدتها بذلك، فقد انتظرت مغادرة (الخطَّاب) ثم توجهت إلى جدتها وتحدثت إليها قائلة: **جدتي جدتي: حدث شيء طريف وتساءلت الجدة: ما الذي حدث يا روحي؟ فتروي الفتاة قائلة:**

((لقد أتى (كواكوا) راكضا وسرق (جاجا) ومع انهم رموه بكسارة الحطب، فقد تسلل عبر شبك القضبان الخشبية، وفر عبر الدهليز الضيق إلى حيث لا يمكن مسكه)).

وهكذا استعرضت الفتاة امام جدتها إمكانياتها بالتعبير وسرد الحكاية دون استعمال الاسماء الاصلية حيث استخدمت بدلا من كلمة (ذئب) قالت (كواكوا) وبدلا من (معزة) استعملت كلمة (جاجا)، وبدلا من (بلطة) قالت كسارة الحطب، وبدلا من (السور) قالت شبك القضبان، وبدلا من الطريق – (الدهليز) وبدلا من الغابة قالت إلى حيث لا يمكن مسكه.

فهمت الجدة القصد من قصة الفتاة، وأرسلت إلى (الخطَّاب) من خلال جيرانها للحضور مجددا حيث وافق الاهل على زواجها [٥].

(٤) النظم التربوية في الأسرة الشركسية:

نستنتج مما تقدم بأن النظام التربوي الاسري الشركسي كان ينقسم إلى ثلاثة انظمة تربوية فرعية وهي:

النظام الفرعي الاول: نظام الرضاعة:

وهي المرحلة التي يتم فيها رضاعة الطفل من الأم ومن نساء شركسيات مجاورات للأم، وهي عادة قديمة جدا مارسها الشراكسة حتى قبل الإسلام في بلاد القفقاس، والهدف منها هو توثيق صلة القربى بالرضاعة الذي يجعل سكان القرية الواحدة عائلة واحدة، فيضطرون لذلك ان يصاهروا ويناسبوا من القرى المجاورة لهم. فيوجد هذا التوسع اسبابا لتزاور اهل القرى بعضهم لبعض اثناء السلم، وشد

أزر بعضهم البعض وقت الحرب، ومن الرضاعة والمصاهرة والنسب، شكلوا مجموعات قومية متكافلة(١٦).

النظام الفرعي الثاني: نظام تربية الام:

الاطفال عندما يولدون يبقون في حجور امهاتهم، بعيدين عن الوالد التي تقضي واجبات رجولته ان لا يداعبهم ولا يحملهم ولا يكلمهم حتى ولا يأكل معهم، وذلك حتى لا تؤثر العاطفة عليهم، على اعتبار العاطفة والرجولة في نظر الشراكسة لا تجتمعان كما سبق ذكره، فقتلوا لذة العطف والحنان، وخلقوا لذة الرجولة والهيبة والاحترام، وهم لذلك تركوا تربية اطفالهم من مرحلة الجنين وحتى سن السادسة للأمهات، حيث كان يتم تربية الاولاد الذكور بعد ذلك وفق نظام (الاتالق) أما تربية الفتيات فتختص بها النسوة وحدهن، وكان اهم ما يشغل بال النسوة هو كمال الانوثة والتواضع وسلامة الطبع والتماسك في اظهار المشاعر، وكن يتعلمن التماسك مع الاعتداد بالنفس حتى يصبحن اكبر من الاحداث.

النظام الفرعي الثالث هو نظام (الاتالق)* في تربية الاطفال وتنشئتهم في المجتمعات الشركسية:

بالرجوع إلى تاريخ الأمة الشركسية منذ عصر قوم (النارتيين) تبين بأن الانظمة التربوية التي كانت سائدة في المجتمعات الشركسية منذ ذلك العصر وحتى العصر الحديث هي انظمة انفردت بها الأمة الشركسية، وأن احدا من المؤرخين لم يذكر بأن شعبا او قوما من الاقوام القديمة كانت لديه أنظمة تربوية مشابهة للانظمة التي كانت سائدة لدى الامة الشركسية، وان كان اليونانيون في عهد (اسبارطة) سبق ان اتبعوا نظاما تربويا مشابها للنظام التربوي الشركسي المسمى بنظام

* يطلق على "الاتالق" عند قبائل الشابسوغ مصطلح "حاتو".

(الاتالق) إلا ان الدولة عندهم هي التي كانت تقوم بتربية اطفال اسبارطة وليس الاشخاص او العائلات كما هو الحال في النظام التربوي الشركسي.

وبالبحث عن طبيعة هذا النظام التربوي وعن وظائفه واساليبه توصلنا إلى الحقائق التالية:

الحقيقة الاولى: ربما كان الجنرال الروسي (بيرغ) أفضل من وصف نظام (الاتالق) بقوله:

"... وبحسب العادات المتداولة منذ قديم الزمن ليس للأمراء ان يقوموا بتربية ابنائهم في منازلهم او بإشرافهم، وعليهم ما امكن باكرا (ليس بعيدا عن زمن الولادة) إرسالهم ليتربوا في بيت آخر، ويبذل أي من النبلاء (الأُزدن) قصارى جهدهم من اجل الحصول على هذا الشرف، والمنزل الذي يقع عليه اختيار تربية الامير الصغير يعتبر ذلك شرفاً كبيراً وميزة.

ويدعى المربي المختار في تلك الحالة (اتالق)، وعليه "ان يعلم ويكسي ويطعم المربى لديه حتى يحين موعد إعادته إلى اهله، وهو غالبا ما يتم عند بلوغه سن الرجولة واعتبار ان تربيته قد تمت" كما قال "**إن التربية المذكورة عبارة عن التدريب على مختلف الرياضات العضلية المجهدة، والتي تؤدي إلى تنمية القوة الجسدية والمهارة في ركوب الخيل، وأساليب الإغارة والقتال والرمي بالقوس والبندقية والمسدس وغيرها، كما ان التربية تشمل اسلوب: الحديث والمناقشة والمعالجة الفكرية مما يساعده على التفوق في الاجتماعات واللقاءات والمواقف الصعبة**[٥].



صورة تمثل الأتالق (المربّي) والقان (المُربّي) الشركسي الذي كان سائدا في القرن الثامن عشر الميلادي



صورة للأتالق (المربّي) والقان (الطفل المربّي) الذي انفرد في نظامها التربوي الشراكسة منذ عصر الاجداد.

الحقيقة الثانية: يتربى اطفال العائلات الشركسية من عامة الشعب في كنف اسرهم او اسر مشابهة لهم اجتماعيا، ويتدربون على الحرف والمهن عادة وليس على فنون القتال بهدف تنشئة جيل من الفلاحين والحرفيين والمهنيين الذين كانوا يشكلون طبقة العمال والفلاحين واتباع الامراء والنبلاء.

الحقيقة الثالثة: كانت المرأة تقوم بتربية الاولاد من عامة الشعب حتى يبلغوا السادسة من العمر ثم ينتقلون إلى أيدي الرجال الذين يدربونهم ويعلمونهم الرماية والفروسية، واستعمال بقية الاسلحة بالتدريج. فمثلا كان الطفل يعطى في أول الأمر سكينا ليتعلم بها اصابة الهدف، ثم يعطى خنجرا، ثم قوسا وسهما، وهكذا كان الكل يتدرب حسب استعداده على كيفية استعمال الاسلحة وركوب الخيل.

الحقيقة الرابعة: إن بنات الامراء ممثلات الجنس اللطيف تتم تربيتهن ايضا في بيوت أخرى، وتتولى بذلك نساء الـ (أُوزدن) من النبلاء، حيث يخضعونهن إلى طاعة عمياء، ويعلمونهن الخياطة والتوشيح بالذهب والفضة وغيرها من الاعمال اليدوية، ولا يسمح لهن بالتحدث إلى الغرباء، ولا يعني ذلك انهن كن يعشن حياة الرهبنة، وإذا ما اضطررن للرد عن سؤال احد الغرباء فإنهن تأدبا يقمن بذلك وقد استدرن بنصف دورة تقريبا وعيونهن مسبلة. واذا تزوجن كان مهرها يقدم للنساء اللواتي قمن بتربيتهن [٥].

الحقيقة الخامسة: لم يكن عمل (الأتالق) عملا وظيفيا بل هو عمل شرفي يقوم به ذوي خبرة ودراية في الحياة من طبقة (الأُزدن) وانه عمل معنوي اكثر من وظيفة مأجورة.

ومن المزايا التي كان يوفرها نظام (الاتالق) هو نفس المستوى من التعليم والتدريب الذي تتلقاه شرائح مجتمع الاحرار، وكل حسب المكانة الاجتماعية او الحالة المادية حيث كان يلقن جميع الأطفال العادات والمبادئ الاخلاقية ذاتها،

والانسجام بين المجتمعات الاديغية كافة. مع الاختلاف في الدور الذي سيقوم به كل واحد منهم وبحسب طبقته الاجتماعية.

الحقيقة السادسة: يرافق الاب ابنه إلى القرية، حيث يوجد بيت المربي (الاتـــالق) محاطين بحاشية كبيرة، وبعد إجراء مراسيم التسليم والتسلم. يغادر الاب ولا يعـــود لزيارة ولده اثناء فترة (التعلم والتدريب) في بيت الاتالق لكي تنغرس فكرة "أحادية المرجعية" لدى الطفل (القان). وإلى ان يبلغ سنه ثماني سنوات، يُترك التلميذ حـــرا طليقا، يتحرك كيفما شاء ويذهب إلى حيثما شاء، ويستقبله سكان القرية في بيـــوتهم بكل ترحاب ويطلقون عليه اسماء جديدة للتدليل لكي يعوضوه عـــن حنـــان أبويـــه وأسرته. ولا يخضع في هذه المرحلة لأي قانون ولا يعاقب اذا ارتكب عملا خاطئا، بل يوجه، بحلم وأناة، إلى الطريق الصحيح. وفي سن الثامنة، يبدأ بالخضوع إلـــى القوانين العامة التي يخضع لها الكبار. وهو يرى أن الكبار هم المثل في التـــزامهم بالقوانين، فلا يعود يشعر بالغبن من خضوعه للقوانين نفسها التـــي تحكـــم عمـــل الكبار، ويكون القصاص عادلا، يطاله كما يطال كبير القوم، وبنفس وبمقدار الجزاء نفسه، قام بخرق القانون نفسه، وتتواصل التدريبات على ركوب الخيل واســـتعمال الاسلحة المختلفة خلال ذلك. كما يجري اصطحابه إلى رحلات الصيد والمناســـبات العامة والمآتم والافراح والحفلات الراقصة ليتعلم كل شيء عنها.

الحقيقة السابعة: سن البلوغ عند الشراكسة في القفقاس هو (السادسة عشرة)، وفي هذه السن، يكون الشاب قد بدأ يعتمد على نفسه اعتمادا كاملا فـــي تـــدبير أمـــوره الحياتية، وبإمكانه ان يذهب إلى الحرب لو شاء. وعند هذه المرحلة تنتهـــي مهـــام المربي (الاتالق) ويغادر الشاب بمعية حاشية كبيرة يرأسها المربي (الأتالق)، عائدا إلى منزل الاسرة. وتجري مراسيم التسليم في احتفال كبير. ويتلقى (الأتالق) الهدايا من والد الامير (القان) المتخرج ومن اسرته. وقد يمنح لقب (نبيل)، مـــن الدرجـــة

الثالثة – إن كان من اسرة الأحرار (ورق). اما إن كان والده رجلاً من عامة الشعب فيكتفى بإقامة الاحتفالات والحفلات الراقصة له.

وجرت العادة في زمن الحروب أن لا يخرج (القان) إلا بعد أن يقوم بمفرده، بمهاجمة مركز حراسة روسي، فيقتل أو يجرح أو يأسر واحداً أو اكثر من أفراد المركز، وإذا قُتل وجب على أحد (القانات) الآخرين استعادة جثته.(٦)

الحقيقة الثامنة: جرت العادة عند الشراكسة منذ القدم ان يتم تعيين مربيات ووصيفات للفتيات، يقمن على تربيتهن وخدمتهن. وإن كانت الاسرة معسورة الحال، تتولى الخالة او الجدة (من طرف الام) هذه المهمة، وقديما كانت الفتيات يتعلمن فنون الحرب ويخرجن إلى الحرب، مثلهن مثل بقية الشباب، إذ لا قيود على حركة وحرية الفتيات اثناء فترة عزوبتهن.*

ثالثا: دور (مؤسسات) المضافة الشركسية (الحاشيش) في تربية وتنشئة الاطفال والشباب والكبار في المجتمعات الشركسية.

يؤكد المؤرخون لتاريخ الامة الشركسية بأن نظام المضافة في المجتمعات الشركسية حتى اواسط القرن العشرين كانت تقوم بأدوار رئيسية في التربية والتنشئة ونقل التراث القومي الشركسي، كما ان هذه المضافات دفعت بعجلة التطور قدما للأمام، وسّهلت إغناء الثقافة ونقلها من جيل إلى جيل، كما قامت بدور التنشئة القومية.

اصبحت هذه المؤسسات ومنذ العصور الوسطى، مؤسسات مميزة ونوعا من المؤسسات الاجتماعية التي لعبت دورا اساسيا في تكوين العلاقات الاجتماعية المنظمة بين الشعوب القوقازية عامة وبين الشعوب الشركسية خاصة، ويقول

* لم تعد عادة تدريب الفتيات على فنون القتال بهدف الخروج للقتال مع الرجال تمارس منذ العصور الوسطى، واصبح هدفهن من تأهيلهن للقتال للدفاع عن أنفسهن.

(مايكوميدوف) حول دور هذه المضافات "ولأول مرة سمعت الاغاني البطولية الجديدة وتبادل الاخبار وتعلم الشباب الاغاني والموسيقى والرقص والسياسة والحنكة والتاريخ، واتيكيت الفرسان في المضافات الشركسية [٨].

وحول ما يحتاج إليه الشاب من الاخلاق والطبائع الارستقراطية يقول "نغموقة" "كانت المضافة عبارة عن دار ندوة ومسرحا وقاعة رقص وقاعة مؤتمرات لحل المشاكل السياسية والاجتماعية وجامعة للجيل الصاعد[٩].

كما لعبت المضافة في تاريخ الامة الشركسية دورا هاما في نشر الثقافة والادب والتقاليد الاجتماعية عند الامة الشركسية. كما كانت المضافة وسيلة للمحافظة على العادات والتقاليد والاعراف ونقلها للأجيال الجديدة واطلاعهم عليها، حيث كان الحديث والحوار في المضافة يجري عن كل شيء، من المعتقدات الدينية والاساطير، والحكايات، والاشعار الشعبية، والتاريخ، والبطولات والجبن، والنصر، والهزيمة، وغير ذلك. لقد كانت هذه الامور تحكي وتسمع في المضافة واحيانا يجري نظمها شعرا، كما كان يتم نقل هذا التراث من الموجودين في مضافة ما إلى مضافات اخرى وقبائل شركسية شركسية.

ويقول (برزج) حول دور المضافة الشركسية في سرد القصص والحكايات القديمة المعروفة في المضافة، كما يعيد المغنون سرد اعمالهم، وإن كان الضيف نفسه مغنيا متجولا فإنه يتحف السامعين بما عنده من أغاني، فتحفظ القصائد مباشرة عن ناظمها، ويتكرر تداولها، وتصبح من الأدب الشعبي فيما بعد. لقد كانت هذه المجالس أمكنة لتعلم التاريخ والآداب والعادات الاجتماعية. وعلى هذا فليس من العجب ان تعيش تواريخ وتفاصيل احداث جرت في القرون الماضية حتى اليوم في أذهان الناس بسبب تناقلها في مثل هذه المجالس. [١٠]

وللتعريف بأهمية ودور مؤسسات المضافة في تاريخ الامة الشركسية يمكن الرجوع إلى ما قاله (باتريك) في كتابه اساطير النارتيين وملخصها: "**تعود أهمية**

المضافات (المجالس) لكونها تلعب دورا في المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية، كما وانها كانت تستخدم كملتقى لمختلف شرائح وطبقات مجتمع القرية او المدينة، كما كان لها دور تربوي بارز تحل محل المدرسة في تثقيف وتربية جيل الشباب من الابناء والاحفاد". وفيما يلي أهم الأدوار الرئيسية التي كانت المجالس (المضافات) الشركسية تقوم بها في الوطن الأم وفي بلاد المهجر.

١- **المحافظة على التراث الشركسي وديمومته، واستمراريته ونقله من جيل إلى جيل**، من خلال سرد القصص والاساطير عامة، واساطير النارتيين خاصة، وكذلك من خلال إلقاء الأشعار القومية والشعبية وأشعار الرثاء والحزن (الغبزة).

٢- **نقل الأحداث والوقائع التاريخ، وكذلك نقل القصص والاشعار من جيل إلى جيل حيث كان يتم في جلسات المضافة (هاتشئيش) سرد القصص والحكايات القديمة المعروفة**، كما كان المغنون يعرضون اعمالهم، وإن كان الضيف نفسه مغنيا متجولا فإنه يتحف الحضور بما عنده، فتحفظ القصائد مباشرة عن ناظمها، ويتم تداولها وتصبح من الأدب الشعبي، وبالتالي فإن هذه المجالس كانت بمثابة معاهد لتعلم التاريخ والآداب والفنون فليس من العجب ان تبقى تواريخ وتفاصيل احداث جرت قديما حية على مر الزمان في أذهان الشراكسة بسبب تناقلها في مثل هذه المجالس.

٣- **المحافظة على التقاليد ونقلها من جيل إلى جيل مع الإضافة** أو الحذف حسب متطلبات كل عصر او زمان.

٤- **قيام المضافات عبر العصور مقام المدرسة النظامية** من حيث نقل المعارف وتربية الاجيال من خلال الانشطة الثقافية التي كانت تمارس في المضافات.

٥- **قيام المضافات (المجالس) بوظيفة المنتدى الثقافي**، حيث كان يتم فيها مناقشة الاحداث اليومية، وكذلك متابعة الاحداث الجارية في المناطق الاخرى، كما كان يتم فيها معالجة المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بالإضافة الى تبادل المعلومات والخبرات خاصة مع الضيوف الزائرين للقرية. (١١)

رابعا: دور مؤسسات المجتمع الشركسي في تربية وتنشئة الاطفال في المجتمعات الشركسية:

ان الدارس لطبيعة تكوين المجتمعات الشركسية يجد بأن المؤسسات المدنية العامة كانت تؤدي أدوارا هامة في التربية والتثقيف والتنشئة الاجتماعية.

والتي يمكن تلخيصها في الادوار التالية:

* **دور المؤسسة الدينية:** يقصد بالمؤسسة الدينية تلك المؤسسات التي كان يتم فيها اداء الشعائر الدينية الطقوس والعبادات في مختلف مراحل تطور المعتقدات الدينية لدى الشراكسة.

ويكون في العصور التي كان فيها اجداد الشراكسة وثنيين مثلا، فإن معابد الكهنة قد لعبت أدوارا في تثقيف وتعليم ابناء الشراكسة بأهمية الآلهة ودورها في حياة الشعوب الشركسية، كما كانوا يلقنوهُم الطقوس الدينية التي تتطلبها المناسبات الاجتماعية، ففي الافراح مثلا كانت تقام طقوس الغناء والرقص، وفي المآتم كان يتم تقديم الأدعية وأناشيد الرثاء وأغاني الحزن، وفي نهاية مواسم الحصاد كانت تقام الولائم ومن ثم حفلات الرقص.. وهكذا.

وفي العصر الذي اعتنق فيه الشراكسة الديانة المسيحية فإن الكنائس كانت تقوم بدور التنوير والتوعية وتعليم الابناء تعاليم الديانة المسيحية.

وفي العصر الذي اعتنق فيه الشراكسة الدين الاسلامي الحنيف، فإن المساجد كانت تقوم بدور تربوي اجتماعي ديني من تعليم الشراكسة كبارا وصغارا مبادئ الدين الحنيف من عبادات ومعاملات وكذلك تحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم الاحاديث النبوية الشريفة.. الخ.

دور المجالس الشعبية: لعبت المجالس الشعبية التي دأبت الامة الشركسية في تشكيلها منذ عصر مجالس الامهات ومجالس الاباء، وفي مراحل لاحقة فإن مجالس الحكام والرؤساء والمجالس القومية والوطنية كان لها اكثر من دور في توجيه وتثقيف وتوعية مختلف طبقات الشعب في كثير من القضايا السياسية والاجتماعية والعسكرية.. الخ وبالتالي، فإن مثل هذه المجالس كانت مصدرا رئيسيا من مصادر نقل المعارف على اختلاف انواعها ومستوياتها إلى مختلف طبقات مجتمعات الأمة الشركسية.

دور مؤسسات العمل: ويقصد بمؤسسات العمل تجمعات الحرفيين والمهنيين والزراعيين المختصين الذين كانوا يقومون بدور نقل معارفهم ومهاراتهم الحرفية والمهنية إلى الابناء والاحفاد، وبذلك تمكن أجداد الشراكسة من الحفاظ على الخصائص الصناعية والحرفية والمهنية التي اشتهروا بها منذ القدم مثل: الصناعات المتعلقة بالحدادة والنجارة واعمال الصياغة، واعمال الزخرفة، والاعمال الجلدية، والحياكة والتطريز... الخ.

دور المؤسسة العسكرية: لم يكن لدى الشراكسة منذ عصر الاجداد مؤسسات عسكرية نظامية وجنود محترفين، وانما كانوا يشكلون فرقا للمقاتلين عند الحاجة، على اعتبار ان كل شركسي هو فارس مقاتل منذ الفتوة، وأنه قادر على القتال في أي وقت. والنظام العسكري الذي كان متبعا عند الشراكسة هو نظام التشكيلات العسكرية الصغيرة، وكانت الوحدة الواحدة تتشكل من (١٠٠) مقاتل من ذوي الخبرة، وكانت كل وحدة تعيش معا اسابيع واحيانا أشهراً، وبالتالي فإن الشباب

المقاتلين كانوا يتعلمون ويكتسبون خبرات كثيرة من بعضهم البعض، حيث كانوا يمثلون مجتمعاً مصغراً يقوم فيه افراده بجميع الادوار التي يمكن أن يقوم بها أفراد أي مجتمع كبير من أعمال إدارية، وفنية، وصحية، وتموينية وغذائية، بالإضافة إلى معالجة المشاكل النفسية التي تنجم من استمرار تعرض المقاتلين لغزوات وهجمات بربرية ووحشية. وبالتالي فإن ساحات المعارك كانت اكبر مدرسة لتعليم وتدريب المقاتلين الشراكسة على مختلف مجالات الحياة في ظروف نفسية وصحية ومعيشية صعبة للغاية.

دور المناسبات الاجتماعية والاقتصادية والأعياد الدينية:

شعوب الشراكسة ربما كانت اكثر الشعوب القديمة اهتماما بإحياء المناسبات الاجتماعية والاقتصادية والدينية مثل: الحفلات التي تقام بمناسبة الأعراس وحفلات الرقص (الجكو) في المناسبات الاجتماعية مثل الولادة، والطهور، وعودة الغائب، واستقبال ضيوف اقرباء أو اغراب، بالإضافة إلى حفلات (الشابشة) التي كانت تقام لتسلية المصابين بجروح او كسور. والحفلات التي كانت تقام بعد جني الثمار والحصيدة، وحفلات الاعياد والمناسبات الدينية.

واجداد الشراكسة الذين انشأوا مثل هذه المناسبات، لم ينشئوها عبثا ومن اجل التسلية والترفيه وممارسة الرقص والغناء فقط، وانما كان الهدف من اقامة مثل هذه المناسبة هو خلق فرص لتثقيف وتربية وتعليم وتوجيه الاطفال والشباب من الجنسين عن طريق الممارسة، واعطاء امثلة ونماذج من السلوك والتصرفات السليمة، وبالتالي كانت هذه المناسبة بمثابة مواقف تربوية يتعلم فيها الصغار العادات الشركسية التي تعبر عن الصدق والاخلاص والتضحية، كما تعبر عن مبادئ وقواعد التعامل مع الكبار في السن ومع المرأة، بالإضافة إلى تعريفهم بآداب

المحادثة والمخاطبة والقاء التحية.. هذا بالإضافة إلى تعلمهم آداب المائـــدة وآداب تناول الطعام.. الخ.

دور البيئة الطبيعية المحيطة بالتجمعات الشركسية:

ربما كانت البيئة الطبيعية المتمثلة بالغابات والانهـــار والبحـــار والجبـــال وغيرها من مظاهر الطبيعة المحيطة بالتجمعات الشركسية تشكل (مدرسة طبيعيـــة متكاملة) فمنها كان يتعلم الشباب والفتيان الشركس اسرار الطبيعة، كما انها كانـــت تشكل مصدر معارف عن أسرار الطبيعة، كما أن الثروة الحيوانية كانـــت تـــشكل أيضا مصدر معرفة لكثير من أسرار الحياة البرية، وأما الطبيعة المناخيـــة لـــبلاد الشركس فكانت مصدر تحدٍ للشباب والفتية والكبار، وقسوة الطبيعة علمتهم الكثيـــر عن كيفية تفادي اضرارها والتمتع بفوائدها.

خامسا: دور البالغين في المجتمع الشركسي في تربية وتنشئة الاطفال وفي توعية وتوجيه الشباب.

يؤكد الدارس لحياة المجتمعات الشركسية قديما وحديثا بأن الافراد البـــالغين كانوا يشكلون مصدرا من المصادر للتربية والتثقيف ولعبـــوا أدوارا فـــي تنـــشئة الصغار والشباب نذكر منها الادوار التالية:

١- دور الرفاق والاصدقاء والجيران وافراد المجتمعـــات المحليـــة فـــي القريـــة الشركسية

الدارس لأسلوب حياة الشراكسة منذ عصر الاجداد، يجد بأنهم يتميزون عن غيرهم من الشعوب **بعاداتهم الاجتماعية عامة والعادات المتعلقة بحق أي شركسي من البالغين سواء كان صديقا او جارا او احد سكان القرية من توجيـــه الاطفـــال والشباب وارشادهم للسلوك الصحيح**، كما يحق له محاسبة ومساءلة أي شركـــسي يخرج عن (الخابزة) العادات المرعية دون ان يكون للاباء حق الدفاع عن ابنـــائهم

المخطئين او المتجاوزين للعادات المرعية، وبالتالي فإن هذه الفئة كانت تعدّ مصدرا هاما للتربية والتنشئة، وأن دورها يكمل دور المؤسسات التربوية سابقة الذكر.

٢- دور الفنيين والمنشدين والشعراء في التربية والتثقيف.

يقول (أزبك)[١٢] بأنه توصل من روايات المعمرين الشراكسة في تركيا إلى حقيقة مفادها أن الشعراء (وساكؤ) كانوا في العادة يمارسون نشاطاتهم في أماكن إقامتهم، ويلقون القصائد (رجالا ونساء) في المضافات التابعة لقريتهم أو في ساحات القرية، ونادرا ما كانوا ينتقلون إلى القرى المجاورة، أما المغنوون الشراكسة (وردؤه) فكانوا يتجولون بين القرى خارج منطقتهم كما كانوا يغنون في الافراح والاعياد.

ويقول عنهم (لابينسكي) الذي زار بلاد الشركس عام (١٨٤٠)، بأنهم كانوا موهبين وكانوا يتناولون في اغانيهم كل فعل جيد أو سيّيء وكل بطولة او جبن.. وكل تضحية او انانية .. وكل بخل او كرم.. وكل جمال او حب.. وكانوا بمثابة القضاة الذين يحكمون على الناس.. وكانت احكامهم على المخطئين او المسيئين احكاما من (عامة الناس) حيث كانوا يخشونهم ويحسبون لهم الف حساب.[١٣]

واما (نويمان) فإنه يؤكد بأن المغنين المتجولين كانوا يشاركون في المعارك؛ لبث روح الشجاعة والحماس في نفوس المقاتلين الشراكسة من خلال إنشادهم قصائد البطولة والتمجيد [١٤].

وكذلك فإن (الرواة) للقصص والاساطير عامة واساطير النارتيين خاصة كان لهم دور فاعل في توعية وتثقيف الشراكسة كبارا وصغارا من خلال سردهم للقصص ذات المغزى والمعنى التربوي والثقافي او العسكري... وهناك الالاف من هذه القصص التي انتقلت من جيل إلى جيل وهي قصص تراثية تعبر عن حياة الاجداد والآباء منذ عصر النارتيين.

نستنتج مما تقدم بأن هذه الفئة من الشراكسة كان لها دور بارز في نقل المعارف التراثية، وفي توعية وتثقيف افراد المجتمع الشركسي صغارا وكبارا، نساء ورجالا، حتى اعتبرت هذه الفئة هم المعلمون الاوائل في المجتمعات الشركسية منذ القدم وحتى أواسط القرن العشرين.

٣- دور الحرفيين والمهنيين والمزارعين

لما كانت المجتمعات الشركسية منذ عصور ما قبل التاريخ هي مجتمعات رعوية وزراعية ثم تحولت تدريجيا إلى مجتمعات صناعات (يديوية) وحرف مهنية، فإن دور هذه الفئة في نقل معارفهم ومهاراتهم في الصناعات اليدوية وفنون الزخرفة اصبح دورا رياديا، وانهم كانوا بمثابة مدربين ومعلمين في (التربية المهنية) واستطاعوا المحافظة على هذه المهنة على مر الزمان حتى اصبحت بلاد الشراكسة منذ عصور ما بعد الوسطى بلاد (الصناعات اليدوية) وصدّروا للمنطقة القفقاسية عامة وللعديد من البلاد الاوروبية خاصة منتوجاتهم الصناعية، وخاصة ما يتعلق بالمعدنية عامة، والبرونزية والنحاسية والصياغة والغزل والنسيج والزخرفة والحياكة والتطريز والصناعات الغذائية الخفيفة، وخاصة ما يتعلق منها بالعسل ومشتقات الالبان وغيرها.

٤- دور التجار الاجانب الوافدين لبلاد الشراكسة من اوروبا وآسيا وكذلك دور التجار الشراكسة العائدين من الخارج.

اكد السفير الفرنسي (مسيو بيوتيل) لدى دولة القرم على كبر حجم التبادل التجاري مع شعوب غرب القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة خلال الفترة (١٧٥٠-١٧٦٢)، وقال: "ان اكثر التجار الذين كانوا يتوافدون على بلاد القرم هم من جنوة، وانجلترا واسبانيا، وتركيا، وبلاد القرم، وكان يرسوا في الموانئ القفقاسية على البحر الاسود وبحر قزوين حوالي (٩٠٠) سفينة سنويا عدا عن السفن الصغيرة التي كانت ترسو على موانئ آخرى، وهذا ان دل على شيء فإنما

يدل على أنّ أعدادا كبيرة من التجار الاوروبيين والآسيويين كانوا يتوافدون إلى بلاد الشراكسة بقصد التجارة، وان تعاملهم التجاري مع القفقاسيين الغربيين في مناطق الكوبان كان يجرى في جو من الحرية والامان وعلى درجة عالية من الصدق والخلق، كما يؤكد بعض المؤرخين العرب وغيرهم من المؤرخين الاجانب خاصة الفرنسيين، بأن التعامل بين الشراكسة والتجار الاجانب كان يتم من خلال مترجمين، وان البازارات واماكن التبادل التجاري كانت تتحول إلى منتديات حضارية وأن مئات من التجار الذين يمثلون ثقافات وحضارات مختلفة كانوا ينقلون معارفهم وثقافتهم وعلومهم بطرق مباشرة وغير مباشرة للمتعاملين معهم من الشراكسة، وانهم (أي الشراكسة) استفادوا وافادوا كثيرا من تعاملهم مع التجار الاجانب ونقلوا عنهم بعض عاداتهم، وأساليب حياتهم، وطرق معيشتهم لأنهم كانوا يقضون فيهم فترات طويلة.

واما بالنسبة للتجار الشراكسة العائدين من رحلاتهم التجارية إلى مناطق قوقازية مختلفة. وإلى البلاد الاوروبية والآسيوية المجاورة لهم، فكان لهم دور كبير في نقل معارف جديدة اكتسبوها من تواجدهم في تلك البلاد، كما كانوا يتحدثون عن مشاهداتهما وعن تجاربهم وعن المعارف والعلوم التي اطلعوا عليها خلال رحلاتهم التجارية.

٥- دور القضاة والحكماء ورجال الدين:

توصلنا في دراستنا لمفهوم القضاة عند الشراكسة بأنه مفهوم قديم، ويعود تاريخه إلى (مجالس النارتيين) في عصور ما قبل الميلاد، كما كان لديهم أشخاص مختصون في الفصل في المنازعات بين الافراد او المجاعات، وان الشخص الذي يقوم بهذه المهمة كان يشترط أن تتوفر فيه صفات النزاهة والاستقامة والعدل، وأن تكون لديه معرفة خاصة بالعادات والاحكام التي تتعلق بمهنة القضاء، وكان القاضي (اليدج) هو أول رئيس محكمة في عهد قوم نارت، وعندما اعتنق الشراكسة

الدين الاسلامي اصبح لديهم قضاة مؤهلون في علوم الدين والدنيا، يتمتعون بالنزاهة في حكمهم، ومن اشهر القضاة الشراكسة كان القاضي (ورى) وعاش في نفس الفترة التي عاش فيها الحكيم الشركسي (قازنوقة جباغي) وكذلك القاضي (آبوق حاجي اسحاق) من طبقة (الورق) الشراكسة والذي يعود له الفضل في انشاء المحاكم في عهد الامير (عادل كراي).

ويؤكد الباحثون في نظام القضاء الشركسي بأن القضاة لم يكن دورهم الفصل بين المتخاصمين او المتنازعين واصدار الاحكام بحق المذنبين فقط، وانما كان لهم دور إصلاحي وإرشادي، فضلاً عن توعية وتثقيف للناس بأحكام الشريعة الاسلامية مثلهم مثل رجال الدين اولا، كما كان لهم دور في تنوير عامة الناس بالعادات والقيم الاخلاقية، وتعريفهم بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، وبالتالي فإن القضاة كان لهم دور ريادي في المجتمعات الشركسية، كما كانوا القدوة والمثل والانموذج للرجل الشركسي (اديغة – له) الذي يتحلى بالصفات والسمات المميزة للانسان الشركسي.

وكذلك فإن القاضي (قازنوقة جباغي) الذي اصبح حكيما وفيلسوفا له نظريات فلسفية وقوانين في تفسير الظواهر الاجتماعية مثل قانون (الاضداد) كما يعتبر صاحب مدرسة حديثة في العادات الشركسية، حيث قام بإحداث تغييرات جوهرية على العادات الشركسية، بإلغاء العادات التي لم تعد تتناسب مع مبادئ الدين الاسلامي الحنيف، وكذلك العادات التي لم تعد تتناسب مع طبيعة التغيرات التي حدثت في المجتمعات الشركسية في عصره، كما اضاف عادات جديدة كثيرة وهذّب عادات أخرى.

وبدراسة حياة (جباغي) وسيرته وجدنا بأنه كان اكثر رجال الشراكسة قاطبة ممن لهم دور في توعية وتثقيف وتوجيه وتعليم الزعماء والامراء وغيرهم من القادة السياسيين وقادة المجتمعات الشركسية في عصره، فكان هو العالم

والفيلسوف والحكيم والقاضي، الذي تكن له جميع الشعوب الشركسية التقدير والاحترام، حتى يومنا الحاضر، والزائر للوطن الأم يجد له أكثر من تمثال في اكثر من موقع.

٦- دور طلاب العلم العائدين من الدراسة داخل وخارج القفقاس:

لعب الشراكسة الذين عادوا من دراستهم في المعاهد العلمية عامة والدينية خاصة من بلاد الداغستان، والقرم، وتركيا وروسيا، ومصر دوراً في مرحلة لاحقة، فهؤلاء الطلبة كانوا يشكلون الطبقة المتعلمة تعليماً نظاميا في المجتمعات الشركسية، وإن لم يكونوا بأعداد كبيرة، إلا أنهم كانوا فاعلين في نقل المعارف والعلوم عامة والعلوم الدينية خاصة، وهم الذين تولوا مراكز قيادية في المجتمعات الشركسية من قيادات سياسية ودينية وقضائية واجتماعية وتربوية، وجميعهم كانوا من رواد مجالس المضافات حيث كانوا يقومون بالتحدث عن علومهم ومعارفهم وعن خبراتهم التي اكتسبوها من احتكاكهم بثقافات أجنبية تختلف عن ثقافة الشعوب الشركسية والقفقاسية خاصة.

٧- دور الحجاج العائدين من الديار الإسلامية المقدسة في كل من مكة والمدينة والقدس:

بدأ هذا الدور بعد اعتناق الشراكسة الدين الإسلامي، حيث توافد أعداد من كبار السن لأداء فريضة الحج، وكانت مرحلة الحج تستغرق أحيانا سنة فأكثر، وجرت العادة أن يقوم أهل قريته والقرى المجاورة له بزيارته للسلام أولا، وللتبريك ثانيا، وللاستماع إلى كل المعارف والخبرات المكتسبة، ثالثا، وبالتالي فإن الحجاج كانوا مصدرا من مصادر المعرفة في المجتمعات الشركسية.

٨- دور العائدين من الغزوات والحروب:

اشتهر الشراكسة في العصور القديمة منها وعصور ما بعد الميلاد بشن بعض الغزوات والحملات العسكرية على الشعوب المجاورة لهم أو البعيدة عنهم، دفاعا عن الأرض والعرض، وإن غزواتهم كانت تستغرق أشهرا طويلة، يعودون بعدها لبلادهم محملين بالغنائم أولا، وبقصص الصعوبات والمشاكل التي واجهتهم ثانيا، وبتجارب كثيرة اكتسبوها من غزواتهم وحملاتهم العسكرية ثالثا، تلك التجارب والخبرات التي كانت مادة غنية للشعراء والمغنين، ومع مرور الزمن كانت تصبح من التراث القومي الشركسي الشفوي.

٩- دور الصيادين العائدين من رحلات الصيد:

كان الصيد الشغل الشاغل للشراكسة منذ العصور الحجرية، حيث يؤكد المؤرخون لحياة الشعوب القفقاسية القديمة بأنهم بدأوا حياتهم بعد خروجهم من الكهوف بحياة الصيد، واستمرت معهم هذه المهنة حتى العصر الحديث، وكانوا ينظمون رحلات الصيد إلى مناطق بعيدة عن مناطق مسكنهم، كما وأنهم كانوا يقضون أياماً واسابيع في رحلات الصيد، ولم تكن مهمتهم الصيد فقط، وإنما كانوا يتعرفون على كل ما هو موجود في البيئة المحيطة بمواقع الصيد من حيوانات وطيور، ونباتات، وتضاريس طبيعية، وغيرها، واستخدم الشراكسة الصيد وسيلة لتدريب الشباب الشركسي على حياة المخاطرة والمجازفة وعلى اكسابهم الشجاعة والجرأة والقدرة على تحمل الصعاب، وبالتالي فإن مهنة الصيد كانت بمثابة مدرسة لتنشئة الشباب والفتيان، كما كانت مصدراً هاماً لإكساب الكبار والبالغين معارف حول البيئات الطبيعية وهي المعارف التي كانوا ينقلونها إلى رواد المجالس والمضافات من جيل الأبناء والأحفاد.

(١٠) أدوار الشعوب والامم التي استوطنت بلاد الشراكسة وكذلك ادوار الرحالة الذين زاروا وتجولوا في بلادهم.

ربما كانت بلاد القفقاس عامة، وبلاد الشراكسة خاصة، من اكثر البلاد جذبا للأغراب الزائرين عامة والرحالة الباحثين خاصة، وإن المئات منهم كانوا يتوافدون على بلاد الشراكسة، ويقيمون في مضافاتها، ويقضون فيها فترات طويلة لأكثر من هدف أو غاية، فبعضهم كانوا يزورون البلاد لأهداف تجسسية، وبعضهم الآخر لأهداف علمية وبحثية، وكانت جنسيات أكثر الرحالة أو الزوار الأغراب في العصور القديمة من اليونانيين والبيزنطيين والايطاليين، وفي الفترات ما بعد العصور الوسطى فإن أكثرهم كانوا من الفرنسيين، والألمان، والإنجليز، والأتراك، والروس.

ولعبت هذه الفئة من الأجانب أدوارا بارزة في نقل ثقافاتهم، ومعارفهم وعلومهم إلى الشراكسة بالتحدث عنها في المضافات الشركسية وهي المضافات التي كانت تفتح أبوابها للغريب قبل القريب، كما أن هذه الفئة تمكنت من دراسة حياة الشعوب القفقاسية، ووثقوا عاداتهم واساليب معيشتهم، كما درسوا جغرافية القفقاس، وربما كانت افضل المراجع العلمية عن حياة القوقازيين هي المراجع التي كتبها اولئك الرحالة منذ عهد هيردوت، ابو التاريخ اليوناني الذي تجول في بلاد الشركس في القرن الخامس قبل الميلاد ومن بعده (سترابون) (ومورجان) وغيرهم من المؤرخين القدامى.

كما ان الرحالة الذين زاروا بلاد الشراكسة في القرون الثلاثة الاخيرة كان لهم تأثير على اسلوب حياة الشراكسة، ويعتبرون المراجع الاساسية لمن يرغب في دراسة الحياة الاجتماعية لدى الشعوب الشركسية ونظم الحكم فيها.

واما بالنسبة لدور الامم والدول والشعوب والقوميات القوقازية منها وغير القوقازية التي اختلط بها الشراكسة منذ القدم بحكم الاستيطان في بلادهم اولا، وبحكم احتلالها لبلادهم ثانيا، وربما كانت البلاد القوقازية عامة وبلاد الشراكسة خاصة اكثر البلاد التي كانت تطمع بها الأمم والشعوب والقوميات القديمة وان بعض هذه الامم والشعوب قد استوطنت بلاد الشراكسة لفترات طويلة، مثل: (قدماء اليونان والرومان والحثيين، والبيزنطيين والكميريين والسارماتين)، بالإضافة لشعوب احتلت بلاد الشراكسة لفترات قصيرة، إلا انها كانت مسالمة مثل قدماء المصريين في عهد رمسيس الثاني، وقدماء الصين وقدماء الهند... الخ. فقد أثرت حضارة هذه الشعوب العريقة على حضارة الامة الشركسية واغنت ثقافتها، كما استفادوا وافادوا من بعضهما البعض وجرى تبادل ثقافي بينهم وبين هذه الشعوب كما يتضح من ذلك قول (سمكوغ):

"**وجرى تبادل ثقافي واسع النطاق، وقد اقتبس اليونانيون كثيرا من اجمل اساطيرهم من اساطير نارت الشركسية، وجرت حوادث تلك الاساطير في القفقاس مثل صلب (بروميتية) على قمة البروز متأخرا اكثر من الف عام عن (نصرن جاكه) مما يدل بدون شك على اسبقية الادب (الروحي) والثقافي القفقاسي الذي نهلت منه الحضارة اليونانية بدون حسيب ولا رقيب** [١٥].

ومن اهم مظاهر التبادل الثقافي بين قدماء الشراكسة ايضا، وقدماء اليونان، هو التشابه الموجود في اساطير كل منهما مثل: اسطورة (الصوف الذهبي) واسطورة (اوديسا) و(بروموته) واسطورة (البطل آخين) التي تشبه اسطورة النارتيين حول (سوسروقة) وقصة العملاق الاعور (Yhij– العملاق) ذو العين الواحدة، وكذلك قصة (ايرسكيل) سجين المغارة عند الابخاز.

كما نستدل على هذا التبادل الثقافي مع قدماء اليونانيين وجود تشابه في بعض العادات وفي بعض الفنون والزخرفة [١٦].

كما أكد (جوناتوقة) بأن اليونانيين تركوا في قفقاسيا آثارا مدنية، وأن الشراكسة استفادوا من هذه المدنية كثيرا، كما كان للبيزنطيين دور كبير في انتشار الدين المسيحي في بلاد الشراكسة، وبأن الشراكسة استفادوا ايضا من ثقافة وحضارة الحثيين وقدماء المصريين [١٧].

هذا بالإضافة للاستفادة من الثقافات والمعارف والعلوم التي كانت تتمتع بها الشعوب والامم الاخرى التي احتلت او استوطنت بلاد القفقاس بشكل عام، ومنها الثقافة الاسلامية العربية بشكل خاص بعد اعتناقهم للدين الاسلامي الحنيف.

واما روسيا القيصرية فقد كان لها دور في تعليم بعض أبناء الأمراء الشراكسة حيث كانت تفرض السلطات الروسية على بعض زعماء الشراكسة وخاصة في مناطق القبرطاي والبذادوغ ارسال أبنائهم رهينة لديهم، على أن يعلموهم القراءة والكتابة بالروسية ويدرسوهم في المدارس العسكرية ويتخرجوا منها ضباطاً في جيش القيصر، وان العديد من هؤلاء الضباط الذين هم من الشراكسة اصلا وصلوا إلى رتبة لواء في جيوش القياصرة. وبعضهم نسي اصله ووطنه، وقام بأعمال وحشية ضد بني قومهم الشراكسة اكثر بكثير مما قام بها ضباط روس منهم: الجنرال الشركسي كروخ قوة، والجنرال شبش، كما كان الجنرال تشيركاسكي بيكوفيتش والجنرال بايقوه او (بيقوه) الذي أصبح مساعدا لآمر القوات الروسية في القفقاس، والجنرال الشيشاني كوندوقوف آمر الجيش الروسي في منطقة شيشان.*

* مجلة قفقاسيا الثقافية، العدد ٢٩إلى ٤٢، صفحة ٥٦ انقرة ١٩٧٠.

طرق واساليب التربية والتنشئة الاجتماعية لدى الامة الشركسية

استخدم الشراكسة منذ عصر الاجداد في فجر التاريخ وحتى العصر الحديث عشرات من الأساليب والطرق المباشرة منها وغير المباشرة في تربية الأجيال من الأبناء والأحفاد وفي تنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة، تتفق مع قواعد ومبادئ (العادات) التي تعتبر بمثابة (دستور) ملزم لجميع أفراد المجتمعات الشركسية من رؤساء وأمراء ونبلاء وأحرار قبل ان تكون ملزمة لعامة الناس من فلاحين واتباع وخدم.. الخ، وربما كان الباحث الشركسي (يخول) المختص في التراث الشركسي الشفوي من شراكسة الاردن اكثر من كتب في نماذج واساليب التربية الواردة في التراث الشركسي الشفوي[١٨] وهي على النحو التالي:

الاسلوب الاول: هو اسلوب التقليد أو المُثل والنموذج:

يقول (يخول) يولد الطفل بدون أية معارف، إذ يحصل عليها من المحيط العائلي، فيتخذ المحيطين به نماذج يقلدهم في كل تصرفاته، سواء كانت صالحة أم طالحة، لذا يجب على الوالدين والأشقاء والشقيقات وكل المحيطين بالطفل، التركيز على مرحلة الطفولة وتقديم النماذج الجيدة التي تساعد الاطفال على التنشئة الصحيحة في تربيتهم.

وفيما يلي تحليل لدور الكبار بوصفهم نماذج وقدوة:

١- **الام نموذجاً:** يقول المثل الشركسي **(قبل الزواج من الفتاة تحرَّ عن أمها).**

فالأم هي أهم شخص يتخذه الطفل نموذجاً ويقلدها، وبالتالي فإن صفاتها تنتقل إلى اولادها بخيرها وشرها.

والمثل السابق لا يعني فقط ان تكون الفتاة مطابقة لأمها بجمالها وقوامها بل ايضا بأدبها وتربيتها، فالأم مرآة ابنتها.

ومثال آخر "يمشي الطفل على الطريق الذي تحدده الأم".

٢- دور كبار السن بوصفهم نماذج وقدوة:

فإذا لم يقم الكبار بتحصين أنفسهم ضد كل السلوكيات والتصرفات التي تؤثر سلبا على اولادهم، وإن لم يكونوا نماذج جيدة يقلدها الصغار، فأين يجد الصغار نماذج يحتذون بها؟

ويقول المثل الشركسي بهذا الخصوص:

"اذا تعاملت مع والديك بشكل صحيح امام ناظري أولادك، فستجد نفس المعاملة من اولادك، فكما انت نموذج لابنك فوالدك نموذج لك".

وهذا ما يعنيه المثل القائل:

"من لا يحسن تربية أولاده، فسيدفع ثمن تقصيره" فالأطفال يطلعون على كل صغيرة وكبيرة من تصرفات الاكبر سنا، ويأخذون منهم النماذج التي يقلدونها في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم وكيفية تخاطبهم مع الآخرين، وكيف يفرحون وكيف يتألمون وكيف يحبون وكيف يكرهون، فكل هذه الأمور وغيرها نماذج يقلدها الصغار.

٣- دور الاصدقاء بوصفهم نماذج وقدوة:

للصديق دور كبير في تقديم النماذج التربوية، فنرى امثالا (مجازية تعبيرية) حول هذا الموضوع مثل "اذا رافق الكلب كلبا جيدا يصبح مثله، وكذلك الحصان اذا عايش حصانا جيدا".

"اذا ركبت الحصان فلا بد ان يعلق بك بعض من شعره".

فالآباء والامهات يجب ان يحرصوا كل الحرص على اختيار الاصدقاء لأبنائهم، حيث انهم سيتأثرون بالنماذج التي يصاحبونها، وهذه النماذج تكون منها السيئة ومنها الحسنة، وليس بالضرورة أن يقلد الابناء النماذج الحسنة، ويرجع ذلك إلى محدودية تفكيرهم إذ لا يميزون بها الخبيث من الطيب.

الاسلوب التربوي الثاني: فهو اسلوب النصح والارشاد والامثتال لأوامر الكبار:

استخدم الشراكسة منذ القدم هذا الاسلوب في تربية الاطفال على الاخـــلاق الحميدة والتحلي بالإنسانية وحب الوطن والابتعاد عن الشر ومخالطة الناس الاخيار وتكوين علاقات حسنة معهم، كل هذه الامور وغيرها كانت تتم عن طريق **(النصح والارشاد)** وكانت الوسائل التي تستعمل في تحقيق ذلك كثيرة نذكر منها:

أسلوب سرد الحكايات والقصص التراثية الهادفة.

وفيما يلي نماذج من هذا النوع من الاسلوب:

الأسلوب الأول سرد القصص التراثية:

لتوضيح هذا الاسلوب نقدم قصتين وبعض الاغاني الوطنية والمراثي الحزينة كنماذج لهذا الأسلوب وعلى النحو التالي:

القصة التراثية الاولى: وهي قصة الام التي اخطأت في تعليم ابنائها طريقة إلقـــاء السلام (التحية) على الناس وملخصها:

"قامت أم بتعليم ابنتها كيفية إلقاء السلام على مجموعة من الناس بأن تقول لهم: "بارك الله في رزقكم"، فمر الابن ذات مرة على مجموعة من الناس يحملـــون (تابوتاً) (نعش)، فألقى التحية عليهم قائلا: "بارك الله لكم في رزقكم"، ولكـــنهم لـــم يردوا التحية عليه بل وبخوه، فرجع إلى أمه وشرح لها ما حصل معـــه، فقالـــت: الذنب ذنبي يا بني، وقامت بشرح طرق التحية المختلفة والمستعملة في كل موقف، ومنها إلقاء التحية على من يحملون النعش والتي يجب أن يقال: "رحم الله ميتكم".

فإذا كان هناك أمر لا يعلمه الابناء قمنا بتعليمه لهـــم، وإن أخطـــأوا قمنـــا بإفهامهم موقع الخطأ، مع إرشادهم ونصحهم لتصحيح الخطـــأ، فهـــذا مـــا يعنيـــه الأسلوب التربوي الذي نتحدث عنه.

والقصة التراثية الثانية: هي قصة (الارنب والذئب) وملخصها: ان الارنب الام حذرت صغارها قبل خروجها لترعى من أول الليل وحتى الصباح حتى تتغذى فتدّر حليبا كافيا لصغارها، وحذرتهم بعدم فتح الباب لأحد، الا ان ذئبا اهتدى إلى مكان الصغار فخدعهم ففتحوا له الباب، فدخل على الصغار وأكلهم دون ان يبقى غير الاصابع والمخالب متناثرة في ارجاء المكان. ولما عادت الارنب الام ووجدت مصير صغارها على هذه الحال، وبدأت تصرخ، فتجمعت حولها حيوانات الغابة، وخرجوا معا خلف الذئب الخداع إلى ان وجدوه وقضوا عليه.

هذه القصة تبين كيف يجب على الصغار إطاعة أوامر أمهم، وكذلك تعليمهم وجوب الحذر وخير مثال على ذلك: "لا تتأمل خيرا وانت تمارس الشر".

واما الاغاني والمراثي فإن افضل نماذج لها هي:

الاغاني التي كانت تتطرق للبطولات، وحب الوطن والشجاعة وغيرها من الصفات التي يجب ان تغرس في الاطفال وكانت تلقى على مسامع الاطفال كوسيلة للتثقيف والتوعية.

الاسلوب الثاني: وهو أسلوب سرد الامثال الشركسية على مسامع الاطفال

كان الشراكسة يستخدمون الامثال كأسلوب في التوجيه والارشاد وتقديم النصح، وكانوا لا يتوقفون عن سرد الامثال والحِكَم على مسامع الاطفال ومن هذه الامثال: **امثال تعلم الشجاعة والتضحية واحترام كبار السن منها:**

"**اذا مس الوطن شر، ضح بنفسك فداه**".

"**الشجاع لا يخلف وعده**".

كما ان هناك امثالا تهكمية تتناول الذين يقومون بتصرفات خاطئة وضعت كوسائل لتعريف النشء بمساوئها، مثل:

"**قليل الحياء يجلس في غير مجلسه**".

"**حتى الثور يقوم احتراما عند دخول البقرة عليه والعكس يحدث ايضا**".

هكذا فإن اجداد الشراكسة وآباءهم استخدموا هذه الامثال لثني الصغار عن العادات السيئة.

وهناك المئات من الامثال التي تتحدث عن مختلف مناحي الحياة يكون فيها العبر والقدوة الحسنة للأطفال والشباب على الجنسين من الشراكسة.

الاسلوب الثالث: وهو اسلوب التدريب العملي:

لا شك ان مجرد معرفة الامثال او سماع القصة قد لا يؤدي الغرض المطلوب، بل لا بد من تدريب الاطفال على ممارستها في حياتهم العملية طوال مراحل اعمارهم، وهذا هو الاسلوب الرابع الذي يعتمد التدريب العملي كأسلوب في تربية وتنشئة الاطفال والشباب، ومن الامثال التي تعبر عن التوجيه والنصح والارشاد هي الامثال التالية:

- **لا تكن مثل الذي يكون: " كلامه مكتوب على الرمال". أو " كلامه مكتوب على صفحة الماء". أو**
- **"لسانه حلو، لكن قلبه حاقد".**
- **العبرة في العمل وليس في الكلام.**
- **المثابر ينال مناه.**

هذه الامثال الشعبية وغيرها، تحض على ممارسة الاخلاق الحسنة فعلا لا قولا، كما تحث الابناء على التدريب عليها.

ويقول (يخول) نقلا عن عالم الاجتماع (كومنسكا) بأن الشخص يتعود على الركض من كثرة الممارسة، فكذلك يصبح الصادق صادقا بممارسة الصدق في تصرفاته، والشجاع يصبح شجاعا وهو يعبر عن مواقف الشجاعة باستمرار، وهكذا. وحتى الكذب اذا تعود عليه الاطفال سيظل ملازما لهم في حياتهم، وهذا ما يعنيه المثل الشركسي:

"من يتعود على الكذب، لا يعود يستحي من ممارسته".

وأورد (يخول) القصة التالية، والتي تبين أن العبرة بالفعل لا بالقول (نقلا عن القصة التراثية في كتاب محك الرجال للكاتب الكبير كئراشئة تيمبوت) يقول فيها: شاب مر على شاب آخر يقوم بإعادة رفع عربته التي (تدهورت) ولم يساعده في رفعها، وعندما وصل إليه سأله عن اسمه فقال: "ميزرقان" فسأله لماذا لم تساعد الشاب في اعادة رفع عربته" فأجابه: لقد عرضت عليه المساعدة، فقال بأنه لا يحتاجها، استغرب من رده، وتركه ووصل إلى العربة فشمر عن ساعديه وبدأ بمساعدة الشاب حتى فرغا من رفعها وايقافها على عجلتيها وصدف ان عاد "ميزرقان" فسأل الشاب: هل قلت له بأنك لا تحتاج المساعدة كما قلت لي؟ قال، نعم ولكنه لم يقبل واجابني قائلا: أنا سأساعدك، لأن ذلك احترام لشخصي، فما فائدة الرجل اذا لم يقم بمساعدة المحتاج.

لا شك بأن مثل هذه القصة تغرس حب مساعدة الآخرين بالفعل لا بالقول.

الأسلوب الخامس: أسلوب التعلم بالممارسة والتجربة وتعريض الاطفال لمواقف صعبة حقيقية:

وهو اسلوب استخدمه الاجداد لتعليم الابناء كيف يواجهون مصاعب الحياة، وخير الامثلة التي تدل على استخدام الشراكسة هذا الاسلوب في تعليم الابناء هي النماذج المستقاة من الامثال الشركسية التالية:

- **من لم يصادف الشر، لا يعرف الخير.**
- **من لم يذق طعم المر لا يعرف طعم الحلو.**
- **من لم يمتحن في مواقف الرجولة لا يعد رجلا.**

وكذلك فإن اساليب التعلم بالممارسة هو: حفظ الاسرار، حيث كان الشراكسة يعلمون أبناءهم ضرورة حفظ الاسرار كأسلوب لتربيتهم على عدم إفشائهم الاسرار عامة، والاسرار العائلية خاصة، وربما كانت الامثال التالية تعطينا فكرة واضحة عن اهمية حفظ السر والتكتم عليه:

- **"لا تتداول كل ما تسمعه".**

ويعني ان السر اذا أفشي فإنه يمسي في افواه كثيرة، وكلما كثر تداوله، أصبح فحوى السر عرضة للتغيير.

ومثال آخر حول أهمية حفظ السر هو:

"قد يتسبب اللسان بإشعال نار الفتنة الكبيرة".

وكذلك المثل القائل:

"إن لم تحرص من لسانك فربما اهلكك".

وأما اكثر اساليب التعلم بالتجربة والممارسة كان اسلوب ارسال الشراكسة لأبنائهم مع الفرسان الابطال المشهورين في غزواتهم، فكان يوكل اليهم رعاية الخيول ليلا وتحضير الاكل والحراسة، لتعويدهم إلى الاعتماد على انفسهم في المستقبل ومواجهة الصعوبات التي تعترضهم في حياتهم عندما يصبحون كبارا مستقبلا وبالغين.

الاسلوب السادس: أسلوب اقتداء المشاهير من الابطال الشراكسة:

استخدم قدماء الشراكسة ومنذ عصر "النارتيين" اسلوب القصص التي تحكي دور وأهمية المشاهير من الابطال، وان سرد مثل هذه القصص كانت تؤدي بالابناء للاقتداء بالمشاهير او من غيرهم من الابطال، وخير دليل على استخدام هذه الاسلوب منذ عصر النارتيين هو الحوار الذي جرى بين:

النارتي (نسرن) عندما التقى مع البطل النارتي (آشة) وكان خلاصة الحوار على النحو التالي:

- سأل (النارت نسرن) من انت يا ولد؟
- أجابه الولد واسمه (آشة) ماذا تريد مني، إن كنت بحاجة إلى مضيف فأنا جاهز.
- رد عليه (النارت نسرن): لا اطال الله عمرك (وحاول الابتعاد).

- اجابه (آشة): ايها الزعيم (تحماده) لا تغضب سأخبرك من أنا، أنا (أشة) وابي (أشة مز).

وفور سماع اسم (آشة مز) عاد النارت (نسرن) احتراما لشهرة والد (آشة) ونزل ضيفا على ابنه، وحدّثه عن بطولات والده الذي صاحبه في اكثر من غزوة، وحث الابن على السير على نهج والده في حب الوطن والرجولة، واصطحبه معه فيما بعد في غزواته.

وكذلك فإن في قصة النارت (به ترز) نرى ان اولاد الحارة كانوا يعيّرونه لأنه لم يأخذ بثأر والده، فعاد إلى أمه ليسألها كيف قتل والده، فأخبرته كيف قتله (البشة مارقوه) غدرا. فبدأ الابن بتعلم فنون القتال إلى أن أصبح في وضع يمكنه من الخروج للأخذ بثأر أبيه، وتحكي القصة انه أخذ بثأر والده، وأصبح بعد ذلك فارسا مشهورا، ويقال بأنه هو الذي خلص النارت (نسرن حاجئة) الذي كان مقيدا على قمة جبل البروز (اوشحة مافه) كما يقال بأنه خلصه من التنين وغير ذلك.

ويتضح من هاتين القصتين كيف تكون الشهرة قدوة، وكيف يمكن استغلال هذه الشهرة في دفع الأبناء أو الأحفاد، وحتى عامة الأطفال للاقتداء بالمشاهير من الابطال.

الاسلوب السابع: اسلوب الثواب والعقاب:

لقد كانت العادات والتقاليد المرعية هي المعيار الذي كان يحدد الثواب والعقاب عند الشراكسة، وقد تم توظيفهما لكي يصبح الابناء أكثر عطاء، كما كان يستعمل الثواب لإغراء الآخرين وللسير بنفس النهج الذي يوصل للهدف، والابتعاد عن التصرفات التي ينجم عنها العقاب.

ويقول المثل الشركسي:

"**امتدحه قليلا، يلب طلبك سريعا**".

ويبين هذا المثل، بأن المديح هو نوع من أنواع الثواب، وكان يتم المدح في اغلب الاحيان * بحضور الممدوحين وعلى مسمع من الحضور، كي يأخذوا العبرة منه، ومن صيغ المدح في التراث الشركسي الامثال التالية:

- "**لقد ولدت رجلا**"

ومثلما كان المدح يتم بالكلام، كان أيضا يتم بالفعل.

وأما بالنسبة للعقاب، فقد كان الشراكسة يستعملونه مع من لا ينفع معه النصح أو المدح، كما كان يستعمل كعنصر ردع، كما نرى في الامثال الشركسية التالية:

- "**رفسة البقرة لا يمكن أن تقتل وليدها (عجلها)**"
- " **دعوة الأم على أولادها غير مستجابة**"
- "**مهما رفعت الأم يدها للأعلى تنزل ضربتها طفيفة على ابنها**".

ولقد كان الشراكسة يستغلون العقاب لتعليم الابناء وحملهم للندم على اعمالهم السلبية، كما كان يتخذ اشكالا عديدة؛ منها المعاتبة، وتقييد بعض الحرية، والحرمان، والضرب اخيرا.

ونورد فيما يلي بعض الامثال في مجال العقاب:

- "**الفرس تتعلم مع الضرب، اما الثور فيزعجه الضرب**".
- "**حذار من ضرب الحصان اذا توقف**".

ولكن، إذا كانت هذه الوسائل مستخلصة من قصص تراثية وأمثال شركسية وضعت قبل مئات السنين، فإننا ندرك مدى عمق النظرة التي كان يتمتع بها الشراكسة في مجال التربية، قبل ظهور وسائل التربية الحديثة بعدة قرون. (١٩).

* يجب الأخذ في الاعتبار بأن الاباء لا يجوز لهم حسب العادات الشركسية ان يمنع ابنه أو ابنته أو زوجته امام الآخرين وفي حضورهم او في غيابهم.

مراجع ومصادر الفصل الأول من الجزء الثالث من المجلد الثاني

١- يخول، عاطف سعيد طاس، **دراسة بعنوان سنة حلوة... يا جميلة ((من التراث الشركسي))** منشورة في مجلة الاخاء الصادرة عن الجمعية الخيرية الشركسية في وادي السير، ص: ١٢-١٤.

٢- برزج، نهاد، **تهجير الشراكسة**، ترجمة عصام الحسن، حتق، عمان ١٩٨٧.

٣- المصدر نفسه: ص٨٧-٨٨.

٤- مامخيغ، رايا عادل، مصدر سابق، ص: ٨٩.

٥- المصدر نفسه. ص: ٢٩-٩٠.

٦- حراتوقة، سمير، **النسور، حب، وحرب، في القفقاس**، عمان، ١٩٩٩، ص: ١٢٣.

٧- المصدر نفسه. ص: ١٢٤.

٨- ماكوميدوف، وكتب حول: **العادات الشركسية ونشرها عام ١٩٧٤**، ص: ٢٩٥.

٩- الياس، هاني مولود، **الاتيكيت الشركسي**، وترجمها عن كتاب الكاتب الشركسي نغمتوقة. ب. خ، ونشرت في مجلة نارت، الصادرة عن الجمعية الخيرية الشركسية/ عمان.

١٠- اوزبك، باتريك، **اساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة**، ترجمة احمد راتب زنداقي، عمان ١٩٨٨، ص: ٧٢.

١١- المصدر نفسه، ص: ٧٢.

١٢- ازبك، باتريك، مصدر سابق، ص ٨١-٨٢.

١٣- لابينسكي، **حياة الشعوب القفقاسية، الجزء الاول** عام ١٨٤٠، ص: ١٠.

١٤- نويمان، رحالة انجليزي، تجول في بلاد الشراكسة عام ١٨٦٣ وكتب كتابا حول حياتهم.. ص: ١٠.
١٥- سمكوغ، برزج امين، **الشركس في فجر التاريخ**، دمشق ١٩٩٥/٧/٣١، ص: ٢٤٢.
١٦- آبه زاو، محمد جمال صادق، **موسوعة تاريخ القفقاس والجركس**، مصدر سابق، ص: ١٥٠-١٥٥.
١٧- جوناتوقة، **تاريخ القوقاز**، مصدر سابق، ص: ١٤٨-١٤٩.
١٨- يخول، عاطف طاس، **نماذج من اساليب التربية الشركسية في التراث الشركسي**، مجلة الاخاء، العدد (١٥)، ايلول عام ٢٠٠٠، ص: ٢-٥.
١٩- يخول، عاطف طاس، **مكانة العقل عند الشراكسة**، مجلة نارت السنة (١٧) العدد (٤٦) شهر آب ١٩٨٩. ص: ١١-١٣.
٢٠- سطاس، عز الدين، دور وأهمية الطفل الشركسي في المجتمعات الشركسية، مجلة الاخاء، العدد (١٢٣) ايلول ٢٠٠٢، ص: ١٠-١٢.

الفصل الثاني

بُعد المعارف العلمية العامة في حضارة الأمة الشركسية

(١) أهمية تدريب العقل لدى الإنسان الشركسي

من المعلوم بأن لكل شعب أو امة من الأمم القديمة، معارف علمية خاصة بها اكتسبتها نتيجة الخبرات التراكمية على مر الاجيال وعبر العصور، والشراكسة أمة عريقة في القدم، تعود جذورها إلى الآف السنين في اعماق فجر التاريخ كان لديهم ثقافة معرفية علمية، وان لم تكن علوما بالمفهوم الحديث، إلا انه كان لديهم بعض المعارف والثقافات العلمية في اكثر من مجال، وفي اكثر من موضوع.

وكذلك فإنها من اوائل الامم القديمة التي ادركت اهمية (العقل) واولتها عناية كبيرة ووضعته في المرتبة الاولى في العملية التربوية والتعليمية، واستخدم قدماء الشراكسة اكثر من طريقة واكثر من وسيلة لتنمية العقل اولا، ولتدريب النشء على حسن استخدامه في حياتهم اليومية عامة في المواقف الصعبة ثانيا.

*** اهتمام الشراكسة منذ عصر الاجداد بعقل الانسان الشركسي**

والباحث في ثقافة الامة الشركسية منذ عصر الاجداد يجد فيها اكثر من أدلة على مدى اهتمامهم (بالعقل) ومن هذه الادلة هي:

الدليل الاول، على أهمية العقل لدى الشراكسة:

القصص والاساطير التي تبرز اهمية استخدام العقل في المواقف الصعبة والخطرة والحرجة، مثل بعض القصص الشركسية الوارده في الاساطير النارتيين منها قصة (سوسروقة) حول قيامه باستخدام واستعمال عقله وذكائه في التغلب على العملاق، حارس (النار) في اكثر من موقف حتى تمكن من الحصول على (جذوة نار) بذكائه بالرغم من قوة العملاق وجبروته.

وكذلك قصة (ستاني) أم النارتيين التي تؤكد على رجاحة عقلها واختيارها كمستشارة لقوم (نارت) والرجوع إليها في كثير من المواقف الصعبة والخطرة، كونها ذات ذكاء خارق وقادرة على تقديم الحلول المناسبة في مثل هذه المواقف

الحرجة **وقصة ثالثة من قصص الاساطير الشركسية وتدور حول امرأة شركسية تدعى (ماليكايخو)** ذات شهرة كبيرة في قدراتها التي وصلت إلى درجة قدرتها لاستشفاف الامور المستقبلية بذكائها الخارق.

واما القصة الرابعة فهي قصة أولاد العجوز الثلاثة وخلاصتها:

"كان يوجد عجوز له ثلاثة أبناء فلما مرض، استدعى ابناءه منفردين، وقال لكل منهم، أن لديه ذهبا مخبأ، وأبلغه عن مكانه، وبعد موته أسرع كل منهم إلى المكان المحدد، ولكنهم لم يجدوا شيئا فذهبوا إلى حكيم القرية لتفسير هذه الوصية، ففكر قليلا، ثم وضع أمامهم مسألة يحتاج حلها إلى ذكاء، فعجز الاخ الاكبر، وكذلك الاوسط عن حلها، في حين ان الأخ الاصغر توصل إلى الحل، فقال الحكيم: **يبدو ان أصغركم سنا قد حصل على الذهب (أي انه أورثه عقلا يساوي الذهب)!!**

وهذه الحكم تتماشى مع المثل الشركسي الذي يقول:

"**أن اولادكم اذا كانوا صالحين يستطيعون تدبير أمورهم حتى ولو لم تورثهم مالا**"

وهناك كثير من الأمثال الشركسية، والقصص التراثية التي تحث الوالدين للاهتمام بتنمية عقول اولادهم، وتربيتهم تربية صحيحة، باعتباره أفضل ميراث من المال.

والقصة الخامسة هي: قصة (حاغور) التراثية الذي وجد نفسه محبوسا مع قطيع من (الخراف) في كهف العملاق (الأعور) الذي سد عليه مدخل الكهف، فأخذ يفكر بطريقة يتمكن معها من التغلب على العملاق القوي، فأدرك بذكائه أن افضل وسيلة للتغلب على العملاق هي تعطيل العين الوحيدة للعملاق، وهكذا فعل، فثار العملاق وحاول الامساك به، ولكنه لم يفلح، فبدأ العملاق بإخراج الخراف من الكهف واحدا تلو الآخر، وهو يتحسس ظهورها، خوفا من أن يخرج (حاغور) معها، مما اضطر حاغور إلى استخدام عقله ثانية، فأمسك بأكبر كبش من الخراف، وتعلق تحت (بطنه) ومر عن العملاق دون ان يشعر به!!!

وقصة تراثية سادسة تبين خطورة عدم استعمال العقل وهي القصة الأبازية (كاباتوش الأحمق)، فقد علمته والدته سابقا طريقة السلام في حال مروره على مجموعة من الناس يقومون بعمل ما، بقوله لهم (مبروك عليكم).

فصدف ان مر على (جنازة) فبادرهم بتحية السلام قائلا: (مبروك عليكم)، فما كان منهم إلا ان أوسعوه ضربا، وأفهموه بأن عليه ان يقول: (جعل الله مثواها الجنة).

بعد ذلك صادف (موكب عرس) فسلم عليهم قائلا: (جعل الله مثواها الجنة) فقالوا له، كيف تدعو على العروس بالموت في يوم زفافها. وهنا ايضا نال جزاء غبائه وعدم استخدامه لعقله.

وكذلك فإن التراث الشركسي غني بأمثال شركسية تؤكد على اهمية العقل في الحياة منها:

"**ان يكون عبدا للعاقل، خير من ان تكون سيدا للجاهل**".

كما انها غنية بالقصص التي تبين كيف ان العقل يتغلب على القوة البدنية، وأن الشراكسة كانوا يعطون العقل أهمية قصوى بقولهم:

"**من ملك العقل، ملك كل شيء**".

وكذلك عندما قال: "**خير الانسان بين العقل والمال، قال: اعطني العقل، أحصل على المال**".

الدليل الثاني على أهمية العقل لدى الشراكسة:

من عادات الشراكسة في مجالس (البسلوخ) وهي المجالس التي تضم الشباب من الجنسين لجوء الفتيات الشركسيات لأسلوب اختبار ذكاء من يأتي من الشباب لخطبتها بطرح مجموعة من الأسئلة الدقيقة التي تحتاج الإجابة عنها ذكاءً، ومن يتمكن من الاجابة عنها توافق الزواج منه، وإلا رفضته لعدم تمتعه بالعقل الراجح.

اما الدليل الثالث على مكانة العقل عند الشراكسة فنستدل عليها من الأمثلة والحكم الشركسية التالية:

"**العقل اصل كل عمل**" بمعنى أن القوة المميزة في الانسان هو العقل.

كما كان الشراكسة يحترمون اصحاب العقول الكبيرة، ويقيمون الانسان بمدى رجاحة عقلهم بقولهم:

"**صاحب العقل الراجح، احترامه واجب**".

"**لا تشعر بثقل العاقل، حتى لو حملته على ظهرك**".

"**عقلك في محيطك، وهندامك بين الغرباء**".

"**انسان بدون عقل، كموقد بلا نار**".

"**العبرة بالعقل، وليس بالمال**".

"**قدر الكلام، وليس المتكلم**".

"**عدو عاقل خير من شريك جاهل**".

"**أم العقل، التفكير**".

"**لا تتحرج من السؤال عما تجهل**".

هذا بالنسبة لمكانة العقل وأهميته لدى الشراكسة منذ عصر الاجداد، وأما بالنسبة لأهمية التعليم فإنهم كانوا يولونه أهمية كبيرة، ونستدل عليها من الامثلة الشركسية الكثيرة التي تحض على التعلم منها:

"**طريق المعرفة، هو العقل**"

كما ان التراث الشركسي يبين ان العمر ينتهي، وتحصيل العلم لا ينتهي بمعنى (اطلب العلم من المهد إلى اللحد).

كما أنهم عرفوا معنى الذكاء وأهمية المعرفة وقالوا: (الذكاء والمعرفة لا يقدران بثمن، أما التعليم والتطوير فإنهما بلا حدود).

الدليل الرابع:

أدرك الشراكسة منذ القدم بأن استخدام العقل ضرورة من ضرورات التوصل إلى حلول المشاكل وإلى التغلب على المواقف الصعبة، كما أدركوا بأن العقل هو المفتاح الاساسي للوصول إلى المعارف العلمية، وانه الوسيلة الاساسية في حل مشاكل الحياة التي كانت تواجه اجداد الشراكسة ومن هذه المشاكل هي:

- **المشاكل الصحية الناجمة عن أمراض واوبئة.**
- **مشاكل التنقل والترحال عامة وفي الليالي خاصة، نظرا لصعوبة التضاريس الطبيعية.**
- **المشاكل البيئية والمناخية بحكم قسوة الاحوال الجوية وسوئها في معظم مناطق الشراكسة.**
- **مشاكل القياس والأوزان.**

(٢) المعارف العلمية:

وتوصل الشراكسة إلى حل المشاكل سابقة الذكر بأكثر من وسيلة، إلا أن اهمها كان اهتمامهم الكبير بتنمية العقل وتدريبه على التفكير والتحليل والاستقراء أولا، والاستفادة من الخبرات التراكمية لأجداد الشراكسة المكتسبة من خبرات الاقوام الأخرى ثانيا.

(٢) أنواع المعارف العلمية لدى الأمة الشركسية منذ عصر الاجداد:

وفيما يلي نماذج من انواع المعارف العلمية التي توصل إليها الشراكسة منذ عصر الاجداد وحتى العصر الحديث.

أولا: المعارف الطبية

يقول العالم الدبلوماسي الفرنسي (آبري دي لاموتر) بأن (الراعي) في فجر الحضارة الانسانية كان هو عالم النبات الاول وهو الطبيب الذي يحسن ولادة حيواناته، وهو الطبيب العظمي في القبيلة، فهو مجبر الكسور، وهو عالم التعدين

الذي يتعرف على أنواع الاحجار والمعادن، وهذا ما جعل قدماء الشراكسة يعبدون إله الحديد (لبش) كما يؤكد: **بأنه تعلم من الشراكسة طريقة التطعيم ضد مرض الجدري**" بقوله: "لقد لاحظت ان جميع الشراكسة جميلو الوجوه ولا يحمل أي منهم بقايا مرض الجدري، وقررت ان اوجه لهم سؤالا: "**ألا يوجد سر ما في حماية أنفسهم من البشاعة التي يخلفها هذا المرض عدو الجمال لدى غيرهم من الشعوب؟** وقد أجابوني بثقة: إن التطعيم يعطى لمن يحتاج إليه، وعندها قررت ان أشاهد هذه العملية بنفسي إن امكن، وسألت في كل القرى التي زرتها عن الحالات التي عولجت بهذه الطريقة حتى وجدت حالة لطفلة في الرابعة من عمرها أجريت لها هذه العملية، وبعدها طلبت منهم تعليمي سر ذلك المطعوم". (١)

كما يقول (مصطفى جركس) في كتابه (التربية الشركسية) حول الطب والجراحة عند الشراكسة منذ القدم:

"**إن سكان القفقاس قوم محاربون، يتعشقون الرياضة، وأعمال الفروسية، وهذه الاعمال بطبيعتها تعرض الانسان لمخاطر جسدية من جروح وكسور عظام وما إلى ذلك. فاقتضت الضرورة أن يوجد في المجتمع الشركسي من يفهم بشؤون الطب، وأعمال الجراحة. ومنهم الذين يزاولون هذه الأعمال، ويتدربون عليها، ويتوارثون خبرتهم عن آبائهم وأجدادهم، ويأخذونها عن الاشخاص الذين برعوا بها**".(٢)

كما يقول بأن التقاليد الشركسية تقضي: "أن يتعاون الكل في هذا المضمار، فهم يتعلمون من بعضهم، ويعلمون بعضهم، حتى أن من له خبرة مشهود بها، يتنقل من بلد إلى بلد ليساعد زملاءه وليطلعهم على ما عنده من معارف طبية جديدة.

ولقد قدر المجتمع الشركسي لأولئك الرجال الذين يقومون على شؤون التطبيب وتعاونهم واخلاصهم حق تقدير فأولاهم احتراما وأحللتهم منزلة رفيعة بينهم".

كما يقول: "ولقد كانت لهم عادات يستعملونها مع الجرحى والمرضى قبل اختراع "البنج" تستحق الذكر، منها مثلا: ان يُدعى أصدقاء المريض أو بعض السيدات والصبايا حسبما يقتضي الحال، لحضور اجراء عملية جراحية للمريض، حيث كانوا يقفون أو يقفن إلى جانبه يشجعنه نفسيا فيتحمل الآلام والأوجاع بشكل يدعو إلى الدهشة والاستغراب، واذا لزم الأمر كانوا يغنون له على انغام الموسيقى أثناء العملية، كل ذلك لإلهائه من ناحية، ومن ناحية اخرى كتمه للآلام خوفا من اتهامه بالجبن، لأن العادات الشركسية، لا تسمح بالبكاء وحتى اظهار مشاعر الالم حتى في أصعب واحرج الظروف، وفي بعض الحالات كان المعالج يلجأ إلى تخدير مكان العملية، بوضع (الثلج) عليه، إلا أن هذه الطريقة كان يرفضها الاغلبية من الشراكسة المصابين لأنها دليل (جبن) وعدم قدرة على الاحتمال، وأن تشجيع رفاقه له او وقوف السيدات حوله وقت العملية كان يؤثر فيه أكثر من الثلج، ومن أية مادة مخدرة [٢] .

والمؤرخ الشركسي (آبه – زاو) يصف لنا كيف كان قدماء الشراكسة منذ عصور ما قبل التاريخ يعالجون جرحى الحروب بمرجحته أو بالانشاد له اغاني خاصة بطرد الارواح الشريرة التي اتت بهذا المرض، اعتقادا منهم بأن هذه الارواح هي التي تسبب مثل هذه الجروح [٣].

وبالرجوع إلى التراث الشركسي الشفوي، وبعد الاطلاع على ما كتبه بعض المهتمين بالطب الشعبي الشركسي، وجدنا بأن الشراكسة كانوا يعالجون حالات مرضية كثيرة جدا نذكر منها الحالات التالية:

- **وجع الرأس، ويتم ذلك من خلال عصب (ربط) الرأس بقطعة من الشاش او بمنديل ما، وشد العصابة على محيط الرأس ثم ارخاؤها عدة مرات، وكذلك باستعمال مرق العجين الشركسي لمعالجة وجع الرأس العارض.**

- **لسعة الدبور او النحلة:** ويتم ذلك بمسح مكانها بخاتم او قطعة فضية او حبة (سن) ثوم لتخفيف ألم اللسع ومنع حدوث التورم المصاحب للسعة.
- **التهاب العين:** ويتم ذلك بمسح العين الملتهبة والملتصقة الجفنين صباحا، بقطعة قماش مغموسة بماء الشاي الفاتر المر (دون سكر) حتى يذوب القذى ويزول، وتفتح العين المنغلقة، ومع تكرار العملية بضعة ايام يزول الالتهاب كليا. كما ان بعض الروايات الشركسية تقول بأن مسح العين بجلد الحية المنسلخ عنها طبيعيا يقوي النظر ويحمي العين من المرض.
- **التهاب الحلق واللوزتين:** ويتم ذلك بشرب دبس الرمان الحامض المركز، بعد تخفيفه بالماء وتحليته بالسكر او تناول ملعقة صغيرة من الدبس المركز ببطء. كما كان من اهم الوسائل الشعبية الشركسية في علاج التهاب اللوزتين والتي كانت تعرف بمرض (نزول اللوزتين) هو البحث عن سيدة سبق لها أن انجبت توأما من المواليد، لتجري للمريض (وهو غالبا من الاطفال) عملية مساج لمنطقة اللوزتين من الخارج ومن اسفل الفك بمادة زيت الزيتون، ثم استعمال طرف ثوبها الامامي لرفع الحنك ومنطقة اللوزتين للأعلى عدة مرات ولمدة ثلاثة أيام تقريبا، او حتى يشفى المريض، وكانت هذه العملية تجرى صباحا (على الريق) قبل تناول الافطار. هذا بالإضافة إلى استخدام (الغرغرة) بماء الملح عدة مرات، وهي من احدى الوصفات الشعبية التي كانت تعالج التهابات اللثة واللوزتين عند الشراكسة حتى العصر الحديث.
- **علاج اوجاع المفاصل:** ويتم ذلك بدهن الثوم المدقوق والمخلوط باللبن مكان الوجع كما كان يعالج (الانفلونزا والاسهال) بنفس الطريقة.
- **معالجة القروح (السريرية) الناتجة من طول الرقاد (النوم): التي يؤدي لتآكل الجلد (الملامس) لسطح الفراش باستخدام** مرهم يتم صنعه من اوراق عشبة تنمو في المناطق الرطبة قرب الينابيع ومجاري المياه، وتشبه اوراقها اوراق

الخبيزة ومخططة بخطوط فضية خفيفة، وهي ناقصة الاستدارة، حيث كان يتم تحضيرها بتجفيف هذه الاوراق، ثم طحنها وخلطها مع كميات مساوية لها من السمن البلدي وصفار البيض الطازج والعسل البلدي. حيث كان يتم تغطية القروح بهذا المرهم، ومن نتائج هذه المعالجة وفعاليتها ايقاف الالتهاب واعادة نمو النسيج اللحمي للمنطقة المصابة، كما كانت توصف هذه الوصفة في علاج الجروح الاخرى، وخاصة الجروح الكبيرة والملتهبة.

- **معالجة حالات الدوزنطاريا:** وذلك بتناول السماق المطحون وحده أو مع البيض المقلي.
- **ايقاف نزيف الدم وجروح الرأس:** ويتم ذلك باستعمال مسحوق القهوة أو الرماد (السكن). الذي كان يؤخذ من داخل المدخنة (الوجاق الشركسي) أو من الطابون، بوضعه على مكان الجرح بعد تبريده لإيقاف نزيف الدم.
- **علاج الاصابة بالدودة الشريطية أو دودة الأسكارس:** ويتم ذلك بتناول بذور القرع النيء (غير المحمص) للقضاء على ديدان البطن كالاسكارس والدودة الوحيدة [٤].
- **معالجة الاصابة بالبرد:** وكان يتم ذلك من خلال عمل كاسات هواء على الظهر او مكان الأم.
- **المعالجة بالحجامة:** وذلك من خلال وضع (دودة مائية) أو (جهاز خاص) على مكان الاوجاع عامة وعلى الجبين خاصة، وتركها تمتص الدم (الفاسد) حسب الاعتقاد الديني.



جهاز خاص بعلاج (الحجامة) اخترعه اجداد الشراكسة في الوطن الأم منذ القدم

تلك هي الحالات المرضية التي كان الشراكسة منذ القدم يعالجونها. أما اكثر الحالات المرضية التي كان يتعامل معها الشراكسة منذ العصور الوسطى فهو مرض الجدري، حيث توصلوا لاختراع أدوية خاصة له مصنوعة من الأعشاب الطبيعية لعلاج آثار (الندب) التي يتركها هذا المرض الوبائي حسب قول العالم الدبلوماسي الفرنسي (لاموتر)[1].

وكذلك فإن علاج الكسور كان أكثر أنواع العلاج لدى الشراكسة تطورا وتقدما، وذلك باستخدام خلطة بياض البيض والصابون لعمل (الجبرية)، حيث يتم وضع قطع خشبية حول مكان الكسر، ثم يتم اللف عليها بالقماش المشبع بخلطة (الجبيرة) وهذا النوع من العلاج تفوق فيه بعض الاجداد والآباء الشراكسة في بلاد المهجر في الأردن مثل (الجوقة عمر) وفي سوريا مثل (محي الدين جيتكر) *.

* تعالج (الكاتب) شخصيا بهذه الطريقة على يد كل من (عمر وجيتكر) في عقدي الاربعينات والخمسينات من القرن الماضي عندما اصيب في طفولته بكسور اكثر من مرة.

ثانيا: معارف حول التنجيم والفلك لدى اجداد الشراكسة منذ القدم:

يقول: (بلانش فاخرتيف) في رواية له حول الاديغة والتنجيم:

"إن علاقة الاديغة مع عالم النجوم هي علاقة قديمة جدا، والدليل على ذلك هو قيامهم بالتنبؤ بواسطة النجوم، وكلمة (فاغوة) أي نجم و(مازة) أي قمر موجودة في قاموس جميع اللهجات الشركسية (الاديغة والقبرطاي و تشركيسيا) وهناك تشابه بينهما في التركيب اللغوي وفي المعنى ايضا.

كما يقول (تيف) بأن اسلاف الشراكسة أطلقوا اسماء مجازية على النجوم تبعا لترابطها مع افكارهم، وكذلك لظهورها في وقت متطابق مع حدوث الظواهر الطبيعية المتزامنة مع فصول السنة، ولقد كان (الشراكسة) كغيرهم من الشعوب القديمة الاخرى تؤثر عليهم المعتقدات الخرافية، ومن هذه المعتقدات التي كان لها علاقة بالنجوم بأن لكل شخص (نجمة) وهي تتصل معه روحيا. كما انهم لم يكن يسمحون بعدّ النجوم لاعتقادهم بأنه ذلك يؤدي إلى الاصابة بالعمى أو ظهور بثور على الجسم بعدد النجوم التي قام بعدها. وقد اعتقدوا ايضا بأنه إذا فرك المريض عينيه بيده ورأى نجوماً بعد ذلك، فمعنى ذلك سيعيش، إما إذا لم يشاهدها فإنه سيموت بعد اربعين يوما. إلا أن هذه الخرافات اختفت في مراحل لاحقة. *

ولخص (فاخرتيف) بعضا من الاسماء التي اطلقها (الاديغة) على النجوم منها:

- **نجمة المساء** (وهي من مجموعة المريخ).
- **نجمة الدب الصغير**، وتطلق على مجموعة من النجوم ممتدة على شكل عصا.

* ظلت هذه المعتقدات سائدة في المجتمعات الشركسية في بلاد المهجر عامة وفي الأردن وسوريا خاصة، والكاتب نفسه مارس مثل هذه العادات في طفولته في عقد الثلاثينات من القرن الماضي.

- **نجوم على شكل (اللاقوم).**
- **النجمة ذات الذيل الابيض** (وظهورها كان يعني بداية الدمار والخراب).
- **مجموعة المريخ، المشتري، وزحل**، وظهورها يعني السعادة لمن رآها.
- **نجمة فينوس المسائية** وهي الابنة التي بادلت اباها بمعطف من ذهب.
- **القيثارة وهي:** نجمة على شكل سجادة الصلاة المصنوعة من جلد الخاروف(٥).

كما أكد (تيف) بتأكيده بأن:

"الانسان الشركسي عبد مظاهر الطبيعة في مرحلة متقدمة من تاريخه الحضاري، وكانت قبائل (الاديغي) تعبد الكواكب والنجوم وابراج السماء في طقوس تعبدية وحركات بدنية من اجل السيطرة على الطبيعية، وامتلاك خيراتها، وقد انعكس ذلك في أساطيرهم وحكاياتهم كأساطير (قوم النارتيين) التي تأثرت بدورها بأساطير الشعوب المجاورة، وبما ان قبائل (الأديغي) عامة لم تكن تحسن القراءة والكتابة في العصور الوسطى إلا أنها حفظت هذه القصص في موروثها الشفوي.

كما قال (رشدي): "بأن قدماء القفقاس كانوا عبدة للشمس والقمر و"ظواهر الطبيعة الاخرى، ونتيجة لخبرتهم الطويلة في مراقبة السماء وما فيها من كواكب ونجوم، قسموا السنة إلى اثني عشر شهرا والشهر إلى أربعة أسابيع والأسبوع إلى سبعة أيام، وسموا كل شهر باسم خاص به يدل على حالة الجو في ذلك الشهر (٦).

وأما الباحث الشركسي (منذر بج) فيقول: "بأن الدراسة المقارنة تظهر بوضوح وحدة أصول اللغتين السومرية والشركسية، وأن اللغة السومرية إنما هي لغة حية مستمرة الوجود من خلال اللغة الشركسية المحكية عند شعوب القفقاس على البحر الاسود في الاديغي، وفي حوض الكوبان في تشركيسيا وفي (بلاد القبردي) القريبة من الجبل العالي الشهير (البروز) ويستطرد (بج) قائلا:

"فإذا كانت شعوب الشركس سومرية الأصل فالسومريون كانوا على معرفة ودراية بنجوم السماء وابراجها فهم الذين قسموا السماء إلى ثلاثة اقسام.

- قسم (انليل) وفيه آلهة السماء الكبرى، ويحتوي هذا القسم على (٣٣) نجما وبرجا، منها بروج السرطان والاسد والدب الاكبر.
- قسم (آنو) وفيه إله الهواء. ويحتوي على (٣٣) نجما وبرجا، منها بروج الحمل والحوت والميزان والعذراء.
- قسم (آيا) وفيه آلهة المياه، ويحتوي على (١٥) نجما وبرجا، منها بروج الدلو والعقرب وقنطورس والذئب والراعي. كما ميزوا بين الكواكب السيارة التي اطلقوا عليها اسم (المعزة الضالة) وبين النجوم الثابتة التي اطلقوا عليها اسم (المعزة الاليفة) [٧].

وكذلك فإن (نغموقة) يقول بأن الجراكسة اقتبسوا اسماء السنين والشهور والايام من اليونانيين، وسموها بأسماء بلغتهم الشركسية حسب ما اوحته لهم طبيعتهم وطبيعة بلادهم:

فالسنة يله "يلاس"
والشهر مازه
والاسبوع تحاماف او تحاماخوه
والقرن (لئه نبيج) بمعنى حياة رجل.

وفي الحقيقة فإن الجراكسة من الشعوب الذين كانوا يعمرون كثيرا، ومتوسط العمر عندهم كان يصل إلى مئة سنة تقريبا، ومنهم من فاق المئة ووصل إلى العشرين بعدها، (نساء ورجالا).

كما يقول نغموقة بأنهم قسموا السنة إلى اثنى عشر شهرا والشهر إلى أربعة أسابيع والأسبوع إلى سبعة أيام وأعطوا لكل شهر اسماً خاصاً به وله معنى يتناسب معه:

وفيما يلي تصنيف (نغموقة) لأسماء أشهر السنة باللغة الشركسية[٨].

فإن الشراكسة كانوا يسمون الشهر باسم مازه Maza وجعلوا من اسمه دليل عمل لهم في فهم أمور رعيهم وحصادهم وهذه الشهور هي:

- **كانون ثاني (جيمافة كومازه)** ومعناه شهر البرد الشديد او شهر منتصف الشتاء.
- **شباط (جيمافه كه مازه)** ومعناه الشهر الاخير من البرد لفصل الشتاء او شهر اللعنة.
- **آذار (غاتخه مازه)** ومعناه شهر أول الربيع.
- **نيسان (ملاخو مازه)** ومعناه شهر راعي الغنم.
- **آيار (فاغة مازه)** ومعناه شهر بداية الحرث.
- **حزيران (غه مافه مازه)** معناه أول الصيف.
- **تموز (غه مافه كوابة)** ومعناه شهر الحر الشديد .
- **آب (مقويوه مازه)** ومعناه شهر نضوج الحبوب وقطع الحشائش.
- **ايلول (جاغوة مازة)** معناه شهر الحصاد ووقت صياح الحيوانات البرية.
- **تشرين أول (ثواغوه مازه)** ومعناه شهر جلب الهشيم (الحشيش) والدراسة على البيادر.
- **تشرين ثاني (مغوشه مازه)** معناه شهر تخزين المواد التموينية.
- **كانون أول (شماف مازه)** معناه شهر أول الشتاء.

وأما أسماء أيام الأسبوع فلها معان خاصة عند الشراكسة وهي على النحو التالي:

الاثنين	بلشحه	رأس السبعة الأيام
الثلاثاء	غوبجه	
الأربعاء	به ره جه ى	يوم الوقاية وهو يوم مشؤوم
الخميس	مه خوك	اليوم الوسط
الجمعة	مريم	يوم السيدة مريم عليها السلام
السبت	شبت	مأخوذ من اليهود أو (مه فه زاق) اي اليوم (المفرد)
الأحد	تحامافه أو تحاماخوه	يوم الله وهو يوم مقدس عند الشراكسة منذ القدم.

كما يقول (نغموقة) بأن للأجرام السماوية الرئيسية، أسماء عند الجراكسة مستعملة حتى يومنا الحاضر، منها النجمة القطبية (غوازه) ويعني الدليل، ويهتدون بها في سيرهم ليلا. وفيهم من يعرف سير النجوم واتجاهاتها ويعرفون باسم (غوازه) أي الأدلاء وكان القوم يستخدمونها في سيرهم وهجومهم ليلا. [٨]

واما بالنسبة لأسماء النجوم والكواكب ربما كانت الدراسة التي اوردها (أنسوقة) في مجلة نارت في عام ١٩٩٣ بعنوان "علم الفلك عند الشراكسة" من افضل ما نشر باللغة العربية حول اسماء النجوم لدى الشراكسة حيث اورد [٢١] اسما وهي على النحو الاتي:

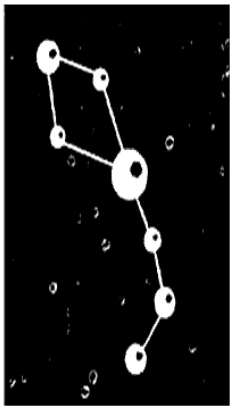
- **(فاغوا)*** والمراد بها نجمة الجوزاء أو برج الجوزاء.

* كلمة (فاغوا) باللغة الشركسية معناها (نجم).

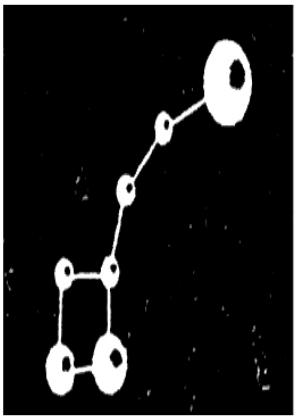
- **(أخشام فاغوا)** وتعني نجمة الغروب، وهو كوكب المريخ "مارس".
- **(فاغوا)** الذئب أي نجمة أبرادج، (وأبرادج) تعني هنا الضال او المشرد وهو الذئب.
- **(فاغوا باش)** وتعني نجمة العصا، وهي تسمية لنجوم تقع على خط مستقيم واحد، وظهورها كان يعني بداية موسم الرعي.
- **(فاغوا با)** وتعني نجوم كثيرة، والمقصود بها نجمة الدلفين.
- **(فاغوا داماقوا)** وتعني نجمة شوكة النير (وهي نجمة الكلب الصغير).
- **(فاغوا زشيبل)** وتعني النجوم القابضة على سبعة، وهي مجموعة الدب الكبير، وكان (الاديغي) يرون انه اذا استدارت مجموعة الدب الكبير فإنها علامة على بزوغ الفجر.
- **(فاغوا كابسا)** وتعني نجمة الحبل، وهي النجوم الثلاثة الاكثر لمعانا في السماء باتجاه الشمال.
- **(فاغوا غوبلا شحابسا)** وتعني النجوم المثلثية الشكل، وسميت هكذا لأنها تشبه مقدمة العربة الشركسية التي هي على شكل مثلث، وظهور هذه المجموعة من النجوم في السماء كان يدل على ان الوقت قد حان لنقل المحاصيل من المروج والسهول وتخزينها، ويمكن رصدها بوضوح في شهر ايلول.
- **(فاغوه لاقوم)** * وهي مجموعة من النجوم على شكل مستطيل.
- **(فاغوه تسي شاقوه)** وتعني برج آلة النسيج.
- **(فاغوا شي لاخا)** وعند رؤية هذا النجم كانت الاعمال في الحقول الربيعية تتوقف، والخيل والمواشي المستعملة في هذه الاعمال تأخذ قسطها من الراحة.

* (لقوم) هي فطير شركسي مستطيل الشكل ومصنوع من عجين الدقيق.

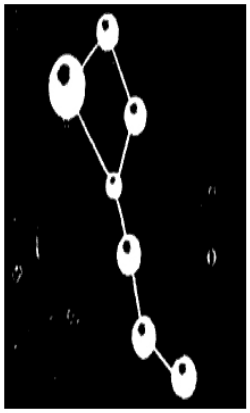
بعض أنواع النجوم التي
عرفها الشراكسة منذ
عصر الاجداد



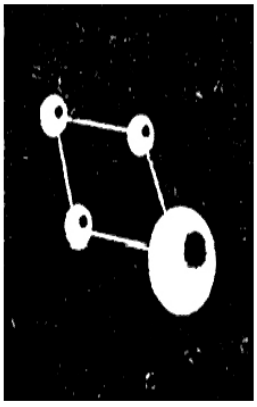
(١)



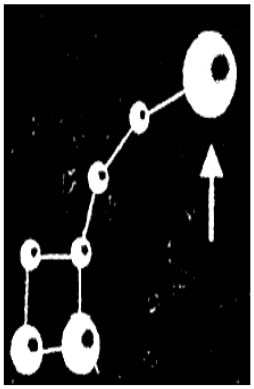
(٣)



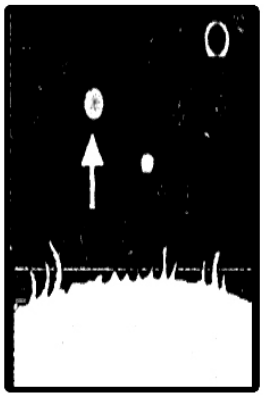
(٢)



(٤)



(٥)



(٦)

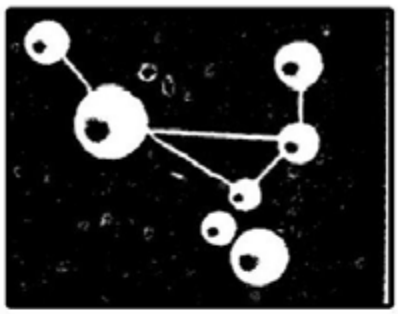
- **(فاغوا تشاخو)** وتعني النجم ذا الذئب الابيض وهو المذنب، واعتبر رؤية المذنب نذير وباء ومصاعب جمة، وظهوره يلقي الرعب في قلوب الناس.
- **(فاغوا فان)** وهي كواكب (المريخ، والمشتري وزحل)، ويمكن مراقبتها بالعين المجردة.
- **(حاليفا فاغوا)** وهي نجمة تظهر في الشمال تشبه الحلقة عند الشراكسة** .
- **(فاغوا الفنيرا)** المسائية وأطلق عليها (الفتاة التي باعت اباها مقابل معطف ذهبي).
- **(كابسا كاش فاغوا)** نجم الحبل القصير، وهو حزام الجوزاء، وظهوره كان يدل على موعد توقف اعمال الفلاحة وبداية جمع وتخزين الحطب لفصل الشتاء البارد.

ويلاحظ بأن إحدى الاساطير الشركسية القديمة تقول بأنه يطلق عليه اسم "**النجم الذي باع أمه مقابل بيضة ذهبية**"، وهو النجم الاول الذي يظهر بوضوح في الأفق عند غروب الشمس في نهاية فصل الربيع وبداية فصل الصيف، ومع ظهور هذا النجم تكون بداية اخراج المواشي إلى المراعي في الهضاب المرتفعة.

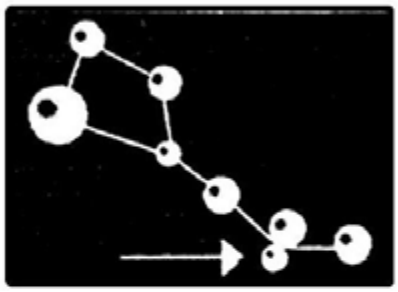
- **(ميشا فاغوا)** ومعناها نجمة الدب.
- **(نامازليق فاغوا)** وتعني النجمة التي تشبه سجادة الصلاة.
- **(نافيش فاغوا)** وتعني نجمة الصباح وهو كوكب الزهرة.
- **(بشحاشحه فاغوا)** وتعني (نجمة المساء) أو (نجمة الغروب) وهي النجمة التي تحدد غروب الشمس في شهر الصيام [٩].

** (حلفة) هي فطير شركسي مثلث الشكل – ويصنع من عجينة الدقيق.

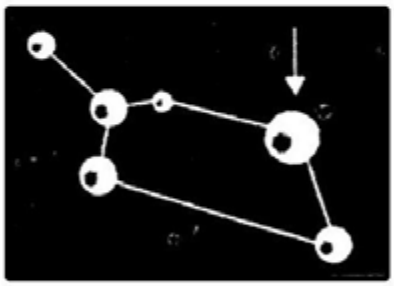
تابع أنواع النجوم



(٧)

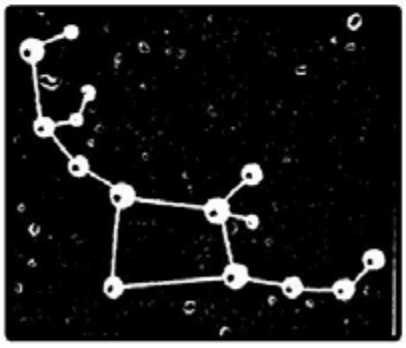


(٨)



(٩)

(١٠)



ثالثا: معارف حول البيئة والتقلبات الجوية والطقس والتقويم السنوي: [١١]

إن المعرفة التطبيقية للشراكسة فيما يتعلق بالبيئة، ونظرتهم الكونية، وملاحظاتهم للطقس والفصول وتقويمهم الزمني، كانت معرفة متقدمة قياسا مع الشعوب القديمة الاخرى، فقد قسم الشراكسة السنة إلى فصلين هما: الفصل الحار والفصل البارد، وكل من هذين الفصلين يتضمن فترتين هما: **الفترة الحارة فصلي الربيع والصيف، والفترة الباردة في فصلي الخريف والشتاء. كما قسموا السنة زمنيا لاثني عشر شهرا. وكل شهر يتكون من ثلاثين يوما. كما قسموا السنة إلى أربع دورات وكل دورة منها تسعين يوما ومجموع ايام السنة ثلاثمائة وستين يوما. أما الأيام الناقصة التي تتكون منها السنة الحديثة فقد كانت من خمسة إلى ستة ايام وهذه الأيام لم يحسبها الشراكسة، واعتبروها أياما للعبادة والصلاة وممارسة الطقوس الدينية، وهي الأيام الأولى من كل عام جديد تبدأ مع بدء الحصاد، ويوم عودة الحصادين من الحقول للامتثال (بالهتهم) (سوزاريش وكوردم وتشاشخوغافاز) وغيرهم كما كانوا يحددون الفترات الزمنية للفصول بواسطة (فاجوبا) وهي إحدى مجموعات النجوم الثابتة أو الأبراج "وهو برج الثور".**

ولا تزال هنالك دلائل تعبيرية لغوية تظهر في اللغة الشركسية المعاصرة مثل قولهم "**لقد خرج فاجوبا من الأرض**" ويعنون بذلك وقت الاعتدال الربيعي، " **لقد عاد فاجوبا إلى الأرض**" ويعنون بذلك وقت الانقلاب الشتائي. حيث كان يحدد التغيير من فصل إلى فصل بهذه الطريقة.

فالسنة الشركسية كانت تبدأ في وقت الاعتدال الربيعي ويصادف (٢١-٢٢ آذار حسب التقويم الحديث). كما كان يتم تعداد الاشهر بدل تسميتها حيث كانوا يقولون: الشهر الاول للربيع، الشهر الثاني للربيع وهكذا. مع ذلك كان هناك أسماء شركسية لأشهر السنة. فعلى سبيل المثال كانت تطلق الصفات التالية على

شهر تشرين الثاني (نوفمبر): الشهر الثالث للخريف، الشهر الاخير من الخريف، وشهر إحضار التبن وشهر إلحاق الخراف بالقطيع وشهر الصيد الخ.

ومن المميزات الدقيقة لمعارف الشراكسة عن احوال الطقس هو تمييزهم (الاربعين يوما الاشد حرارة) في السنة في الفترة الحارة من السنة، والاربعين يوما (الأشد برودة) في السنة في الفترة الباردة من السنة، حيث كان الشراكسة يستخدمون كلمة (شلة) للتعبير عن هذه الفترات الاشد حرارة والاشد برودة في السنة، والتي يتكون كل منها من أربعين يوما. ففترة (الشلة) الحارة كانت تبدأ بعد خمسة وعشرين يوما من الانقلاب الصيفي يصادف يومي (٢١-٢٢ حزيران حسب التقويم الحديث). أما (الشلة البادرة) فقد كانت تبدأ بعد خمسة وعشرين يوما من الانقلاب الشتائي يومي (٢١-٢٢ كانون الاول حسب التقويم الحديث).

وفيما يلي تحليل للاحوال الجوية والتغيرات المناخية وعلاقتها بأشهر السنة اولا وبتأثيرها على الزراعة والفلاحة والرعي ثانيا:

شهر آذار ويسمى غاتخة مازه وفيه يبدأ التحول من الفترة الزمنية الباردة إلى الفترة الزمنية الحارة بقدوم الاعتدال الربيعي. وشهر (آذار) هو بدء العام الجديد بالنسبة للأديغة، حيث كانت تقوم كل أسرة شركسية بتقديم اضحية من المواشي، وهي في العادة تكون من الخراف أو الماعز. هذا في العصور الوثنية، أما فيما بعد ذلك فقد أصبحت الاضحية عبارة عن (دجاجة سوداء) فقط. وكان من العادة أن يسهر الشراكسة للاحتفال بليلة السنة الجديدة. ويمنع الاطفال من النوم عن طريق تسليتهم بالألعاب المختلفة. وفي الشهر الاول من الربيع (آذار) اعتاد الشباب على تقديم المسرحيات وتمثيلها وكان من اشهر المسرحيات التي تقدم في هذا الشهر مسرحيتا (خوروما) و (دجور جاغو).

شهر نيسان ويسمى (ملاخوة مازة)

بمعنى شهر الرعي (الضأن أو الخراف) وكان يعرف أيضا بأنه (الشهر الذي يأخذ معه الخراف الهرمة) كما انه الشهر الذي تبدأ فيه الأعشاب بالنماء. وعندما كانت تهب ريح الربيع (زي غو)، كانت العلائلات الشركسية القديمة تضرب أشجار الفاكهة بالعصي وهي تنشد (أدخل.. تفضل يا إلهي وسيدي) حيث كان من المعتقد بأن الضرب سيؤدي إلى حمل الاشجار للفاكهة كما كان يقوم فيه حفل ديني يسمى (اودزيبسيج) حيث كان الناس يتراشقون بالأعشاب المبللة كما كان أصحاب الاملاك يضربون مخازن الحبوب واسطبلات الخيول وغيرها بالعصي اثناء العواصف الرعوية الربيعية وهم ينشدون: (الرعد يزأر) ثم يقومون بضرب المخازن والاسطبلات حيث كان من معتقداتهم في زمن الوثنية بأن ممارسة مثل هذه الطقوس تؤدي إلى سنة خير فيها غلال وحصاد جيد.

*** شهر آيار ويسمى (فاغة مازة)**

ومعناها خروج الغنم للرعي، كما كان يتم فيه الطقوس الدينية وهو شهر الصلاة، أما فترة الشروع في الحصاد فقد كانت تعتمد على قدوم الربيع باكرا او متأخرا. وكان يقام احتفال ديني كبير بمناسبة بدء الحصاد، حيث تقدم الاضاحي، وتقام الصلاة الكونية والعروض المختلفة.

ومن أكثر الاحتفالات اثارة ما كان يسمى باحتفال (عودة الحصادين من الحقول) حيث كان الممثل الرئيسي في الاحتفال هو (الجدي الراقص) (اجيغافة) كما كان الاحتفال يستمر لمدة أسبوع او اكثر، يقوم الشراكسة القدماء فيه بإقامة سباقات الخيل، وألعاب الفروسية، وسباقات رمي الأهداف، والغناء ومباريات الرقص.

وجرت العادة أن يعود جميع الحصادين من الحقول جماعة واحدة، فأي حصاد لم ينه حصاده لأي سبب كان، كان يجد المساعدة من زملائه لإنهاء ما بدأ به.

*** شهر حزيران ويسمى شهر (غة مافه مازة)**

وهو بداية الصيف الذي كان يعتقد الشراكسة فيه بأن (فاجوبا – برج الثور – ينظر فيه إلى الحصاد). ولم يكن هذا الشهر شهر طقوس واحتفالات كثيرة كباقي الشهور. ولكن إذا حدث ان مر وقت طويل دون هطول امطار وحدوث جفاف ومحل، كان الناس وخصوصا النساء والاطفال يحملون الدمية المسماة (حانسي جواسا) إلى الأميرة ويصبون مياه فوقها. وكانوا يقدمون أضحية للآلهة ثم يَجرَّون جلد الأضحية حول القرية وهم ينشدون الأدعية للآلهة لكي تبعث لهم الامطار، أما البالغين فكانوا يذكرون أدعية كثيرة ويسرعون إلى الغطس في المياه للاستحمام فيها وهم بثيابهم كاملة.

كما كان الاهتمام بالمزروعات هو الشغل الشاغل في هذا الشهر بالنسبة للشراكسة. وأطول أيام السنة كان يأتي خلال هذا الشهر ايضا. وكان الشراكسة يستخدمون العبارة التالية لوصف هذه الايام حيث كانوا يقولون: (في فترة الظهر في هذه الايام لا يوجد هناك ظل يستظل به كلب خلف العربة) وبمعنى آخر (الشمس كانت تحدث الظل الأقصر في هذه الايام).

*** شهر تموز ويسمى ايضا (غاتخه مافه مازة)**

وفيه تبدأ (الشله) الصيفية، أي الاربعين يوما الأشد حرارة في السنة وتأتي عادة في منتصف هذا الشهر، حيث كانت الحبوب تمتلئ بسوائلها الغذائية والمائية وتصل إلى أعلى وزن لها في هذا الشهر. وكان أصحاب الأراضي والفلاحون يراقبون بانتباه شديد النباتات لكي يتأكدوا من ان الشعير والشوفان والقمح لن تصاب بالمرض الذي يسمى (السخام) وإذا حدث وان وجدوا هذا المرض كانوا يعالجونها بسائل مكون من الرماد.

*** شهر آب ويسمى (مقوبوه مازة)**

وكان الشراكسة يسمون هذا الشهر ايضا (شيشحة). وتعني رأس الحصان. ويعتقد كبار السن من الشراكسة بأن اسم هذا الشهر قد اخذ عن حقيقة أن الخيل في هذا الشهر كانت تقوم بدفع وابعاد الذباب عن أجسادها لحماية نفسها من الحرارة بواسطة تحريك رؤوسها إلى الاعلى وإلى الاسفل. وكانت الخيول تحفظ داخل اسطبلات مظلمة خلال هذا الشهر استعدادا لرحلاتها في الخريف. حيث كان يستغرق إعداد الخيول لرحلات الخريف أكثر من شهر. حيث كانت تغذى وتروى ويتم إخراجها إلى الهواء الطلق كل صباح ومساء ويتم تنظيفها باستمرار. وبعد مرور الوقت كانت الخيول المغذاة جيدا تدرب على القفزات القصيرة، وتقاد إلى جداول المياه سريعة الجريان ويتم تدريبها على الأراضي الصلبة وصعبة التضاريس ويعدون خيولهم ويؤهلونها لتصبح قادرة على تحمل رحلاتها الخريفية الطويلة الشاقة.

*** شهر أيلول ويسمى (جاغوه مازة):**

يقول قدماء الشراكسة عن هذا الشهر "حتى كلابنا تتحول إلى أشخاص آدمية في هذا الوقت" بمعنى انه لم تكن هناك قوى عاملة بشرية كافية لجميع المهمات التي يجب إنجازها، حيث كانت مساهمة كل عامل ذي أهمية كبرى. فإذا كان الحصاد جيدا ووفيرا كان الشراكسة يدرسون الكمية الكافية من الحبوب لكل اسرة لمدة سنة كاملة فقط، أما بقية الحصاد فقد كانوا يحولونه إلى اكوام بحيث يجعلون السنابل في داخل هذه الأكوام. وكان الشراكسة يقدمون عشر الحصاد إلى الفقراء والضعفاء كصدقة أو هدية، ولكن قبل ان يتم توزيع العشر كان يقام احتفال كبير خاص لها، حيث كان يتم اعداد الطعام من الحصاد الجديد ويقوم كل فرد في الأسر والعائلات بتذوقه، وبعد ذلك كان يتم تقديم الصدقة كعمل خير، وجرت العادة ان يضع الشراكسة عشر الحصاد جانبا، وبالاضافة تقديم رأس واحد من كل اربعين

من الماشية بجميع أنواعها والتي تولد كل عام كهدايا وصدقات للفقراء والضعفاء. كما كانوا يقومون خلال شهر أيلول باحتفال ديني آخر وهو احتفال (إنزال المنجل).

*** شهر تشرين الاول (ويسمى شواغوا مازا)**

كان العمل في الحقول ينتهي في هذا الشهر، وكان سكان جميع القرى الشركسية تشارك في الاحتفالات والصلوات التي تقام لتمجيد الإله (سوزاريش) وكان يستخدم ساق شجرة الزعرور البري التي يبقى عليها سبع فروع لإقامة الاحتفال بالإله (سوزاريش) تحتها، حيث كان يحفظ الساق في الاسطبلات حتى يحين موعد الاحتفالات. فإذا ما أتى ذلك الوقت كان الساق ينظف، ويغسل بالحليب، ويؤخذ في موكب احتفالي إلى منزل الاسرة ويوضع في منتصف الغرفة. وكانت تعلق على اغصانه قطع الاجبان الطازجة، وعدد من الشموع التي كانت تشعل، وكان جميع افراد الاسرة ومن يزورنهم من الضيوف الذين أتوا لتقديم التهاني بالعيد يرقصون حول جذع الشجرة هذه. وكانت تقدم الاضاحي في شهر تشرين الأول. كما كان الشراكسة يحتفلون بعيد آخر وهو (تحاشوا جواماج) والتي تعني (الاتحاد بالإله الاعظم) حيث كان كل فرد منهم يقوم بالصلاة المرافقة بالرقص والحركات المختلفة، كما كانت تقام مسابقات في الغناء والرقص بين الكبار والصغار بهذه المناسبة.

*** شهر تشرين الثاني ويسمى (مقوشه مازا)**

كما كان يطلق على شهر تشرين الثاني عدة أسماء اخرى منها (آخر شهر في الخريف) أو (الشهر الذي يتم احضار القش فيه) او (الشهر الذي تلحق به الخراف إلى القطيع) أو (شهر العيد). واهم ما يميز هذا الشهر هو رفع الحظر عن الصيد حيث أن الاجيال الجديدة من الحيوانات البرية والطيور قد وصلت سن النضوج في هذا الشهر ويمكن السماح باصطيادها. كما كان يتم فيه الاستعداد لقدوم الشتاء. بإحضار القش من الحقول، واعداد الاخشاب اللازمة للبناء والوقود، وأما

اصحاب خلايا النحل فقد كانوا يضعون خلاياهم في اماكن خاصة تسمى (نيشيش). لحمايتها من برد الشتاء.

وفي هذا الشهر كانت تذبح الخرفان والماعز وتؤخذ لحومها وتخزن للشتاء. فبعض اللحم كان يتم تجفيفه وأما البعض الاخر فقد كان يتم تخليله بماء شديد الملوحة. وحتى رؤوس الماشية المذبوحة كان يتم تخليلها للاستعمال في الشتاء. كما كان شهر تشرين الثاني هو شهر عقد احتفالات الزفاف وتبدأ فيه أسر جديدة بالتكون.

*** شهر كانون الاول ويسمى (شمافه مازا)**

كما يسمى هذا الشهر (ديغاغزا) فكلمة (ديغا) معناها شمس، و (غازا) معناها يتغير او يلف، وتتميز أيام شهر كانون الاول بأنها الاقصر في أيام السنة، وفيها تعود (فاجوبا) إلى باطن الارض. ويصبح الجليد اكثر قساوة، ويقول الشراكسة بأن (الشمس قد ذهبت إلى منزلها الشتوي) ويقضي الشراكسة الامسيات الطويلة لأيام كانون الاول بالاجتماع في مجالس الضيافة في منازلهم حيث يتسلون بعضهم البعض بسرد الأقاصيص، وانشاد الاغنيات البطولية، وباللعب وبالترفيه عن أنفسهم بشكل عام. كما كانوا يبنون قلاعا ثلجية ويجرون (معارك ثلجية) بين الشباب والفتيات حيث كانت تشارك في هذه الاحتفالات جميع المستويات الاجتماعية من الشعوب الشركسية – الامراء، والفلاحين الاحرار، الرجال والنساء والاطفال. كما كان يتم فيه تبادل الأسرى او يتم اعتاقهم. وقد وصف الكاتب (خان غيري) مثل تلك المعارك الثلجية الصورية في المنتصف الأول من القرن التاسع عشر.

*** شهر كانون الثاني ويسى (شيمافه – كو/ ماذا)**

كان الشراكسة يقضون أوقاتهم في شهر كانون الثاني بنفس الطريقة التي كانوا يقضون فيه الشهر السابق له، فإذا كان استعدادهم لفصل الشتاء كافيا ووفيرا، كانوا يقضون شتاء مريحا خاليا من الهموم، ولكن اذا كان هناك جفاف ومحل فقد كانوا يعانون من شتاء قاس شديد، وبعد أن يستقر الجو الجليدي البارد بشكل تام وكامل، كان الشراكسة يحضرون الأخشاب من الغابات لغايات البناء، كما كان الشهر شهرا للصيد وللعب الأطفال في الهواء الطلق. فقد كان الاطفال يضعون الطواقي فوق رؤوسهم ويلعبون على الجليد، ويتزحلقون باستخدام ما يسمى (الاشين). وهو نوع من الزلاجات. وفي الشتاء كانت الفتيات والنساء يشغلن انفسهن بالاعمال اليدوية الفنية وبالتطريز بالخيوط المصنوعة من الذهب.

شهر شباط ويسمى (شيمافة / كئه (شأة) مازا)

وهو اشهر الاشهر في السنة وكان الشراكسة من المناطق الغربية يسمون شهر شباط (الشهر الذي يغيظ) وكثير منهم يسمونه (الشهر ذا اللغة البذئية). حيث تنتهي فترة (الشله) اي الأشد برودة في السنة ما بين (٢٥-٢٦ شباط)، ويتبعها مباشرة ما يسمى (باطراجوز). حيث يقول الشراكسة بأن (باطراجوز) حالما يشاهد (الشله) الشتوية فإنه يحز في نفسه بأن اصبعه الصغير لا يصل إلى حد إبهام (الشله). وعندما يحين هذا الوقت في شهر شباط فإن صوت خطوات الكلاب تبدو وكأنها اصوات حوافر الخيول من ضخامة قرقعتها، أما أصوات حوافر الخيول فإنها تتضخم مئات المرات. ومع ذلك فإن البرد يكون على وشك الانتهاء بالرغم من انه لا تزال هناك موجات من الانجماد الشديد، وبالرغم من تساقط الثلوج والبرد خاصة ثلوج من النوع الخفيف الناعم جدا. وهذه دلائل على قدوم الربيع. وخروج (فاكوبا) من باطن الأرض وقد انفصل البرد عن الدفء. وقرب موعد السنة الجديدة حيث اعتاد الشراكسة قولهم لبعضهم السنة جديدة وسعيدة [٣١].

رابعا: معارف دقيقة حول الاوزان والقياس والمكيال [١٠]

عرف الشراكسة منذ القدم وحدات مختلفة من (المكاييل والأوزان)، كما عرفوا وحدات القياس قبل استخدام النظام المتري عالميا. وأصبحت المكاييل وموادها من المواعين والعصي والاشرطة مادة تراثية تشاهدها على رفوف العرض في المتاحف الشركسية، وتزدان بها بعض أركان البيوت او المنازل أو في محلات العرض التي تبيع الادوات القديمة (الانتيكة).

وكان من اكثر وحدات القياس استخداما منذ عصر الاجداد هي:

* **قَب:** وهي وحدة كيل للمواد الجافة، وهذه الوحدة تقابلها عند العامة الكيس أو الخريطة وكثيراً ما كنا نسمع عبارة (فوشوغ قب) أي كيس سكر، ومن المفيد أن نذكر أن اليونانيين استخدموا الوحدة نفسها، وتسمى عندهم (قب) أيضا وتعادل هذه الوحدة عندهم ٢٠ كغم تقريبا.

* **ساغ Saghe** وهي وحدة كيل للمواد الجافة ايضا وهذه الوحدة من اكثر الوحدات شيوعا في العالم الإسلامي، تقابل وحدة (الصاع) وهي وحدة قياس عربية (مكية المنشأ).

* **أرشن Arshen** وهي وحدة قياس للطول، وتعني الذراع و(الارشن) تعني باللغة الفارسية الذراع، والشراكسة يسمون كل مائة أرشن بـ (ساجنا) والمعروف أن هذه الوحدة فارسية الاصل.

* **جرون Joron** وهي وحدة كيل للوزن، وهي معروفة عند الشراكسة منذ القدم، ومن المفيد ان نذكر ان تجار البندقية كانوا يستخدمون الوحدة نفسها ويسمونها بـ (الجرون) وهي تعادل ما زنته (١٦٢كغم) عند أهل البندقية اما عند الشراكسة فتعادل (١٥٢كغم).

* **زالة Zaleh** ، وهي وحدة قياس للطول عند الشراكسة، وتفيد بعض المصادر أن الخليفة العباسي المأمون كان قد استحدث وحدة قياس للطول أسماها (ازالة).

* **بزمن Bezmen** ، وهي وحدة كيل للوزن وتلفظ ايضا "بتمن" وشاع استخدامها في مدينة قازان ويقال أن السيد (حسن اوزدن) من سادة التركمان استحدث وحدة أل (بتمن) ويمثل أل (نوغي) أو أل (نوق) جزءا منه وكل ١٢ (نوق) يساوي واحد (بتمن) إلا اننا لا نعرف مدى العلاقة بين (البزمن، والبتمن) أو هل (البزمن) نتيجة لتحريف لفظ (البتمن) أم العكس.

* **شتفر Shtefer** ، وهي وحدة قياس اصغر من (الارشن) وكل أربعة (شتفر) تساوي (أرشن) واحد ومن الجدير بالذكر ان (الشتفر) يترجم إلى (الفتر) ولكن الفتر في اللغة الفارسية وحدة وزن ليس وحدة طول.

* **أفراكه Afrakeh** ، وهي وحدة قياس للطول وتقابلها وحدة الذراع المقصرة عند الشعوب الاسلامية بشمال الاناضول وعند الشراكسة كل (١٢ افراكه) يسمى قوراغ Koragh .

* **بجه يز Bejeh yez وأداقه بجه Adaqha Bejeh** هما وحدة كيل للسوائل، فالاولى اكبر من الثانية ويستدل ان الاولى تماثل وحدة الكيل المعروفة (بالقدحة) التي تعادل لتراً واحداً تقريباً، أما الوحدة الثانية فتقابلها وحدة الكيل المعروفة في العالم الاسلامي (بالكيلة).

* **كيه Kaih** وحدة قياس للسوائل وهذه الوحدة تعادل (البرميل) ومن المفيد ان نذكر ان البرميل الذي سعته (٤٥) لترا يسميه الانجليز بـ (كيج).

نستنتج مما تقدم بأن الشراكسة كانوا منفتحين على العالم كما كانوا على اتصال بالمدنيات والحضارات التي كانت تجاورهم في شمال القفقاس [١٠].

خامسا: الثقافة العرفية العلمية المتقدمة حول التصنيع لدى الامة الشركسية

عرف اجداد الشراكسة العديد من الصناعات وتفوقوا فيها منذ الالف الثالثة قبل الميلاد حسب رأي العالم الروسي الاثري (فاراماكوفكسي) الذي وجد في عام ١٨٩٧ مقبرة في (مايكوب) تدل موجوداتها على المستوى الرفيع الذي كان قد وصلت إليه الحضارة الشركسية في التصنيع المبكر في التعدين عامة والحديد خاصة والأواني التي وجدت في هذه المقبرة تدل على الفن المتميز للشراكسة وهي الأواني الفضية المنقوش عليها رسومات والتي تدل على المستوى المتقدم للأمة الشركسية في ذلك العصر [١٢].

ولإلقاء الضوء على مدى تقدم المعارف العلمية في مجال (التصنيع) عند اجداد الشراكسة، كان لا بد من الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع الأثرية للتعرف على مستوى هذا التقدم وهو المستوى الذي تدل عليه الحقائق التالية:

الحقيقة الاولى: عثر ضمن (لقيات) وحفريات (مايكوب) على بقايا (مشغل لصب المعادن) كما عثر على انتاج هذا المشغل من: الفؤوس والخناجر والحلي والازرار ذات الاشكال الدائرية والاطوال.

الحقيقة الثانية: وصل التقدم الصناعي عند اجداد الشراكسة إلى قدرتهم على طلاء سطح الاواني بسائل، مكنهم من عمل زخارف ونقوش جميلة عليها مثل (الكشاكش والاكاليل مثلثية الشكل). الخ.

الحقيقة الثالثة: تفوق اجداد الشراكسة بالصناعات المتعلقة بالذهب، واصبحت لديهم مهنة (الصياغة) من المهن المشهورة في القفقاس عامة وعند الشراكسة خاصة، حيث يقول حول ذلك العالم الروسي (أ. أ. ابسين) ان المواد الاثرية التي وجدت في مقابر (مايكوب) تسمح لنا بالقول بأن انتاج اجداد الشراكسة من الخلاخل، وحلق الاذن، والاسوار، والخواتم من الذهب تدل على انهم كانوا (صائغين) مهرة منذ منتصف الالف الثالث ما قبل الميلاد. [١٣]

الحقيقة الرابعة: يقول العالم الاثري (شانتر) في كتابه (مباحث سرية في القوقـــاز) بأن ادوات الزينة التي وجدت في حوض نهر كوبان ونهر ترك تثبت بأن المنـــاطق القوقازية عامة، والمناطق التي كان استوطنها اجداد الشراكـــسة خاصـــة، كانـــت السياقة في استعمال المعادن في الصناعات اليدوية منذ الالف الرابعة والثالثة قبـــل الميلاد [١٤].

الحقيقة الخامسة: يؤكد علماء الآثار الروس منهم عامة والاوروبين خاصة وعلـــى رأسهم العالم الفرنسي (مورجان) بأن صناعة الاسلحة كانت منتشرة في المجتمعات الشركسية منذ القدم، وان منطقة (الاديغة) كانت مركزا لمحترفي صناعة الاســـلحة على اختلاف انواعها، وان هذه الصناعة كانت صناعة يدوية، وان اكثر الاســـلحة تصنيعا كانت الاسلحة الدفاعية مثل: الخوذة والدرع والقميص المعدني (المـــدرع) والقفاز المعدني لحماية الذراع والكوع و(الطبنجة) (المسدس) والسيف الشركـــسي، كما انهم توصلوا إلى اسرار صنع (ملح البارود) [١٥]

الحقيقة السادسة: يؤكد علماء الآثار الروس منهم والشراكـــسة، بـــأن الحفريـــات العديدة التي أجريت في مناطق مختلفة في بلاد القفقاس الشمالية، في الاعوام ما بين (١٨٩٨ وعام ١٩٠٩) بأن اجداد الشراكسة عرفوا اسرار الصناعات اليدوية التـــي كانت سائدة في كل عصر من العصور الحجرية منها والمعدنية، وانهم اســـتخدموا المواد الطبيعية التي كانت موجودة في كل عصر، ففي العصور الحجرية استخدموا الحجارة على اختلاف انواعها في صناعة الفؤوس، والقاما، والمناجـــل، والـــسهام، والمحاريث والاسوار، كما استخدموا في هذه العصور الطين والفخار في صـــناعة الاواني والادوات المنزلية.. الخ.

وفي العصور المعدنية اســـتخدموا النحـــاس والفـــضة والـــذهب والحديـــد والقصدير والبرونز في صناعة ما يحتاجونها مـــن ادوات والآت واجهـــزة مثـــل: العربات ذات العجلات تجرها ستة ازواج من الجياد، بالإضـــافة لـــصناعة أنـــواع

مختلفة من المعدات الحربية من سيوف وقامات، ودروع.. الخ. وكذلك صناعة جميع الادوات المنزلية، ومن حلي الزينة والتماثيل، وانهم اخترعوا في فترة مبكرة من الالفية الثالثة ما قبل الميلاد (الابرة) العاجية اولا، ثم (الابرة) المعدنية، والامشاط وغيرها من الادوات في وقت لم يكن أي شعب من شعوب الارض يعرف مثل هذه الصناعات البسيطة.

الحقيقة السابعة: عرف اجداد الشراكسة اسرار صناعة الغزل والنسيج، وان هذه الصناعة بدأت في الألفية الثالثة ما قبل الميلاد وخاصة الصناعات المتعلقة بالانسجة الصوفية واستخدموها في صناعة السجاد، وفي صناعة حياكة الملابس باستخدام خيوط الحرير، ويقول حول ذلك المؤرخ العربي الكبير (المسعودي) بأن أمة (الكشك) ويقصد بها (الامة الشركسية) كانوا يصنعون أنواعاً من الثياب من نبات (القنب) كما اشتهرت نساؤهم في مراحل لاحقة في نسج الاقمشة بأنواعها، وابدعوا في نسج اقمشة العباءات من خيوط اللباد، كما اشتهروا في اشغال المخرز ونسج الاقمشة من القطن والكتان والحرير، وان انتاجهم من صناعات النسيج وصلت من الاتقان حتى اصبحت تصدر إلى بلاد القرم، وروسيا وإلى بعض الدول الاوروبية منها ايطاليا [١٦].

بالإضافة إلى ما تقدم من حقائق حول معرفة اجداد الشراكسة للاسرار العلمية والصناعية فإن اساطير الشركسية تدلنا ايضا على مدى معرفة هذا القوم للمعادن عامة وللحديد خاصة وأن من اشهر الآلهة لديهم في زمن الوثنية كان إله (الحدادة) ويسمى باللغة الشركسية (لبش). وهو إله الحديد الشركسي، وإذا حللنا اسمه فنجد بأن (اللام) مقربة للتاء وتعني (رجل) وكلمة (بش) تعني (النفخ) والحداد هو رجل ينفخ النار دائما حتى يرفع حرارتها. وبذلك تعني هذه الكلمة (الرجل الذي ينفخ النار) وهي الصفة الأكثر شيوعا والأهم في عمل الحداد، وهي رفع درجة الحرارة عن طريق النفخ، أما كلمة (حداد) فتأتي بمعنى (غُجل) أي (الرجل

الحداد)، وهكذا فمن خلال تحليل رموز الميثولوجيا فإننا نستطيع التأكيد على ما سبق ان تحدثنا عنه من ميزات هذه الحضارة في عصر البرونز المبكر.

الحقيقة الثامنة: توجد اسماء المعادن في اللغة الشركسية كأسماء أصيلة فيها وغير دخيلة عليها، حيث تدلنا على أسبقية الحضارة الشركسية بالصناعات المعدنية وأن أسماء المعادن مثل (غُوبل) وهو النحاس و(غُواف) وهو القصدير (غُج) وهو الحديد وكذلك (تجن) أو (دجِن) وهو الفضة واخيراً (دشه) وهو الذهب.

كما نستنتج من التحليل اللغوي لهذه الاسماء بأن اجداد الشراكسة عرفوا اسرار صهر هذه المعادن حيث نجد في اسماء المعادن العادية (الحديد والقصدير والنحاس) بتكرار الحرف المشترك الذي اصبح جذرا في مجموعة الاسماء هذه وهو حرف (غُ) ويعني باللغة الشركسية الشيء (اليابس الجاف) وربما كان يعني (فلز المعدن). أما بقية المقاطع فهي على النحو التالي (بل) تعني الساخن – و(وافَ) تعني السماء و(جِ) تعني الأرض، وهكذا تصبح معاني هذه المعارف على النحو التالي:

- النحاس (غوبلَ) وهو المعدن الساخن من منطلق عمليات صهره وصبه في قوالب.
- القصدير (غُوافَ) وهو معدن السماء وهو نفس المعنى الذي اطلقه السومريون على هذا المعدن.
- الحديد (غُج) وهو معدن الأرض.

أما المعادن الثمينة ففيها الجذر (د) أو (ت) فالحرف الاول بمعنى (الأب) والثاني بمعنى (العطاء) بمعنى (ت + ج + ن) أي بمعنى (العطاء + القديم + حرف مصدري) وهي بمعنى العطاء القديم أو وفاء الدين، ولا شك أنه استخدم كعمله لتقدير القيمة ووفاء الديون حسب ما تعنيه الكلمة، اذ نلاحظ مدى اصالة وقدم هذه

التسميات في اللغة الشركسية وهذا يتوافق مع ما اكده المؤرخون من اسبقيات هــذه الشعوب في حضارة الانيوليت والبرونز واكتشاف معدن الحديد. (١٧)

الحقيقة التاســعة: توصل بعض القبائل من اجداد الشراكسة إلى أســرار صــناعة القوارب والمراكب الشراعية التي تتسع إلى (٣٠٠) راكب من قبيلة "حانوخ" وكانوا يتجولون فيها في البحر الأسود كما كانوا يصلون إلى شواطئه الغربية.

مصادر ومراجع الفصل الثاني من الجزء الثاني في المجلد الثاني

١- آبري دي لاموتر، رحالة فرنسي، **تجول في بلاد الشراكسة في القرن الثامن عشر وكتب عن عاداتهم ومعارفهم وثقافاتهم.**
٢- جركس، مصطفى حسن، **التربية الشركسية**، عمان عام ص: ٧٢-٧٤.
٣- آبه زاو، محمد جمال صادق – مصدر سابق، ص: ١٥٥.
٤- فياض، جوهرة يحيى، **لمحات من الطب الشعبي الشركسي في الأردن**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان.
٥- فاخرتيف، بلانش، "التنجيم"، **مجلة الواحة**، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان ١٩٩٠، العدد (٤٧)، ص: ٩.
٦- رشدي، راسم، **الشراكسة صفحات من تاريخ مصر الحديث**، القاهرة، ١٩٤٨، ص: ١٧.
٧- بج، منذر، **الأصول الشركسية في اللغة السومرية**، حلب – سوريا عام ١٩٩٥.
٨- نغموقة، مصدر سابق، **موجز تاريخ الشركسي**، ص: ٣٤
٩- انسوقة، نزار، **علم الفلك عند الشراكسة**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية/ عمان العدد (٥٢) السنة (٢١) تموز ١٩٩٣، ص: ٢٤.
١٠- شقمان، هادي، **المكاييل ووحدات القياس عند الشراكسة**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، ص: ٢٥.
١١- قردن، لينا، **التقويم الشركسي التاريخي**، مجلة نارت، مصدر سابق، العدد (٥٢) سنة (٢١) اصدار شهر تموز عام ١٩٩٣، ص: ١٩-٢٢.

١٢- فارماكوفسكي، آثار مايكوب، ١٨٩٧.

١٣- أ. أ. ابسين، عالم أثري روسي، **مكتشفات مقابر مايكوب.**

١٤- سانتر، **كتاب مباحث سرية في القوقاز** ١٨٩٠.

١٥- مورجان، المجلد الاول، ص: ٢٠٨.

١٦- المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ص: ٢١٠.

١٧- سمكوغ، برزج، **الشركس في فجر التاريخ**، مصدر سابق، ص: ٢٢٢.

الفصل الثالث

البُعد المعماري وفن الزخرفة في حضارة الأمة الشركسية

(١) نشأة وتطور فن هندسة العمارة لدى الشراكسة:

يؤكد علماء الانثروبولوجي بأن الانسان (الآشولي) ظهر في القفقاس في العصر الحجري القديم الأدنى منذ ٨٠ ألف سنة قبل الميلاد، حيث دلت الآثار في مدرجات الأنهار في شمال القفقاس، بأن أول استيطان بشري بشكل مكثف كان في الفترة الاشولية، وأن مجموعة الصيادين وقاطفي الثمار (الآشوليين) أجداد (الأبخاز والآستين والاديغة في الكوبان) سكنوا على مساحات مختلفة من القفقاس الشمالي وعلى ارتفاعات متعددة وتأقلموا في المواقع الجبلية المكسوة بالغابات.

كما يؤكدون بأن (الآشوليين) كانوا مستقرين نسبيا في مساكنهم، حيث استوطنوا (المغاور والكهوف) واضطروا أثناء ذوبان الجليد للهجرة من الأماكن المرتفعة والنزوح للاماكن اكثر انخفاضا والتي بدت أكثر كثافة في السكان.

يقول المؤرخ (جيمس بل) بأن شعوب شمال القفقاس قد شاركت في بناء أول الحضارات البشرية بعد خروجها من العصور الحجرية القديمة، حيث بدأ يبني المدن ويشكل دويلات ويكون الحضارة التي سميت بالحضارة (المدنية) نسبة إلى المدن الاولى التي تشكلت في ذلك العصر[١].

وفي الفترة ما بين (٨) الاف سنة وحتى (٦) الاف سنة ق. م. بدأ الانسان القفقاسي في التعامل مع الحجر باستخدام (الحلج والثقب والتنعيم)، واستطاع في هذا العصر استخدام الطين (نصف المشوي) في بناء جدران المنازل والمواقد داخل البيوت.

كما يشير علماء الانثروبولوجي والاثار بأن انسان عصر الحجري الحديث تميز بعدة مزايا تدل على بدايات نشأة الحضارات، وأن أهم ما تميز به هذا العصر هو:

(تطور فن العمارة والدخول في عصر البناء الحجري). [١]

ونستدل على هذا التطور في فن العمارة من الحقائق التالية:

(١) **تم اكتشاف هضاب (قازبك) وهو بناء كبير** ينسبه بعض المنقبين إلى شعب (مه ؤت) كما وجدوا بناء آخر وراء نهر الكوبان يسمى (سينتا). كما تذكر بعض الروايات الشركسية القديمة بأنه كان يوجد على ضفاف نهر (ملقا) مدينة قديمة تدعى (مالقاله)، كما كان يوجد بين نهري (شكم وباقسان) بقايا قلاع وحصون ما زالت خنادقها واسوارها ظاهرة للعيان، ولم يتمكن المؤرخون من تحديد زمن إنشائها او القوم الذين أنشأوها لقدم تاريخ أنشائها.

كما وجد في الجهة المطلة على الجبل المرتفع القائم على الضفة اليمنى من نهر (باقسان) ست درجات عظيمة منحوتة في الصخر تؤدي إلى فتحه في الجبل، حيث يوجد سلم صخري منحوت من الجبل يقود إلى اعلاه، كما وُجدت هناك بعض الآثار القديمة التي تدل على ان اجداد الشراكسة هم الذين قاموا بنحت تلك الدرجات الصخرية.

كما تؤكد المكتشفات الاثرية، بأن اهتمام اجداد الشراكسة لم يقتصر على بناء البيوت السكنية وغيرها من المباني والمنشآت التي كانوا يستخدمونها منذ فجر التاريخ بل انهم وجهوا اهتمامهم لبناء القلاع والاقبية والسدود مثل (سد القفقاس العظيم) كما ابدعوا في تشييد المقابر الفردية والجماعية.

(٢) **تطور فن العمارة وبناء المساكن** في مرحلة حضارة (كوراراكس) حيث تم بناء البيوت بشكل صفوف فوق بعضها على المنحدرات الجبلية، وكان البيت الواحد مجزءاً إلى قسمين ودائري الشكل بقطر (٥-٦)م، وفيه (جرار) فخارية، وحفر مطمورة في الأرض للتخزين، كما استخدمت في هذه الفترة قوالب الآجر في البناء وطليت بالطين من الجهتين. [٢]

(٣) **وفي الالف الثانية قبل ق. م** وكنتيجة طبيعية للزيادة في انتاج المحاصيل الزراعية عامة ومحصول القمح خاصة، قام اجداد الشراكسة ببناء مستودعات لحفظ الحبوب وهي التي كانت تقام على شكل حفر عميقة في باطن الأرض، كما ظهرت في هذه الفترة (المساكن الصيفية) لاضطرارهم الانتقال بالحيوانات صيفا إلى المراعي الجبلية النائية بعيدا عن المساكن الدائمة في السهول.

(٤) **ومن بين المكتشفات الاثرية التي ذكرها** (أنفيموف) تلك التي وجدت في المناطق التي كان يسكنها (السنديون) وقبائل (المئيوت) من اجداد الشراكسة في المناطق المنخفضة من حوض نهر (الكوبان) وشبه جزيرة (تامان) بمحاذاة شواطئ البحر الاسود وحتى موقع مدينة **(انابا) موقع لمدينة قديمة**، عرفت باسم مدينة (الاخوة السبعة Seven Brothers) وتقع على سبعة تلال من الضفة اليسرى لنهر الكوبان، ويوجد على هذه التلة (حتى اليوم) مقابر نبلاء السنديين الذين عاشوا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. وسبق أن ازدهرت هذه المدينة واصبحت مركزا اقتصاديا وسياسيا هاما في القرن الخامس قبل الميلاد، كما كانت محاطة ومحمية بجدران عملاقة وابراج عالية، اطلق عليها بعض المؤرخين (الكواكب السبعة) للدلالة على مدى ازدهارها وتألقها مثل الكواكب السماوية [٣].

(٢) العوامل التي اثرت على فن تصميم بناء المساكن الشركسية:

إن الباحث في فن العمارة الشركسية يجد بأن اكثر من عامل كان له تأثير على تحديد شكل بناء البيوت لقدماء الشراكسة، وعلى المواد المستخدمة في هذا البناء... ومن هذه العوامل هي:

الأول: العامل الاجتماعي:

يؤكد علماء الاجتماع بأن شكل البيت وتصميمه تأثر كثيرا بالنظام الاجتماعي واسلوب حياة الشراكسة، حيث يقول احد الباحثين الاجتماعيين بأن البيوت القفقاسية كانت تعكس طبيعة الحياة الاجتماعية لديهم من عادات وتقاليد واعراف وانها كانت تلعب دوراً رئيسياً في تحديد مواقع الجدران، والأبواب، والنوافذ، وعدد الغرف وعلاقتها مع بعضها البعض.

وباحث آخر يؤكد بأن البيت الشركسي يعكس الوضع الاجتماعي للشراكسة فالبيت الرئيسي مكون من ثلاث أو اربع غرف، تمتد بشكل طولي، وأمامها مظلة مرفوعة على اعمدة خشبية، والمطبخ الواسع هو المكان الرئيسي لمعيشة الاسرة، حيث يلحق به قسم للنوم يستعمله الخدم او صغار السن، وهناك غرفة خاصة لرب العائلة او كبيرها، وغرفة أخرى مخصصة للضيوف، وثالثة خاصة بالوالدين أو الاولاد المتزوجين، اما الابنية الفرعية فكانت تشمل زرائب (الحلال) ومشغل لتلبية احتياجات المنزل ومستودعات للحبوب، واما المرحاض فكان موقعه بعيداً نسبياً خارج البيت الرئيسي، وغالبا ما كان يوجد مرحاض مخصص لاستعمال الضيوف[٤].

وباحث ثالث يؤكد بأن تصميم البيوت الشركسية كان انعكاسا وتجسيدا لنمط الحياة المميزة عند شعب "الأديغة" فتصميم الغرف، وإقامة الجدران، وتحديد مواقع الأبواب والشبابيك، وكذلك المواقع الخاصة بالموقد، تلقي ضوءا جديدا على العادات والتقاليد التي كانت سائدة.[٥]

وفي كل الاحوال، فإن معظم الباحثين في فن العمارة لدى الامة الشركسية وهو الفن الذي بدأ منذ عهد اجداد الشراكسة في مراحل ما قبل فجر التاريخ... أقول بأن معظمهم يؤكدون بأن العوامل الاجتماعية من عادات وتقاليد واعراف

كانت تحدد اسلوب التصميم العام للبيوت السكنية للعائلات الشركسية عامة وفي بلاد المهجر.

عوامل مناخية:

لما كانت بلاد الشراكسة في الوطن الام بلاداً باردة جدا شتاء، وحارة في الصيف في السهول وعلى سواحل البحر، فإن تصميم البيت الشركسي كان متأثراً بالعوامل الجوية، من حيث مراعاة شدة البرودة في الشتاء والحرارة في الصيف، لذلك نجد البيوت الشركسية القديمة مصممة من جدران سميكة وشبابيك صغيرة قليلة العدد وغرفها تتصل ببعضها من خلال ابواب داخلية.

عوامل امنية:

عاش اجداد الشراكسة واسلافهم في حروب دائمة مع الاعداء من داخل القفقاس وخارجه، ولا شك بأن هذه الحقيقة كان له دور واضح في اسلوب وطريقة تصميم البيوت الشركسية من حيث مواقع انشائها واسلوب التصميم الذي يضمن سهولة التحرك، من وإلى البيوت، في حال حدوث غزو او هجوم حيث كان تصميم بناء البيوت في مثل الاحوال على شكل (كتل) متراصة مكونة من (٤٠-٦٠) بناء مرتبطة ببعضها بممرات مشتركة على شكل مربع أو دائرة ذات بوابة واحدة فقط للدخول والخروج. [١٠]

العوامل الطبيعية:

وتتمثل بطبيعة المواد المتوفرة في البيئة المحيطة لمناطق سكن الشراكسة في القفقاس وخارجه. كما كان تصميم المنزل يتأثر ببعض القيود الفنية والبيئية. فالطول المحدود للخشب المعالج يحبذ الشكل المستطيل، مستغنين في ذلك عن الحاجة إلى الوصلات الخشبية كما تأثرت بمواد البناء المتوفرة في البيئة المحيطة من حيث توافر الحجارة او عدمها او توافر انواع معينة من (الطين).

(٣) معالم فن هندسة العمارة لدى الشراكسة:

ربما كان للتطور السريع للصناعات الحديدية والمعادن الملونة الأخرى اثر مباشر على رفع مستوى البناء، حيث ساعد على تغلغل وانتشار المهن والتخصص في انواع البناء.

كما يقول (جلوقة) حول المواد المستخدمة في البناء بأن بيوت الشراكسة في القفقاس كانت تبنى بشكل رئيسي من هيكل خشبي متين، جدرانه من أغصان الاشجار الطرية المشغولة بشكل متداخل، كما هو الحال في صناعة السلال من القصب، وتتطلى الاغصان بطبقات من الطين الصلصالي، ويغطى السقف بالاعشاب التي تُرتب فوق بعضها البعض بحيث تمنع تسرب مياه الامطار، وكان هذا النموذج من البناء سائدا في المناطق السهلية، اما في المناطق الجبلية والمرتفعات فكان البناء يتم باستعمال الحجارة والطين مع الابقاء على الخشب كمادة حاملة للسقوف وفتحات الابواب والشبابيك.(١٦)

ويعود سبب هذا الاختلاف في بناء بيوت الشراكسة، كون الجبال كانت اكثر امنا من المناطق السهلية المعرضة للغزوات والحروب، التي كثيرا ما ادت إلى انتقال قرى بأكملها إلى مواقع جديدة، كما كان البناء باستخدام الجذوع والاغصان اكثر سرعة، اضافة إلى ما تؤمنه من حماية ضد عوامل الطبيعة كما اصبح لدى الشراكسة خبرة في تصنيع الاسيجة والجدران من الاغصان الطرية، بالإضافة إلى استخدامها في صناعة مخازن الغلال والعربات التي تجرها الثيران، كما كانت بعض البيوت تصنع من جذوع الاشجار بالكامل، وتغطى بسقف من القش الجاف او قطع الخشب الرقيقة.

استمر البناء بهذه الطريقة خارج القفقاس أيضا كلما توفرت المواد وسمحت ظروف البيئة بذلك، وهناك نماذج من هذه البيوت نجدها في قرى بجنوب الاناضول في تركيا.

كما أقام الشراكسة في الأردن بيوتهم حسب النظام المعماري الذي كان سائدا في بلادهم الاصلية والذي كان يلائم أسلوب معيشتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، غير انهم غيروا في اساليب البناء بشكل تدريجي وبما يتلاءم مع البيئة المحلية وتوفر مواد البناء. وفي عمان مثلا استعملوا الحجر في البناء بشكل رئيسي، حيث كان متوفرا بكميات كبيرة لوجود الاثار الرومانية كما استغلت بعض حجارتها بشكل جزئي في البدايات الاولى بعد اضافة اجزاء تكميلية كالسقوف الطينية المحملة على جذوع اشجار السنديان. [١٦]

(٣) معالم فن هندسة العمارة لدى الشراكسة:

نستنتج من نشأة وتطور فن العمارة لدى الأمة الشركسية منذ عصر الاجداد وحتى العصر الحديث، بأن فنهم المعماري كان مميزا في اكثر من مَعلم او مجال، وان هذا الفن تمثل في تصميم المباني والمنشآت الشركسية التالية:

- **بيوت السكن الشركسية والمرافق الملحقة بها:** مثل الحظائر ومستودعات التخزين، مداخن التدفئة (الونجاق).
- **المضافات المعروفة باسم (حاشش) .**
- **السدود والقلاع والابنية.**
- **اماكن العبادة من كنائس واديرة ومساجد.**
- **المقابر والأضرحة لدى قدماء الشراكسة.**

وفيما يلي وصف للفن المعماري المستخدم في كل منشأة من تلك المنشآت.

أولا: تصميم بيوت السكن والمرافق الخدماتية:

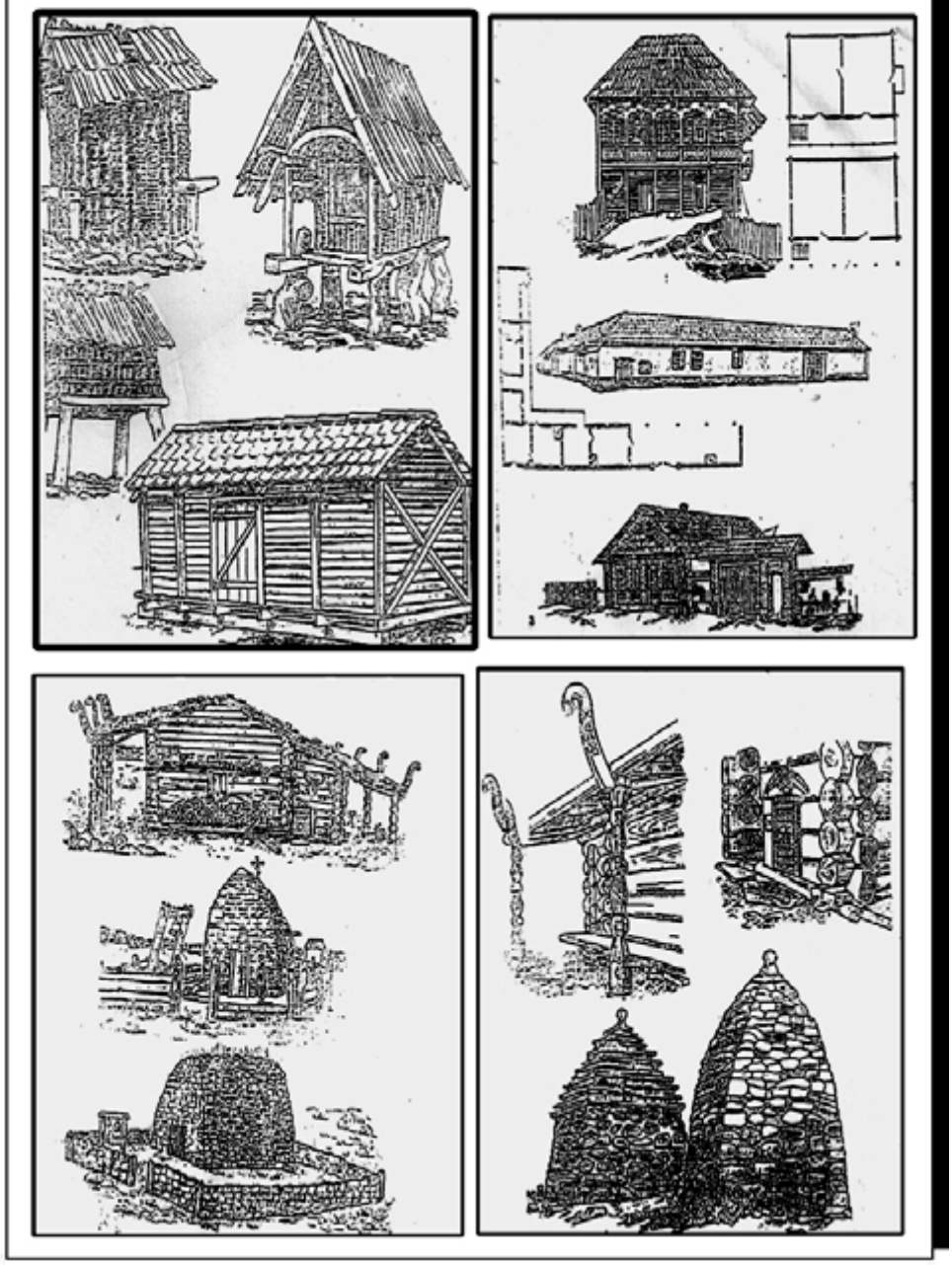
تنوعت تصاميم البيوت؛ ففي المناطق السهلية، كانت المباني الخشبية هي الانموذج السائد، ونظرا لصعوبة حماية القرى في بلاد منبسطة، جرى تصميم المباني على نحو يسهل فيه هدمها عند استشعار خطر ما، ثم نقل الخشب إلى مكان آمن وإعادة البناء. وفي المناطق الجبلية الآمنة نسبيا، استعمل الحجر في بناء

الجدران، أما السقوف فكانت من الأخشاب، في المناطق المعرضة للهزات الارضية، استعمل الخشب لتدعيم الجدران ضد الهزات.

وفي القرن الثامن عشر ظهر احد أنماط البناء الجديد، وعلى شكل مستطيل، وبطول يتراوح ما بين (٨–١٠) أمتار، وبعرض (٣) امتار. وقد شيدت الجدران من الاغصان المجدولة السميكة، وكسيت بالطين على الجانبين، واقيم سقف من العوارض الخشبية الخفيفة، وغطي بعشب طويل، او بسيقان نباتات جرى شدها وضغطها بشكل محكم للحيلولة دون تسرب المياه. وقُسم البيت إلى عدة غرف، منها غرفة صغيرة للبنات وأخرى للاولاد. وكان ربّ البيت يعيش عادة في غرفة مستقلة، ذات جدران مزينة بمجموعة من الاسلحة، والسيوف، والخناجر، وسترات الدروع، والقوس والنشاب.

وفي بعض أجزاء بلاد الشركس، استعمل اللبن (الطوب) المخلوط بالقش الناشف لبناء الجدران كتصميم مختلف. وباستعمال اللبنات المتماثلة ثم ضمان التساوي في سماكة الجدران، والشكل المنتظم للأبواب والنوافذ. وكانت عملية بناء الجدران سهلة بعض الشيء، واستغرقت وقتا قصيرا في إتمامها. وطُليت الجدران بطلاء ابيض من الداخل والخارج، ليس فقط لأسباب جمالية، بل لمقاومة الرطوبة والمياه ايضا. وكان طلاء الجدران يُعاد بين الحين والآخر لغاية المحافظة على منظرها نظيفا. وكان السقف مصنوعا من عوارض خشبية ملفوفة بشكل جيد، مأخوذة من جذوع الاشجار الضخمة، ومغطاة على نحو منسق تماما بسيقان القصب. وكانت الجسور الأفقية مدعومة بأعمدة خشبية مربعة ذات رابط خشبي في الأعلى، بهدف ربط العوارض فيها، ولأغراض تدعيم الجوانب أيضا، وصممت الرافدات الخشبية بشكل يمنع انزلاق الدعامات. وكانت الشرفة الممتدة على طول البيت، مدعمة بأعمدة خشبية من جذوع الأشجار [٤].

اللوحة رقم (١) تمثل تصاميم معمارية مختلفة، استخدمها أجداد الشراكسة في بناء البيوت السكنية منذ عصر ما قبل التاريخ



تطور تصميم البيوت الشركسية:

تطور بناء البيوت السكنية الدائمة حيث أصبح البيت مقسما إلى غرف خاصة مفصولة عن بعضها بجدران، ومتصلة مع بعضها بأبواب وكاريدورات. وكانت تصمم بشكل يحافظ على دفء البيوت في الشتاء وطراوتها في الصيف كما كانت جميع غرف البيت مرتبطة مع بعضها بأبواب داخلية إلا غرفة واحدة تتصل بالرّواق (الكردور) وكانت هذه الغرفة هي غرفة الضيوف، وتحاذي هذه الغرفة غرفة المعيشة، مع نافذة صغيرة بينهما لتمرير الطعام منها أمّا المدخنة المقامة قرب الحائط المشترك، فتدفئ الغرفتين، وتُبقي الطعام ساخنا. وأما المطبخ فكان واسعا ويحتوي على الفرن الخاص بالخبز، كما كان يستخدم كغرفة معيشة للعائلة. وحُفرت ثقوب فيها لتدفئة الغرفة المجاورة لها، كما أُلحق بالمطبخ غرف للخدم ولنوم الاطفال(٤). وفي مراحل لاحقة استخدم النبلاء والأشراف والأغنياء من طبقة الاحرار بعض الزخارف المعمارية في تجميل واجهات مساكنهم الخاصة.

انواع البيوت الشركسية:

ابتكر الشراكسة اكثر من نوع من البيوت وذلك حسب المواسم وطبيعة اعمالهم في الحقول والمراعي. ومن اهم انواع هذه المنازل (البيوت) هي:

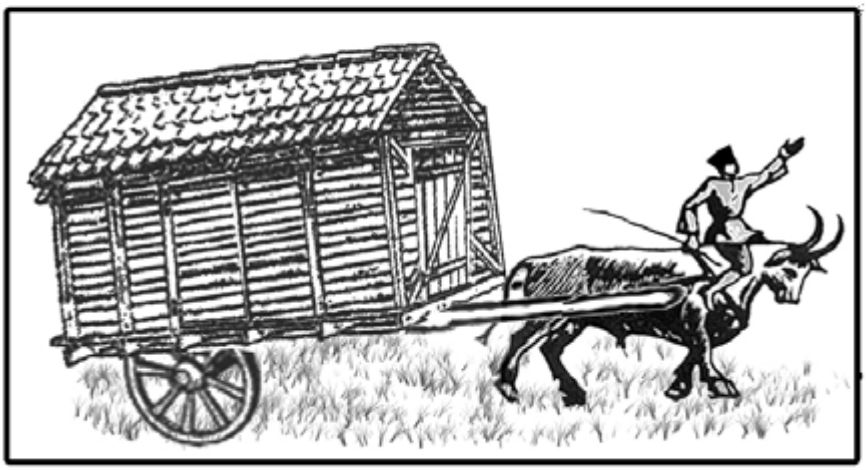
المنازل الشتوية:

بنى قدماء الاديغة ابراجا حجرية للسكن ذات قاعدة رباعية (٨×١٠م) أما الارتفاع فقد يصل إلى (١٢) م من الحجر الرملي او الحجر الكلسي مما هو متوفر في البيئة، وهي منحوتة، وعرضها من الاسفل حوالي متر واحد. وفي وسط البناء يوجد عمود تقارب مساحة مقطعه في الأسفل ٣/٤م٢ ثم يصغر المقطع بالتدريج مع زيادة في الارتفاع لتخفيف الحمولة، وهذه الاعمدة هي الدعائم الحاملة لأرضية كل طبقة من البناء، والدرج الذي يقود إلى الطبقة الاولى من البناء يبتدئ من الخارج، اما الوصول إلى الطوابق العلوية فيتم بواسطة سلم خشبي عريض.



اللوحة رقم (٢)

وتمثل نماذج من البيوت المتحركة والمتنقلة، والبيوت المبنية فوق الاشجار (وهو اسلوب استخدم زمن الحروب في العصور القديمة).



سطح البناء: كان سطح البرج مكونا من طين مسطح مائل بعض الشيء لجريان ماء المطر أو انه مقبب.

- وهناك أبراج حجرية تلاصق الأبراج السكنية ولها نوافذ صغيرة لإطلاق السهام أو لإطلاق العيارات النارية منها، وأحيانا يوجد برج دفاعي مقابل كل أربعة أو خمسة أبراج سكنية. وهذه الابراج كانت منتشرة في وسط القوقاز وخصوصا منطقة البروز. ولا نصادف مثل هذه الأبنية البرجية في أي مكان آخر في القوقاز.

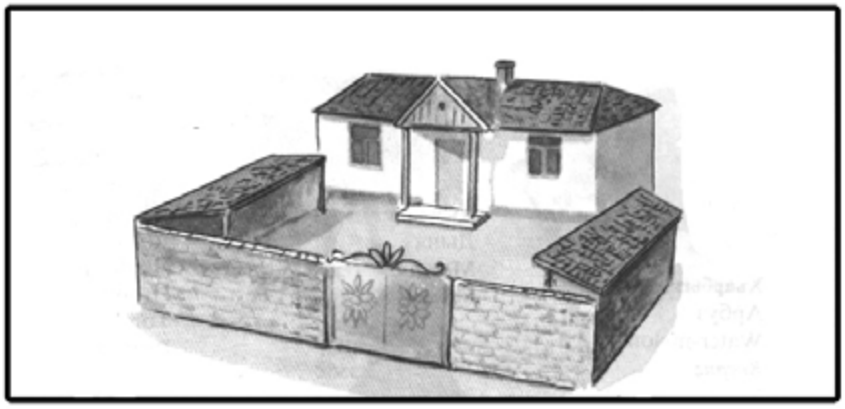
المنازل الصيفية:

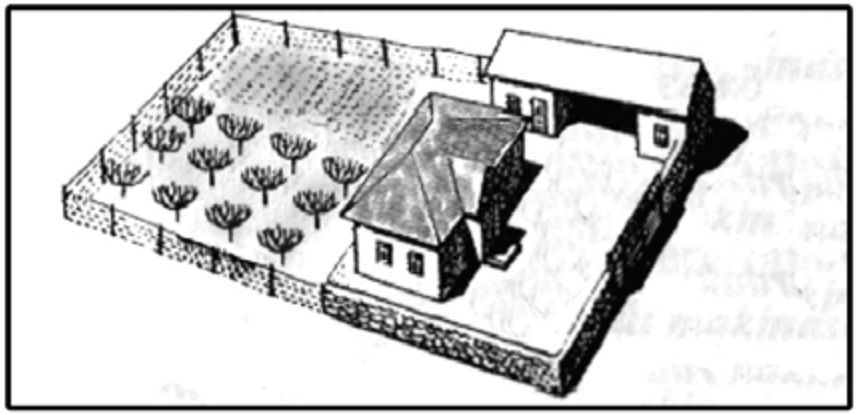
وكانت تبنى على جبال يتراوح ارتفاعها (١٢٠٠-١٦٠٠م)، وتحيط بها بعض الحقول يبذورنها في فصل الربيع، ثم يصعدون إلى الجبل حيث يقضون فصل الصيف، ثم يهبطون إلى الوادي بعد فصل الحصاد. وكانت هذه البيوت مستخدمة كمنازل مؤقتة (موسمية) وهي مبنية من الحجر والخشب [٥].

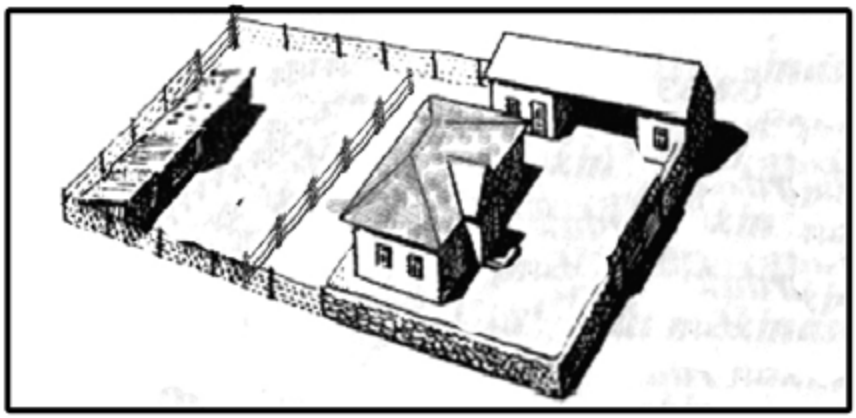
تصميم شرفات البيوت الشركسية

كان يصمم الرواق كمدخل وواجهة، بتصميم ومظهر مميز فحسب، بل أيضا كشرفة خارجية تؤدي إلى جميع الغرف، وهو الجزء الأقل خصوصية في البيت، ولأنه كان مكشوفاً جزئيا، فقد كان يستخدم كغرفة معيشة في الصيف. وفي البيوت المحاذية، توافر (رواق) عام في كل منها. أما المرحاض، فمكانه بعيد نسبيا عن البيت الرئيسي، وفي العادة، كان يُجرى ترتيب ملائم لاستعمال الضيوف. وكانت المنطقة المحيطة بالبيت مزروعة بالدخن والقمح. [٤]

اللوحة رقم (٣)
تمثل نماذج معمارية استخدمها الشراكسة في وبناء بيوتهم القرن التاسع عشر



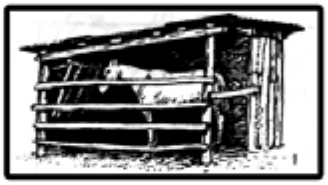




اللوحة رقم (٤)
تمثل نماذج من المرافق الخاصة بالحيوانات الأليفة والملحقة بالبيت الشركسي



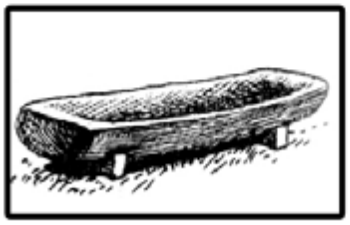






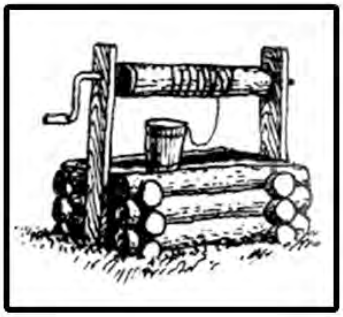




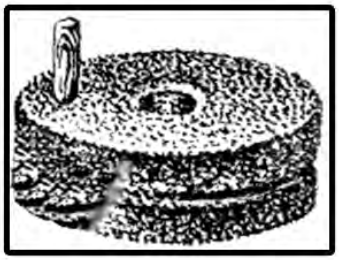


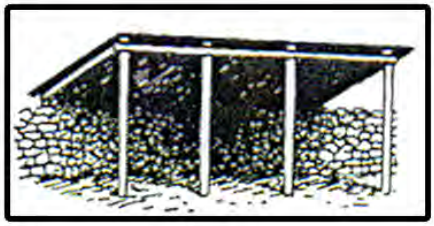
اللوحة رقم (٥)
وتمثل نماذج من مرافق الخدمات العامة الملحقة بالبيت الشركسي













تصميم مساكن الفلاحين الشراكسة:

كان يتم تصميم سقوف من الألواح مغطاة بالقضبان الملفوفة بالقش، ومخروطية الشكل، وكانت جميعها تستخدم كمساكن لفقراء الفلاحين في غابر الأزمان. (٤)

تصميم المداخن (الونجاق) الشركسية:

تعتبر المدخنة (الونجاق او الوجق) من المتطلبات الاساسية لكل بيت شركسي منذ عهد الاجداد في عصور ما قبل فجر التاريخ وحتى العصر الحديث، كما تعتبر من المتطلبات الاساسية للبيت الشركسي النموذجي منذ عصر الاجداد في الوطن الأم.

والمدخنة او المدفئة اليوم يطلق عليها الشراكسة اكثر من اسم، وربما كان ذلك الاختلاف في الاسماء يعود لاختلاف اللهجات بين القبائل الشركسية ومن اكثر الاسماء المستخدمة في اللغة الشركسية هي (الونجاق او الوجاق او الجنيوقة) ومهما اختلفت الاسماء، فإن شكلها وتصميمها كان متشابها ولا يوجد بينها اختلافات رئيسية.

وقديما كان يوجد (ونجاق) واحد رئيسي في كل بيت شركسي، ومع مرور الزمن اصبح يقام في كل غرفة واحدة منها، وكانت تصنع من الاغصان المتشابكة ومغطى بالطين من الداخل والخارج وبها قطعة خشبية على ارتفاع متر وربع المتر عن موقع النار، وتعلق بها حلقة حديدية تحمل آنية الطبخ، وفي المطبخ كان يوجد فرن خاص لعمل الخبز به فتحات خاصة لإيصال حرارة الفرن إلى احدى الغرف المجاورة حسب الحاجة، والمدفأة كانت تستعمل لغايات التدفئة أو الطبخ وبها اماكن خاصة من الداخل لتجفيف الجبن الشركسي واللحم المقدد. ومن الخارج لها نتوءات من الطين توضع لغايات تجميلية أو لوضع بعض الادوات مثل مصباح الزيت الذي كان يستعمل للانارة. وكانت سماكة الجدران مع قلة الفتحات فيها عاملا مهما في

الحفاظ على الحرارة داخل البيت دافئا شتاء وباردا صيفا، واستعمل الخشب في تقوية الجدران ضد أية حركات جانبية إذ كان لدى الشراكسة خبرة في التعامل مع الزلازل وخاصة في بلاد المهجر.

ويقول بعض الدارسين لتطور تصاميم (الونجاق) بأن النموذج الاصلي قد تغير مكان وجوده في البيت، ومكان إقامته حيث أصبح يثبت في وسط الجدار الداخلي او الخارجي او في الزاوية وعلى شكل مثلث. كما وُجد نوع آخر من المواقد في البيوت القفقاسية كان يستخدم للطبخ وللتدفئة في آن واحد.

ودارس آخر للونجاق الشركسية يؤكد بأنها تختلف في تصاميمها واماكن اقامتها من بيت لآخر ومن بيئة لأخرى. وهي ربما تتواجد في غرفة واحدة من غرف المنزل أو في اكثر من ذلك، أما الغرفة التي يجب ان تبنى فيها فهي غرفة المطبخ الشركسي المعروفة باسم (بيزيتش Pizich) وتبنى الونجاق عادة على صدر إحدى حوائط البيت الأربعة أو على حائطين أو في احدى زواياه. وربما كانت (الجنيقوات الشركسية) القديمة كما تظهرها الرسومات التراثية كانت دائرية الشكل تتوسط الغرفة او تكون قريبة من أحد الجدران مع بناء صغير فوق ارض الغرفة بضعة سنتيمرات بشكل حافة دائرية لمنع تناثر الرماد والاحطاب في الغرفة، ويغلق فوقها بناء من جسم (قمعي) الشكل دائري الفتحة، واسع من الاسفل ويضيق كلما ارتفع إلى الاعلى، ومادة البناء كانت عبارة عن اغصان متشابكة اشجار معينة تتحمل اللي والتشكيل، وهي نفس الاغصان المستعملة في بناء صندوق العربة الشركسية المعتادة، ويتم اخراج نهايتها الضيقة من فتحة مناسبة فوق سطح الغرفة، وهو ما يعرف باسم (الوجق) في اللغة الشركسية أي المدخنة.

نموذج

الونجاق أو الجينوقة عند الشراكسة منذ القدم من النوع المعلق وسط الغرفة



اما طريقة بنائها في بلاد المهجر عامة وفي الأردن خاصة فكانت تأخذ شكلاً مستندة بظهرها إلى جدار واحد أو جدارين معا بهيكل من قصبات نبات القصيب الجاف والمجدولة معا بخيوط المصيص القوية، بطريقة مماثلة لتشكيل الهياكل الحاملة للاسقف والسطوح. وكان البعض يقوون هذا الهيكل بتدعميه ببعض العوارض الخشبية. وبعد ذلك تجري عملية تغطية لهذا الهيكل من الخارج والداخل بمزيج من الطين والتبن، ويتم اخراج طرف بناء الوجق (المدخنة) وفوهته من خلال السقف إلى ارتفاع مناسب بحوالي ٧٠سم. وكان البعض يلجأون لتلبيس الطرف الخارجي من (الوجق) فوق السطح بوعاء معدني من (التنك) لغرض حمايته من عاملي الريح والامطار.

وجرت العادة ان يثبت (الوجق) وجسمه على ارتفاع مناسب يتراوح بين ٥٠-٨٠سم من سطح ارض الغرفة. وربما تم وصله بأجنحة جانبية من طرفيه بأرضية الغرفة، كما يتم غالبا بناء رف او اكثر في واجهته الامامية، وتدق المسامير المعدنية أو الخشبية على مقدمته وواجهته من الداخل والخارج لتعليق مختلف الادوات المنزلية عليها. وربما تمد عوارض معدنية او خشبية من جهة إلى أخرى لتستطيع تحمل الادوات ذات الاوزان الثقيلة [١٧].

مكان (الونجاق) وقدسية النار لدى قدماء الشراكسة

تشير الدراسات، بأن النار كان لها اهمية غير عادية في معتقدات الشراكسة القديمة، حيث تشير بعض الاساطير بأن اثنين من ابطال هذه الاساطير عوقبوا اشد العقاب بسبب محاولاتهم إحضار (النار) إلى النارتيين او استعادتها لهم. **والبطل النارتي الاول** هو (حُمربي) الذي تجرأ على سرقة (غصن مشتعل من نار الإله) شبت عندما ضربت صاعقة جذع شجرة، فغضب عليها الإله. وعاقبه بتقييده إلى قمة صخرية على جبال القفقاس. **والبطل الثاني** وهو الاحدث في الروايات

الاسطورية الشركسية وهو زعيم النارتيين المنتخب البطل الحكيم المسمى (نسرن جاكاة) والذي حاول استعادة شعلة النار المقدسة من أحد الآلهة الاشرار المسمى (بقوة) أي البليد او الغبي والذي كان قد اغتصبها وصادرها من النارتيين إثر إحدى فورات غضبه عليهم دون وجه حق. فزاد غضب ذلك البليد الغبي (بقوة) على الزعيم (نسرن جاكاة) فأمسكه وقيده وثبته على صخرة في قمة جبل (البروز) وأطلق عليه نسرا لتعذيبه، وقد حاول بعض النارتيين فك اسر زعيمهم، ولكنهم فشلوا في ذلك، فاجتمع مجلس النارتيين وكلفوا البطل الاسطوري النارتي (بادينوقا) بهذه المهمة، فقام بمهمته خير قيام وبكل سهولة بعد ان قتل (نِسر) (بقوة) الضخم الذي كان يحجب الشمس وينشر الليل عند فرده لجناحيه، وبعد ان قتل (تنينه) الضخم ايضا. فملأ الخوف قلب (بقوة) وولى هاربا، وهكذا انقذ البطل (بادينوقا) الزعيم (نسرن جاكاة) واستعاد النار ثانية للنارتيين، وتذكر رواية اسطورية شركسية ثالثة نفس القصة ولكنها تقول ان اسم البطل المخلص للزعيم (نسرن جاكأة) هو (خيميشيقو باترز) وليس (بادينوقا) وتشابهة هذه الاسطورة الاغريقية التي تحكى قصة سرق النار من آلهة الاغريق ليهديها للبشر مما تسبب في فرض عقوبة عليه مماثلة للعقوبة التي تعرض لها الزعيمين البطلين الاسطوريين الشركسيين (نسرن جاكأة) و (حُمربي). ولكن اسطورة (بروميثيوس) الاغريقية تبدو اكثر حداثة منهما.

ومن العادات الاسطورية القديمة لدى الشراكسة قبل دخولهم الاسلام بزمن طويل، أن العائلة الشركسية التي تستطيع المحافظة على تصاعد دخان (الجنيقوة) عبر وجاقها طوال العام دون ان تنطفئ جذوة نارها او يبرد، تقوم بتقديم قربان من ذبائح البقر أو الغنم تسمى (قربان جذوة النار)، وإذا كان القربان المقدم دجاجة اسموها (دجاجة جذوة النار)، وذلك تعبيرا عن شكرهم لله وحمدهم له على نعمة دوام اشتعال النار في (جنيقوات) بيوتهم. ومن الغريب انهم اسموا موعد تقديم

القرابين (بيوم عودة الروح إلى الارض)، واختاروا لذلك تاريخا محددا وهو يوم ٢٢ آذار (مارس) من كل عام، وهو يوم الانقلاب الربيعي السنوي وهو رأس السنة الجديدة لدى اجداد الشراكسة. (١٧)

نستدل على المكانة التي تحتلها (الونجاق) من العادة التي كانت متبعة لدى الشراكسة منذ القدم، وهي عادة تكريم الضيوف بدعوتهم للجلوس امامها والتمتع بدفئها، وهي العادة المتبعة في تكريم رؤساء الدول وملوكها في البيت الأبيض الامريكي أو في ١٠داوننج ستريت في لندن أو في قصر الاليزية في باريس وغيرها من قصور الضيافة المشهورة في العالم حاليا، بدعوتهم للجلوس مع رؤساء دولهم أمام المدفئة Fire Place كدليل على دفء العلاقات وهي نفس عادة التكريم الشركسية لضيوفهم الاعزاء منذ القدم.

أهمية (الونجاق أو الجنيقوة) والنار في التراث الشركسي

تشير بعض الاساطير الشركسية القديمة، إلى أنّ الشراكسة يدعون لبعضهم البعض بأن لا تنطفئ النيران او تخبو الجمرات في (جنيقوات) بيوتهم، ولما كان للنار اهمية قصوى وفوائد جمة في حياتهم، كما كان الشراكسة يحيون بعضهم بقولهم عبارة: (فلتحل في نارك البركة) وهي تحية كانت شائعة عند قدماء الشراكسة، بينما كانت عبارات (يا من نرجو ان يبرد موقده) أو (يا من نرجو ان تخمد نار جذوته) أو (يا من يوشكون أن يغسلوا موقدهم) هي لعنات كانت توجه إلى من يسيء إليهم كما كانوا يقسمون بالله الذي وهبهم النار بقولهم (أقسم بالإله صاحب ضياء هذا الموقد).

كما كان للجلوس امام (الونجاق) طقوس وعادات، منها عدم السماح بالتفوه بأية كلمات نابية او مسيئة.. أو ان القيام بأي فعل مشين ينافي الآداب او مخالفة العادات المرعية خلال جلوسه امام (الونجاق)، حيث لم يكن يغفر لمن يخالف مثل هذه العادات ويحاسبونه حسابا عسيرا من قبل التحمادات من كبار السن.

ثانيا: تصميم المضافات الشركسية:

يقول المؤرخ الشركسي (نغموقة) بأن المضافات الشركسية كانت تصمم وفق المعايير الهندسية التالية:

١- تشييد مجالس المضافات في مواقع بعيدة عن المساكن وعلى أطراف المدينة أو القرية خاصة عند شعب القبرطاي، لأسباب منها الرغبة في عدم تقييد حرية تحرك النساء في حياتهم اليومية بالقرية [١٣].

بينما كانت قبائل شركسية أخرى يسكنون القسم الغربي من شمال قفقاسيا تقيم المضافات في وسط مجموعة أكواخ (بيوت) في القرى أو المدنية لضمان حماية الضيف، وهي الحماية التي كان يجب توفيرها من قبل الشخص المضيف حسب العادات المتعلقة بالضيافة الشركسية.

٢- يتكون بناء المضافات على قاعة كبيرة تتسع لعدد كبير من رواد المضافة، وعلى غرف نوم كافية ومرافق صحية (وتكون عادة خارج المضافة) بالإضافة إلى تخصيص أماكن لتحضير الطعام، كما كان يلحق بالمضافة (حظيرة) خارجية لايواء خيول الضيوف.

٣- في مراحل لاحقة من حياة الشراكسة في الوطن الأم ظهرت مضافات عائلية خاصة. ملحقة ببيوت النبلاء والاحرار (الورق) يكون موقعها في الركن الابعد في حوش مسكن العائلة، ومجهزة بكل متطلبات الضيافة، من مكان للخدم، ومرافق خاصة للخدمات الضرورية، وأن هذا النوع من المضافات كانت منتشرة في المجتمعات الشركسية في بلاد المهجر عامة، وفي كل من تركيا وسوريا والأردن خاصة حتى منتصف القرن العشرين. [٦]

ثالثا: تصميم البيوت المتحركة:

لجأ الشراكسة في بعض مراحل حياتهم، وخلال تعرضهم للهجمات الهمجية والغزوات البربرية من الأعداء، إلى ابتكار بيوت (أكواخ) متحركة يسهل جرها بالثيران بعيدا عن ساحات الحرب.

ويقول بعض المؤرخين نقلا عن (هيردوت) بأن الشراكسة تعلموا بناء البيوت المتنقلة من (الحثيين) الذين كانوا يستعملون بيوتاً متنقلة على عجلات تجرها الخيول أو الثيران[٧].

رابعا: تصاميم السدود والقلاع والنصب التذكارية:

١- **بناء السدود:** ربما كان السد القفقاسي الكبير او (سور الكوبان) كما كان يطلق عليه بعض المؤرخين، وهو اكبر واعظم بناء تم تشييده في بلاد القفقاس منذ عصر الاجداد، واستخدم فيه فن معماري يشابه ما هو مستخدم في بناء الاهرامات الفرعونية في مصر... وتحدث عنه المؤلف الروائي الشهير (الكساندر دوماس) في المجلد الثالث الذي كتبه عن القفقاس، واورد نص رسالة ارسلت إليه عام (١٨٣٣) ميلادية من قبل شخص يدعى (ديستوشف مارلينسكي) يقول فيها:

"**ان ما يدعو إلى الاستغراب الشديد أن هذا السد يحوي صفات مما ذكرها المؤرخ (دنون) عن اهرامات مصر، وهو عدم وجود أي قوس فيه، ومع اني تعقبت جميع السراديب، حتى التي تصل إلى مراكز الجند وإلى منابع المياه، أو التي تشكل مجاري المياه إلى قلاع السد، فإنني لم اصادف فيها على أي اثر لانحناء كأقواس الاقبية. واستطرد قائلا:**

"**ومع أن ابواب بلدة (دربند) هي جزء متمم لهذا السور ذات اقواس، حيث انها جددت ورممت في زمن (كيسروا) ملك ايران، وسميت (باب الابواب).**

ولا شك بأن هذا السد القفقاسي قديم في بنائه كالأهرامات الفرعونية، لأنه انشئ في وقت لم يكن يصل فيه الفن المعماري بعد لبناء الأقواس والأقبية.

وذكر (دوماس) في مذكراته عن سياحته في بلاد القفقاس، بأن عرض السد كان باتساع يسمح بمرور العربات فوقه، وأن طوله كان يمتد من بحر الخزر إلى البحر الاسود ولمسافة تزيد عن ستمائه كيلومتر، وان قدم هذا السد العظيم، الذي قد يكون سابقا لبناء سد الصين العظيم، ومعاصرا لأهرامات مصر، تم بنائه على يد أجداد الشعوب القوقازية عامة والشركسية خاصة، وهو السر الذي كان يعزل شمال القفقاس عن جنوبه، والغالب انه بني في الفترة (٤٥٠-٤٥٤) قبل الميلاد وفي عهد امبراطور روما (مارتيان) حسبما يذكر (بارتولد) [١٠].

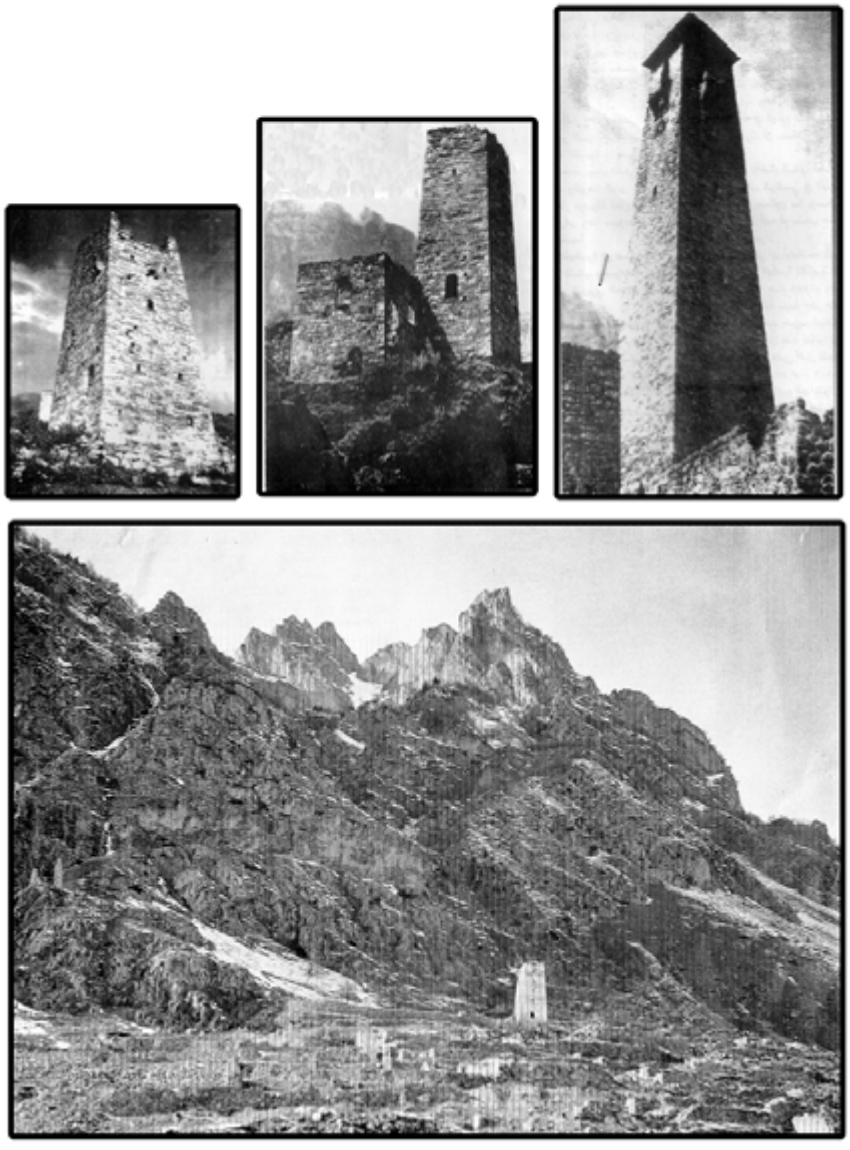
وكان الهدف من انشاء هذا السد او السور هو ايقاف أو الحد من زحف امواج الهجرات الوافدة إلى القفقاس في العصور القديمة..

(٢) **القلاع:** لم يكن الشراكسة من المهتمين كثيرا ببناء القلاع، وانهم لم يكونوا يهتمون في حروبهم بالقلاع، حيث كانوا يعتبرون الاختباء داخل القلاع جبنا.

إلا ان بلاد الشركس لم تخلُ من القلاع وان كان عددها قليل نسبيا، ومن أهمها تلك التي وجدت في بلاد الشراكسة وبالقرب من المجرى العلوي من نهر (شرك Shereg) حيث يلتقي به نهر المالقا، وهي المباني (القلاع) التي كان يسميها القبرطاي (جولات Djula)، وهذه الكلمة ناتجة كما يظهر عن اختصار (جورتيلا آنت – Joritla Ant) أي معبد الاخلاص والتعبد لشعب الآنت.

وجاء في الروايات القديمة انها بنيت من قبل الاجداد الاولين للشراكسة، وكانوا يتردون إليها بغية التعبد، والتوبة، والاستغفار، ولتقديم الضحايا، وتجديد الصداقة بين أخوين أو صديقين سبق أن وقع بينهما خصام او شجار او نزاع على ملك او نقض عهد، وغير ذلك من امور الدين والدنيا. حيث جرت العادة أن يذهب كل منهما إلى (جولات) حاملا معـــه قوسا وسهما، فمتى وصل إلى ذلـــك المكـــان

اللوحة رقم (6)
مواقع اثرية تمثل الفن المعماري الذي استخدمه اجداد الشراكسة في بناء القلاع العسكرية في الوطن الأم في شمال القفقاس



المقدس، قبض كل منهما على أحد طرفي السهم، وعاهد الآخر على ان لا يخونه او يؤذيه مستقبلا[١١].

(٣) **النُصب التذكارية:** عثر على عدد من النُصب الحجرية العامودية في اقصى الشرق حتى مناطق القبرطاي (كاباردا). ويزيد ارتفاعها على خمسة أمتار، وفي الجنوب الشرقي من قرية تشيغين التحتا، عثر على وجه (صنم) قديم على شكل حيوان داخل غابة عام ١٩٥٩، منحوت من كتلة كاملة من حجر (الباسالت) وبارتفاع أربعة امتار تقريبا، فمن المحتمل ان يكون تمثالا لأحد المعبودات المقدسة عند أسلاف أهل شمال غرب بلاد الشركس. [١٢].

خامسا: تصاميم اماكن العبادة من كنائس ومساجد:

من الملاحظ لدى المشتغلين بالآثار القفقاسية بأن بلاد الشراكسة تكاد تخلو من المساجد الكبيرة، وأن المساجد التي كانت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فإما جرى تدميرها في العهد السوفياتي، وإما لم تحظ بالعناية الملائمة للحفاظ عليها في مراحل لاحقة.

وبالنسبة للكنائس فهناك الكثير من بقايا الكنائس القديمة المبنية على الطراز اليوناني، يعود تاريخها إلى الحقبة المسيحية للأمة الشركسية. حيث عثر على صلبان برونزية قديمة في مواقع الحفر والتنقيب في أعالي نهر كوبان، وفي المناطق الواقعة بين هذا النهر ونهر تيبردا. كما ان التراث الشفوي عند الشراكسة يذكر أول نصب مسيحي أقيم في (كاباردا)، والذي جرى بناؤه قبل ١٤٠٠ سنة تقريباً. كما ان (ميزكور غان) وهي تلة عالية محاطة بالأشجار هو المكان الذي سكن فيه أول إسقف في بلاد القبرطاي، وهي تلة لا تبعد كثيرا عن مدينة نالتشيك عاصمة جمهورية كبردينا بلقاريا الاتحادية الحالية.

هذا بالإضافة لبقايا مساكن الرهبان والقسيسين والتي بنيت فوق تلال تسمى (اديوخ) في مناطق القبرطاي. كما أن بقايا مساكن (الخوارنة) الاغريق توجد في اكثر من مكان في بلاد القبرطاي [١٤].

وفي العصر الحديث، فإن شراكسة الوطن الام أولوا اهتماما كبيرا في بناء المساجد، خاصة بعد ان منحت سلطات روسيا الاتحادية حرية ممارسة العبادات، كل حسب ديانته، حيث تم تشييد اكثر من عشرة مساجد في الجمهوريات الثلاثة (كباردينا – بلقاريا، تشركيسيا – قراشي، اديغي). وربما كان اكبر هذه المساجد، واكثرها فنا وزخرفة معمارية هو المسجد الذي تم افتتاحه في يوم الجمعة ٢٠٠٠/١١/٢٤ الموافق ٢٨/شعبان/ ١٤٢١ هجرية في مدينة مايكوب، عاصمة جمهورية الاديغي في قفقاسيا، واطلق عليه اسم مسجد (مايكوب) الكبير برعاية رئيس جمهورية الاديغي (اصلان جاريموف) وحضور ولي عهد دولة الامارات العربية المتحدة، وحاكم امارة رأس الخيمة سمو الشيخ خالد بن صقر القاسمي حيث تم بناؤه بدعم من حاكم هذه الإمارة. وقد حضر الحفل جمع غفير من المدعوين في منطقة الاديغي ومن الخارج ومنهم مندوب الجمعية الخيرية الشركسية في الأردن.

تبلغ مساحة الجامع (٩٠٠) متر مربع، وهو مربع الشكل، وقام بتصميمه المهندس المعماري (الشركسي) عبدالله برسه (برسيقوة) وهو اول تصميم له في هذا المجال. ويتكون الجامع من طابقين، إضافة للطابق الأرضي.

يتكون الطابق الأرضي من صالة كبيرة تتسع لحوالي (١٠٠) شخص، وهي مزودة بكراسي متحركة (غير ثابتة)، اما أوجه استخدامات هذه الصالة فهي كثيرة، منها:

- عقد الاجتماعات الدورية للإدارة الدينية والمؤلفة من المسؤولين في المحافظات من أئمة وخطباء ورجال دين.
- اقامة المحاضرات وعقد الندوات المتعلقة بأمور الدين.

- إقامة حفلات الاعراس، حيث يتم على هامش الحفل توعية الحاضرين بأمور الدين، وخاصة ما تعلق منها بأمر عقد النكاح الشرعي والحكمة من ورائه ومسؤولية الأسرة تجاه المجتمع، وكذلك مسؤولية العروسين تجاه بعضهما البعض، وهذه الاخيرة تتم في مكتب ملحق بالصالة.
- إقامة دورات توعية لرفع كفاءة أئمة المساجد المنتشرة في قرى الجمهورية.
- عرض أفلام وبرامج دينية سينمائية أو عن طريق الفيديو.

وتوجد على جانبي الطابق الأرض الحمامات والمتوضآت، الغربي منها للرجال والشرقي منها للنساء ولكل منها مدخلها الخاص.

وأما الطابق الاول، فيضم قاعة المسجد وغرفتين اضافيتين، تستعمل الاولى مكتبة والاخرى قاعة للتدريس.

وبالنسبة للطابق الثاني، والذي هو على شكل دائري، فهو مخصص للنساء، ويحتوي ايضا على غرفتين المرجح لاستخدامهما كمركز للإدارة الدينية كما يضم الطابق ايضا صالتين يمكن تخصيصهما كغرف تدريس للنساء.

وللجامع أربع مآذن مرتفعة، اثنتان منهما من جهة الشرق واثنتان أخريتان من جهة الغرب، تتوسطها خمس قبب، واحدة منها رئيسية وكبيرة والأربعة الاخرى صغيرة. (١٥)

سادسا: تصاميم الاضرحة والمقابر لدى الشركسة:

تميز اجداد الشراكسة بالفن المعماري المتعلق ببناء الاضرحة والقبور، حيث وجد في الوطن الام، اكثر من اربعة تصاميم مختلفة وعلى النحو التالي:

التصميم الاول: وهو التصميم الذي استخدم في بناء وتشييد المقابر الجماعية والفردية وهي عبارة عن تلال ترابية تسمى (بالكورغانات)، حيث عثر العلماء والباحثون من جمهورية "آديغي" على لقيات أثرية، في غاية الاهمية، وهي مقبرة

أرضية كبيرة **يعود تاريخ بنائها إلى ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد، وقدر العلماء ان خمسة عشر الف عامل، عملوا على مدار عدة سنوات لإتمام بناء هذا القبر، ووصف عالم الآثار الروسي (فارماكويسكي) هذا (الكورغان) بأن ارتفاع التل الترابي فوق حجرة الدفن قد بلغ (١١) مترا وتحته سور حجري، وفي منتصفه (حفرة المقبرة) متجهة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، بعمق لا يتجاوز ١,٤٢م تحت التراب، والقبر مستطيل الشكل بزوايا مستديرة وجدران مقعرة مكسوة بالخشب، وتغطي القبر طبقتان من الأخشاب المتعاكسة بينهما تراب بسماكة (١٠سم)، والقبر مقسم من الداخل إلى قسمين متساويين (جنوبي وشمالي) والشمالي منه مقسوم بدوره إلى قسمين ايضا، وسمي هذا القبر (بكورغان مايكوب).**

أكد علماء الآثار بأن هذا القبر لا يمثل حضارة مايكوب فقط، وإنما يمثل حضارة شملت الجزء الشمالي الغربي والاوسط من القفقاس الشمالي والتي تعتبر موطناً لكل من القبائل الشركسية الثلاثة (الاديغة والابوخ والابخاز) ويعود تاريخ بناء هذه (الكورغانات) إلى الالف الثالث قبل الميلاد [١٤] .

التصميم الثاني: وهو التصميم الذي استخدمت فيها الصناديق الحجرية كمقابر فردية او زوجية، وهي الصناديق الحجرية التي تمثل حضارة (الكابكانيتة).

التصميم الثالث: وهو التصميم الذي استخدمت فيها القطعة الحجرية الضخمة المحفورة من الصخر كمقابر، وكان هذا النوع اكثر انواع المقابر استخداما من قبل اجداد الشراكسة، حيث اكتشف منها اكثر من (٢٢٠٠) قبرا.. وهي المقابر التي كانت منتشرة على جزء من ساحل البحر الأسود الذي كان يعيش فيه الاديغة والابخاز.

نماذج من المقابر القديمة التي اكتشفت في الوطن الأم في شمال القفقاس



(١)



(٢)



(٣)

التصميم الرابع: وهو التصميم الذي استخدمت فيها الغرف الحجرية كمقابر فردية وجماعية، حيث تم في عامي ١٨٧٥-١٨٧٦ الكشف عن (سبع مقابر كبيرة) من هذا النوع، يعود تاريخها إلى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وتضم مقابر نبلاء قبائل السنديين من اجداد الشراكسة وجد فيها مجسمات: **لخيول وسروج وأسلحة وحلي مصنوعة من الذهب وقرون تستعمل كأواني للشرب بالإضافة إلى اواني فضية وبرونزية وأوعية خشبية مرصعة بالذهب.** (١٤)

(٤) فن الزخرفة والنقش والنحت والحفر والتطريز لدى اجداد الشراكسة

من الفنون التي اصبحت تراثا لدى الشراكسة في الوطن الأم، وفي بلاد المهجر، هو فن الزخرفة والتطريز.. ذلك الفن الذي بدأ منذ عصر الاجداد قبل اربعة او خمسة الاف سنة وهي من الفنون التي وجدت آثارها في حفريات في اكثر من موقع في الوطن الام عامة، وفي مناطق (مايكوب ونالتشك، وضفاف نهر كوبان وفي مناطق بيتغورسك) خاصة. حيث دلت الآثار التي يعود تاريخها للألفية الثالثة قبل الميلاد، بأن اجداد الشراكسة كانوا مهرة في فنون النحت، والرسم، والحفر، والتي نستدل عليها من تماثيل للمعبودة (عشترة) و (الزهرة) وغيرهما من النقوش والكتابات التي تدل على ما كان لأجداد الشراكسة عليها من مكانة في فنون النقش والزخرفة والنحت.. الخ.

وفيما يلي اهم فروع الفنون التي تخصص بها اجداد الشراكسة منذ القدم.

- الزخرفة على القامات (السيوف) الشركسية والطبنجة (المسدس).. الخ.
- الزخرفة والتزيين على السيراميك والقماش والفخار.
- النقش على الاسلحة واشغال الصياغة.
- النحت بالحجر والجرانيت.
- الحفر على المعادن والجلود.

- التطريز على القماش.

وفيما يلي نماذج من فنون الزخرفة والنقش والنحت والرسم عند الشراكسة.

- **نماذج من فنون الزخرفة:**

الزخرفة والنقش على الادوات المنزلية وأهمها:

* **زخرفة (جرن) الطعام الخشبي الكبير** (وقطره ٥٠سم) حيث كان يتم نقش اطراف هذا الصحن بالرموز الخاصة بالعائلة والتي تسمى (دامغة).
* **زخرفة الاسرة المنزلية والكراسي والطاولات**، حيث كانت تحفر عليها نقوش مختلفة أو تلصق عليها زخارف خشبية.
* **الزخرفة باستخدام قصاص الورق:**

كان الشراكسة مختصين بقص الزخارف من الورق، ويسمونهم (تغيخاش)، وهذا يعني قصاص الزخارف. والمهرة في هذه الصناعة غالبا من النساء، حيث كن يتعلمن على ايدي الفنانات منذ الطفولة، وكان من بين الفنانين في هذه الصناعة ايضا بعض الرجال يذكر منهم (تقروقة) و (تولوقة) و (تتراش)، وغيرهم من الذين تذكر اعمالهم الفنية العظيمة لهذا اليوم. ومع ان فناني تطريز خيوط الذهب والفضة، وفناني حفر الخشب والزخرفة على الأشياء الصلبة كانوا يتمتعون بمهارات فائقة، إلا أنهم لم يستطيعوا العمل في فن قص الورق، ومن هنا اعتبر فنان (التغيخاش) فنانا للزخرفة الحقيقية، يعمل بالمقص ما يريد من اشكال الزخارف، واشتهر أجداد الشراكسة في فن الزخرفة قبل اختراع الورق وكانت المادة المستعملة في حينها هي امعاء الحيوانات حيث كان يتم تجفيفها وقصها لترسم على صفائح فخارية ثم يتم حرقها وتجهيزها لزخرفة ما يشاءون على الجدران، كما كان فنانو التطريز يأخذون هذه الزخارف المقصوصة ويثبتونها على قطع القماش المشدود على براويز خاصة، مصنوعة من الخشب، ثم يقومون بتعبئتها بخيوط من الذهب والفضة. كما هو مبين في الأشكال المرفقة.

وعادة ما كان فنانو (التغيخاش) يضعون زخارفهم على عدة أشكال، منها اشكال بعض النباتات، والاشجار، والقرون، كما كانوا يرسمون منها اشكالاً هندسية مثل المثلث والمعين.

يمثل من الزخرفة عصري البرونزي والنحاسي وعثر عليها في حفريات اثرية في قرية (تختم قواي) وفي لواء (تيوشاش) في جمهورية الاديغي ايضا، ويعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي [١٨].

*** الزخرفة والنقش على الادوات والمعدات الحربية وأهمها زخرفة**

- **الخوذة الفولاذية:** وكانت تزين بنقوش فضية وزخارف محفورة بأشكال متشابكة.
- **مقابض سيوف الاديغة:** وكانت تزخرف بالحفر عليها اشكال مختلفة تجعلها مميزة عن غيرها من السيوف التي كانت مستخدمة في العصر نفسه.
- **القوس المصنوعة من الخشب:** حيث كان يتم تغطيتها بطبقة من الجلد الاسود وتطرز عليها نجوم ذهبية صغيرة.
- **كنانات الاقواس (الحافظات)** واغلفة الاقواس مصنوعة من الجلد الأحمر، وكانت تُزين بشرائط من الحرير المذهب.
- **الدروع الواقية (للصدر والاذرع)** وكان يكتب عليها آيات قرآنية بأحرف من الذهب.

*** فن الزركشة والتطريز:**

كان اكثر اعمال فن الزركشة والتطريز هي التي تقوم بها النساء الشركسيات مثل: زركشة وزخرفة لوازم الحصان، من سرج، ومقبض اللجام، والسوط، حيث كان يتم زركشتها بخيوط حريرية وفضية، كما كان يتم تزيين (حافظات) الاقواس بشرائط من الحرير المذهب.

*** زخرفة اشغال الصياغة:**

اشتهر الشراكسة منذ العصور القديمة بأشغال الصياغة وكانت من اكثر فنون الزخرفة والنقش والتزيين شهرة عند الشراكشة من عصر الاجداد هي فن الزخرفة بالفضة والذهب في صناعة كل من:

- الخواتم والاساور والاطواق والحلق باستخدام مادتي الذهب والفضة.
- السيوف والاتراس والخوذ الحربية باستخدام الرقائق والخيوط الذهبية والفضية.

مراجع ومصادر الفصل الثالث من الجزء الثاني في المجلد الثاني

١) غ. ف تورتسيانيوف، **المكتشفات الاثرية في منطقة مايكوب**، عام ١٨٩٨.
٢) سمكوغ، برزج، **الشركس في فجر التاريخ**، مصدر سابق، ص: ٢٣٠.
٣) حراتوقة، سمير شمس الدين، مصدر سابق، ص: ١٦.
٤) حبجوقة، أمجد، **الشراكسة The Circassians** ص: ٢١٩-٢٢١-٢٢٢.
٥) الحمد، محمد عبد الحميد، **تاريخ الشركس وآل انزور**، مصدر سابق، ص: ٥٧.
٦) اوزيك، باتري، **اساطير النارتيين**، مصدر سابق، ص: ٧٤-٧٥.
٧) هيردوت، مؤرخ يوناني قديم، مصدر سابق، ص: ١٢٠.
٨) **الشراكسة والشيشان**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، السنة الخامسة والعشرين، العدد (٥٨) لعام ١٩٩٦ ص: ٦-٨.
٩) حبجوقة، امجد، مصدر سابق، ص: ٢١٨.
١٠) دوماس، الكسندر، **المجلد الثالث من كتاب القفقاس**، ١٨٣٣، ص: ١١٤.
١١) نغموقة، شورا بكمرزا، تاريخ الاديكة (الجركس القديم، ص: ٢٦).
١٢) حبجوقة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢١٩.
١٣) نغموقة، بكمرزا، مصدر سابق، ص٣٠.
١٤) تورتسيانيوف، مصدر سابق، ص: ٢١٠.
١٥) لبزو، داوود احمد، **جامع مايكوب الكبير**، لقاء مع الامام نهاد طاش، مجلة الاخاء، العدد (١٦) كانون الاول عام ٢٠٠٠، ص: ٣-٤.
١٦) جلوقة، كمال، البيت الشركسي، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، العدد (٨٦).

١٧) ابزاخ، فيصل حبطوش خوت، **الجنيوقة الشركسية**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٨٦) كانون الاول عام ٢٠٠٥. ص: ٢٢-٢٦.

١٨) **من التراث الشركسي، طريقة قص الزخارف**، مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية العدد الاول، الشهر الاول، كانون الثاني عام ١٩٨٠.

نماذج

من فن الزخرفة والنقش والنحت والحفر والتطريز لدى أجداد الشراكسة منذ العصور القديمة وحتى العصر الحديث

نماذج
من فن الزخرفة
على ايدي القامات
الشركسية



نماذج
تمثل فن الزخرفة على
البندقية الشركسية



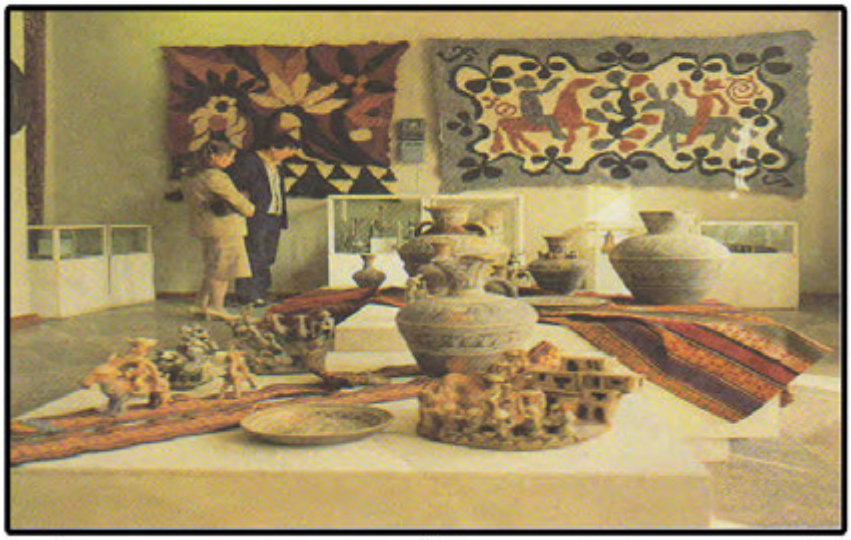
صورة تمثل الزخرفة على (غمد) القامات الشركسية

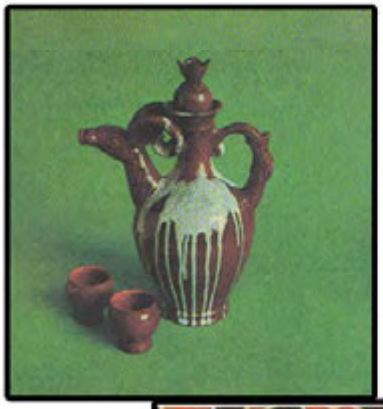


والمسدس (الجواخدة)
الشركسية

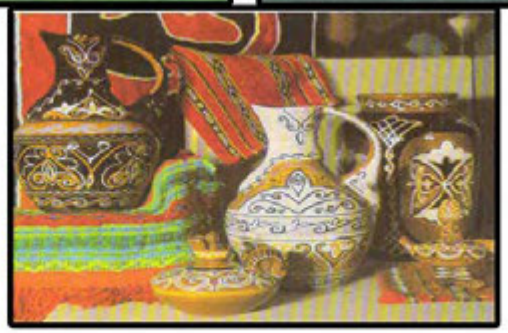


نماذج من فن الزخرفة على الأواني الفخارية

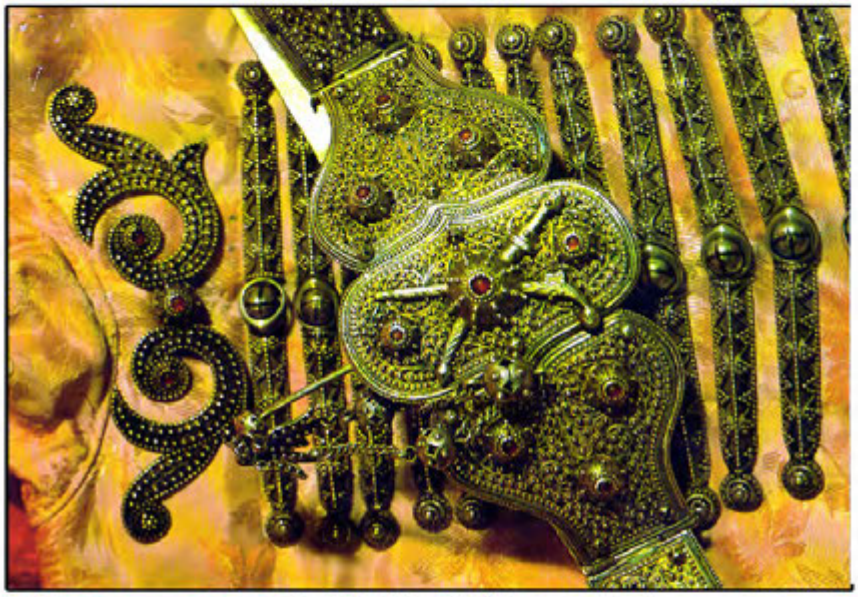








نماذج
من فن الزخرفة على الصدرية النسائية عند الشراكسة





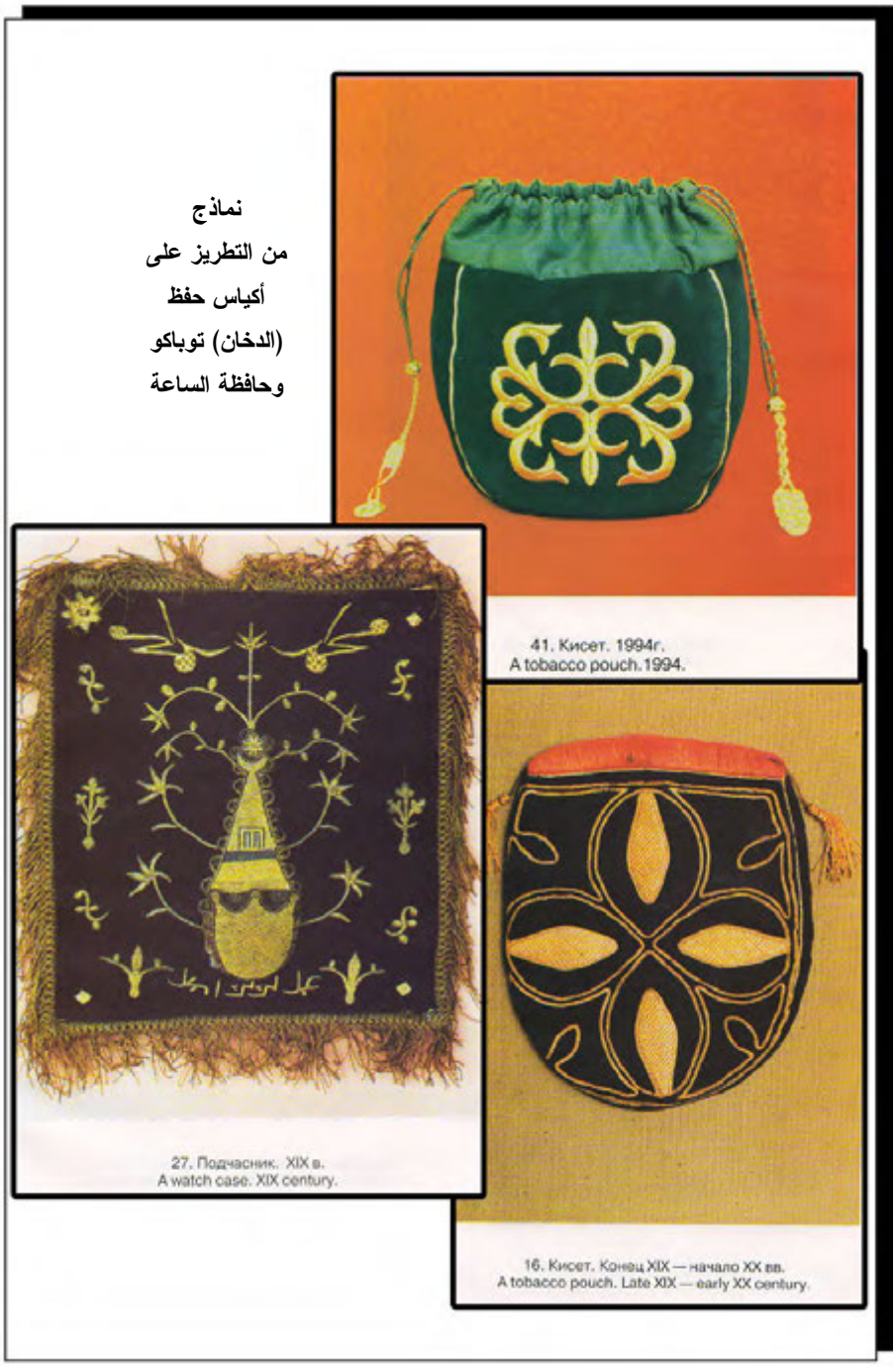
نماذج

من التطريز على ملابس النساء الشراكسة (الصدرية والطاقية)





نماذج
من التطريز على
أكياس حفظ
(الدخان) توباكو
وحافظة الساعة



نماذج
من فن النقش على الحزام الفضي (النسائي) والخواتم



نماذج
من التطريز على
المراوح، وحافظة
المقص وعلبة
وأدوات الخياطة



20. Веер. XIX в.
A fan. XIX century.



32. Футляр для ножниц. Конец XIX — начало XX вв.
Scissors case. Late XIX — early XX century.



36. Коробочка для рукоделия — хьапщипыль. XIX в.
A small bag for needlework.

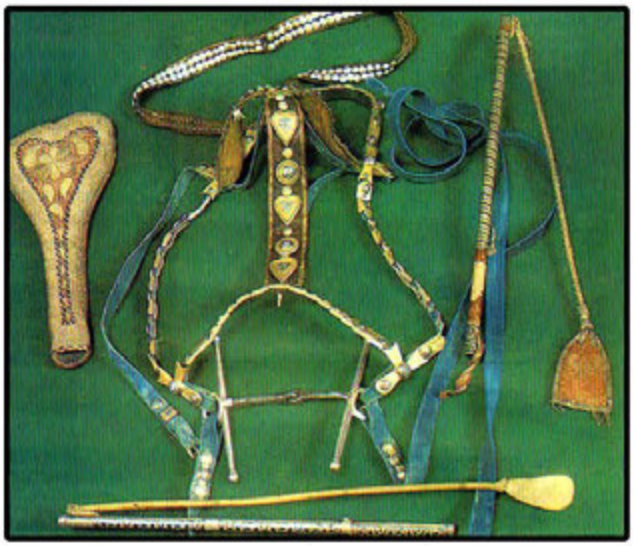


نموذجان لفن
النقش على الطوق
الذهبي وطوق
الفيروز

نماذج

لفن زخرفة السرج ولوازم الخيل عند الشراكسة





نماذج من الحفر على السراميك منذ عصر الاجداد





نماذج من الحفر على الأواني المعدنية منذ عصر الأجداد



الجزء الرابع

دور التراث الأدبي والثقافي والفروسية والرياضة والغذاء والفلكور القومي في بناء حضارة الأمة الشركسية

الفصل الأول

بُعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الأمة الشركسية

تمهيـــد

الدارس لتاريخ التراث الثقافي الشعبي للأمة الشركسية، يجد بأنـــه حافـــل وغني جدا، تعود أصوله إلى عصر أجداد الشراكسة في فجـــر التـــاريخ، وأن أول ذكر لأساطير النارتيين كان في الالف الاول قبل الميلاد.

وقسم (بالاس) التراث الثقافي الشعبي للشراكسة إلى ستة انواع او فـــروع ثقافية وهي:

- الأناشيد.
- الحكايات والقصص.
- الامثال.
- الالغاز والمجازات.
- القصائد الشعبية.
- اللغة الدارجة (للعوام) [١]

وقسم الاديب (ر. أديغة R. Adighe) الأدب الشركسي القـــديم إلـــى خمـــسة فروع وهي:

١- الأساطير وملاحم النارتيين.
٢- الشعر والغناء والاناشيد.
٣- المسرح والتمثيل.
٤- الحكايات والقصص.
٥- الامثال والحكم. [٢]

ويؤكد الباحثون في الأدب الشركسي بأنه ظل تراثا (شفويا-Oral) حتـــى اواسط القرن التاسع عشر، وبالتحديد حتى الاربعينيات من ذلك القرن حيـــث بـــدأ احياء الكتابة باللغة الشركسية بعد توقف دام اكثر من ١٥٠٠سنة.

وفيما يلي دراسة تحليلية لكل فرع من فروع التـــراث والادب الشركـــسي حسب تقسيم الاديب (اديغة) وعلى النحو التالي:

الفرع الاول للادب الشركسي:

ملاحم واساطير النارتيين في الادب الشركسي.

يقول الدكتور (شروخ) [٣] في مقال له حول "**الشراكس وابنـــاء القوقـــاز وملاحمهم الاسطورية**" بأن الملحمة فن ادبي يتجسد في سرد قـــصص، او قـــصائد خيالية غير مألوفة لحكايات وأحداث، تتضمن الأوصاف والشخصيات والحـــوارات والخطب والنصائح، وتتميز بقوة ايحائية كبيرة، يخرج سامعها او قارئها من عالمه إلى عالم خيالي، وأما شخصياتها فتكون من ابطال تُضخم مآثرهم وتحـــولهم إلـــى رموز ممثله لفكرة أو مواقف قومية، وهم قـــدماء ســـاذجون مخلـــصون لجنـــسهم وحضارتهم، متفوقون على اعدائهم. ومن اكثر القـــصص الأســـطورية والملاحـــم القديمة في العالم تمثلت بالأساطير التالية: **الالياذة، والاوديسة الاغريقية، والالياذة اللاتينية، وانشودة رولان الفرنسية، وانشودة النيبلجن الالمانية، والمهزلة الالهية الايطالية، والرامايانا والمهاباراتا الهنـــديتان، والـــشاهنامه الفارســـية، وملاحـــم النارتيين الشركسية الاسطورية**. وقد عُني بالاسطورية لكونها تتحدث عن قصص أسطورية خرافية صاغها الانسان الاول حسبما أوحى له خياله الضعيف. ويلاحـــظ في ملاحم (النارت) ما يفسر علاقة الانسان بالكائنات، فهي مصدر افكار الاولـــين، ومشتقة من تقاليدهم واحاديثهم وحكاياتهم القديمة التي تـــشكل بعـــض الفولكلـــور الوطني وكان اول توثيق لأساطير النارتيين في عام ١٨٤٦ من قبل (خان جـــري) بعنوان: (اساطير الشركس) نشرها في مجلة القفقاس عام ١٨٦٤ واستفاد المـــؤرخ (نوغموشورا) من بعض نصوصها واعاد نشرها في كتابه (تاريخ الشركس) وكان قد صدر في تفليس كتاب، عام ١٨٦١، **يحوي مقطعين مـــن اناشـــيد سوســـروقة النارتيـــة**، وبعد ذلك وبفضل جهود الدكتور (أوسلار) الخبير في الشؤون القوقازية،

تسارعت الدراسات في ملاحم (النارتيين) التي رعتها مجلة (غوازة) (واديغة ماق)، وكلتاهما شركسيتان صدرتا في تركيا (مارج) الشركسية التي كانت تصدر بالقنيطرة السورية خلال الفترة (١٩٢٧-١٩٣١).

كما قام العالم الفرنسي (جورج دوميزيل) بدعم الاعمال التي اهتمت بأساطير النارتيين والملاحم الشركسية عام ١٩٤٠ وصدر أول كتاب للاساطير في (مايكوب) بإشراف (كراشه تيمبوت) بعنوان: (الاغاني الشركسية القديمة)، كما صدر كتاب: (الموروث والاغاني الشركسية)، وفي عام ١٩٤٥ صدر في (نالتشيك) كتاب اساطير النارتيين، وتلاها صدور الكتاب الثاني بنفس العنوان ثم صدر في عام ١٩٤٨ الكتاب الثالث بعنوان: (اسطورة سوسروقة النارتي)، للشاعر (شوجن تسوك آدم) ثم صدر كتاب رابع بعنوان (النارتيون) عام ١٩٥١ والكتاب الخامس (اديغة أورا أوتا) في جزأين خلال الاعوام (١٩٦٣، ١٩٧٠) ثم قام الاكاديمي (حادة غالة اسكر) بعد عمل اكاديمي استمر عشرين سنة بإصدار: **(موسوعة النارتيين)** في سبعة أجزاء ونشرت في (مايكوب) عاصمة جمهورية الاديغة في الفترة من (١٩٦٨ إلى ١٩٧١)، وكان سبق له أن أشرف على إصدار كتاب (نارت ملحمة البطولة والجذور) في كراسنودار عام ١٩٦٧ باللغة الروسية كما قام (حميد قارموقة) عام ١٩٧٤ بنشر دراسة قيمة حول ملاحم النارتيين ضمنها كتابه بعنوان (الكاتب والعصر) وفي نفس العام صدر في موسكو بإشراف كل من **اكاديمية العلوم السوفيتية غوركي للآداب، ومعهد ابحاث العلوم الاقتصادية والتاريخ الشركسي في كل من نالتشك ومايكوب كتاب (نارت) موثقا باللغتين الشركسية والروسية..** كما صدر ايضا في نالتشك عام ١٩٧٩ كتاب الفلكلور الشركسي باللغتين الشركسية والروسية بإشراف (آدم غوت) وآخرين كما صدر عامي ١٩٨٠ -١٩٨١ على التوالي الجزآين الاول والثاني من كتاب (الاغاني واللازمات الشركسية القديمة) التي كانت تتردد نصوصها في ملاحم النارتيين منذ القدم [٤].

ومن الذين اشتغلوا في العصور السوفياتية بجمع وتصنيف قصص (النارت) كل من: **كوبا شعبان وابراهيم تسي، ود. ا. اشخامات، وتمبوت قراشيف، وبكميرزا نغموقة، ور. ميركيكي، وبشيتوكو** [٥].

هذا ما تم نشره عن الملاحم والاساطير النارتيين في الوطن الام، اما أدباء شراكسة المهجر فكانت لهم ايضا مساهمات جادة ومنهم: شراكسة سورية والمملكة الأردنية الهاشمية، وفي عمان أصدر الاديب الشركسي كوبا شعبان * عام (١٩٥٤) كتابه: الاغاني الشركسية القديمة، ونقل الدكتور زهدي سطاس بعض هذه الملاحم إلى العربية في دمشق، وتمت اذاعتها من الاذاعة الاردنية في عمان في برنامج اسمه (من الفن الشركسي) بإشراف سامي السعيد كما قدم (ناظم قردن) نصوصا أخرى ضمها كتابه (نارت سوسروقة) نشرته الجمعية الخيرية الشركسية في عمان ١٩٨٠ . وكان قد سبق ان قام (ممدوح قوموق) بنشر عدد من اساطير النارت، قبل اصداره كتاب (ملاحم نارت الشركسية) بدمشق عام ١٩٨٤. كما كان للدكتور صلاح الدين شروخ دور في التعريف بهذه الملاحم وغيرها من عناصر الثقافة الشركسية في اطروحته للدكتوراه التي قدمها لجامعة القديس يوسف في بيروت، عام ١٩٨٢ ونشرتها مجلة الجيل الفرنسية في عقد الثمانينيات من القرن الماضي وهي مجلة شهرية تصدر في فرنسا عن مؤسسة الجيل والصحافة [٣].

نستنتج مما سبق بأن ملاحم النارت الشركسية الاسطورية تعتبر المحددات الأساسية للسلوك الشركسي عموما.

* كوبا شعبان، من أدباء شراكسة الوطن الام الذين استطاعوا الهروب من الاتحاد السوفيتي، خلال الحرب العالمية الثانية، واستقر في الأردن حتى عام ١٩٥٧ ثم هاجر إلى فرنسا اولا، ومنها إلى الولايات المتحدة الامريكية وتوفي هناك عام ١٩٧٤.

وفيما يلي تحليل لبعض المواضيع التي تناولتها القصص والحكايات والأغاني الواردة في اساطير وملاحم النارتيين:-

- **قصص وأغاني تمجد الشجاعة والبطولة والمقاومة والأعمال النبيلة والتحفيز** على التمسك بالأرض والوطن وأن (النارتيين) هم الحماة الشجعان لأرض الوطن.
- **قصص وحكايات حول الفضيلة وعمل الخير وازدراء الأعمال الدنيئة أو غير الاخلاقية**، وكذلك قصص حول مساعدة الضعفاء والدفاع عن المظلومين.
- **قصص وأغاني تمجد بطولة سوسروقة Sorquwe** في محاولته استخراج الحديد وتصنيعه، وكذلك قصة اله حرفة الحدادة الشراكسة واسمه (تلبش) Tlepsh وهي قصة من اشهر قصص أساطير قوم (نارت).
- **قصص الراقصين والمغنين والموسيقيين، المحترفين**، وهي من القصص التي عالجتها الاساطير والتي تدل بأن قصص (نارت) لم تهتم فقط بالأعمال البطولية وبالشجاعة وبالفضائل.. الخ، وإنما كانت تهتم بكل مقومات الحياة للإنسان الشركسي في تلك العصور، وهي قصص كانت تعكس حقيقة حياة الشراكسة قديما.
- **مكانة المرأة** في قصص (النارتيين) فهي الأم الشفوقة المحبة، ومعلمة الأبطال المستعدين للقيام بالأعمال المجيدة من اجل بلدهم، وهي الصديقة الحكيمة المخلصة لزوجها، والتي كثيرا ما تساعده في معرفة أسرار الطبيعة، وحيل الأعداء الماكرة وكيفية التغلب عليها، حيث ان (النارتيين) كانوا يلتمسون النصيحة من امهم (ستاني Stanei) التي كانت دائما تساعدهم على الخروج من أعقد المآزق.

ومن القصص المشهورة هي أسطورة مليــشيخ Meleshipkh الحكيمــة الواسعة الحيلة والذكية، وتتضمن أنشودة تتغنى بحكمة ووفاء امرأة وقورة تــصمد بحبها العظيم أمام كل الصعاب.

كما تحتل (دخاناغوا) مكانة خاصة بين نساء قوم (نارت). تــسكن علــى المرتفعات الثلجية العسيرة المنال. وحاول (تسعة وتسعون) فارسا ان يمتلكوها لكنهم هلكوا جميعا دون ذلك، لأن كل واحد منهم كان يسعى للحصول عليهــا باســتخدام القوة.

وقصص قوم (نارت) لم تخلُ من حكايات الفلاحة والزراعة وجني الثمار، كما انها تحدثت عن أهمية فلاحة الأرض والتمسك بها.

والنارتيون لم يكونوا محاربين شجعان ومزارعين مهرة فقط، بل انهم كانوا راقصين ومغنين وموسيقيين حاذقين. وفي اجتماعات النارتيين كانت تــنظم دائمــا مسابقات في الجري ورمي الحجارة والسهام والمصارعة، كما كانوا يكافئون امهر المغنين والموسيقيين بكأس ذهبي. (١)

الفرع الثاني للأدب الشركسي هو: الشعر والغناء والاناشيد

ربما كان افضل من كتب حول الأغنية الشركسية هو (كوبا شعبان) وكذلك (ر . اديغية) كما قسم (بالاس) نقلا عن (اديغية) "الاغاني الشركسية إلــى: **اغــاني بطولية وتاريخية، وطقوسية وغرامية وجنائزية، وكذلك أغاني للحراثة والحصاد، والزواج، والرقص،** وكانت تلقــى فــي الاحتفــالات العائليــة والعامــة بمرافقــة الاوركسترات الوترية واللأوكورديون والآلات الموسيقية الشركسية الاخرى.

كما قال "كوبا" بأن النارتيين هم الابطال الخرافيون للقصيدة الوطنية القديمة المشتركة بين جميع شعوب منطقة شمال القفقاس. وظهرت اساطير النارت أول ما ظهرت مكتوبة باللغة (القبردينية والاديغية) في الاربعينيات من القرن التاسع عشر.

وكان المؤلف شورانوغموقة، وفي نفس الوقت تقريبا نشر عالم الاجناس البشرية (سلطان خان جري) اساطير شركسية وخرافات من اغاني النارت.

كما تحوي اغاني "النارتيين" على قصص حول سوسروقة وبادي نوكو، واشاميزا تاريز، تلبسن واوزروس، وعذراء او فتاة ميليشبخ Melechpikh، وفتاة داغانافو.[٥] ولا شك بأن اغاني النارتيين هي انعكاس للطابع القومي ليس للشركس فقط، بل لجميع سكان شمال القفقاس.

وقد كتب بالاس نقلاً العالم الالماني ف. بودنشتدت F.Bodenstedt عن الشعر الشركسي قائلا:

"بالنسبة للشركس، فإن الشعر يعتبر في الوقت نفسه مستودع كل الحكمة الشعبية، وحافزا للأعمال النبيلة والفيصل او الحكم الاعظم على الأرض، ويجسد الشعر الشركسي الرغبة لعمل الخير ويمنعهم من اقتراف الاعمال الدنيئة، وبالتالي فإنه يلعب نفس الدور الذي كان يلعبه الشعر في حياة اليونان القدماء والعرب [٦].

وتدور (اغاني النارت) حول مواضيع وصراعات ملموسة وهامة وحيوية مثل الحب العميق الذي يكتبه الشركسي لأرض وطنه، وتضحية ابطال الاغنية وشجاعتهم في حرب الاشرار، ومساعدتهم للضعفاء ودفاعهم عن المظلومين، وقوة احتمالهم اثناء الحروب، وسرعة بديهتهم في الازمات، وحزمهم، وشجاعتهم في المعركة. فالنارت Nart هم الحماة الشجعان لأرض الوطن. وما على العدو الا ان يقترب من بلاد النارت ليراهم جميعا يسرعون في ميدان القتال شيبا وشبابا.

وتتبوأ قصة (تلبش) Tlepsh مكانا عظيما في اغاني النارت. وتلبش هو راعي صنعته او حرفة الحدادة، وصانع اولى ادوات الحدادين وهي المطرقة والملقط والسندان والمنجل.

ومن القصص الممتعة في اغاني النارتيين اسطورة ميليشبخ Meleshipkh الحكيمة الواسعة الحيلة والذكية، وقصة ميليشيخ انشودة تتغنى بحكمة ووفاء امرأة وقوة حبها العظيم المخلص الذي يصمد امام كل التجارب.

ونستطيع ان نتتبع قصصا فردية في الاناشيد التاريخية حول كفاح الشراكسة خلال حروب الابادة والدمار. وتشمل الاغاني التاريخية (كوخفاس وعيد اميرقان) حيث تنشد الاشعار لمدائح البطولة التي يظهرها هذان المحاربان في سبيل حرية الوطن واستقلاله وقصة (محمد بن حاتقو) وهو احد ابطال الشابسوغ الذي حرر شعبه من اعداء وطنهم. وقصيدة عن ابن (فيقوتيف Fegotiv)، ومدائح الحروب الاهلية بين امراء الشركس والفلاحين، وقصيدة عن (حنيفة) البطلة الشهيرة التي شاركت في الحرب ضد غزاة شركاسيا، وانشودة عن هجوم معاد مفاجئ على القبردانيين في القرن التاسع عشر.

كما تعكس الاغاني او الاناشيد الطقوسية ايضا العقائد الشركسية التي وجدت قبل المسيحية والاسلام ومن الامثلة التي يمكن ايرادها الانشودتان المشهورتان عن (الرعد Shybleored) وسعادتكم او يا صاحب السعادة (سيوزجين Ziushan). **وتذكرنا القصيدة الاولى** طقوس عبادة الاله (شبلة) عند قدماء الشراكسة والتي كانت تؤدى خلال رقصة مستديرة تدعى Wdj وكانت تحتوي الكثير من المراسم التي كان يقوم بها الراقصون حول المكان الذي ضربته الصاعقة. **أما القصيدة الثانية** فترتبط بمرض الجدري والطقوس الاسترضائية التي كان الشعب يمارسها لوقاية نفسه من مرض الجدري [٧].

نماذج من الاشعار والقصائد والأغاني الشركسية

- قصيدة تصف بطولة أمراء الشراكسة في المعركة التي جرت بين الشراكسة (الأديغة) وقبائل (التوغورت) الهمجية اجداد (شعب القالموق) التي سميت (بملحمة التوغورت) حيث جرت المعارك في موقع اسمه باللغة التترية اليوم

(قاج طاو) ومعناه (الفرار إلى الجبال). ومنذ ذلك العهد اعتاد الناس ان يـــذكر بعضهم لبعض اثناء الخصام **(ليتك تذهب إلى ذلك المكان الذي ذبحونا فيه).**[٨]

وربما كان من أكثر الاشعار والقصائد الرثائيـــة التـــي قيلـــت فـــي الادب الشركسي القديم هي القصيدة التي تصف المعارك التي دارت في موقع (قاج طـــاو) مع قبائل التوغورت وتضمنت الابيات التالية:

- إن الدماء تجري كالسيول في (قاج طاو) وأبطالنا.
- الذين لا يعرفون الخوف قد ضاق بهم المكان ومنعهم من الانتشار.
- وأما فرساننا البواسل فقد ضاقوا ذرعا بالوادي الضيق.
- وصفوف أمرائنا قد خلت من البطل الهمام (قدير شوقه)
- الذي كان أشجع الابطال، وقد قضى نحبه في قاج طاو.
- وكذلك (تابسورقه) الشاب عندما دمر الجسر.
- هوى في الهوة السحيقة حيث لاقى حتفه.
- لقد كان (الشامخال) نفسه يشتهي المساعدات القيمة.
- التي كانت أشهى غنيمة عنده وهي مبعثرة على الأرض.
- وأما محاربونا الذين نجوا من الهلاك فقد جاؤوا.
- إلى الامير (قازي) ابن (بشى يابشوقة) بالخبر الحزين.
- وحينئذ اسرع هذا على جواده للحاق بإخوانه كالبرق.
- وكادت سيور السرج تتقطع من سرعة الجري.
- وهذا الحصان الذي لا مثيل له يرعى في الجبال مع الذئاب والأسود.
- وهذا الأمير القوي، بالنسبة إليه ليس إلا لهوا ولعبا.
- ان يفصل الرؤوس عن أكتاف الاعداء العريضة.
- وأن ضربته هي سواء كانت من يده اليمنى أو اليسرى.
- ورماحه لا محالة قاتلة، إذا لم تنكسر عيدانها من شدة الطحن.

- ولكنه لم يرجع من ساحة الوغى وعود رمحه سالم.
- وحصان (قدير ميرزو) يكافح السيول الجارفة.

وراكبه (بوغديدار قوغوتيليقو) قد تحطم في يده الكثير من الرماح

وولدا (آيدارو) يقاتلان كالأبطال على ظهر جواديهما الأحمرين

وكل منهما يحمي أخاه، ولكنهما قضيا نحبهما في (قاج طاو)

- و(آشه ابن تختابي) قد أطلق وهو يستدير إلى الخلف.

سهما من قوسه أردى به اثنين من حاملي الرايات.

وبقيت دروعهما الذهبية مبعثرة بين الاجام والأدغال.

- إن قوس (مارشان قول ابن شوكنوقه) ليعجز عن شد وتره

اثنان من الرجال، ولكنه يردي بسهم يطلقه منه ثلاثة رجال.

- وأما (برد بن خانزو) فقد حاز شهرة واسعة بأنه

اذا طارد الاعداء على جواده الاشهب ألقى الرعب في قلوبهم.

وأنه يمد إخوانه في ساحة الوغى بالعزم والإقدام.

- وليس (آرده شاوه ابن شيشرو) من الذين

يبالون بالراحة والرقاد، بل هو الذي يحرس الجيوش في الليالي ساهرا وسهمه إذا انطلق يفتك بالعدو داويا كمطرقة من حديد. [٨]

واما القصيدة الثانية فإنها تكشف صراع (المُلاَّ) الدائمة ومواعظهم الخاطئـــة وتخويف الشراكسة ودفعهم إلى هجرة بلادهم ونصها:

- لقد قاتل القياصرة الروس ضدنا لأخذ القفقاس.
- وكان زمن الهجرة مأساويا.
- فقد نهش عميقا في قلوبنا.
- اكثر من مائة مليون كان الروس.

وكنا لا نزيد عن حفنة اليد.

- وكان بيننا خونة.

بسبب جشعهم إلى الذهب. باعونا للعدو.

- وإلى ذلك فإن المولاّ (الأئمة) غير المتعلمين تصرفوا وكأنهم مسلمون أتقياء فعلوا وكأنهم انبياء.

بل وعظوا بشكل خاطئ.

وعندما نصحوا بالهجرة.

أساؤوا...

لقد قالوا: عندما يأتي الروس سوف تحملون توابيتكم بأنفسكم.

وهكذا زرع المولاّ في انفسنا الخوف والفزع.

- أمواج البحر الاسود ضربت جوانب السفينة

الاسماك أحاطت بأمواتنا.

والأسلحة الروسية هددتنا

واستقبلتنا البلاد الاسلامية [٩].

والقصيدة الثالثة تصف بطولة إمرأة اسمها (لاشينقاي) التي رشحت لمصارعة قوي مشهور من شعب (خان كيتاي) اسمه (قيسين) وخلاصة قصة هذه الواقعة تتضمن ما يلي:

"قدم الخان (كيتاي خان) الذي نهب كثيرا من البلاد الأخرى إلى القفقاس الشمالي بجيش كبير، فأسرع (الآديغة) للتنادي وجمع الجيوش من جميع القبائل، ولما التقى الجمعان ارسل قادة (كيتاي خان) رُسلا إلى (الجراكسة) يبلغهم فيها انه لم يأت للحرب والغزو بل جاء مسالما للتعارف والصداقة لما سمعه عن بسالة وفضائل الجركس، وجرت اتصالات ودية، وعرض (الخان) ان يبارز احد الابطال الشراكسة مصارعه المشهور (قيسين) للتسلية والترفيه.

واختار الجراكسة للمبارزة إمرأة اسمها (لاشينقاي)، قيل ان حموها رشحها لهذا الصراع لأنه رآها يوما تلقي بعجل عمره سنة من فوق جدار حائط الحظيرة حينما ضايقها.

وألبسوا (لاشينقاي) ملابس الرجال، وتصارع الخصمان ساعة وتغلبت (لاشينقاي) على (قيسين) فصرعته. وتبين لهذا المصارع بأن الذي صرعه هي (إمرأة) فشاهدها بعد الصراع في ملابس النساء، وعرضوا عليه مصارعة رجلٍ جركسي آخر، ولكن (الخان) أجاب وبروح رياضية سمحه: **إذا كانت إمرأة من عامة شعبكم قد تغلبت على أقوى أبطالنا، فليس هناك من حاجة لتجربة أخرى مع رجالكم. وانسحب جيش (الخان) بدون حرب، ونظم احد الشعراء بهذه المناسبة قصيدة غنائية جاء فيها:**

كان قيسين فارسا مغوارا ومحاربا رابط الجأش.
تخشاه الجموع، ولكن ساعد المرأة (لاشينقاي) كسر عزمه وأضاع شهرته.
لقد أطعمت وسقيت جوادك سدى يا قيسين.
وقد جهزت عدتك واصلحت قوسك وصقلته حتى بدا لامعا.
وملأت كنانتك بالسهام اللامعة وجعلت درعك براقا.
يبهر ضياؤه الأبصار، ولكن خاب أملك ومناك.
فإن المرأة (لاشنقاي) ألقت ارضا مبارز الخان المغرور.
نعم لقد خر صريعا بضربة من يد امرأة عادية.
انظروا اليوم فخارنا، اما كفانا رجوع (الآديكة)
مثقلين بالهدايا.. كأنها أرباح تاجر؟؟

ويقال ان مسرح هذه المبارزة كان بالقرب من نهر (شكم) احد روافد نهر (باقسان) فوق حصن (شكم) الحالي ويسمى هذا الموقع اليوم (لاشنسكايا). [١٠]

وأما القصيدة الرابعة فإنها قصيدة غنائية حزينة تكشف دور الخونة من بعض الشراكسة في معاركهم ضد الروس كما تصف مواقف الغالبية من الشراكسة الذين رفضوا الهجرة، وفضلوا الموت على الهجرة ويتضح ذلك من قصيدة "مبكاة" وجاء فيها:

عندما تسمع هذه المبكاة
فلتتوقف جميع الأحاديث.
ولنصغ جميعا إلى مبكاة تشردنا.
ولنحفظ معانيه العميقة في قلوبنا.
مع اننا خسرنا المعركة.
فنحن لن نحاول ابدا ان نخسر إنسانيتنا.
فمن ساعد الأعداء على الانتصار علينا.
هم منا، ممن يعيشون بين ظهرانينا.
فمن أمثالنا (جذع الشجرة القوية لا يفلقها إلا خشبة مثلها)
فالذين ضيعونا، هم إخوتنا.
فلو هجرنا وطننا، فلن نستطيع نسيانه أبدا
ولو بقينا فيه...
فلن نستطيع تحمل ما يفعله جيش الاعداء بنا امام اعيننا.
فمن الآن نهجر الوطن دون ان تفارقنا أحلامنا بالعودة.
نهجر الوطن مرغمين، متلفتين إليه.
عسانا يوما نعود إليه.
أما شبابنا الذين ابحروا مهاجرين.
فدموعهم تتساقط على فراق الوطن بكثافة مياه المحيط.
وكثير منهم قذفوا بأنفسهم في مياه البحر الاسود.

معرضين حياتهم لخطر الامواج والاعاصير.
بعد ان عدلوا عن فكرة هجرة الوطن.
وقد تسابقوا في الدخول إلى غابة "تحجاغ"
وعادوا إلى القوقاز معلنين حرب الهجرة هناك.

والقصيدة الخامسة فإنها قصيدة هجائيـــة لموقف نبيلين اثنين مـــن نـــبلاء الشركس حلاً ضيفين على مضافة فتاة اسمها (حنيفة) في زمن كانت المعارك تدور في نفس المدينة التي توجد فيها المضافة، وحاولت الفتاة لفت نظر ضيفيها إلى ذلك، فصارت تخرج من الغرفة وتدخل إليها وهي تردد (إن صوت المـــدافع مـــسموع) ولكن بدون فائدة. فقد تصرف النبيلان وكأنهما لم يسمعا صوت القصف ولم يفهمـــا كلام الفتاة. عندها أنشدت "حنيفة" القصيدة التالية:

- إن صوت المدافع هو اليوم أعلى منه بالأمس.
- ويخرج الضيفان كل مرة للتنصت على الصوت.
- ثم يعودان قائلين: إننا لا نسمع شيئا.
- آه – فلتأخذني أمي على الفور بعيدا.
- فأنتما (كالثيران) التي لا تريد ان تتحرك من مكانها.
- كالجثتين انتما في (المضافة)
- إن دفن جثة ليس عملا قليلا.
- وأنا لدي جثتين لنبيلين في وقت واحد.
- أحدهما هو (ديديخو) الذي لوحته الشمس.
- والآخر هو ذو الشعر الاحمر (كوازي ميرتزي).
- لو وضعت أمامهما مائدة طعام لأكلا كل شيء.
- حتى قطعة الذيل الشحمية يلتهمانها [١١].

الفرع الثالث من الادب الشركسي ويبحث في القصص والحكايات الخرافية [١٢]

يقسم الباحثون في الادب الشركسي القصص والحكايات الشركسية إلى المجموعات التالية:

- حكايات عن الحيوانات.
- حكايات خرافية.
- حكايات هادفة ذات مغزى

ولا تزال الحكايات عن الحيوانات تحمل آثار العصر البدائي عندما كان الانسان يعتقد ان الحيوانات مثلها مثل الانسان تفكر، وتناقش، وتتكلم وتحيا نفس الحياة كالانسان.

ولعل (قصة الارنب والثعلب والذئب) امثلة مناسبة عن حكايات الشركس عن الحيوانات وقد كتب عنها مكسيم جوركي ما يلي:

من القصص الممتعة جدا عند الشراكسة حكايات عن "الارنب والثعلب والذئب".

وتدور القصص باللهجة (الاديغية) حول الصراع بين الخير والشر وغيرها من الموضوعات ذات المغزى، واهمها "تاريخ قانوغ وشيوجن" و "حاتقوا وابنه جانفليس" و "ترام الصغير" و "ابن الخان العجوز والتسنين" و "الكلمات الثلاث" و "قصة عن عقيش" و "اولاد الاغنياء" و "تلكسفوشيف" و "المرأة الشريرة او السيئة" و "حماقة الفارس" وكذلك "الصياد وعفريت الغابة" و "المارد والحداد" و "القنفذ والدب".

ومن قصص الاطفال يمكن ان نورد قصة Tivyzhry Kvumre وقصة Nyoevy Kvumre رواهما الاديب امير كيكي.

ومن الحكايات التي تتضمن الغازا واجوبة يمكن ان نذكر (ترام الـصغير) ويشيشيفقو Little Tran & Pscescescru و (خطبة الفتاة) و (الفتاة والعريس) و (راشميزا وأمه).

الفرع الرابع: الادب الشركسي ويدول حول، الاحاجي والالغاز الشركسية

تعبر الامثال الشركسية عن مواقف الناس واخلاقهم وعاداتهم وشخصياتهم. وتتميز الامثال بطابعها الشعري وفي معظم الحالات تكون مقفاة وتكون الفكرة فـي الامثال واضحة ويعبر عنها بأسلوب مباشر دون تورية او رموز (وسيتم دراسـتها بالتفصيل في الفصل القادم).

وأما الاحاجي او الالغاز هي الاكثر جاذبية والاغنى من ناحيـة اللغـة ولا تزال تحمل آثار العصر الاسطوري. وفي بعضها تقارن قوى الطبيعة وخواطرهـا بكائنات غير حية، وفي البعض الآخر بالحيوانات، وفي نوع ثالث تعطـى النجـوم والظواهر الطبيعية الاخرى شخصية البشر وصورتهم مثلا: في الـسموات توجـد نماذج ذهبية "نجوم" البحر مغطى بسجادة "الجليد" ترقد عصى ذهبية فـوق سـقفنا "اشعة الشمس".

الفرع الخامس: الأدب الشركسي ويبحث في ادب اللغة الشركسية

تطورت اللغة الشركسية بنوعيها (القبردية والاديغية) بفضل مجموعة مـن علماء وادباء اللغة الشركسية وأهمهم:

- **اوسلار (Uslar)** وهو اول من قام بدراسة اللغة الشركسية وإبدائـه بعـض الملاحظات اللغوية الهامة عن اللغة الشركسية بلهجة قبائـل القبـردى عـام (١٨٥٤).
- **شروان (Atazhukin & Scherdan)** و (أتاز هـوكين) وأصـدرا عـام ١٨٦٥ دراسة حول اللغة الشركسية بلهجة (كيمركواي).

- **ويماربيرسي (Wimarbersey)** ونشر أول كتاب حول اللغة والأدب الشركسي باستخدام الاحرف العربية عام ١٨٨٥.
- **لوباتنسكي (Lopatinsky)** ونشر كتابا مختصرا لقواعد اللغة الشركسية بلهجة القبردي في نالتشيك عام ١٨٩١.
- **ياكوفليف (Yakovlev)** وقام بأول دراسة لغوية للغة الشركسية في عام ١٩٢٣.
- **كاتفورد (Catford)** وأصدر اول دراسة للغة الشركسية بالانجليزية عام ١٩٢٤ .
- **أوختوف (Okhtov)** ونشر أول قاموس شركسي روسي عام ١٩٤٩.
- **بلقاروف (Balkarov) وابيتوف (Abitov)** حيث نشرا كتاب قواعد اللغة الشركسية بلهجة القبردي عام ١٩٥٧.
- **ل. ليول (L.Lyule)** وهو مؤلف أول قاموس شركسي بلهجة أديغية وبالأحرف العربية عام ١٨٤٦.
- **أشحا – ماف (Ashkhamaf)** ونشر عامي ١٩٣٤-١٩٣٦ كتاب لقواعد اللغة الشركسية (الاديغية) باللغتين الشركسية والروسية.

نستنتج مما تقدم بأن ادب اللغة الشركسية اقتصر في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين على:

- وضع الحروف الهجائية (الفاباء) الشركسية باستخدام الاحرف العربية اولا والاحرف اللاتينية ثانيا ثم الأحرف السلافية ثالثا.
- إعداد قواعد اللغة.
- إعداد قواعد الكتابة.
- إعداد وسائل وطرق لتعليم اللغة.
- إعداد الكتب المدرسية لتعليم الاحفاد اللغة الشركسية.

- إعداد القواميس باللغتين الشركسية والروسية وكذلك باللغتين الشركسية ثم قاموس شركسي عربي إعداد د. كوبه شعبان في الأردن.

ويلاحظ بأن أدب اللغة الشركسية لم يتطور إلا بعد ان تأسست الجامعات والمعاهد العلمية في الجمهوريات الثلاث التي يعيش فيها شراكسة الوطن الام في قفقاسيا الشمالية.

الفرع السادس: الأدب الشركسي ويختص بالمسرح والتمثيل

لم يكن الأدب المسرحي متطورا في العصور القديمة، وان هذا الأدب لم يظهر بشكل فعلي إلا بعد احياء الكتابة باللغة الشركسية في القرن التاسع عشر باستخدام الأحرف العربية. والدارس للأدب المسرحي الشركسي يجد بأن اكثر من اديب برز منذ اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حيث قام عدد من كتاب المسرح بتأليف مجموعة من المسرحيات في كل من الوطن الام في (قفقاسيا الشمالية) في عهد الشيوعية وفي المجتمعات الشركسية في بلاد المهجر عامة، وفي كل من ألمانيا، وتركيا، والأردن وفرنسا خاصة، ويمكن تلخيص الاعمال المسرحية خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين على النحو التالي:

*** أدب المسرح والتمثيل**

ظهر العمل المسرحي الشركسي في الوطن الام في ظل الاحتلال الروسي القيصري، وتطور خلال الحكم الشيوعي، وكان من ابرز كتّاب المسرح الشركسي باستخدام الأحرف العربية هو الأديب الشركسي الكبير (كوبا – شعبان) الذي درس اللغة العربية والدين الإسلامي في مدينة (نالتشيك) كما درَّس اللغة والدين في معهد نالتشيك للمعلمين حتى قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧. ومنع من تدريس الدين في العهد الشيوعي، وتفرغ لتدريس اللغة الشركسية بالأحرف العربية حتى عام ١٩٢٥، وفي عام ١٩٢٦ بدأ الكتابة باستخدام الأحرف اللاتينية، وفي هذه الفترة بدأ كتابة

المسرحيات والأشعار وتدوين الامثال الشركسية، واستمر في الكتابة باستخدام الأحرف اللاتينية حتى عام ١٩٣٨، وهي السنة التي تقرر فيها تغيير (الف باء) اللغة الشركسية إلى الاحرف الروسية السلافية، وفي نفس العام أتهم (كوبه شعبان) بالقومية البرجوازية واعتبر عدوا للشيوعية، واضطر للهروب والتخفي في الغابات لمدة ثلاث سنوات، كما عاش متخفيا في بعض القرى الشركسية النائية في بلاد (الاديغي) واستغل (شعبان) سنوات التخفي في متابعة ما بدأه من قبل في كتابة المسرحيات، وتدوين الاشعار القديمة التي لم يسبق تسجيلها من قبل، وكذلك جمع الامثال الشركسية الشائعة بين عامة الناس.

يعتبر (شعبان) من أبرز كتّاب المسرح الشركسي الذين استخدموا الاحرف العربية واللاتينية والروسية (السلافية) وكان من ابرز اعضاء (اتحاد ادباء وشعراء السوفيت) في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، كما كان من اكثر الكتاب الشراكسة في عهده غزارة في الانتاج الأدبي والمسرحي حيث ألف حتى عام ١٩٤٣ (١٢) كتابا ومسرحية.

وكذلك فإن ابراهيم تسية نشر عام (١٨٩٥) عدة روايات وتمثيليات وكتب كان أهمها:

رواية (كوفاس)، (والسور العظيم) وهو أول من نظم المعهد المسرحي في (الاديغي) والمسرح الدرامي في عام ١٩٢٩، ويعتبر من رواد الفن المسرحي الشركسي في مطلع القرن العشرين.

كما يعتبر كل من شيكي خاشيف ونالوبيف من كبار كتاب المسرح الشركسي وألفا رواية مأساة (كوريجات) والتي مثلت على مسرح نالتشيك عام ١٩٣٤.

كما كتب (شيكي خاشيف) بعض القصائد الموجهة بصورة رئيسية ضد رجال الدين مثل (العنكبوت والذبابة) (والمُلاَّ العجوز) وغيرهما.

كما يعتبر (قاردن غوشاة زراموك) من كتاب المسرح الشركسي القدماء حيث عرضت له في ١٩٤٠/١٠/٢٧م: أول مسرحية شركسية في مسرح الدراما في مدينة نالتشك من إخراج مودحاج موسى، ومثل فيه خمسة من فناني قرية جانخوت حابلة، كما اثبت الكاتب المسرحي المعروف "زلمخان" جدارته في مسرحية "داخه ناغو". (١٣).

ادب المسرح والتمثيل في بلاد المهجر:

نشأة المسرح الشركسي في بلاد المهجر عامة وفي المجتمعات الشركسية في كل من المانيا وتركيا وسوريا والأردن وفرنسا خاصة منذ مطلع القرن العشرين.

ويمكن تلخيص اهم مظاهره على النحو التالي:

ففي تركيا، كان من رواد كتاب المسرح الشركسي هو الأديب الشركسي (أحمد ميتات حاغور) ومن أبرز أعماله المسرحية مسرحية (الأسرى الشراكسة) وعرضت على مسرح (غولواغوب تياترو) ولقيت تجاوبا كبيرا من الجمهور من شراكسة (استبول)، وكان رد فعل السلطات العثمانية على تفاعل المجتمع الشركسي في تركيا مع هذه المسرحية هو إحراق المسرح الذي عرضت عليه هذه المسرحية الشركسية عام ١٨٩٢ بأمر من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني نفسه (٩).

وفي ألمانيا، أسس (كوبه شعبان) بعد رحيله مع القوات الالمانية النازية المنسحبة عام ١٩٤٣ ولجوئه إلى مدينة ميونيخ مع مجموعة من اللاجئين الشراكسة المتواجدين فيها وهم: "دجاباغي، ناميتوك، اشامزو، تراخو" مؤسسة دراسات الاتحاد السوفياتي.

والشراكسة في الأردن، ربما كانوا اكثر الشراكسة في بلاد المهجر اهتماما بالمسرح الشركسي، الأديب (شعبان) الذي كان قد وصله صيف عام ١٩٥١، وكان من أبرز أعماله الأدبي والمسرحي هو تأليف وعرض المسرحيات التالية:

- مسرحية الهجرة وعرضت في عمان صيف عام ١٩٥٢ بعنوان "عبور البحر".
- مسرحية حب الوطن من الايمان وعرضت ايضا في عمان صيف عام ١٩٥٣ بعنوان "غزوة في الليل". وفي عام ١٩٦٥ بعنوان "الهجرة".
- العائد من الآخرة وتقع في مشهدين.
- الحطاب وحماره من مشهد واحد.
- جانبولت الحسن والجنون الاسطوري من مشهد واحد.

وفي شهر تشرين الثاني من عام ١٩٥٦ رحل إلى فرنسا واعتزل في دار لكبار السن في مدينة (كان) في جنوبي فرنسا مستصحبا معه كل ما كتبه وجمعه من الأدب المسرحي الشركسي واشعاره، وأصبح في شهر أيار من عام ١٩٥٩ استاذا مساعدا للأستاذ (دوقه) العلامة القفقاسي. [١٠].

*** رواد الأدب الشركسي في الوطن الأم**

أولا: الكتاب القدامى من الجيل الاول للادباء [١٤]

١- **شورا بكمرزا نوغموقة*: (١٨٠١-١٨٤٤)** لغوي ومؤرخ، كتب بالروسية تاريخ الشركسية عام ١٩٤٣. ونشر في ١٨٦١ من قبل ابنه كتابه "تاريخ الاديغة" وذلك بعد وفاته عام ١٨٤٤.

٢- **قاضي أتاوزخين:** نشر مقتطفات من قصيدة سوسروقة، وعدة قصص وغيرها من قصص النارتيين، كما ترجم إلى اللغة القبردينية قصة (أشيك كيراب) للكاتب الروسي ليرمونتوف.

٣- **أميرهان خافباشي: (ولد سنة ١٨٨٢)** وهو شاعر معروف بقصائده الهزلية المنشورة باللغة الشركسية.

٤- **بكميرزا باشا: (١٨٥٤-١٩٣٦)** شاعر واديب شركسي.

* اشتهر وعرف في الاوساط الروسية باسم (نجوما شورا).

٥- **إبراهيم تسي:** (١٨٩٥-١٩٣٦) شاعر وكاتب أساطير ومؤلف روايات تمثيلية. كتب روايتي (كوفاس) عن بطل مات أثناء الغزو الروسي لشركاسيا. و(السوط العظيم) التي تصور حياة الفلاحين الشراكس مع عدد من القصائد والأشعار والحكايات عن الحياة الشركسية اليومية، وكان (ابراهيم) وطنيا عظيما وكرس كل حياته لنشر الثقافة الشركسية في منطقة (الاديغية)، وهو أول من انشأ المعهد المسرحي في الأديغية، والمسرح الدرامي سنة ١٩٢٩ وكان يتمتع بشعبية كبيرة في الأوساط الشركسية.

٦- **شعبان كوبه** عالم اللغة والأدب الشركسي ولد عام ١٨٩٠ في قرية (حه كورنه حابلة) في الكوبان ودرس في الكليات التربوية والزراعية (١٩١٩-١٩٢٦) ودرس في المعهد المسرحي المسمى باسم لوناخارسكي في موسكو عام ١٩٣٦، كما عمل في معهد الابحاث الاديغة في (مايكوب) وترأس فريقاً من العلماء الذي تولى جمع ودراسة الفلكلور الشركسي.

٧- **أحمد حاتقو** (ولد سنة ١٩٠٢) مؤلف أناشيد وقصص تاريخية وحاز على جائزة الاولمبياد "للقفقاس الشمالي" للفن الوطني عام ١٩٣٥.

٨- **شيكى خاشيف ونالوبيف** شاعران وروائيان كتبا مأساة (كوريجات) التي مثلت على مسرح نالشيك عام ١٩٤٣ كما كتب (خاشيف) بعض القصائد الموجهة بصورة رئيسية ضد رجال الدين مثل (العنكبوت والذبابة، والملا العجوز) وغيرها.

٩- **ب. كوبل (B. Koble)** ولد سنة (١٩٠٢) وهو مؤلف القصيدة التاريخية (خيسماد) التي تعود إلى عهد الهجوم الروسي على القفقاس.

١٠- **علي شغنستوك** (١٩٠٠-١٩٤٢) شاعر وكاتب، كتب كثيرا من القصص مثل (البطل الشاب الصغير) وغيرها ونشر مجموعة من الاشعار والقصائد في الاعوام (١٩٣٢-١٩٣٦).

١١- **عليم كيشكوف** ولد سنة (١٩١٤) شاعر ألف مجموعة قصائد (عند أسفل الجبل) عام ١٩٤١.

١٢- **اسحق مشباش**، ولد في قرية (شحة شفج) عام ١٩٣٠ فهو شاعر واديب له اكثر من (٧٠) كتابا ومجلدا.

١٣- **يوسف لوستن**، من مواليد ١٩١٣ في قرية شمنكري جبلية فهو قصصي واعلامي وله عشرات القصص.

١٤- **الشاعر مرات برتقوة** – ولد عام ١٩١٢ في قرية بجحلقواي الشركسية فهو اديب ولغوي وشاعر.

١٥- البروفيسور **حسن سخنة**، من مواليد نالتشك عام ١٩٢٨ وهو أديب مختص باللغة الشركسية

١٦- **اندرخوي حسين**، شاعر واديب ولد عام ١٩٢١ في شوجن / حابلة.(حاكورنه خابله).

١٧- **آدم غوت:** مرشح في العلم وباحث في معهد أبحاث اللغة والتاريخ والاقتصاد والفولكلور الشركسي بمدينة نالتشيك. وفي عام ١٩٧٩ وتحت إشرافه مع آخرين صدر باللغتين الروسية والشركسية كتاب "الفولكلور الشركسي".

١٨- **آدم شوغنوك:** شاعر وقاص صدرت له عام ١٩٤٨ دراسة في نالتشيك بعنوان "اسطورة سوسروقة النارتي".

١٩- **اسلام بارون:** شاعر وقاص من الجيل الأصغر.

٢٠- **آبتة خازر:** أديب شركسي، يطلب البحث عن سر الخلاص القومي في كتاباته.

٢١- **اشخامان:** من الذين قاموا بجمع وتصنيف قصص النارت.

٢٢- **اشن مزرت:** من الكتاب والأدباء الشركس.

٢٣- **إلماس أولادين:** كاتب معاصر كتب حول الأساطير الشركسية القديمة.

٢٤- **اتسقان روسلان:** شاعر شاب له عدة قصائد شعرية، وله قصيدة بعنوان (البحر الميت).

٢٥- **أمرخان صومان:** شاعر معاصر له قصيدة عنوانها "قتلة الأطفال" ألفها بعد مشاهدته لقتلى غارة إسرائيلية على قرية (بحر البقر) في مصر عام ١٩٧٠.

٢٦- **أميرهان خافباشي:** شاعر هزلي شاعر معروف بقصائده الهزلية.

٢٧- **بانشو سفر:** من كتاب المقالات عن السلاطين الذين حكموا في مصر.

٢٨- **ب. تامبي:** (١٨٢٥-١٨٩١) من المهتمين بجمع ودراسة الأساطير النارتية.

٢٩- **بشينوكو:** كتب عن الأساطير النارتية.

٣٠- **ت. شاكوه:** شاعر يعتبر من الجيل الأصغر من الكتاب الشراكسة.

٣١- ت. كاجيجيف: من كتاب القفقاس والمهتمين بالأساطير الشركسية وله أبحاث في ذلك.

٣٢- **جان قرميز:** أديبة شركسية لها قصص عن الأجداد الشراكسة.

٣٣- **حاتو قشونة:** وضع كتابا في الهجاء الشركسي بحروف روسية وتم طباعته عام ١٨٦٠.

٣٤- **حكيم تيونوف:** من الذين كتبوا حول التقارب الشركسي الروسي، له كتاب مترجم إلى العربية واسمه "الأم الثانية" والقصة تدور حول ابن قتل أبوه في الحرب الألمانية تبناه صديق والده الروسي ورباه في موسكو.

٣٥- **خوزايف،** من الكتاب الروائيين المعاصرين.

٣٦- **حميد قرموقة:** كاتب شركسي، قام بدراسة قيمة عام ١٩٧٤ حول الأساطير الشركسية في كتابه "الكاتب والعصر".

٣٧- **خان جري:** وهو من الكتاب القدماء، ويعتبر أول من بدأ في نشر ملاحم نارت الشركسية، وكان ينشرها في مجلة (قفقاس) عام ١٨٤٦، وتحت عنوان "أساطير الشركسي".

٣٨- **خ- تيموت:** من الشعراء والقصاصين الشركس، ومن الجيل الأصغر من الكتاب.

٣٩- **خوست بلقر:** ولدت عام ١٩٣٢، وبدأت أعمالها بالظهور عام ١٩٤٦، ولها أكثر من ديوان شعري منها "أطراز السماء" وصدر عام ١٩٩٧ و "أشعة الشمس أصبحت آلتي الموسيقية" وصدر عام ١٩٧٠.

٤٠- **دوود أخيما:** من الشعراء وكتاب القصة وينتمي إلى الجيل الأصغر من الكتاب في الوطن الأم.

٤١- **داور جعفر:** وهو كتاب اللغة الداعين إلى إعادة توحيد لهجات الشركس في لغة واحدة.

٤٢- **داوود تسي:** من الشعراء وكتاب القصة الشراكسة.

٤٣- **ر. ميركيكي:** من الأدباء الذين اهتموا بكتابة قصص أساطير النارت.

٤٤- **سلطان خان غويري:** عالم أجناس بشرية وكاتب، نشر أساطير شركسية وخرافات من أغاني النارت.

٤٥- **سليمان سنالسكي:** من الأدباء العظام الذين تم تخليدهم في صنع تمثال له.

٤٦- **شكا ماشه:** أديب شركسي زار سوريا وكتب مجموعة قصصية فكاهية، نقلا عن شراكسة حمص ولاقت رواجا كثيرا.

٤٧- **سوخي اسكربي:** من كتاب الشراكسة الكبار ليس له آثار مترجمة للعربية حاليا.

٤٨- **فيزيغ أنانيتكو:** كاتب ومؤرخ من الداعي إلى مساندة الشابسوغ في نـــضالهم من أجل استعادة منطقتهم الخاصة ذات الحكم الذاتي.

٤٩- **غورتوف:** شاعر قصاص من الجيل الأصغر من الكتاب الشراكسة.

٥٠- **تال بيف:** شاعر وروائي، كتب بالمشاركة مع شيكي خاشيف مأساة كوريجات التي مثلت على مسرح نالتشيك عام ١٩٣٤.

٥١- **قسطانوف:** شاعر وكاتب قصة طويلة.

٥٢- **يوليوشين:** شاعر وكاتب قصصي.

وفيما يلي نبذة عن حياة بعض اشهر الادباء والشعراء الشراكسة في عهد الاتحاد السوفيتي وهم:*

"**الشاعر برتقوه مورات**".

- ولد برتقوه مورات في ١٩١٢/٥/٥ في قرية بجحلقواي الشركسية.
- التحق عام ١٩٢٥ بإحدى مدارس كراسنودار.
- في عام ١٩٣١ التحق بجامعة كراسنودار وبقي يتلقى العلم فيها لمدة ثلاث سنوات حيث انقطع عن دراسته.
- اشتغل في الصحافة (محررا) في الاديغي مدة من الزمن.
- وفي عام ١٩٣٤ التحق بالجيش الاحمر وخدم فيه حتى عام ١٩٣٦ حـــين ترك الخدمة العسكرية لينصرف من جديد إلى عمله السابق في الصحافة.
- وعام ١٩٤١ حارب مع الروس في الحرب العالمية الثانية، وابلى فيها بلاء حسنا، ومنح عدة اوسمة تقديرا لبطولاته وشجاعته.

* تم التعريف بالأعمال الادبية والشعرية لكل من كوبة شعبان وابراهيم تسي، وشوجن تسوك وشورا بكمرز ونغموقة وبكمروا باشا ونوري تساغو في فصل مشاهير وعظماء الشراكسة.

- بعد انتهاء الحرب عاد يعمل في اللغة والادب والفولكلور.
- من اهم آثاره الادبية اصداره عدة دواوين شعرية حيث كانت اشعاره تمتاز بالحس الوطني والقومي الشركسي.
- قتل في حادث سيارة في اوائل شهر تموز ١٩٧٠ [١٥].

القاص " يوسف لوستن"

ولد يوسف عام ١٩١٣ في قرية شحنكري حابلة، ودرس في مدرسة القرية كما درس في معهد الاقتصاد الزراعي في مدينة كراسنودار، ومن ثم في احدى جامعات موسكو.

عمل عدة سنوات في تحرير احدى الجرائد وهو بحكم عمله هذا الذي مكنه من الاختلاط بالعمال والتعرف على اعمالهم وطرق معيشتهم وبحكم ميلاده ونشأته في الريف أصبح ملما بشؤون الريف الشركسي والروسي الماما كافيا.

وكانت اولى القصص التي كتبها هي قصة "أمينة"، وخلال عامي ١٩٣٧-١٩٣٨ ألف رواية جديدة بعنوان "الطريق مفتوحة" . وفي عام ١٩٤٠ كتب مسرحية "نالمس" كما اصدر عدة مؤلفات مأخوذة عن الفولكلور الشركسي.

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية عمل (يوسف) في الصحافة، ومنح وسامين لاشتراكه في الحرب، وفي عام ١٩٤٦ وبعد انتهاء الحرب ترك الجيش وعاد إلى (ميكوب) حيث أصدر رواية أخرى باللغتين الروسية والشركسية بعنوان "الجبل يضيء". هذا بالإضافة إلى اصداره مجموعة أخرى من القصص الطويلة منها والقصيرة [١٧].

الاديب والشاعر "عليم كيشوكوف"



الأديب والشاعر عليم كيشوكوف

ولد عام ١٩١٤ في مدينة نالتشك، وترجمت مؤلفاته إلى الكثير من اللغات الاجنبية ومنح في عام ١٩٦٨ جائزة الدولة في الاتحاد السوفياتي لكتابه (القمم لا تنام) كما صدر اول ديوان لاشعاره عام ١٩٤١.

ومن اشهر رواياته (الحدود المهشمة) وقام بترجمتها الشاعر الروسي فلاديمير سولوجنين حيث طبع منها مائة الف نسخة.

ووصف الكاتب الروسي (ميخائيل اليكسييف) الاديب عليم كيشوكوف وصفا رائعا حيث قال:

حينما تفكر بعليم كيشوكوف تلاحقك شخصية الفارس بإلحاح، ولا يقتصر السبب على ان هذه الشخصية في كل مؤلفات الكاتب تقريبا، فهذا يمكن ايعازه إلى ابن الجبال المتوارثة. ولكن يجب ان نفهم شخصية الفارس في انتاج كيشوكوف على نحو اعمق واوسع وانه حركة ازلية جامحة، يعدو كعدو جواد اصيل يستحيل بدونها تصور الشاعر نفسه أو ابطاله الذين يسبغ عليهم الكاتب بثقة مكنونات افكاره [١٨].

"الشاعر البطل اندروخوي حسين"

ولد حسين في قرية شوجن حابلة/ حاكورنه حابله سابقا، عام ١٩٢١ واخذ عن والده خفة الظل وطيبة القلب وعن والدته ذكاءها وتعلقها بالأرض، تلقى علومه في مدرسه القرية، وفي مدرسة "مامكغ" ثم معهد المعلمين في الاديغي.

كان "حسين" ميالا إلى الادب ونظم الشعر منذ نعومة أظفـــاره، وظهـــرت باكورة إنتاجه الادبي قبل أن يتجاوز عمره بعد الثالثة عشرة، وتولاه الشاعر الكبير "حتقوه أحمد" برعايته وأخذ بيده، فاكتسب منه مهارة الكتابة.

عمل في بداية حياته محررا للنشرة الثقافية الخاصة بالمعهد، ثم اشتغل فـــي صحيفة "الاديغي" وعمل فيما بعد محررا في نشره المدرسة الحربية التـــي تلقـــى علومه العسكرية فيها قبل قيام الحرب العالمية الثانية.

ترك لنا "حسين" مجموعة قصائد، جمعت في كتاب صـــدر عـــام ١٩٤٦، ومجموعة قصائد اخرى جمعها له صديقه الشاعر "جان قرمز" كما ترجم مجموعة قصائد للشاعر الروسي فلاديمير ف. مايكوفيسكي"، بالإضـــافة إلـــى منـــشوراته الكثيرة في الصحف والمجلات.

كان (اندرخوي حسين) يتمنى الخدمة في صفوف الجيش، وتحققت امنيتـــه عام ١٩٣٩ عندما دعي إلى التجنيد الاجباري، فالتحق بإحدى المدارس الحربية في البلاد وتلقى علومه العسكرية فيها بحماس واجتهاد، وتخرج منها ضابطا، وارســـل إلى مدينة لينينكان "في ارمينيا".

في ٢٢ حزيران عام ١٩٤١ وعندما غزا النازيون الالمان بـــلاد القفقـــاس تقدم (حسين) مع فرقته لمقاتلة الالمان، وحارب بشجاعة وبسالة وقضى نحبه فـــي الثامن من شهر تشرين الثاني عام ١٩٤١، وقررت رئاسة السوفيت الاعلى منحـــه لقب "بطل الاتحاد السوفيتي" [١٩].

الاديب والشاعر "مشباش اسحق"



الأديب اسحق مشباش
يتسلم اعلى وسام في الأدب في روسيا الاتحادية من الرئيس فلاديمير بوتن

ولد (اسحق) في قرية شحه شفج في منطقة ارمافير عام ١٩٣٠ وعاش طفولة قاسية يتيم الاب مع أربعة إخوة وأخت واحدة، كافحت والدتهم لتأمين لقمة العيش لأبنائها الصغار في ظروف صعبة إبان الحرب العالمية الثانية.

عمل مشباش رئيسا لإتحاد الكتاب والادباء في جمهورية الاديغي وهو منصب احتفظ به لأكثر من (٣١) عاما، وهو احد مستشاري رئيس الجمهورية في الاديغي.

كتب أول ديوان شعر له عندما كان في السادسة عشرة من عمره بعنوان: (الناس الاقوياء) وتبلغ مؤلفاته اليوم اكثر من (٧٠) سبعين كتابا ومجلدا، وقد حاز على جائزتين تقديريتين، الاولى على مستوى الاتحاد السوفييتي (سابقا) والثانية على مستوى روسيا الاتحادية الحالية.

ومن اعماله المميزة، قيامه بالتعاون مع الاديب (كوشباي بشماف) والسيد (داود احمد لبزو) بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الشركسية الذي نشر عام ١٩٩١، وفي عام ١٩٩٣ نشرت له رواية باللغة الروسية ويقول اديبنا الكبير عن هذه الرواية بأنها تعريف بالقومية الشركسية وبالتاريخ الشركسي في الفترة ما بين عامي ١٨٣٠-١٨٦٤ حيث كانت نهاية الحروب الروسية / القوقازية وبداية التهجير الجماعي. والرواية تتحدث عن الشهداء والبطولات التي جرت في القفقاس، والكفاح من اجل الحرية والدفاع عن الوطن، وعن الاصابع التي كان لها

دور في هذه الحرب سواء من داخل روسيا أو من خارجها كبولندا والمانيا وهنغاريا وفرنسا وانجلترا وتركيا.

ويقول (اسحق) بأن النظام السياسي السابق وان كان أمن ضرورات الحياة كالتعليم والرعاية الصحية والاجتماعية للناس، إلا أنه قيد حرية الكتاب والادباء لأنه كان عليهم ان يدينوا بأيديولوجية معينة، وإن استمرارية الكاتب منوطة باستمرار هويته القومية [٢٠].

وفي ٢٠٠١/٥/٢٨م: اصدر السيد الرئيس اصلان جارمة رئيس جمهورية الاديغي قرارا بمنح الكاتب القومي الكبير اسحاق مشباش أرفع وسام في جمهورية الاديغي، بمناسبة بلوغه السبعين من العمر، وذلك للأعمال الادبية الجليلة التي قام بها، ولخدماته القومية الكبيرة، هذا وكان الكاتب قد سبق تكريمه بوسام الصداقة بين الشعوب، ووسام الميدالية الذهبية كمحارب من اجل السلام، وحصل على مواطن (شرف) في مدينة مايكوب [٢١].

" **البرفسور ايتك نامتوق**"



البرفسور اتيك ناميتوق

ولد في ٦ كانون الثاني ١٨٩٢ في مقاطعة (الاديغي) ذات الاستقلال الذاتي واتم دراسته الثانوية في مدينة (ستافروبول) بامتياز واحرز ميدالية ذهبية لتفوقه على اقرانه، وفي عام ١٩١٦ انهى دراسة الحقوق في جامعة (بطر سبورغ) ثم التحق في جامعة السوربون في باريس بعد الهجرة إليها عام ١٩١٨، واتم دراسته فيها عام ١٩٢١.

خبراته العملية:

بعد اتمام دراسة الحقوق في بطرسبورغ سجل نفسه في نقابة المحامين في تلك المدينة، وبقي فيها إلى ما بعد ثورة ١٩١٧ كممثل لجمهورية شمال القفقاس المتحدة المؤقتة، وفي نفس الوقت انتخبه الحزب الديموقراطي المتحد الذي كان ينتسب إليه ليكون عضوا في مجلس الجمهورية الروسية، غير انه اضطر إلى ترك مدينة بطرسبورغ بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم عام ١٩١٧ وعاد إلى موطنه القفقاس واستمر في نشاطه الفعال لخدمة البلاد. وفي عام ١٩١٨ عين حاكما اداريا لمنطقة الكوبان الشركسية في جمهورية شمال القفقاس. وفي نفس السنة ذهب إلى باريس ممثلا عن بلاده في مؤتمر صلح (فرساي) واضطر للبقاء هناك بسبب احتلال الشيوعيين للقفقاس.

كان "ايتك" عضوا بارزا في الجمعية اللغوية في جامعة السوربون، وفي عام ١٩٣٦ اشترك مع غيره من العلماء الفرنسيين في تأسيس جمعية دراسات حوض البحر الابيض المتوسط، ونشر بالتعاون مع البروفسور (جورج دومزيل) الفرنسي الاصل ترجمة كتاب (القصص والاساطير الشركسية). وفي عام ١٩٣٩ اتم دراسته عن الشراكسة وطبع كتابه المسمى (أصل الشراكسة) وكان يتعاون كثيرا مع العلماء المختصين بالدراسات القفقاسية كما كان يكتب المقالات عن بلاده وعن امته الشركسية باللغات الفرنسية والانجليزية والالمانية والروسية، كما اشترك في تحرير المجلات القفقاسية التي ظهرت في اوروبا بعد الهجرة. وفي اثناء الحرب العالمية اشترك في تحرير المجلة العلمية الالمانية (انستيتوفور كونتنتال اوروبانسين فورستويخ) وبعد ان وضعت الحرب اوزارها اصبح رئيسا للجمعية الاسلامية التي انشئت في المانيا، ولم يأل جهدا في تقديم المساعدة للمسيحيين والمسلمين من اخوانه القفقاسيين من خلال هذه الجمعية في المانيا.

وفي عام ١٩٤٦ قرر الهجرة إلى تركيا مع عدد من مواطنيه حيث بقى فيها إلى ان وافاه الاجل المحتوم يوم ٢٧ تموز عام ١٩٦٣ حيث توفي بالسكتة القلبية عن عمر يناهز واحداً وسبعين عاما.

يعتبر (ناموتق) من كبار رجال العلم والسياسة وصاحب عقيدة ومناضلا جريئا، وعالما واسع الاطلاع عمل بجد واخلاص دون ان يعتريه التعب او الملل في سبيل حرية القفقاس، ووضع علمه وخبرته ونشاطه طوال حياته في خدمة حرية وطنه ومواطنيه [٢٢].



الأديب حدا غالة اسكر

الشاعر "الاديب حدا غالة اسكر"

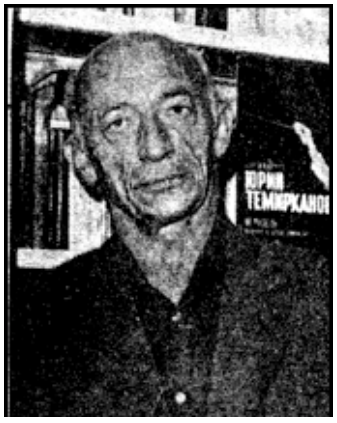
ولد (اسكر) في العشرين من شهر ايلول عام ١٩٢٢ في بلدة حاتقواي، وانهى دراسته الابتدائية فيها عام ١٩٣٤، وتابع دراسته فيما بين عامي ١٩٣٤-١٩٣٧ في مدرسة ادامي الاعدادية ثم انهى دراسته في معهد المعلمين (كلية الادب واللغة) عام ١٩٤٢.

التحق كبقية رفاقه بالجيش الروسي خلال الحرب العالمية الثانية، وعاد بعد انتهائها إلى ميكوب في عام ١٩٤٦، ليعمل رئيسا لقسم الادب والفولكلور في معهد البحث العلمي في الاديغي.

وفي عام ١٩٤٨ اصدر باكورة انتاجه الادبي "اغنية القلب" كما اصدر عام ١٩٥٠ كتابا جديدا بعنوان (الايام المجيدة) ثم قصيدة "كيف قرأت" عام ١٩٥٤، وملحمته "بلدي" في العام ذاته، وفي عام ١٩٥٦، أصدر قصته المشهورة "بنت الاديغة" باللغتين الاديغية والروسية.

يعمل (اسكر) بجهد متواصل منذ عام ١٩٤٦ في جمع الفولكلور في الاديغي واعداده ونشره، وقد اصدر في هذا المجال مجموعة من القصص الشعبية، واعد ستة اجزاء من كتاب "اساطير النارت".

الاديب القاص ميخائيل لأخفينتسكي زكريا أجوق:



الأديب ميخائيل لأخفينتسكي زكريا أجوق

كاتب كبير له حوالي عشرين كتابا، قاتل ضمن القوات الروسية (السوفيتية) المسلحة في بلدان مختلفة مثل رومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا، ونال وسام الحرب الوطنية من الدرجة الأولى، وعلى أعلى الأوسمة من أسطول البحر الأسود، ومشاة البحرية وبعد تركه الجيش أكمل دراسته في كلية اللغة بتفليس وشغل منصب رئيس لفرع اتحاد الكتاب الجورجيين الذين يكتبون بالروسية، أما كتبه فله مجموعة قصصية (لقاء على الدروب) ونشر عام ١٩٥٥، وكتاب (طلقة بندقية في ميتخنا) و (دوي الرعد) وهي مترجمة إلى العربية طبع في دمشق.

الباحث والاكاديمي حميد بن يحيى برتار:

ولد في ١٩٣١/٧/٩ تابع دراسته العليا في موسكو وفي كلية الصحافة، وتخرج منها عام ١٩٥٨، وحصل على الدكتوراه في التاريخ عام ١٩٧٠، وكان مستشاراً للأدب الشركسي في جامعة موسكو وهو شاعر بارز. ونشر أول قصائده عام ١٩٤٩ ومجموعته الشعرية (الفجر) هي أولى مجموعاته التي صدرت عام ١٩٥٧ ثم ديوان "حديث الربيع" عام ١٩٦٠، ومجموعته (شعاع الشمس) عام

١٩٦٥، ومجموعة أغنية المهد نشرت عام ١٩٧٥ ومجموعة (الحب الوحيد) نشرت عام ١٩٧٧ وله مسرحيات عديدة صدرت في كتاب المسرح وله كتاب عنوانه "إسلامي" ترجم إلى الروسية عام ١٩٦٥ كما قام بترجمة كتب من الروسية الشركسية أيضا.

كتاب وادباء شراكسة روجوا للاديولوجية الشيوعية

يوجد في تاريخ الادباء قديما وحديثا فئة من الادباء الشراكسة الذين يسمون (ادباء السلطة) وهو ما حدث في عهد الشيوعيين، حيث ظهر عدد من كتاب الجيل الاصغر سنا، **وأصبحت لهم شهرة كبيرة وإقبال على ترجمة مؤلفاتهم، لا لأنهم أدباء مبدعون في الأدب وفي فن الكتابة القصصية وإنما لقيامهم بتأليف قصص (منحازة) وحكايات موجهة من القيادات الشيوعية**، وكانوا هم لسان حال الحزب الشيوعي وقيامهم بالدعاية للأفكار (البلشفية) في قالب قصصي، وللأمانة العلمية كان لا بد من إعطاء فكرة موجزة عن الانتاج الادبي لهؤلاء الادباء وهم:

"**خ. ثيونوف** " ولد سنة ١٩١٢ كاتب قصص، ولغوي وشاعر. وأولى قصصه اسماها (أهل الجبال) باللهجة القبردينية، وكتب هذه القصة بناء على امر خاص من زعماء (الكرملين) في موسكو وتبدأ حوادثها في القرية التي هي موطن المؤرخ واللغوي القبرديني المعروف باسم (شورا نوغموقة).

وأدى المؤلف المهمة التي كلف بها أداء ممتازا، وحقق رغبة الشيوعيين وبلهجة (قبردينية) خالصة ولم يستخدم الكلمات والتعابير الروسية إلا عندما يضطر لنقل حديث شركسي يحاول ان يتكلم بالروسية المكسرة.

وركز في قصته السياسية الطويلة على القضايا السلبية في تاريخ الشراكسة والقوقازين التي رغب الشيوعيون ابرازها في قصته (المأجورة) وأهم القضايا السلبية في قصته هي:

- خيانة كثيرين من أمراء الشراكسة ودخولهم في احلاف مع التتار وتركيا في الوقت الذي دافع فيه شعب القبردى عن أرضه بشجاعة.
- الادعاء بدور الروس في حماية الشراكسة من الاتراك وأهل القرم، كما أبرز نشاط عملاء انجلترا وفرنسا وتركيا وايران مع ذكر اسماء اهم العملاء والجواسيس.
- الاهتمام (بالميريدية) كحركة دينية في الداغستان، إلا أنه ينتقد غزوات الشيخ شامل وحروبه ضد الروس.
- اتهام القوميات القوقازية المقاومة للشيوعية مثل: الشيشان، والانجوش، والقراشي، ويدافع عن سياسة تهجيرهم، باعتبارهم اقوام جلبت المصائب على الشعوب والقوميات الاخرى في القفقاس، ويحاول تبرير قيام (البلاشفة) بتصفيتهم وإبادتهم إبادة جماعية وتشتيت من بقي منهم حيا إلى مجاهل روسيا ومناطقها النائية.

"**اسكر ايفتخ Asker Evtykh** وهو مؤلف لعديد من القصص والحكايات مثل (اخي الاكبر)، (ومهمة ممتازة)، و(باسيبا أول Psyba Awl)، (وفي قريتنا). وكتبها باللغة الشركسية المنمقة، بل وترجمت إلى الروسية عام (١٩٥٣) ونشرت في المجلة الادبية السوفياتية (العالم الجديد). وتعتبر هذه القصة نموذجاً من الأدب المنشور في المناطق والجمهوريات غير الروسية في الاتحاد السوفياتي، وتصف هذه القصة **الحياة في إحدى القرى في منطقة الحكم الذاتي في الاديغي** بعد الحرب العالمية الثانية، وبطل القصة اسمه (رمضان). وملخصها قيام رئيس إحدى الكولخوزات بالمفاخرة بأن كثيرين لا يجدون الخبز الكافي في الولايات المتحدة الامريكية بينما يوجد خبز كثير في كولخوز. ولا يشكو أحد من نقصه. كما تتحدث القصة عن مفهوم "مساعدة الأخ الأكبر" لإخوانه الاصغر منه بصورة مجردة عن

الانانية (والمقصود بالأخ الاصغر هم الشعوب غير الروسية)، وتعزز القصة عموما التطرف الوطني الروسي كما صورته ملاحظة بطل القصة (رمضان).

ولقي هذا العمل الادبي قبولا حسنا من النقاد السوفيات، الأمر الذي أدى لترجمته للروسية بتفاصيل دقيقة كثيرة، تعبر عن دور المجتمع الشيوعي تجاه ما يقدمه للمجتمع الشركسي في ظل الحكم الشيوعي.

"تسوغ تيوشيخ Tsug Teuchesh "

واعتبره الشيوعيون واحداً من اعظم القصاصين البروليتاريين في منطقة الاديغي، وأملى قصائد موجهة إلى "ستالين" على سكرتيره الشخصي (م. قسطانوف) لأن (تيوشيخ) نفسه كان امياً واحد الرعاة البسطاء في القرية، ولم يعرف القراءة والكتابة. ولكنه ككثير من كبار السن في القفقاس كان يتقن سرد القصص بمهارة فائقة، إلا أن جميع اعمال (تيو شيخ) كتبت بناء على تعليمات قادة الحزب الشيوعي من الشراكسة. (١١)

الأديب والروائي تمبوت قراشيف:

صدر تحت إشرافه كتاب "الأغاني الشركسية القديمة" وكتاب الموروث والأغاني الشركسية وكان من المهتمين بقصص النارت القديمة وله قصص تاريخية، ويبدو في كتاباته أنه ذو نزعة روسية ومن قصصه في زمن ستالين العاصفة، مهداة لتحرير المرأة من الشريعة وله قصة طريق السعادة وترجمت إلى الروسية عام ١٩٤٨، والكتاب منح جائزة ستالين من الدرجة الأولى.

مصادر ومراجع الفصل الأول من الجزء الرابع من المجلد الثاني

١- بالاس. ب. س: (مستشار الدولة في الامبراطورية الروسية القيصيرية، مؤلف كتاب **رحلات إلى الاقاليم الجنوبية الشركسية من الامبراطورية الروسية عامي ١٧٩٣-١٧٩٤**، تجميع واعداد وصفي ميرزا باشا، ترجمة واخراج فهمي شماص: ١٠٣-١٠٥.
٢- اديغية، R. Adighe – **الادب الشركسي** القديم ص: ١٠٥.
٣- شروخ، صلاح الدين، **الشركسي وابناء القوقاز، وملاحمهم الاسطورية**، مجلة الاخاء، اصدار الجمعية الخيرية الشركسية في وادي السير – الاردن العدد (٩٧) ص: ٢٢-٢٥ (والمقالة نقلا عن مجلة (الجيل) الشهرية التي تصدر في فرنسا عن مؤسسة الجيل والصحافة).
٤- قموق، ممدوح، **مختارات من ملاحم نارت الشركسية – ستناي وسوسورقة**، دمشق ١٩٨٤/٨/١١. ص: ٥-٧.
٥- بالاس، نقلا عن (د. أديغية – R. Adighe) مصدر سابق، ص: ١٠٣-١٠٤.
٦- بالاس. المصدر نفسه، ص: ١٠٤.
٧- بالاس. المصدر نفسه، ص: ١٠٦.
٨- نغموقة، شورا بكمرزة، مصدر سابق، ص: ٩١-٩٢.
٩- برزج، نهاد، **تهجير الشراكسة ١٩٦٨**، مصدر سابق، ص: ٢٧.
١٠- آبه زاو، مصدر سابق، ص:
١١- ازوبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ٦٣.
١٢- بالاس، مصدر سابق، ص: ١٠٧-١٠٨.
١٣- ازوبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ٦٣.

١٤- بالاس، مصدر سابق، ص: ١١١-١١٧.
١٥- باكير، عصام، **من نجوم الادب الشركسي، نجوما شورا**، مجلة نـــارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٥٤) لعام ١٩٩٤، ص: ٢-٣.
١٦- وردم محمد علي، **أثر الاديب الكبير المرحوم شعبان كوبه فـــي الحفـــاظ على التراث الشركسي في الأردن**، الاسبوع الثقافي الشركسي في المملكة الأردنية الهاشمية في الفترة ١-٧ تموز ١٩٩١.
١٧- لستان، شحلاخوة، **الادب الشركسي السوفيتي**، نشر باللغة الشركسية في كراستودار عام ١٩٦٦، ترجمة رزوي بولاد، مجلة الاخاء الشركسية.
١٨- مجلة الواحة الشركسية، عمان العدد (٢) السنة الاولى لعام ١٩٧٤ ص: ١٧.
١٩- لستان شحلاخوة، مصدر سابق، ترجمة روزي بولاد، مجلة الاخاء العدد (٣١) السنة السادسة عام ١٩٧٤، ص: ١٠-١١.
٢٠- مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٥٢) للسنة (٢٨) اصدار عام ١٩٩٣، ص:
٢١- مجلة البروز، مصدر سابق العدد (١٤)، ص: ١٩.
٢٢- مجلة الواحة الشركسية، عمان، العدد (١٥) لعام ١٩٧٦، ص:١٢.
٢٣- خفاجي، محمد عبد المنعم، مواكب الحرية في مصر الاسلامية، ص:٣١٩.
٢٤- موسى، عمر باشا، تاريخ الادب في العصر المملوكي، ص: ١٧.

الفصل الثاني

بُعد الأمثال والحكم والأقوال المأثورة لحضارة الأمة الشركسية

تمهيد:

الأمثال والحكم هي التي تعكس فكر وأحاسيس الشعوب، وتتضمن خلاصة تجارب أفرادها في كل مناحي الحياة، وتتضمن عصارة نتاج فكر الحكماء والمفكرين فيها، كما أنها تعبر عن روح الشعب واسلوب حياته ووصف بيئته.

تجتمع في المثل عناصر لا تجتمع في غيره من الكلام، ففيه ايجاز في الألفاظ، وتصل إلى المعنى المطلوب بسهولة ويسر، مع جودة في التشبيه والكناية، مستخدما في ذلك البلاغة، أضف إلى ذلك أن كلمات (المثل) تكون غالبا مسجوعة، لها رنة موسيقية جميلة تساعد على حفظها.

نشأة وتطور الامثال عند الشراكسة:

يقول المختصون بأن الأمثال الشركسية ليست نتاج الفكر المجرد، بل هي مرتبطة بحياة الشعوب، وتمتد جذورها في عمق التاريخ، إلا أنها تخضع إلى التهذيب والتنقيح، على مر الازمان، بحيث لم يبق منها في النهاية سوى الامثال الجديرة بالانتشار والاستمرار.

والمثل الشركسي كما هي (الامثال) عند باقي الشعوب، لا يمكن نسبته إلى شخص معين، فهو نتاج الفكر العام للمجتمع، ومع ذلك نرى احيانا امثالا متناقضة في معانيها وأهدافها، ويعود سبب ذلك، إلى الاختلاف في وجهات النظر عند الفئات التي افرزت تلك الامثال، ويظهر ذلك جليا اذا نظرنا إلى الامثال الشركسية التي وضعت اثناء نظام حكم الطبقات الذي ساد الوطن الام في القفقاس فترة من الزمن، حيث نرى امثالا درجت على ألسنة طبقات الفلاحين والعمال عن امراء (البش) والعكس بالعكس.

وفيما يلي نماذج من الامثال الشركسية التي قيلت في عهد الطبقية:

المثل الاول: "اذا عملت عند (البشة) فاعمل عمل عصفور، وكل أكل حمار".

والمثل الثاني: "صانع جلود ولا يملك كرباجا، نجار ويفتقر إلى يد فأس".

وذلك للدلالة على الجهد الضائع سدى والذي يبذله العامل، ولا ينال بالمقابل إلا القليل، كما أن طبقة الأمراء وبطانتهم كانوا يجندون خبراء في الامثال ليصيغوا لهم امثالا تصب في مصلحتهم ومنها:

"**اذا ابتعد الكلب عن منامه، اصبح فريسة للذئاب**".

والهدف منه هو زرع الخوف في قلوب عبيدهم، وللتهويل من عاقبة خيانة العبد لسيده.

ومثال آخر: "جلد العبد سميك" للدعوة إلى عدم الشفقة على العبد فهو يتحمل الضرب.

ومثل ثالث: "اذا البست الكلب حذاء، لا يتوانى عن أكله

وكذلك فإن الامثال تتأثر بالمعتقدات وفي الفكر الديني لدى أي شعب، فالامثال الشركسية في العصور الوثنية تختلف عنها في العهد المسيحي او الاسلامي وخاصة ما يتعلق منها بالقيم والعبادات والطقوس الدينية.

والامثلة على ذلك كثيرة منها قول الشراكسة بعد اسلامهم:

* "اينما تكونوا يدرككم الموت" * "الأجل لا يتقدم ولا يتأخر". * "تعددت الأسباب والموت واحد"... الخ فهي أمثلة بدأ الشراكسة يستخدمونها بعد اعتناقهم للدين الاسلامي الحنيف، فيما اختلقوا بعد الامثلة عندما قام (دولت كري وغازي كيري) من خانات القرم بقتل الخوارنة (الشوجن)، حيث عبر الكهنة عن حزنهم لتحطيم عصي الاساقفة بقولهم:

"ليتهم يسلبوا متاعك وملكك كما سلبت عصى الأساقفة". [٢]

*** العوامل المساعدة على انتشار الامثال الشركسية**

يجد الدارس لطبيعة (الامثلة الشعبية) في المجتمعات الشركسية منذ عصر الاجداد وحتى حياتنا المعاصرة بأنها تتأثر بمجموعة من العوامل اضافة إلى العاملين السابقين **(الطبيعة الاجتماعية والمعتقدات الدينية).**

وان من اهم هذه العوامل هي:

- **عامل البيئة الطبيعية:** جغرافية منطقة القوقاز من جبال عالية ووديان، ومناخ بارد شتاء وحار صيفا، كان لها دور في صياغة الامثال الشركسية.
- **عامل البيئة الحيوانية:** حيث اننا نجد كثيرا من الامثال الشعبية تستخدم فيها اسماء الحيوانات الأكثر انتشارا في بلاد الشراكسة.
- **عامل البيئة الاقتصادية:** حيث نجد بأن الامثال الشعبية تتناول مفاهيم العمل والتعاون والعمل الجماعي وهي المفاهيم الاقتصادية التي كانت سائدة في المجتماعات الشركسية منذ القدم.
- **عامل البيئة العسكرية:** من حيث كون بلاد الشراكسة عرضة منذ الاف السنين لغزوات الامم والشعوب من خارجها، جعلت حياة الشراكسة حياة تتطلب القوة والشجاعة والبطولة للدفاع عن الأرض والعرض، لذلك نجد الامثال تركز على قيم الشجاعة والرجولة والفداء والتضحية.. الخ.
- **عامل البيئة الاجتماعية والنظام الاجتماعي:** لما كان الشراكسة يعتمدون على تنظيم العلاقات الاجتماعية بين مختلف شرائح وطبقات مجتمعاتهم، وكذلك لما كانت (الاديغة خابزة) هي الدستور والقانون الذي ينظم حياة الشراكسة الاجتماعية والادارية والاقتصادية والسياسية، نجد بأن غالبية الامثال الشركسية تدول حول ترسيخ قيم ومفاهيم تلك العادات، خاصة ما يتعلق منها بكبار السن وصغارهم وبالمرأة والرجل، بالحاكم والمحكوم، اضافة إلى ترسيخ مفاهيم أخرى لها قيم اجتماعية مثل: الصدق والاخلاص

والامانة والتضحية، والاعتزاز بالنفس، والكرم والضيافة، وغيرها من المفاهيم والقيم الاجتماعية.

طبيعة الامثال الشركسية ومستوياتها:

ليس من السهل تحديد طبيعة الامثال ومستوياتها الفكرية والفلسفية، إلا أننا ولغايات البحث والدراسة يمكن تقسيمها إلى (أربع) مستويات وهي:

المستوى الاول: هي امثال شعبية ترقى إلى مستوى (الحِكَم) وهي الامثال التي يكون لها مغزى وفكر فلسفي وتصدر عادة عن شخص حكيم او ذي مكانة اجتماعية ويكون قائلها معروفا.

المستوى الثاني: هي الامثال التي تندرج تحت مصطلح **اقوال مأثورة..** وهي تشبه (الحِكَم) ويكون قائلها معروفا ايضا، إلا انها لا ترقى في معناها إلى درجة الحِكَم.

المستوى الثالث: هي الامثال التي تحمل طابع الاحاجي او الفوازير، وهي قليلة الاستخدام في المجتمعات الشركسية القديمة منها والحديثة، إلا أنها موجودة ويتداولها الصغار قبل الكبار ومثال على ذلك:

(الرأس يضرب مئة رأس) فهو مثال شعبي إلا انه يطرح على شكل تساؤل.. يكون الجواب هو (يد الهاون – المدق) ومثال آخر "**إن مشيت مشى، وان جلست جلس، وان وقفت وقف، وان ناديته فهو اطرش لا يسمع**" **فالجواب (ظل الانسان).**

المستوى الرابع: وهي امثال شعبية يتناولها مختلف فئات الشعب وتنتشر بين عامة الشعب، وهي امثال بعضها رمزية غير مباشرة وبعضها الاخر مباشرة، وتتناول قضية او حالة من حالات الحياة، وهي كثيرة العدد وتصل احيانا إلى الاف (الامثال). وهي الامثال التي تكون قد قبلت لأول مره في مناسبة معينة، فوقع من مستمعيه موقع القبول والاستحسان، وتناولوه بعد ذلك ورددوه في مناسبات مماثلة،

وتنتقل من المحيط القريب إلى المحيط البعيد حسب قوته وصلاحيته للاستمرار حتى تصبح من تراث امثال الأمة.

وفيما يلي أهم المجالات والمحاور التي قيلت فيها الأمثال والحِكَم والاقوال المأثورة:

المجال الاول: كبار السن وصغارهم

تعامل الشراكسة مع كبار السن باحترام شديد، كم ورد في كثير من كتب الرحالة وعلماء الاجتماع، وكذلك وردت الكثير من القصص التي تبين العلاقة بين كبار السن ومن يصغرونهم سنا، وان احترام كبار السن كان يطبق حتى على الأسرى والفقراء والاغنياء والامراء وبين عامة الناس من الجنسين.

اهتم الشراكسة بسن عادات وتقاليد تنظم احترام كبار السن، سواء كانوا في البيت او المضافة أو على المائدة، وإذا ساروا على الطريق راجلين او فرسانا.

كما وضَع الشراكسة كبار العمر في منزلة (القديسين)، يُحترمون، ويُقدرون ويُعززون بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية والسياسية والمالية.. الخ.

كما كان يُنظر لكل شركسي لا يحترم العادات والتقاليد المتعلقة بكبار السن بأنه أنسان ناقص ليس (أديغة) أي أنه ليس برجل قومي شركسي.

والشراكسة بالرغم من احترام كبار السن إلى درجة (التقديس) لا يعني ابدا بأن التعامل معهم كونهم كبار سن وإنما لأنهم يتمتعون بمعرفة وذكاء ربما تفوق الآخرين، وكذلك فإن العادات والتقاليد المتعلقة بكبار السن، تحدد سلوكيات كل الاعمار فعلى كبار السن ان يدركوا ذلك، وأن يتصرفوا من هذا المنطلق.

وفيما يلي مجموعة الحِكَم والامثال الشركسية التي تحدد وتنظم العلاقة مع الكبار كما تحدد علاقتهم مع الصغار سنا:

(يشب الطفل وهو يبكي، ويموت الكهل وهو يشكو).

فهذه الحكمة وضعت لتعليم الصغار، وكذلك الذين يعتنون بكبار السن – كي يتحملوا تصرفات كبار السن، إذ إنها تكون خارجة عن ارادتهم.

ومثال آخر: (كبير السن كثير النعاس، وصغير السن كثير اللعب)

وهذا يدل على وجوب الاعتناء بكبار السن ومعاملتهم بالحسنى واحترامهم، وعدم انتقادهم نتيجة تصرفاتهم بحكم السن.

وكبار السن يختلفون في مستوى صحتهم وتفكيرهم وعاداتهم، فمنهم من لا يؤثر كبر السن عليه، فتراه ما يزال محتفظا بتفكيره وبصحته، ومنهم من يغلبه المرض، ومنهم من يصبح عنيدا لا يعدل عن رأيه، ومنهم من يعتقد بأنه ما زال في سن الشباب.

وهناك قصص تراثية تحض على عدم انتقاد كبار السن والاستهتار بهم ومنها: ان كبيرا في السن انحنى ظهره بسبب عمره الطويل. بادره أحد الاولاد سائل: بكم اشتريت حدبة ظهرك؟!

فأجابه: إذا طال بك العمر فستحصل على مثلها دون مقابل.

كما ان هناك امثالا شركسية كثيرة تبين كيفية التعامل مع كبار السن.

ان البيت الذي يتواجد فيه كبير في السن تظهر فيه الهيبة والوقار، وتسمو سلوكيات وتصرفات من يعيشون فيه، ونستدل عليها بالأمثال التالية:

* يكثر البكاء في البيت الذي يخلو من كبير السن.

كما أن كبير السن لا يقوى على تحمل مشقة الحياة، ونستدل على ذلك من الحكم التي تقول:

* العجوز يبرد حتى في موسم حصاد الشعير.

ولم يكن الشراكسة يحترمون الكبير الذي لا يحترم نفسه، كما يتضح ذلك من المثل القائل:

* اذا كبرت، احترم نفسك، أي (احترم شيبتك) كما يقول المثل العامي:

إذا كنت شابا فتصرف كالشباب، وإذا كنت كهلا فتصرف تصرف الكهول.

* عندما تبيض اللحية لا تسود ثانية

وكذلك فإن المجتمعات الشركسية منذ عصر الاجداد يدركون الحالة النفسية للعجائز / وكبار السن بقولهم:

* حديث العجوز، معظمه عن الماضي.
* يحرد العجوز اذا لم يطع.
* مهما عمر الانسان، يتمنى ان يطول عمره.
* يتصرف العجوز كالصبي عندما يهرم.

كما ان المجتمع الشركسي منذ القدم لم ينس دور الصغار وضرورة احترام طفولتهم وصغر سنهم والتعامل معهم بقدر ما يستحقون. والامثال كثيرة على ذلك وهي:

* خذ النصيحة من كبير السن، وكل مما صنعه صغير.
* من لا يحترم الكبير، يلاقي نفس المصير.

المجال الثاني: الشجاعة والشجعان:

ربما كانت الامثال التي تتحدث عن الشجاعة والبطولة والجرأة من أكثر الأمثال شيوعاً في المجتمعات الشركسية قديماً وحديثاً، ومن هذه الامثال:

* لا تتأوه تحت السيف.
* الشجاع جريء في الظلام، اما الجبان فيخاف من النور.
* البطل هو أول ما يتحمل الصعاب.

* الموت مرة أفضل من الموت مرتين.
* من يحاول اقتلاع عينك قم باقتلاع روحه.
* إما ان تكون رجلا أو الموت افضل.
* ما دام الموت مرة واحدة، فلتمت رجلاً
* الشجاع يساوي بلدا بأكمله.
* الشجاع يموت مرة والجبان يموت الف مرة.
* من يرعب جيشا بشخصه، يساوي جيشا بأكمله.
* عش رجلا، والا فمت.
* لا تستخبر بالك، وانت في المعركة.
* السلاح بيد الشجاع مطواع.
* اشباه الرجال كثر، والرجال الرجال قلة.
* الشجاع لا يضرب الأعزل.
* الموت اشرف من الوقوع في الأسر
* ليس كل من ركب الفرس، فارساً.
* الشجاع يحمل قلب ذئب.

المجال الثالث : المرأة

تحدث الشراكسة عن حِكَم وامثال كثيرة تتعلق بالمرأة والأم والزوجة وزوجة الاب والاب والابناء ومن أهمها هي:

* الأم مهما رفعت يدها عاليا على ابنها تكون ضعيفة، اما امرأة الاب، فمهما خفضت يدها، فإنها تقع عليه قوية.
* الابناء في نظر الام أطفال، ولو بلغوا مبلغ الرجال.
* امرأة الاب ترى ان كل من يقدم إليها قليل، وكل ما تقدمه هي كثير.

* دلال الام للأولاد مضيعة لهم.
* المرأة الصالحة تبني بيت الرجل، ولو لم يغرس فيه إلا عوداً يابساً.
* المرأة متعة ومتاع.
* دار لا امرأة فيها كأرض لا نبت فيها.
* دعوة الأم على ابنها لا تتعدى دفء صدرها.
* عار ان ترفع يدك على المرأة مهددا بضربها.
* المرأة السيئة تقرب أجل الرجل.
* المرأة الفاجرة تجعل زوجها (يخرف) قبل الأوان.
* انظر إلى الأم وتزوج الابنة.
* الحظ يأتي مع الزوجة الصالحة.
* مجادلة المرأة في مكان عام ليست من عاداتنا القومية.
* قلب زوجة الأب أبرد من الثلج.
* المرأة الفاضلة من كانت الوداعة في وجهها، والابتسامة على ثغرها، والمحبة في قلبها.
* الفتاة الاصيلة مثل الزهرة في الحقل.
* المرأة كالزنبق بصفاته ونقائه، ومرتفعة كالنخلة، ومتواضعة كالبنفسجة، وذات أريج دائم كالورود.
* من العار أن تجاهر بأسرار المرأة.

المجال الرابع: العمل

اهتم الشراكسة كثيرا بالعمل، واعتبروه اساس تقدم المدنية

ومن الامثال الشركسية التي تصف العمل وتحث عليه هي:

* لا نهاية لعمل لا بداية له.
* لا تؤجل عمل ما للغد.
* لا تتباهى بمظهرك بل بعملك.
* المُقعد (المعوق) الذي يصنع المحراث خير من الأعمى الذي يملك القرية.
* العبرة بالكيف لا بالكم.
* العاطل عن العمل مهذار (كثير الكلام)
* لا تُوكّل العمل لمن لا يتقنه.
* اعطِ شغلك للمشغول ولا تعطيه لمن لا شغل له.
* تعشعش الافاعي في العمل الذي لم يبدأ به بعد.
* العبرة بالعمل، لا بالكلام.
* كثرة الرعاة، هلاك للقطيع.
* لا ألذ من زاد، بعرق الجبين.
* الفاشل، اعذاره كثيرة.
* قيمة الإنسان في عمله.
* من اجتهد أكل القديد.
* كل بداية عمل صعبة.
* الدقة في العمل لا السرعة فيه.
* إن اشتغلت كالعبد اكلت كالسيد.
* إذا كلفت الصغار بعمل فاذهب بنفسك وراءهم.
* لا ينتهي عمل من لا يتقن عمله.

* اليوم القادم عمله معه. (كل يوم وعمله معه).
* زينة الانسان إتقانه لعمله.
* العمل الذي لا بداية له لا نهاية له.
* من اعتمد على ميراث ابيه فليس برجل.
* حلاوة العمل في إنجازه مهما كان صعبا.
* العمل يرفع من قيمة الانسان، والكسل يحط من شأنه.
* لا تؤجل عملك بل انجزه حالا.
* لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.
* طريقة العمل توحي بنتائجه.
* يفنى الطيب، وتبقى أعماله.

المجال الخامس: الشر والخير:

امثال شركسية تحذر من عمل الشر:

* من يزرع الشر يحصده.
* من لم يجرب المصائب، لا يعرف قيمة الهناء (السعادة).
* لا تداوم على الشر وتنتظر الخير.
* من يضمر الشر لا يجد الخير.
* ان كانت البداية شرا، فنهايتها كذلك.
* صاحب اللسان المر، لا يعرف مذاق الحلاوة.
* حلول المصيبة سهل ولكن فراقه صعب.
* من أين اتيت ايتها المصيبة؟!

أمثال شركسية تحث على عمل الخير

* تفاءلوا بالخير تجدوه.
* اعمل الخير تجده أمامك.
* الخصال الحميدة تضرب في سبعة اجيال.

المجال السادس: أمثال شركسية تقدر الجمال وكل ما هو جميل.

* يستغرب الناظر من جمالها.
* لا تغتر بجمالك بل بعملك.
* ذات حاجبين رفيعين سوداوين جميلين.
* سواد حاجبيها مثل سواد طائر "القانج"
* بياضها كبياض طائر "القانج".*
* جمال المظهر، يستر مائه عيب.
* جميل الوجه، طيب القلب.
* يصعب معرفة ما في قلبه من مظهره الخارجي.
* ليس كل جميل هو جميل، وليس كل ما يلمع ذهبا.

المجال السابع: الخبرة والتجربة:

* يقع الحجر على رأس من لا يعرف كيف يرميه.
* لا تسل مسنّا بل سل المجرب.
* من لم يَسح فكأنه لم يولد.
* ما تراه العين تساوى الرأس.

* القانج هو نوع من الطيور الجميلة التي يتكون ريشه من اللونين الأسود والأبيض.

* لا يقدر قيمة العسل إلا من لسعه النحل.
* عش كثيرا ترى كثيرا.
* التجارب هي الحكمة الحقيقية.
* الخبرة، بعد العثرة.
* لا تعرف الصالح إلا بعد تجربة.

المجال الثامن: الضيافة والكرم

* إذا أطال الضيف إقامته، يتعب المضيف.
* إذا كان الضيف حزينا، سببه المضيف.
* إذا أكثر الضيف التثاؤب أطعمه وقده إلى النوم.
* لا خير في دار لا ضيف فيه.
* الضيف الطيب يفتح باب مضيفه دائما.
* الضيفُ يفدى بالروح.
* دار لا ضيف فيها، لا بورك فيها.

المجال التاسع: التعاون والعمل الجماعي

* عندما تضاف يد إلى يد فإن بيت الانسان يبنى.
* الاتحاد والتعاون يعمر البيت والتحاسد يخربه.
* خائن من يتأخر عن مساعدة الآخرين.
* العمل الجماعي لذيذ، مثل الأكل الجماعي.
* الخير، في العمل الجماعي.
* الشاذ عن الجماعة، بمنزلة الخنزير.

المجال العاشر: الصداقة والصدق.

من الواضح بأن المجتمعات الشركسية منذ القدم تنظر إلى الصداقة نظرة احترام وتعتبرها أهم من الاخوة (العاقة) ونستدل على ذلك من قولهم:

* كونوا اخوانا عند المُلمات.
* الصديق يعلن لك، والعدو يغتابك.
* الابن العاق، مصدر لعنة لوالده.
* الصديق الصدوق خير من اخ عقوق.
* الصدق يعمي البصر.
* الصدق دواء والكذب داء.
* من لا يفكر بصدق رفيق السفر لا خير فيه.
* الرفيق السيء والسلاح الرديء بمنزلة سواء.

المجال الحادي عشر: العلم والمعرفة وأهمية العقل

توصلنا في فصل بعد المعارف العلمية في حضارة الامة الشركسية بأنهم توصلوا إليها باستخدام العقل والمعرفة كما يتضح ذلك من الامثال التالية:

* مُتعلم، ولكنه غير مثقف
* الجاهل، لا يصلح معلما.
* الكتاب مفتاح المعرفة.
* حديث العقلاء متعة.
* المسكين من لا عقل له.
* هل يمكن شراء العقل بالمال.
* من ملك العقل ملك كل شيء.
* العالم لا يقول، والقائل لا يعلم.

* اذا تمتعت بالعقل فلن يعوزك المال.
* اذا بقي الرأس سليما فلن ينقصه غطاء.
* قليل الفطنة كثير التعثر.
* كل الغلال لا يسعها كيس واحد، وكل العلوم لا يستوعبها رأس واحد.
* العلم بدون عمل والعمل بدون علم لا يجدى.
* اذا تمتعت بالعقل فلن يعوزك المال.

المجال الثاني عشر: الموت والأجل:

اهتم الشراكسة بالموت كحقيقة إلا أن ايمانهم بأن الاجل لا يتقدم ولا يتأخر بدأ بعد اعتناقهم الدين الاسلامي الحنيف ونستدل على ذلك من امثالهم التالية:

* الموت يأتي فجأة.
* اينما تكونوا يدرككم الموت.
* الاجل لا يتقدم ولا يتأخر.
* كل حي وله أجل.
* الموت لا يفرق بين شخص وآخر.
* ما من ميت، حمل دنياه معه.
* كل من عملت له (كوشة)* حفر له قبرا.
* لا تبحث عن الموت، فهو سيجدك.
* تعددت الاسباب والموت واحد.
* الحياة لذيذة حتى عند دنو الاجل.

* الكوشة، هي السرير الخشبي الذي يستخدمه الشراكسة منذ عصر الاجداد لينام فيه الاطفال في السنة الاولى من عمرهم.

* الموت لا يفرق بين صغير وكبير.
* الميت الحي، خير من الحي الميت.

المجال الثالث عشر: الحيوانات كمحور اساسي للامثلة والحكم الشركسية:

ربما كان الشراكسة من اكثر الامم والشعوب والقوميات القديمة استخداما للحيوانات في أمثالهم وأقوالهم المؤثرة.. وأنهم استخدموا اكثر من (١٢) نوعاً من الحيوانات من أمثالهم مثل الكلاب، والثعالب، والدبب، والقطط البري، والذئاب، والخيل، والحية، والثور، والعجل، والماعز، والشاة، والحَمل، ومن الطيور الدجاج فقط.

ويتضح ذلك من الأمثال الرمزية التالية:

* الكلب مُلك لمن يستأنس به.
* في المكان الذي لا يوجد فيه الكلب يعوي الذئب.
* لا تقتل كلبا في ماء انت شاربه، ولا تكن فظا مع من تعاشره.
* ضحكت الماعز من الشاة عندما ارتفع ذيلها ونسيت انها ولدت مرفوعة الذيل.
* لا يذبح الثور الذي وقع تحت نير المحراث.
* اذا أشبع الدب بلحم رقص.
* الدب إذا أحب شيئا أكله.
* يموت الكلب وهو يعوي.
* القط البري يعرف من شاربيه.
* الجوع يطرد الذئب من الغابة.
* لا تُمني فتاتك بجلد الدب الذي ليس في يدك.
* لا تلد المعزاة شاة.
* إذا انقطع الفارس وقف الجواد.

* الجوع يجبر الافعى على ترك جحرها.
* الكلام الجميل يخرج الحية من جحرها.
* ذو الحظ السيىء يعضه الكلب ولو كان راكبا على جمل.
* إذا يئس الفارس توقفت الفرس.
* لا تصارع الدب اعتمادا على رفيقك.
* الأمل يحطم الجبال.
* الوفاء للوطن من خصائل الانسان الشركسي (اديغة له).
* عندما تهاجمك المصائب، لا تستشيرك.
* تأتيك المصيبة، دون ان تحسب لها حسابا.
* ذم الوطن ليس من عاداتنا.
* إذا قَلّت نارك فهو دليل على قلة رزقك.

المجال الرابع عشر: أمثال وحكم في مجالات ومحاور متفرقة

مجموعة من الامثال والحكم الشركسية تتناول مختلف مجالات الحياة واستخلاص العبر والحكم منها:

* الهلال لا يضيء كثيرا والبدر وإن اضاء فلا يكتمل يوما.
* من مدحك في وجهك فهو كمن ذمك في غيبتك.
* لا تفعل بالغير ما لا تريد ان يفعلوه بك.
* من أنكر أصله وقومه فلا اصل له (من ينكر أصله وقومه فليس بإنسان شركسي)
* الحر من ثبت على قوله.
* جرح ذيل فرسه واخذ يداويه.
* إذا خوى البطن، ضعف البصر.

* مهما كبر الشارب لا يغطي اللحية.
* يضحى بالنفس ليصون الكرامة.
* ان تحب لأخيك ما تحبه لنفسك.
* لا ترم حجرا في ماء أنت شاربه.
* ليس كل ما يلمع ذهبا.
* لا تفعل مع الغير ما لا تريد ان يفعله الاخرون بك.
* لا تتدخل فيما لا يعنيك تسمع كلاما لا يرضيك.
* فكر جيدا وتكلم وانظر حولك واجلس.
* ان لم تجد من تستشيره، ضع (القلبق) امامك واستشره.
* الواهمون يستخرجون الزبدة من الماء.
* الأمل مدعاة الحياة.

*** الاحاجي والفوازير عن الشراكسة:**

اهتم الشراكسة في استخدام الاحاجي (الفوازير) في مجالس الشباب والصغار، وفيما يلي نماذج من تلك الاحاجي واجاباتها:

الاحجية	الجواب
* تأكل القرية وأهلها ولا يأكلها الذئب	(النار)
* عود وعود وثلاثون يشكلون عود	(دخان في المدخنة)
* رأس يضرب مئة رأس	(مدق يد الهاون)
* ثلاثة لا يمكن عملها ما هي:	(لا يمكن ان تصعد للسماء بسلم) (لا يجلب الماء بالغربال) (لا يمكن قلي السمن بالسيخ)

* قرميه ذات سبع ثقوب (الرأس)
* على الأرض فاتر وفي السماء طائر ويجفف النبات (الهواء الساخن)
* إن مشيت مشى وإن جلست جلس وإن وقفت وقف وإن ناديت عليه أطرش (ظل الانسان)
* حاسة شحة قوية ولكنه ليس بكلب وله جناحان ولكنه ليس بطائر (النحل)
* بئر من ذهب (مرقة اللحمة).

أهمية الامثال الشركسية وفوائدها:

مع مرور الزمان وتطور الحياة في المجتمعات الشركسية في الوطن الام، وفي غياب التدوين والتوثيق لغياب الكتابة في العصور الوسطى اصبحت الامثال الشعبية وتناقلها من جيل إلى جيل وسيلة من وسائل التربية والتعليم، كما انها اصبحت من عناصر التراث القومي الشركسي.

وفيما يلي أهم فوائد الامثال والحكم والاقوال المأثورة واستخدامها:

١- استخدام الامثال لاغراض تعليمية ومواقف تربوية وتوجيهية للاطفال والفتيان ومن هذه الأمثال هي:

* لا تؤجل عمل اليوم للغد.
* لا الذ واجمل من زاد بعرق الجبين.
* انظر للأم وتزوج الابنة.

٢- استخدام الأمثال لحل العديد من المشاكل أو التعامل مع مواقف صعبة وهي الامثال التي وضعت من قبل اشخاص مروا بتجارب.

* فكر واحكي، وانظر حولك واجلس.
* لا تجلس في مكان غير مكانك، فتضطر للقيام منه.
* العمل الجماعي لذيذ كما الاكل الجماعي.

٣- استخدم الشراكسة الامثال في تحذير او تذكير أو تنبيه اشخاص من كبار السن أو صغاره بأن ما يقومون به خطأ وغير مناسب ومن هذه الامثال هي:

* من يزرع الشر يحصده.
* من يضمر الشر لا يجد الخير.
* صاحب اللسان المر، لا يعرف مذاق الحلاوة.
* لا تتباهى بمظهرك، بل بعلمك.

٤- استخدام الامثال الشركسية في الحث للقيام بأعمال بطولية وشجاعة، ومن هذه الامثال هي:

* الشجاع يحمل قلب ذئب.
* البطل هو أول من يتحمل الصعاب.
* ما دام الرجل يموت مرة واحدة فليمت رجلاً.

٥- استخدام الامثال لتثبيت وترسيخ مفاهيم وقيم نبيلة هي:

الامثال التي تستخدم لتعليم النشء بأهمية التقيد بالعادات والتقاليد وتدريبهم عليها في مختلف مواقف الحياة.

ومن الامثلة على ذلك كثيرة جدا منها:

* اذا كبرت احترم نفسك.
* اذا كنت شابا فتصرف كالشباب واذا كنت كهلا فتصرف كالكهول.

* من لا يحترم الكبير، يلاقي نفس المصير.
* السلاح بين الشجاع مطاوع.
* الشجاع لا يضرب الاعزل.
* ليس كل من يركب الفرس فارسا.

٦- **كثيرا ما تستخدم الامثال والاقوال المأثورة للتعبير عن العادات والتقاليد القومية الشركسية، خاصة** ما يتعلق منها بعادات احترام المرأة وكبار السن، والعادات التي تحث على العمل عامة والعمل الجماعي خاصة، وعلى التعاون، بالإضافة إلى العادات التي تنمي وتكسب الصفات والخصائص القومية المميزة بشخصية الانسان الشركسي (أديغة له) والامثلة كثيرة جدا منها:

* المرأة الفاضلة تكون الوداعة في وجهها والابتسامة على ثغرها، والمحبة في قلبها.
* الصدارة لكبار السن.
* الانسان في زمن الشدائد.
* خائن من يتأخر عن مساعدة الاخرين.
* الصديق الصدوق خير من أخ عقوق.
* الضيف يفدى بالروح.
* لا خير في دار لا ضيف فيها.
* يضحي بالنفس ليصون الكرامة.
* اذا قلّت نارك فهو دليل على قلة رزقك.

الفصل الثالث

بُعد الفروسية وثقافة تربية الخيل وألعابها في حضارة الأمة الشركسية

*** مكانة الخيول وانواعها لدى الشراكسة عبر العصور القديمة والحديثة:**

ان الدارس لتاريخ اجداد الشراكسة يجد بأن اهتمامهم بتربية الخيول، يعود إلى عصور فجر التاريخ، وأن الأساطير الشركسية تتحدث عن الخيل بشكل دائم، ولعل أشهر تلك الخيول هي (حصان نارت سوسرقة) التي تقول الأسطورة بأنه من سلالة (الخيول المجنحة) والتي رافقته عندما سرق النار من الآلهة.

لم يتجرأ أحد أن يهمل دور الخيل والفروسية عند الشراكسة في أدبهم، فجميع الروايات والكتب التاريخية التي كتبت عن الشركس أشادت بالفروسية عندهم، وتعلقهم بالخيل.

وتقول إحدى الروايات القديمة بأن الجد قال لحفيده وهو يعلمه ركوب الخيل:-

"لا تخف يا بني أوقف رجفة قدميك، إذا فهم الجواد أنك خائف لن يبقيك فوقه وابن (القبرداي) الذي لا يستطيع ان يبقى فوق الجواد لا ينفع لشيء، شد على قدميك، التصق برقبة صاحبك، قل كلاما لطيفا، لا تظن انها لا تفهم، الجياد تفهم كل ما تقوله بلغتنا، لأن الخيل تتحدث بالشركسية هيا.. هيا.. أحسنت.. أولادنا يتعلمون ركوب الخيل قبل تعلم المشي، شعبنا آت من نسل الخيل". [١]

كما تؤكد الدراسات بأن الخيل بالنسبة للشركس لم تكن مجرد وسيلة تسلية ورياضة ولا الرفيق المخلص عبر التاريخ فقط، وحسب ولا هي مجرد مصدر فخر واعتزاز لهم وحسب، بل إنها جزء من روح الامة الشركسية [٢].

ويقول ر. ف. ايركيرت (١٨٨٧) يرجع اهتمام الشراكسة بالخيول إلى عصور قديمة جدا، حيث كان الحصان الرفيق الصبور والوفي والامين والحامي بالنسبة للفارس الشركسي، وهو فخره الاكبر، وصديقه الأفضل، ويقدم له كل شيء حتى آخر انفاسه، ويهرب به ساعة الخطر فيمنحه الفارس الحب والعناية اللذين يستشعرها الحصان مما يجعله يقدم كل منفعة يطلبها منه فارسه" [٣].

ومن اساطير النارتيين بأنهم كانوا (يحلمون) بامتلاك خيل (عجيب) يتصف بقدرات عقلية وجسدية خرافية كالقدرة على الطيران والكلام، واختلقوا خيولا مثل (تخوجية) وهو الحصان والصديق المخلص، والمستشار للنارت (سوسروقة) وحصان (دلدل) لـ (بتراز) و (بسيغوالا) لـ (أشاماز) و (جميدة) لـ (شاويه) وغيرهم. أما (جامانشريك) لـ (أندمركان) فقد يكون حيث كان حصانا حقيقيا، ونلاحظ أنه كان يتميز بصفات الحصان القتالي الرائع، ويقال أنه كان من الجيل الاول لفصيلة حصان (شولوخ) المشهورة. وكان الكثيرون من الأبطال الشراكسة يمتلكون خيلا من فصيلة (شولوخ) غير ان (جامانشريك) ذاع صيته اكثر من غيره، وتقول الاسطورة أيضا إن (اندمركان) ربما ما كان قد مات (عند وقوعه في فخ العدو) لو كان راكبا حصانه (جاما نشريك) المخلص جدا له. [1].

كما تشير الروايات الشركسية القديمة بأن الاحتفالات الشركسية تضمنت ألعاباً ومسابقات (سانه خوافا، تحشخوه غوحيج، فاكوه يحيج، حغوليغو، جكواكو خاسا وغيرها) إلى جانب العديد من الالعاب والمسابقات الرياضية التقليدية أشهرها شورا بسرة أي (الفارس والراجل) وشيغاجه أي (سباق الخيل) وشيغاجيغو أي (العاب الفروسية) وشيقغافة أي (رقص الخيل) ونيشان أي (إصابة الهدف) وقويبلج تشاريشا أي (ربط الجبن المدخن بالعارضة) وزبان أي (مصارعة) الخ. أما جوائز الفرسان التي كان يتنافس عليها فهي المشغولات اليدوية من صنع أمهر الفتيات (كحبال حريرية مجدولة، وقرابات المسدسات) مصنوعة من (السختيان) واكياس تبغ مطرزة بخيوط ذهبية والقلانيس والمناديل وغيرها من الجوائز الرمزية*.

* هذه الرواية منقولة عن كتاب الشراكسة ابطال اوروبا والالعاب الاولمبية للكاتب "غير غوف حسن" المنشور باللغة الروسية بإشراف الاكاديمية الشركسية الدولية للعلوم في نالتشك عام ١٩٩٨، ص: ٢٤١-٢٥٩.

وما زال الشراكسة يحبون الخيل، وهم يفرقون بين نوعين: **فرس الركوب (خاقوا)، والخيول العادية أي خيول الجر والحمل (شي)**. وهناك تقليد قديم معروف بين الشركس يقضي بتربية حصان الركوب في قبو تحت الارض لا تنفذ إليه اشعة الشمس ولا الضوء، وحسب ذلك التقليد فإن مثل هذا الحصان لن يصبح حصان ركوب فقط بل افضل حصان يمكن التفكير فيه على الاطلاق. إن التفريق بين حصان الركوب وخيل الجر والحمل ليس تفريقا نظريا فقط، بل يتعدى ذلك إلى الجانب العملي، فمن المعروف مثلا حتى بين الشراكسة في العالم حتى اليوم بأن ال (خاقوا) (حصان الركوب) يجب عدم امتطائه في الفترة ما بين الربيع وآخر الصيف، ويقولون أيضا بأن امتطاء تلك الخيول مقصور على فترة الشتاء حيث انها تتغذى في الشتاء على العلف الجاف. وعندما يبدأ ال (خاقوا) يرعى العشب الاخضر يتوقفون عن ركوبه لأن من معتقداتهم بأن ركوب الخيل (الخاقو) خلال فصل الربيع يؤثر على قدرتها وتميزها في المستقبل [٤].

وربما كان (يخول) من الباحثين المختصين في التراث الشركسي من شراكسة الأردن اكثر الباحثين دقة في وصفه للتراث المتراكم عند الشراكسة عن الخيل بقوله: "**كانوا يحبون الخيل ويحسبونها من مكملات حياتهم**" كما هو مبين في الصورة المرفقة.

كما عدد لنا المظاهر التي تدل على مدى اهتمام الشراكسة بالخيول أهمها:

- النظر للحصان الجيد كاللباس الجيد، والصديق المخلص والحصان الجيد قرة عين الفارس التي تعكس شخصيته.
- اهتم معظم الشراكسة بالخيول وعايروا كل من لا يستطيع تربية وتدريب حصانه.

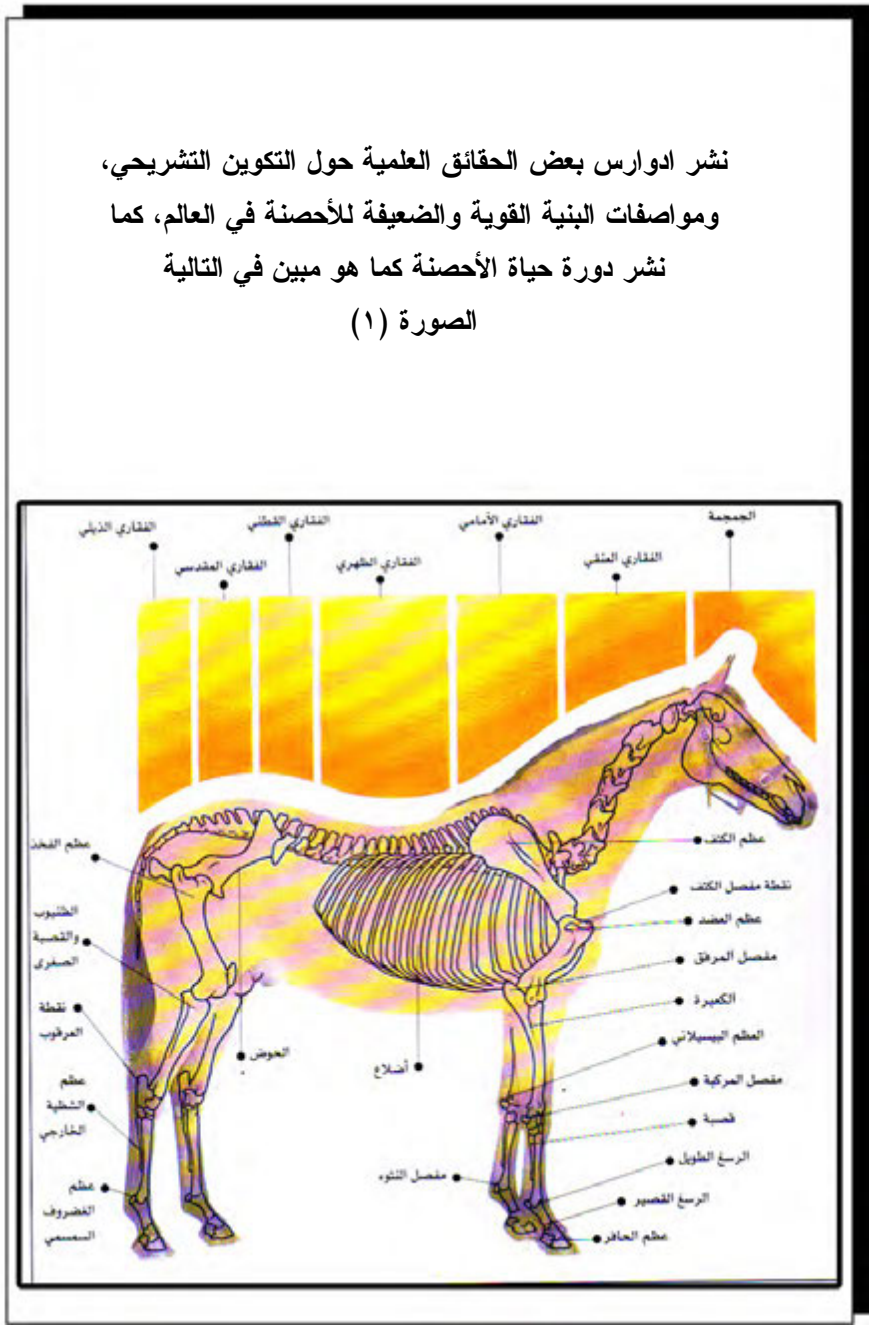
- حرص الشراكسة منذ عصر الاجداد على تربية الحصان الجيد والعمل على الاكثار منه للحفاظ على نسله.

اهتم الشراكسة منذ القدم مثلهم الشعوب الأخرى التي تهتم بتربية الخيـــول بكل ما يتعلق بنسل الخيول ودورة حياتها، والتكوين التـــشريحي للحـــصان القـــوي والحصان الضعيف وغيرها من القضايا العلمية الاساسية التي تتعلق بتربية الخيول.

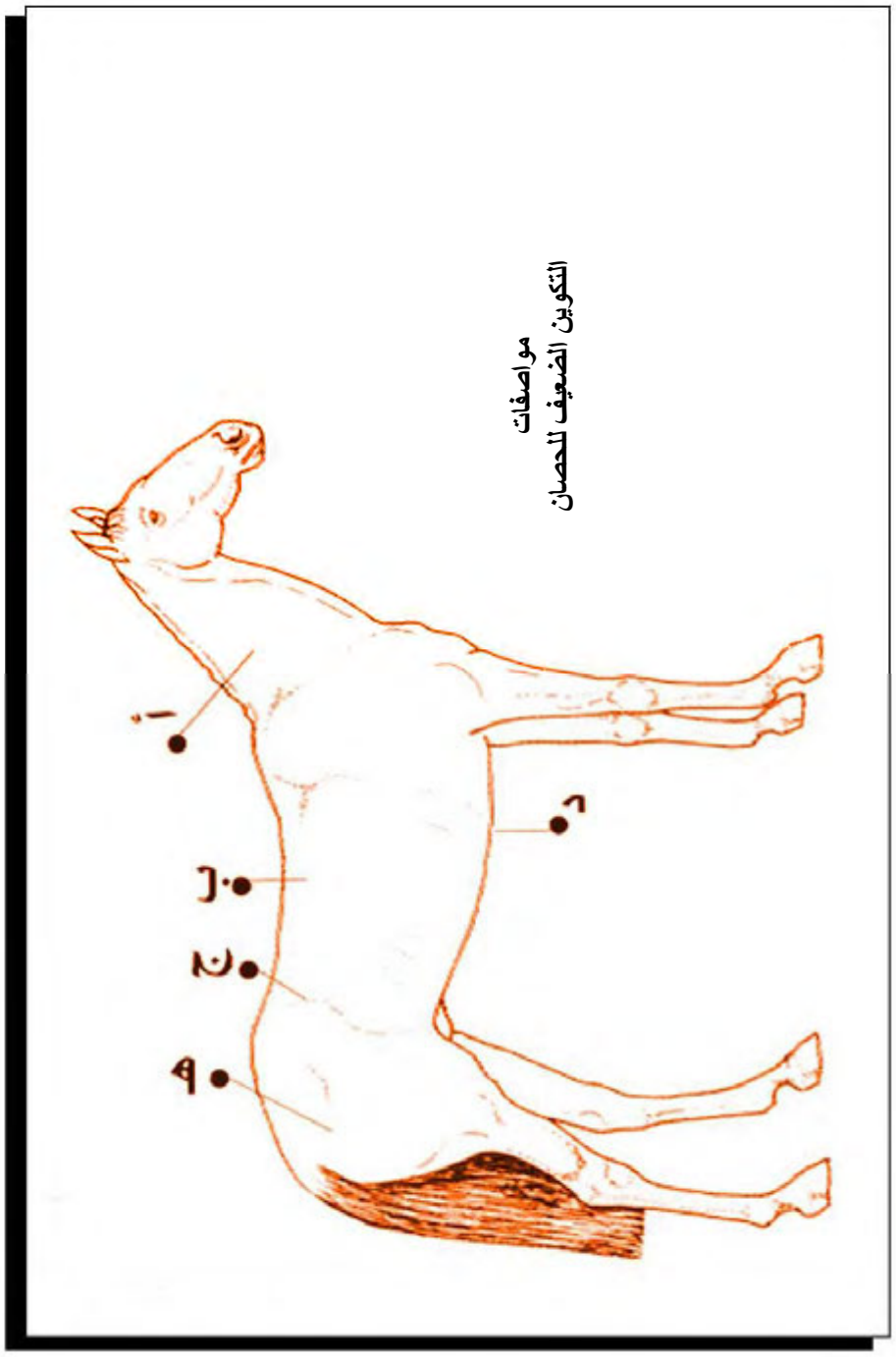
ومن الجدير ذكره بأن الباحث العالمي المشهور **(أيلوني هـــارتي ادوراس)** بحث في مثل القضايا التي كان الشراكسة من عصر الاجداد يهتمون بها ويحاولون وضع الحلول لانتاج نسل قوي للخيول الاصلية، ووضع العـــالم (ادوارس) نتـــائج ابحاثه في كتابه "الاحصنة" وترجمة ساوزتيون، ونشرته مكتبة مدبولي في القـــاهرة عام ٢٠٠٦.

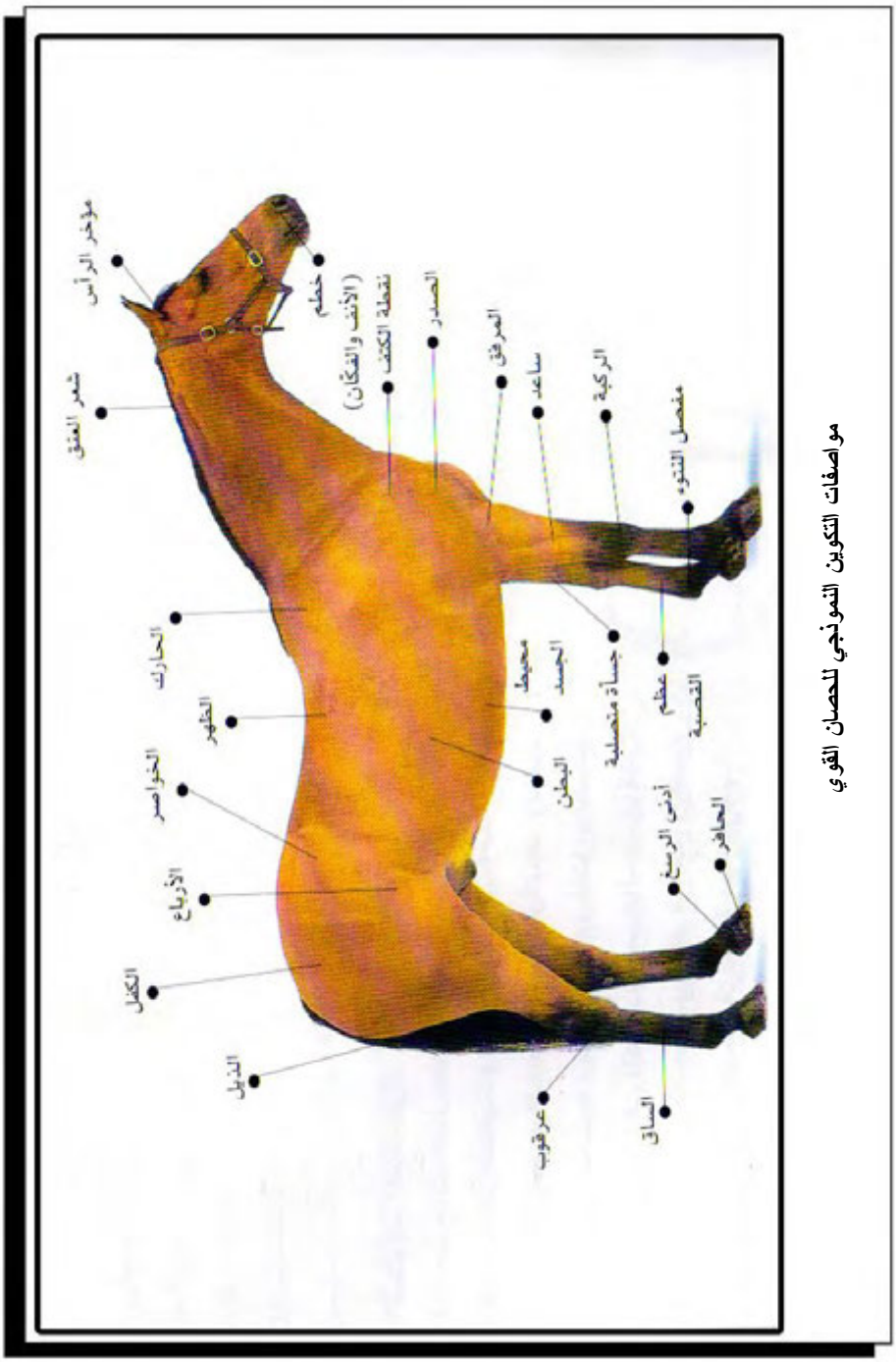
نشر ادوارس بعض الحقائق العلمية حول التكوين التشريحي، ومواصفات البنية القوية والضعيفة للأحصنة في العالم، كما نشر دورة حياة الأحصنة كما هو مبين في التالية

الصورة (١)



تكوين الهيكل العظمي للحصان


مواصفات
التكوين الضعيف للحصان



مواصفات التكوين النموذجي للحصان القوي

دائرة حياة الحصان
الحولي (من عمر سنة إلى سنتين):
السنوات الوسطى (من خمس إلى عشر سنوات):
السنوات الغنية بالقوة:

*** أهم طرق تربية وترويض الخيول:**

كان للشراكسة طريقتهم الخاصة في تربية وترويض الخيول وكان اهم هذه الطرق تتمثل في الاعتبارات التالية:

- السماح للمهر بالرضاعة لمدة حول كامل، وفي عمر السنتين يتم فصل الذكور عن الاناث.
- في عمر اربع سنوات يتم اختيار الخيول الذكور التي سيتم اعدادها (كفحول) وفصلها عن باقي الخيول، واستخدامها للاكثار وتحسين نسل الخيل.
- اعداد خيول الركوب بعد (خصيها) والبدء بترويضها على التحمل والركض لمسافات طويلة، وقطع الانهار والمياه العميقة، والركض في الأراضي الوعرة والغابات والأراضي المحروثة. وكانوا لا يركبون الخيول حتى يصبح عمرها سبع سنوات. كما كانوا لا يحبذون ركوب الاناث من الخيل [٥].

منشأ الخيول وأنواعها عند الشراكسة:

بالنسبة لمنشأ الخيول وانواعها، يؤكد البرفسور (فرانز هانز) بأن منشأ الخيل في البداية لم يكن في وسط آسيا كما كان يُعتقد، وإنما كان منشأها في المنطقة التي تضم حضارات شمال القفقاس، وحضارة ما بين النهرين.

كما اكتشف (هانز) ما يقرب (٢٨) نوعاً (فصيلة) للخيول، يعود تاريخها للفترة ما بين (٢٠٠٠-٣٠٠٠) ق. م. وشُبهت هذه الخيول بأنها تنتمي إلى نوع (بريفالسكي) وعلى الارجح أنها كانت في ذلك الوقت حيوانات صيد يؤكل لحمها، وفي العصر البرونزي ما بين (٦٠٠-١٠٠٠ق. م) بدأ امتطاء الخيل واستعماله كوسيلة للتنقل في قفقاسيا.

وأكد (هانز) بأن عربات الخيل الحربية ظهرت قبل الميلاد بألفي سنة وانتقلت بعدها بأربع مئة سنة إلى مصر وبابل. [٦]

وأما حول أسماء الخيول الشركسية (القوقازية) واسمائها فإن (يخول) يذكر لنا اثنين وعشرين نوعا من الخيول الشركسية، كما يجدد لنا عشرة أسماء لخيول شركسية قوقازية اكتسبت شهرة عالمية:

وفيما يلي أهم أنواع الخيول واسمائها كما وردت في التراث الشركسي:

النوع الأول: أبقو:

وهو قوي، كثير التحمل، سريع، وكان يستعمل للركوب للمسافات البعيدة، وقد ورد ذكره في قصيدة الشاعر الشركسي الشهير (توتج تسه كؤ) الذي يصف فيها طبقة (البشه) وعساكرهم من (الورق) بالقول: (لا عمل لهم سوى قطع الطرق) وكذلك: (لست بحاجة إلا إلى أبقو).

النوع الثاني: ألاشا:

وهو حصان قوي، كان يستعمل للجر والركوب ايضا. ومن الامثال الشركسية التي ورد فيها: (الا أشا يسرع اذا ضربته بعكس الحمار).

النوع الثالث: ألب:

وهو نوع من الخيول ورد ذكره كثيرا في الاساطير والحكايات التراثية الشركسية، ويوصف بالقوة والتحمل، وتحكي الاساطير أنه كان يقفز عن الانهار، والجبال وفي بعض الاساطير يذكر أنه كان حصاناً مجنحاً (مجنح)؟؟

النوع الرابع: برول:

وهو قصير الرقبة، قوي جدا، ورد ذكره في كثير من الأساطير والحكايات ويقال في الامثال الشركسية: (قوة البرول تعادل قوة سبعة جياد).

النوع الخامس: دول – دول:

وقد ورد ذكره في كثير من الاساطير، ويمتاز بالقوة والذكاء والسرعة، وجاء في قصيدة النارت (بترز) بيت يقول: (ما إن هم بمناولة سيفه، حتى اقترب "الدول دول" الذكي من الفارس).

النوع السادس: يملتش:

وهو غير أليف لم يستعمل قط للركوب أو الجر، ولم يروض وجاء في قصيدة الأديب الشركسي (مشباش اسحق) بقوله: انتصب ال (يملتش) على رجليه الخلفيتين وسقط الرجل مثل كيس محشو.

النوع السابع: ييساني:

وهو عال، ذو قوائم طويلة، جميل المظهر، يمشي على أطراف حوافره، وكان يستعمل للركوب في الحروب، وجاء اسمه في الأشعار الفلوكلورية: منها (أخرجت الييساني الذي لم تقلم حوافره بعد، من الحظيرة).

النوع الثامن: بشّه غوالا:

أبيض اللون، ضارب إلى الصفرة قليلا، وكان الشراكسة يتطيرون من امتطائه وجاء ذكره في الاغاني الفلوكلورية مثل: "وصل ممتطيا ال (بكئه – بشه غوالا).

النوع التاسع: فارا:

هو من أكثر الخيول الشركسية شهرة في التراث الشركسي، ورد ذكره في كثير من الاساطير والحكايات، وكان يستعمل للركوب وجاء ذكره في الامثال الشركسية: بقولهم "حتى من لم تلدها (الفارا)، ليست سوى فرس هزيلة".

النوع العاشر: تشه مد:

من الخيول التي ورد ذكرها كثيرا في الاساطير النارتية الشركسية، وهي من الخيول التي تتحمل كثيرا، وإن كان مظهرها لا يوحي بفعاليتها.

النوع الحادي عشر: كاكئوه أو وخاكؤه:

وهو حصان، ضخم، جميل المظهر، من سلالة معروفة، يستعمل للاكثار وتحسين النسل، وجاء في الامثال الشركسية: "الخيول الجيدة هي التي من نسل ال (كاكئوه) الجيدة.

النوع الثاني عشر: شه قاره:

وهو مائل للسواد، وكان الشراكسة يحبذون استعماله للركوب، وورد ذكره في قصيدة للشاعر (برنقوه مراد) "جوادان من نوع (شه قاره) يعض الواحد منهما الآخر، ويقضمان اللجام".

النوع الثالث عشر: شه تخوه:

وهو حصان ابيض، مائل للصفرة، ولم يكن الشراكسة يحبذون ركوبه، وذكر في التراث في معرض وصف جيش من جيوش القوزاق. "كانت معظم خيول الجيش من ال (شه تخوه) المقصوصة أعرافها وأذيالها".

النوع الرابع عشر: شوشه:

كان يستعمل في الحروب، وفي الأسفار الطويلة، فهو كثير التحمل، ولم يكن يستعمل لجر العربات مطلقا. ويرد اسمه في معظم القصص والأساطير الشركسية، وهو لا ينفرد بلون محدد او نوع محدد من الخيول، ويدل اسمه عليه، فهو مكون من مقطعين (شو) اي فارس، (شه) اي جواد، ويعني الجواد الذي له منزلة مميزة عند الفارس، وما يبين انه مميز، اقترانه بالفارس والفقرة التراثية التالية تبين اهمية مثل هذا النوع من الجياد عند الشراكسة:

"لقد قتلت ابني الوحيد الذي كنت اعتبره بمثابة (شوشه) فعليك ان تفتديه بـ (شوشه) (أي انه يساويه بابنه)!!

النوع الخامس عشر: شه عدي:

هذا النوع لا يصلح للمسافات الطويلة فهو نحيل الجسم، ومنظره جميل، ويتميز بقوته في المسافات القصيرة، ولكنه يتعب بسرعة.

وجاء في قصيدة للشاعر والكاتب (مشباش اسحق) بقوله: "**فقدوا السيطرة على خيولهم (الشه غدي) فأخذت تتدافع بصدورها**".

النوع السادس عشر: شجي:

لونه احمر مائل إلى الصفرة، وذنبه وعرفه اسودان، وقد ورد ذكره في الأساطير النارتية والحكايات التراثية مثل: "**تكون اول من يصل ال (شجي) الجميل يا نارت (أبشاس)**".

النوع السابع عشر: مزش: ومعناه خيول الغابة:

يطلق على الخيول البرية غير الاليفة، ويكون عادة أصغر حجما من الخيول الاليفة.

النوع الثامن عشر: شوح/ شه

وهو يطلق على الخيول المخصصة لجر العربات.

النوع التاسع عشر: قغاتشه شه أو قفاجه – بشه

ويطلق على الحصان او الفرس المعد للسباقات، وجاء ذكره في التراث الشركسي:

"**يمتطي الحصان الاسود الطويل، وإذا ارخى له العنان، يبدو وكأنه سيطير في الهواء**".

النوع العشرون: شه كئه:

وهو مهر، حديث الولادة، وقد ورد في الامثال الشركسية بمعنى:

"**يجهز سرجا للمهر، وهو ما يزال في بطن امه!!**"

النوع الحادي والعشرون: قونان شه:

ويطلق على المهر من عمر سنتين إلى ثلاث سنوات، وجاء في الاغاني الفلكلورية: بمعنى "فرسي في المقدمة (وقوناني) في المؤخرة".

النوع الثاني والعشرون: حلة زيشه شه:

حصان قوي جدا وكان يستعمل لجر الاحمال الثقيلة، وباستطاعة الواحد منها، جر (٥٠ بودا)* ، أي انه يجر حوالي ٨٠٠كغم.

وفيما يلي نماذج من صور لألوان بعض أنواع الخيول الشركسية في القفقاس التي اشتهرت عبر العصور.

الأسماء المشهورة للخيول عند الشراكسة

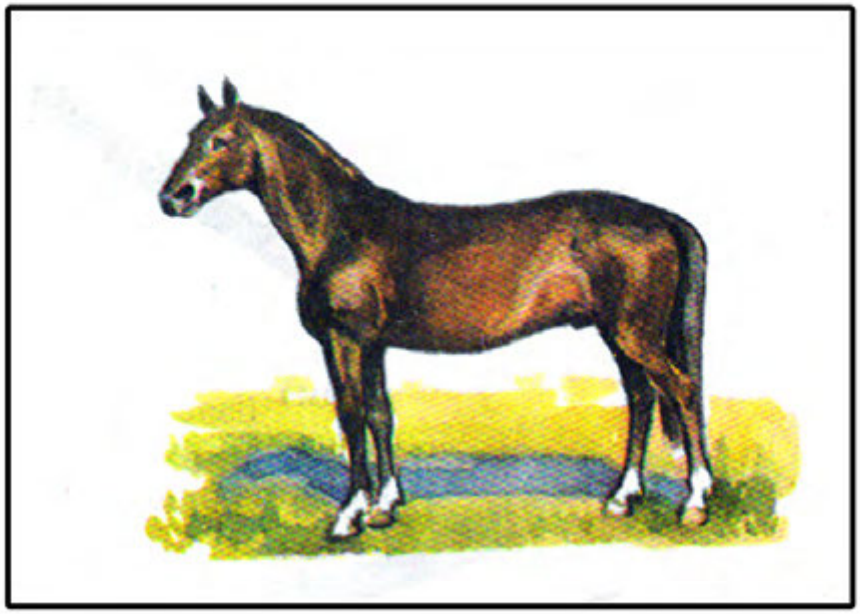
عرف الشراكسة بالإضافة إلى الأنواع سابقة الذكر خيولاً بأسماء عديدة، وان أكثر الخيول شهرة كانت تسمى أحد الاسماء التالية: **أتشت، بتش قان، جن جفّ، يغن، قوندیت، ترام، ونش، جمان شارق، شاوه تلخو، شجرقو، شيراشت، بتسه غوبل، شيبكو، تخوبل، قب فه.** (٧)

تقسيم الخيول الشركسية بحسب ألوانها:

قسم الشراكسة الخيول إلى ثمانية أنواع بحسب الألوان المبينة في الصور المرفقة.

* البودا وحدة كيل قديمة تعادل (١٦) كغم (٥٠بودا × ١٦كغم) = ٨٠٠ كغم.

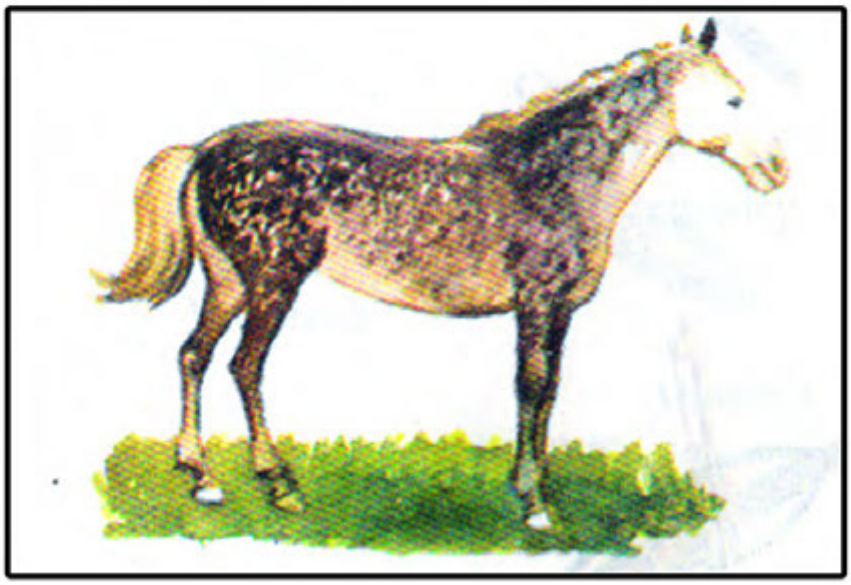
نموذج للحصان ذي اللون الكستنائي الغامق



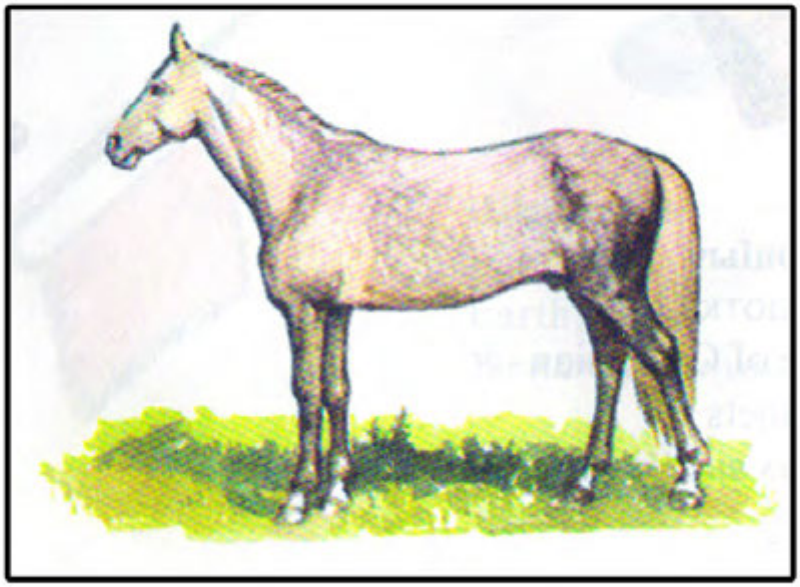
نموذج للحصان السكني اللون



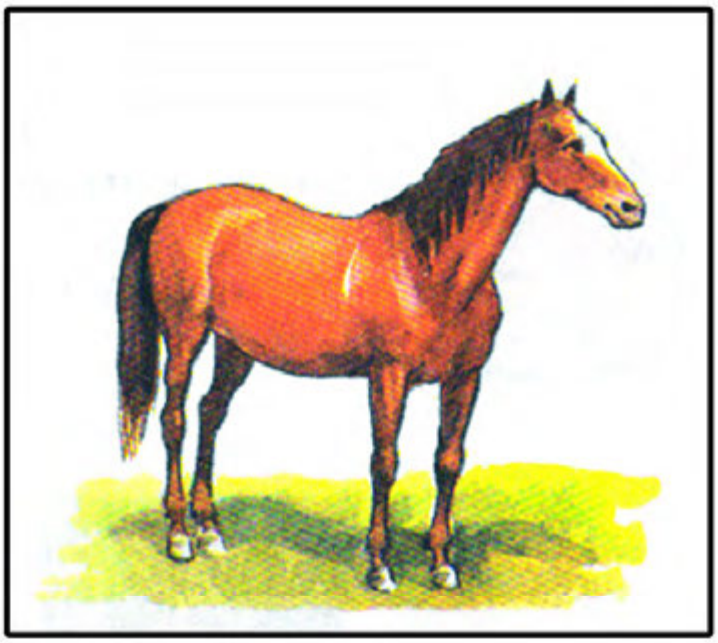
نموذج للحصان ذي اللون الأبيض في رأسه



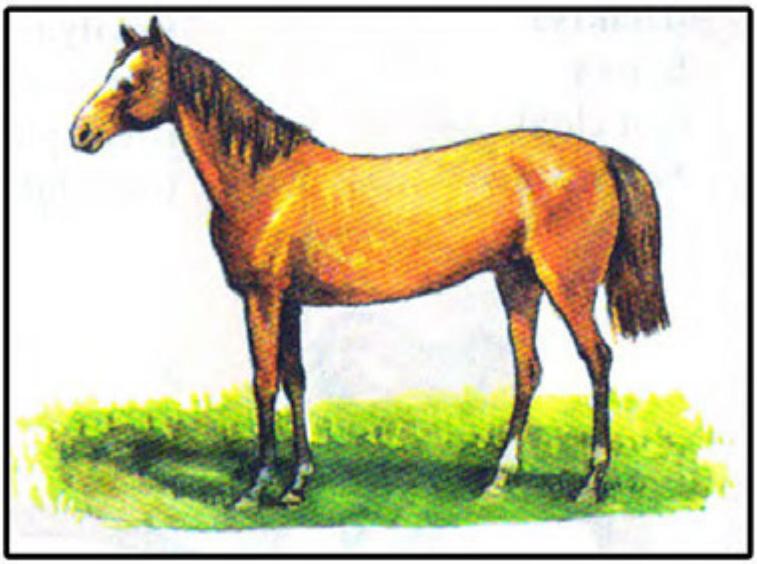
نموذج للحصان ذي اللون الرمادي



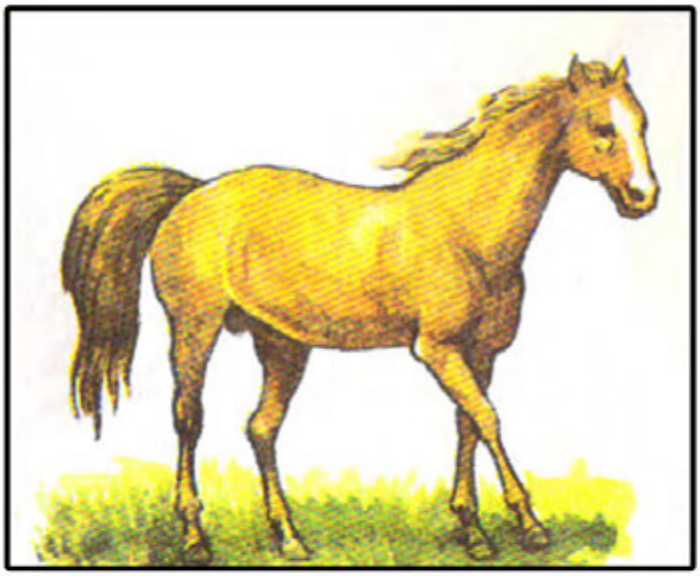
نموذج للحصان ذي اللون الأحمر



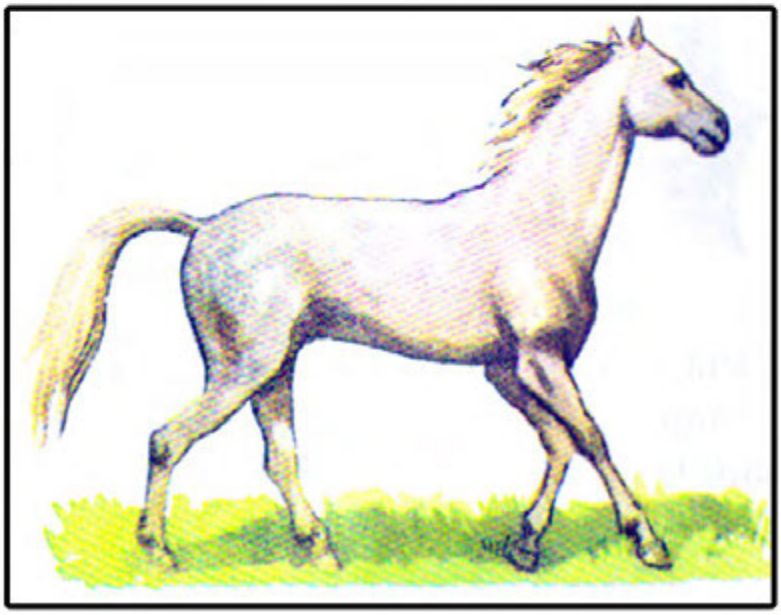
نموذج للحصان ذي اللون الكستنائي الخفيف

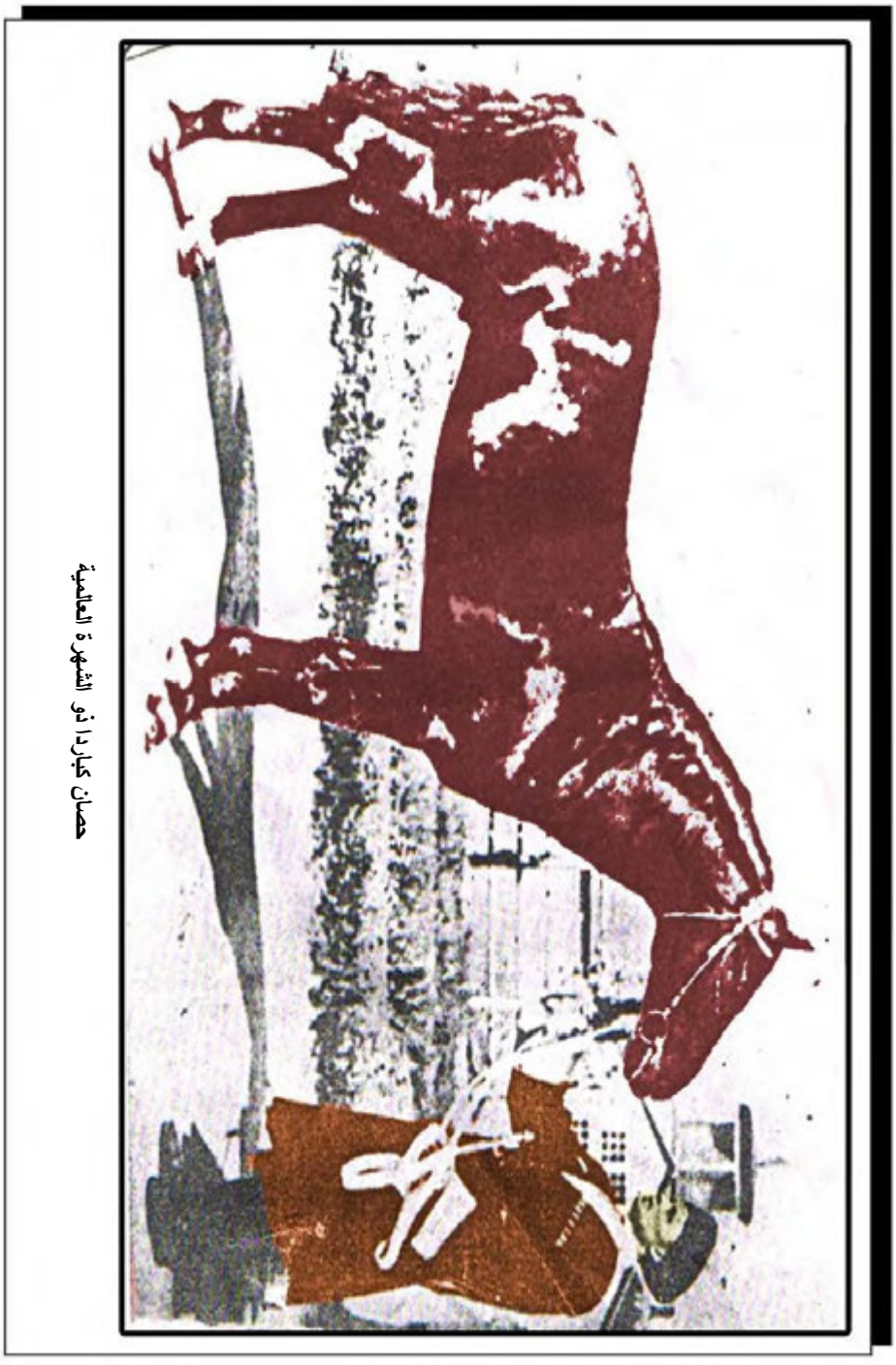


نموذج للحصان ذي اللون الأحمر الخفيف



نموذج للحصان ذي اللون السكني الفاتح





حصان كباردا ذو الشهرة العالمية

مجالات استخدام الخيل منذ عصر الاجداد

الفروسية عند الشراكسة قديمة قدم قوم (النارتيين) الذين عاشوا في عصور ما قبل فجر التاريخ وفي الازمنة ما قبل الميلاد.

واهتم الشراكسة منذ عهد الاجداد بتربية الخيول لاستخدامها في اكثر من مجال ولأكثر من غاية، ومن أهم مجالات استخدام الخيل لدى الشراكسة كان على النحو التالي:

* **التنقل والترحال والسفر.**
* **الجر والتحميل والنقل.**
* **الصيد ومطاردة الفرائس والرعي.**
* **القتال والاعمال الحربية.**
* **العاب الفروسية ومسابقاتها.**
* **المناسبات الاجتماعية.**
* **السباق والمنافسات.**
* **العروض بعد تدريبها وترويضها.**
* **التجارة والاستثمار.**

وفيما يلي تحليل مجالات كل استخدام من الاستخدامات الثمانية سابقة الذكر وهي:

* **استخدام الخيول للركوب في التنقل والترحال والسفر**

يقول (هانز) بدأ امتطاء الخيل في قفقاسيا منذ العصر البرونزي وفي الفترة ما بين ٦٠٠-١٠٠٠ ق. م حيث استخدم الخيل في الانتقال من القرى إلى المراعي وإلى اماكن الزراعة، كما استخدم في تنقلاته من قرية لأخرى وفي ترحاله واسفاره البعيدة حيث كانت الخيول هي الوسيلة الرئيسية في التنقلات منذ عصر الاجداد[٩].

وكان أثر الخيول التي استخدمها الشراكسة للركوب هي:

- حصان الفارا، وهو من الخيول المشهورة في التراث الشركسي.
- حصان القاره، ورد ذكره في قصائد شعرية مشهورة.
- حصان (الأشا) ورد ذكره في الامثال الشركسية بمعنى "الاشا، يسرع اذا ضربته، بعكس الحمار".

*** استخدام الخيول للجر والنقل والتحميل:**

كان اول استخدام للخيول في جر العربات الحربية من قبل (الحثيين) في الالفية الثانية قبل الميلاد، والشراكسة اخذوا عنهم هذا النوع من الاستخدام.

ومن الخيول التي استخدمت للجر والنقل كانت من نوع:

- (شوج – شه) أو شكوشه وهو مخصص لجر العربات.
- حَله – زشه – شه وهو مخصص لجر الاشياء الثقيلة تصل إلى ٨٠٠ كغم تقريبا.

*** استخدام الخيول في الاعمال الحربية والقتال:**

ومن اهم الخيول التي استخدمها الشراكسة للاعمال القتالية هي:

- حصان (بيساني) وهو ذو قوائم عالية، وجاء ذكره في الاشعار الفلكلورية بمعنى "اخرجت البيساني الذي لم تقلم حوافره بعد من الحظيرة".
- حصان (ابقو) الذي كان يستخدمه عساكر الامراء (البشه) من الشراكسة في حروبهم وفي غزواتهم التي تحتاج قطع الطرق لمسافات بعيدة.
- حصان (شه تخوه) وكان يستخدمه القوزاق في معظم جيوشهم بعد قص أعرفاه وذيله.

*** استخدام الخيول في الصيد والمطاردة والرعي:**

لقد كان الشراكسة يدربون الخيول لاستخدامها في رحلات الصيد الطويلة عامة، وفي الصيد في السهول أو على المرتفعات الجبلية خاصة، كما استخدموا في مطاردة الحيوانات البرية مثل الغزلان، والابل، والارانب، بالإضافة إلى صيد الحيوانات المفترسة ذات الفراء الثمين مثل الدبب والنمور .. الخ، هذا بالإضافة لاستخدامها في رعي قطعان الخيول والبقر والماشية على اختلاف أنواعها.

*** استخدام الخيول في ألعاب الفروسية ومسابقاتها:**

إن الدارس لتاريخ استخدام أجداد الشراكسة للخيول، يجد بأنه تطور من استخدامها للتنقل والنقل والصيد والاستخدامات العسكرية والقتالية في زمن الحروب، لاسخدامها في زمن السلم في ألعابهم ومسابقاتهم ومنافساتهم، وكذلك فإن الدارس لألعاب الفروسية لدى الشراكسة التي نشأت في عصر الاجداد قبل اكثر من الفي سنة، يجد بأنها تنوعت وتعددت.

ويقول في ذلك (جموخة): "المنافسات بين الفرسان الشراكسة كانت بين الأبطال، يعرضون فيها مهاراتهم في ركوب الخيل. حيث كانوا يمتطون خيولهم بجميع الأشكال والمواضع، العامودية منها والتعلق بجانب الحصان، كما كانوا يقومون بمناورات وعرض مهارات وحركات خطرة يلتقطون فيها السياط من على الأرض، ويصيبون البيض الملقى على الأرض والحصان بأقصى سرعة له، وكان هناك نوع خاص من مهارات ركوب الخيل، يسمى "شورا – كسير" (وتعني حرفيا: الامتطاء والترجل)، حيث يقفز فيه الفارس، وهو بأقصى سرعة، عن ظهر حصانه، ويعود إلى وضعه الاعتيادي [١٠].

واما الرحالة (جيم بل) فيصف لنا مهارة الشراكسة في فنون ألعاب الفروسية بقوله:

"... وفي الطريق خرج لاستقبالنا احد الزعماء مرتديا درعا من الزرد، وكان مظهره عسكريا تماما، وسبقه مرافقوه للقائنا والحفاوة بنا، ثم ما لبث ان انضم إلينا شاب كنت قد لاحظته سابقا، حيث كان مميزا عن الآخرين ببنيته القوية وحيويته، فقام هذا الشاب باستعراض مهارته امامنا من فن قيادة الخيول، وشهر السلاح في كافة حالات الركوب، ورفع (مغلاق) غطاء السلاح واطلاق النار على قبعة ملقاة على الأرض، والقفز من والى ظهر الحصان، وفي نفس الوقت تجهيز

السلاح والتصويب على هدف في الأمام أو خطف السيف من غمده والحصان في اقصى سرعة له.. الخ [١١].

وفيما يلي أهم ألعاب الفروسية عند الشراكسة

يقول (جوناتوقة): "كانوا مولعين بركوب الخيل وتربيتها، ولم يكن أحد منهم يعجز عن الركوب والقفز عن ظهر حصانه او اختطاف خاتم أو قطع النقود عن الارض في حالة الجري السريع، كما انهم كانوا يظهرون مهارة فائقة في تسديد المرمى وإصابة الاهداف بالاقواس ورمي الرماح الطويلة من على ظهر الخيول.

وفي الاعياد القومية كان الشبان يقيمون حفلات سباق الخيل كما كانوا مولعين بألعاب والفروسية وهم على ظهور الخيل.

وكان من اكثر أحب الالعاب إليهم:

اللعبة التي يشترك فيها الخيالة والمشاة وهي لعبة يصطفون فيها ويشكلون دائرة وهم مسلحون بالعصي الطويلة والسياط، ويحاول الخيالة المهاجمة لاختراق حلقتهم والوصول داخل دائرتها.

كما يصف لنا (فيل) لعبة من العاب الفروسية الجماعية كان يمارسها الشراكسة في وقت السلم بقوله: "بعد الطعام بدأ الرقص من جديد، وكان الطعام قد جدد قوى الموجودين على ما يبدو، وأخذ الرقص طابعا أكثر مهارة وحماسة مما كان عليه قبل الغداء، واندمجت الفتيات بالرجال، وشارك الجميع بالرقص، مشكلين صفا طويلا، ممسكين بأيدي بعضهم البعض، وهم يقومون بالحركات الراقصة، ويغنون بانسجام مع الموسيقى. وقاموا بحركات معقدة بالغة الصعوبة، **وبدأت لعبة جديدة. فقد قام بعض الرجال بامتطاء الخيول، غير بعيدين عنا وركضوا بخيولهم باتجاه صف الراقصين، يريدون اختراقه ولكن الراقصين دافعوا عن صفهم، وكان الأكثرية مسلحين بهروات واجهوا بها الفرسان المهاجمين بضربات على رؤوس الخيل. وهكذا أعاقوا اختراق الصف، وترافق هذا مع ضجة تفوق الوصف،**

وازدادت الضجة اكثر مع اطلاق النار الكثيف الذي كان متوقفا في فترة الغـداء، فقفزت الخيول على قوائمها الخلفية، ثم عاود الفرسان هجومهم بغـضب غيـر عادي، وفي النهاية اختلطت ضجتهم بالصياح والاضطراب العام(١٢).

وبالبحث عن اهم العاب الفروسية التي مارسها الشراكـسة منـذ عـصر الاجداد حتى القرن العشرين نجد بأنها تتلخص في الالعاب التالية:

*** لعبة صراع الخيول:**

وكانت مباريات صراع الخيول تقام لإظهار القوة الكامنة لدى الفرسان أولا ولقوة الجياد المطهّمة ثانيا. فقد التقى متنافسان وجها لوجه، وحـاول كـل منهمـا إزاحة الآخر عن مكانه عن طريق الدّفع بصدر حصانه.

*** لعبة الرجوع للاصل:**

وفيها يقوم فارس وشخص آخر مترجل محاولة طرح الواحد منهما للآخر على الأرض. ومن الخيول التي كانت تستخدم في مثل هذه الرياضة هو نوع اسمه (شه غدي) ورد في قصيدة للشاعر (مشباش) بقوله: "فقدوا السيطرة على خيـولهم (الشه غدي) فأخذت تتدافع بصدورها".

*** مسابقة قطع الأنهار العميقة من على ظهر الحصان:**

ظلت هذه المسابقات تمارس حتى أواسط القرن التاسـع عـشر، وتـسمى **مسابقة قطع الأنهار**، وهي من رياضات الفروسية الصيفية، وكان من قواعد هـذه المسابقة حفظ الملابس والخنجر والمسدس في كيس من الجلد محكـم الإغـلاق، ويثبت على ظهر المتنافس. وتبدأ المسابقة بقفز المتسابقين إلى النهر العميق وهـم على ظهر الحصان، ويكون الفائز من يصل للضفة الاخرى من النهر اولا.

وفي عام ١٨٣٨، جرت مسابقة كبيرة في "قلعة باخسان"، شارك فيها مائة وستة وأربعون متسابقا، من ضمنهم سبعة من القوزاق، وفاز فـي ذلـك الـسباق للبالغين (نورس قانقويش) ابن الأربعين سنة (١٣).

*** لعبة الجنود المشاة والفرسان.**

كانت هذه اللعبة الحربية شائعة جدا عند الشراكسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وفيها تقف مجموعة من جنود المشاة، يحملون هراوات وسياطا طويلة في دائرة، بينما تقوم مجموعة الفرسان بمحاولة اختراق هذه الدائرة، وفتح ثغرة فيها، وهي لعبة تتطلب الشجاعة والتكنيك الفني. وعلى الرغم من اندفاع الخيول بقوة فلم تقع إصابات خطيرة. وعادة ما كانت ترافق هذه اللعبة شعائر احتفالية اخرى مثل الغناء والاناشيد الحماسية، كما تبدأ بعد انتهاء مجموعة من رقصات الجماعية مثل (الويج) [١٤].

*** الالعاب الاستعراضية:**

اشتهر الشراكسة منذ عصر الاجداد وحتى عصرنا الحاضر بألعاب الفروسية (البهلوانية) الاستعراضية ومن هذه الالعاب:

*** تشكيل اهرامات فوق ظهور الخيول:**

وفيها يسير من (٥-٦) فرسان ممتطين الخيل بجوار بعضهم البعض. ثم يقوم (٥-٦) فرسان آخرين مترجلين بالقفز على ظهر الخيل والصعود إلى اكتاف الخيالة، ثم يقوم ثلاثة فرسان آخرين بالقفز إلى إكتاف المجموعة الاولى من الفرسان، ومن ثم يتبعهم فارسان بالقفز والتسلق للوصول إلى اكتاف الخيالة الثلاثة السابقين لهما، وأخيرا يقفز الفارس الأخير ويتسلق المجموعات السابقة حتى يصل إلى أكتاف آخر فارسين، ويقف فوقهما، ويرفع العلم الشركسي. وكان يتم تنفيذ وتتم مثل هذه الحركات، والخيول تجري في سرعة متوسطة.*

* مارس شراكسة الأردن وسوريا هذا النوع من الرياضات الاستعراضية في المهرجانات الرياضية، وفي الاحتفالات الوطنية التي كانت تقام حتى أواسط القرن العشرين الماضي.

*** لعبة إصابة الهدف من أوضاع مختلفة :**

في هذه اللعبة، يبدأ الفارس بالجري على قدميه والقفز إلى ظهر الحصان وهو في حالة جري القصوى، وفي نفس الوقت يقوم بتعمير سلاحه والتسديد نحو (بيضة) موضوعة على الأرض، وفي الحركة الثانية يقوم بالهبوط إلى الأرض والحصان في أقصى سرعة له، ثم القفز ثانية إلى السرج والتسديد على هدف ثانٍ أمامه.

وفي الحركة الأخيرة يقوم بالانزلاق من أسفل الحصان (دون أن يلامس أرجل الحصان) والعودة لظهر الحصان من الجهة الاخرى، والتسديد على هدف ثالث، وهكذا، تتم كل هذه الحركات والحصان في أقصى سرعته.

*** العاب المناسبات الاجتماعية:**

استخدمت الخيول في المناسبات الاجتماعية عامة وفي الأعراس خاصة، حيث كان يتجمع العشرات من الفرسان أمام منزل العروس في يوم (الونيشة) وهو اليوم الاخير لاحتفالات الزواج والتنافس في خطف (الدبأة)* من إحدى الفتيات والانطلاق بها خارج المنزل بأقصى سرعة، بينما على الفرسان الآخرين اللحاق به ومحاولة اختطاف (الدبأة) والفارس الذي يفوز (بالدبأة) يعود إلى مكان العرس ويهديها (للقشن) أي الخطيبة، اثباتا لبطولته وتفوقه على اقرانه وما زالت هذه العادة مطبقة في القرى في الوطن الأم كما أنها كانت مطبقة في بلاد المهجر حتى السنوات الأخيرة، خاصة في مجتمع التجمعات القروية الشركسية في كل من تركيا والأردن وسوريا.

---

* الدبأة، عبارة عن شكل على هيئة (التاج) أو الكأس الرياضي مصنوع من حبات الجوز والبندق المثبت على هيكل من الاسلاك المشبكة أو هيكل خشبي وتقوم الفتيات بصنعها خصيصا لهذه المناسبة.

*** مسابقات الخيول:**

كان استخدام الخيول الشركسية في مسابقات الخيول هو من أشيع الاستخدامات، حيث إن الخيول الشركسية عامة والقبردينية خاصة مشهورة في مقدرتها على تحمل الجري لمسافات الطويلة، كما انها متميزة في سباقات التحمل.

والزائر لنادي الفروسية في جمهورية كباردينيا – بلقاريا – يشاهد عشرات بل مئات الكؤوس والميداليات التي فازت بها الخيول الشركسية (القبردينية) في مسابقات روسية وأوروبية واولمبية، وهناك قول شركسي مشهور خلاصته بأن كل زائر لجمهورية (كابردينا بلقريا) يعتبر وكأنه لم يزرها إذا لم يمر (بمالقا)* ليلقي نظرة على جيادها والميداليات والكؤوس التي حصلت عليها، وهي معلقة في نادي الفروسية هناك.

وكذلك فإن أغنية شركسية قديمة تقول:

"بالذهب يمكن ان يتزوج المرء اربع نساء.
لكن (الحصان) الجواد لا ثمن له.
فهو يسابق الريح في السهوب."

ومن اشهر انواع الخيول المخصصة بالسباقات القصيرة لدى الشراكسة في الوطن الأم هو حصان (شاغوي) لسباقات المسافات المتوسطة وحصان من نوع (قغاشة شة) لمسافات الطويلة وحصان آخر نوع (شه مد)، وكذلك حصان (الألب) الذي ورد ذكره في أساطير النارتيين حيث كان يقفز عن الأنهار والجبال.

* هي قرية شركسية في الجمهورية مشهورة بوجود نادي الفروسية فيها.

*** الاستخدام الأخير للخيول هي ألعاب التدريب والترويض للخيول:**

جرت العادة أن لا يعتبر الفارس الشركسي فارسا ما لم يتعلم جواده بعض الاصطلاحات التي بها ينام او يستيقظ او يسير بخفة وحذر، وكذلك كان الفرسان يعلّمون الجواد أن لا يجفل من صوت اطلاق النار، وأن يحرس صاحبه اذا نام وان يوقظه إذا أحس بحركة، وأن ينقض على أي انسان أو حيوان يهاجم صاحبه، وأن يحمل صاحبه إلى مسافات بعيدة اذا جرح، كما ان بعض الخيول تقوم بنقل صاحبه المصاب او المجروح إلى مكان أمين، ويدل اهله عليه، كما كانوا يعلمون الحصان الرقص على أنغام الموسيقى والوقوف على الارجل الخلفية [١٥].

ومن الخيول التي كانت تستخدم في التدريب والترويض نوع اسمه (دول-دول) وهو حصان ذكي جدا ويمتاز بالقوة والسرعة، وورد اسمه في قصيدة من قصائد (النارتيين) ومطلعها: "**ما إن قام الفارس من تناول سيفه حتى اقترب منه حصانه (الدول) الذكي**".

وفي العصر الحديث، فإن الفارس الشركسي المشهور جامبوت بشوكوف الذي حصل على أعظم لقب دولي في الفروسية وهو في عمر (٥٣) سنة بفضل حصانه (كباردا) ذي الشهرة العالمية. كما فازت الخيول الشركسية في الاولمبياد الثاني والعشرين بالميدالية الذهبية [١٦].

والاستخدام الأخير للخيول الشركسية هو استخدام استثماري تجاري:

يقول المؤرخ اليوناني (سترابون) بأن ارمينيا عامة وشعوب قفقاسيا الشمالية خاصة، كانت تصدر أكثر من عشرين ألف رأس جواد إلى شاه إيران سنوياً [١٧].

نستنتج من قول سترابون بأن الشعوب القفقاسية عامة والشعب الشركسي خاصة مارست تجارة الخيول منذ القرن الأول ما قبل الميلاد، وأن الخيول الشركسية عامة كانت تجد سوقاً رائجة وإقبالاً شديداً على شرائها.

وفي العصر الحديث وصلت شهرة الحصان الشركسي إلى مختلف انحـــاء العالم، حيث قامت مجموعة من رجال الاعمال سويديين وهولنـــديين وايطـــاليين وفرنسيين وامريكان ويابنيين، بشراء مجموعة من الخيول الشركسية عن طريق مزاد علني أقيم في قرية (مالقا) من قـــرى جمهوريـــة كباردينيـــا – (بلقاريـــا) ((الشركسية)) وصلت قيمتها إلى ثلاثة ملايين دولار، وكان نصف مليون منهـــا ثمنا للجواد المسمى (ايزكوك) والذي اطلق عليه بعد الشراء اسم (قبردينا) لمـــا لهذا الاسم من شهرة في عالم الخيول [٨].

مراجع ومصادر الفصل الثالث من الجزء الرابع من المجلد الثاني

١- سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ١٨٩.
٢- مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٤٦) السنة (١٧) شهر آب/ ١٩٨٩، ص. ٣٣-٣٤.
٣- ايركيرت، ف، **الخيول عند الشراكسة**، عام ١٨٨٧، ص: ١٠٨.
٤- اوزبك، باتريك، **اساطير النارتيين**، مصدر سابق، ص: ١٠٠.
٥- يخول، عاطف حاج طاس، **من التراث الشركسي – الخيول عند الشراكسة**، مجلة الاخاء، اصدار فرع الجمعية الخيرية الشركسية في وادي السير، الاردن. العدد (١١٧) اصدار شهر اذار ٢٠٠١، ص: ٣-٥.
٦- هانز، فرانز، **منشأ الخيول**، مترجم إلى اللغة العربية، مجلة الواحة، مصدر سابق، ص: ١٨.
٧- يخول، عاطف، مصدر سابق، ص: ٥.
٨- مجلة الواحة، مصدر سابق، العدد (٤٦) إصدار شهر آذار عام ١٩٨٩، ص٣٤.
٩- هانز، فرانز، مصدر سابق، ص: ١٨.
١٠- جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص:٢٠٠.
١١- جيم، بل، رحالة انجليزي زار بلاد الشراكسة عام ١٨٣٩، وكتب عن عاداتهم وتقاليدهم.
١٢- فيل، فون، **السنة الاخيرة لحروب الشراكسة من اجل الاستقلال**، جريدة المعالم الروس عام ١٨٦٥، ترجمة فاخر ديمف، نشر جمعية الدراسات في مقاطعة الاديغية عام ١٩٢٧، ص: ٣٣.
١٣- جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٠٠-٢٠٠١،

١٤- الحمد، محمد عبد الحميد، **تاريخ الشراكس وآل انزور**، دمشق، عام ٢٠٠٥، ص:٧٧.

١٥- مجلة الاخاء، فرع الجمعية الخيرية الشركسية، وادي السير، الاردن، العدد (١) لسنة ١٩٦٩، ص: ١٠.

١٦- غيرغوف، حسن، **الشراكسة ابطال اوروبا والعالم والالعاب الاولمبية**، اصدار الاكاديمية الشركسية الدولية للعلوم، نالتشيك، ١٩٩٨. ص: ٧.

١٧- سترابون، مؤرخ يوناني قديم، مصدر سابق.

الفصل الرابع

دور الثقافة الرياضية

في حضارة الأمة الشركسية

نشأة الالعاب وظهور الأبطال في أساطير النارتيين وفي الروايات الشركسية القديمة:

يقول (حسن غيرغوف) مؤلف كتاب "الشراكسة ابطال اوروبا والعالم والالعاب الاولمبية الدولية" [1].

"كان الاهتمام بالرياضة يشكل أحد جوانب الحياة في المجتمع الشركسي على مر العصور، (وإن لم توجد مثل هذه الكلمة في اللغة الشركسية)، وتجسد حب الشراكسة للرياضة في قصص النارتيين بصورة خيالية، حيث كان النارتيون يجتمعون كل عام في (خاسا) أي المجلس، ويقيمون ألعابا عنيفة باستخدام العجلة الفولاذية (جانشارخ) حيث كانوا يطلقونها من أعلى قمة جبل (حرماغورا) وكان احد العمالقة يتلقاها في اسفل القمة ليعيدها إلى الأعلى بضربة رجل او كف او جبيين. كما أحب النارتيون السباقات لمسافات طويلة والعاب المنازلة، والقتال الذي كان الهدف منه (غرز الخصم في الأرض) حتى عنقه، كما بلغت مهارتهم في الرقص درجة مذهلة، حتى استطاع البعض منهم الرقص على لوح خشبي محمول على أيدي فرسان يركبون خيولاً متحركة بسرعة، كما هو مبين في الصورة المرفقة أو (الرقص على حافة الطاولة القوقازية المستديرة) دون أن يهزها أو يقلب الصحن من فوقها. كما كان نارت بادينوقا حسب ما جاء في الأساطير يغرز سيفه في الأرض وطرفه الحاد إلى الأعلى ويرقص على هذا الطرف الحاد وسجلت الحكايات الشعبية التي أصبحت الآن تراثية نماذج ملموسة للثقافة الرياضية التي كانت لدى أجداد الشراكسة منذ فجر التاريخ.



صورة تمثل رقص اثنين من الشراكسة فوق لوحة خشبية محمولة على اكتاف عدد من الخيالة

وفي عصور ما بعد عصر النارتيين وبعد ظهور نظام الامارة التي كان يحكمها (بشى) تقول بعض الروايات الأسطورية مثل اسطورة "كوالا سوزريخا" وملخصها أن: "الأمراء الشراكسة كانوا يمتلكون أبطالا لهم قوة خارقة منهم (شوجي شوغينوقا) والذي كان يملك بطلين هما (حسين ذو القدم العريضة) (وشوغين الطويل). أما الامير (خاتوكشوقا خاتوكشوكوف) فلم يكن لديه مثلهما، فبحث طويلا ولم يجد أحدا، وحزن كثيرا لذلك، لكن الحظ قد حالفه فوجد شخصا خارق القوة واسمه (كالي ابن سوزريخا) الذي أظهر قوته الخارقة عندما وجد بالقرب من جبل (فيشحافيتش) عربة محملة بالحبوب، ولم تستطع الثيران جرها إلى الاعلى، فجاء (سوزريخا) وفك الثيران وسحب العربة بنفسه إلى اعلى الجبل.

كما تُروى قصة أخرى مسجلة في المدونات التاريخية الروسية لأحد المؤرخين الروس المشهورين بعنوان: "**رواية جيش ايغور**"، وملخصها أن: "مباراة في المصارعة جرت بين البطل" الكسوسوغي ردادا من (الاديغية) مع امير بلاد تموتاراكان واسمه (مستيسلاف) في عام ١٢٠٢ وعندما اوشك (ردادا) العملاق التغلب على الامير الروسي قام الاخير بطعن العملاق النبيل بالسكين خلافا للقوانين والتقاليد المتبعة في لعبة المصارعة في ذلك الوقت [٢].

وكذلك فإن من الروايات التاريخية القديمة التي ذكرت في اكثر من مدونة تاريخية شركسية بأن مباراة في المصارعة جرت بين البطلة الشركسية (لاشنقاي) والبطل التتري الذي لا يقهر.. وخلاصة الرويات هو:

"عندما اقترب خان التتر – كيتان خان – من بلاد (الاديغة) وانتشر خبر انتصاراته تنادى السكان إلى حمل السلاح والاستعداد للقتال لصد المغيرين من جيوش (خان التتر) إلا ان قائد التتار غير رأيه وأرسل رسلا إلى الاديغة يخبرهم بأن ليس الغرض من قدومي إلى بلادكم محاربتكم والاستيلاء على بلادكم بل

الشوق إلى معرفتكم عن قرب رؤيتكم وجها لوجه وإني لا أريد أن أكون عـدوكم بل صديقكم لما سمعته عن شجاعتكم الفائقة وقوة جيـشكم العظـيم وفروسـيتكم المنقطعة النظير وما تستحقون عليه من المديح والثناء.

ولكي أجرب قوتكم انتخبت بطلا من عندي وهو أحسن مصارع في الجيش وأشدهم قوة فإذا أردتم أن تنتخبوا من بين صفوفكم من ترون فيه الكفاءة والمقدرة لمنازلة بطلنا فسوف تبدأ المبارزة على الشرط الآتي:

اذا تغلب بطلنا على بطلكم وجب عليكم ان تعتبروا انفـسكم مغلـوبين ولا يحق لكم الامتناع عن دفع الجزية، واذا كان النصر حليف بطلكم فسنكون نحـن المغلوبين، فندفع كل ما يجب علينا دفعه، وسوف نقبل بكل خدمة تلزموننا بهـا ونخدمكم كسادة لنا.

وقبل الاديغة بهذه الشروط واختاروا بطلة اسمها "لاشنقاي" لمنازلـة بطـل التتر. فلما اجتمعت الجموع وازدحمت جماهير النظـارة مـن الفـريقين بـدأت المصارعة ودامت اكثر من ساعة، ولكن الدائرة دارت على بطل الخان "واسـمه (قيسين) وكان الفوز للبطلة "لاشنقاي"، وحينئذ اكفهر وجه "الخان" وتغيرت ملامحه إلا أنه كظم غيظه، واعترف بأنه غُلب على أمره وهنأ الاديغة بفوز بطلهم.

وعندها فتح (الاديغة) باب المزاح وكشفوا سر بطلهم وأنه لم يكـن سـوى (امرأة) تلبس ملابس الرجال.

طلب الاديغة من الخان أن ينتخب من جيشه الذي يعتز به بطلا آخـر إذا أراد أن يختبر قوة رجال الأديغة. فرفض (الخان) واكتفى بما حـدث، وقـال: إن امرأة عادية تغلبت على اقوى أبطالنا الذين كنا نعتمد عليهم، سأوفي بوعدي وأنفذ الشروط التي وضعتها بنفسي قبل البدء بالمصارعة، ثم انصرف الخان مع جيـشه ورجع إلى بلاده فورا.

وتشير الرواية إلى أنّ هذه المنازلة جرت في القرن الثالث عشر الميلادي بالقرب من نهر "شكم" والموقع معروف حتى الآن باسم "لاشنسكايا" [٣].

*** أنواع الرياضات القومية الشركسية:**

يقول (غيرغوف) بأن الشراكسة لا يملكون (مع الأسف) أية معلومات حول إنجازات الشراكسة الرياضية في الماضي، إذ إن غياب الكتابة حال دون توثيقها وتسجيلها في التاريخ منذ القدم، بالإضافة إلى غياب تنظيم بطولات ودورات في الرياضات الشركسية القديمة على المستوى القومي، فبقيت شأنا محليا خاصا، ويبدو أن الاحتفالات الشعبية فقط هي التي كان لها بعض من التنظيم.

لذا، ولإعطاء القارئ فكرة ما عن هذا الموضوع علينا أن نذكر بعض أنواع الرياضات القومية الشركسية وإن كنا لن نستطيع شمل كل جوانبها وخصائصها الإقليمية، فالرياضة الشركسية لا تزال غير مدروسة إلى الآن حتى في الإطار الاثنوغرافي. (حسب قول غيرغوف). [٤]

إلا أننا وبالبحث في المراجع والمصادر التاريخية المختلفة وجدنا بعض المعلومات عن العديد من الرياضات والألعاب التي كان يمارسها الشراكسة منذ عصر الاجداد وحتى تاريخ احتلال روسيا القيصيرية لبلاد الشراكسة في شمال القفقاس، ومن هذه الرياضات والألعاب ما يلي: [١]

النوع الاول: الرياضات والالعاب الشعبية التقليدية القديمة لدى شراكسة الوطن الام:

مارس الشراكسة اطفالاً وشباباً وكباراً منذ عصر الاجداد، العديد من الالعاب الشعبية خلال اوقات فراغهم وفي المناسبات الاجتماعية لتحقيق اكثر من هدف منها: **تنمية اللياقة البدنية واكتساب المهارات البدنية، وكذلك تنمية القدرة على التحمل والقوة الجسمية، بالإضافة إلى توفير فرص للترفيه الهادف وقضاء أوقات الفراغ في جو من المرح والسرور.**

وفيما يلي أهم تلك الرياضات التقليدية عند الشراكسة:

١) ألعاب الفروسية

عرفت المجتمعات الشركسية منذ القدم بأنها مجتمعات (الفروسية)، وأن الفروسية أصبحت رمزا من رموز التراث القومي الشركسي (كما سبقت الاشارة إليها في الفصل السابق)، بلغت الفروسية لدى الشراكسة مستوىً عالياً حتى أصبح فنا مستقلا له طقوسه وقواعده وتقاليده، وكان الفتيان من الطبقة النبيلة يتعلمونه منذ نعومة أظفارهم على أيدي مربيهم (أتاليق)، وللحصول على لقب الفارس، كما كان الفتى يخضع لامتحان عملي قاس، إذ كان يرسل في رحلة طويلة تسمى (زيكوا)، ومن ينجح في هذا الاختبار الصارم يتمتع برعاية (زيكوتحا) أي إله الخيل.

وفيما يلي أهم رياضات وألعاب الفروسية التقليدية لدى الشراكسة:

- لعبة إيقاف الفرس من حالة الجري فجأة وعمل حفرة في الأرض بطول وعمق محددين، وإن نجح، رحب به المتفرجون بصيحة فرح وإن فشل ضحكوا منه.
- **رياضة القفز العالي بالحصان من فوق سور، والقفز الطويل من فوق الوادي**، وكذلك القفز من الجرف الساقط إلى الأسفل.



رياضة القفز من فوق الحاجز

- **رياضة القتال بين الفارسين،** حيث كان على أحدهما أن يسقط الآخر من ظهر الحصان أو يسحبه من فوق السرج.
- **رياضات استعراضية،** وفيها يقوم الفارس من وضع الجري بالقفز من على جانبي الحصان يمينا، وشمالا ممسكا بالسرج ويصعد إليه مجددا.
- **رياضة التقاط الأشياء المعلقة عاليا على عامود،** كخاتم أو كيس تبغ، الخ، أثناء جري الحصان بسرعة معتدلة.



رياضة تشبه البولو، مارسها شراكسة منذ القدم

- **رياضة الرماية** من فوق ظهر الحصان أثناء الجري، لإصابة (البيض) أو أي هدف على الأرض وكانت من أكثر الألعاب منتشرة بين شراكسة الوطن الأم وفي بلاد المهجر حتى أواسط القرن العشرين.
- **رياضة اطلاق السهم او البندقية على (اللوح الدائري)** وهي الرياضة التي يصفها (خان جيري) بقوله: "في مكان آخر يُكشف لنا مشهد عجيب، حيث نُصب عامود طويل معلق في اعلاه لوح دائري صغير، والفرسان الماهرون المسلحون بالأقواس يجرون واحداً بعد الآخر والفرس الذي في الخلف تتبع التي أمامها على خط



رياضة اطلاق السهم على لوح دائري

مستقيم، لأن الفارس الخلفي لم يعد يتحكم باللجام لأن رجله اليسرى بقيت في السرج، وجذعه يقع أسفل عرف الفرس، ومن هذا الوضع (الصعب) يجري الفارس بجانب العامود بسرعة فائقة، ويطلق السهم في اللوح الدائري الذي يقع أرضا بشكل مثير الدهشة لدى المتفرجين..". وهي رياضة كانت تمارس في حفلات تأبين الموتى والشهداء لدى الشراكسة.

- **رياضة (شه قاوج) أي رياضة (ترقيص) الحصان**، وهي التي تشهد بوجود ثقافة فروسية رفيعة المستوى لدى (الشراكسة)، حيث كان يجلس عازف آلة الاكورديون (بشينه) على طرف ساحة أرض مستوية واسعة يحيطها الجمهور، ويبدأ بعزف لحن "شيغاوج"، ومن يرغب من الفرسان بالتنافس يخرج على ظهر حصانه إلى وسط الدائرة، ويعرض مهاراته بترقيص الحصان الرقصة التقليدية المعروفة باسم رقصة (و ج).

٢) رياضات عسكرية:

كان الهدف من ممارسة الرياضات العسكرية منذ عهد الأجداد للأمة الشركسية هي تربية جيل قوي من المقاتلين قادرين على حماية أراضيهم، وتأمين العيش لعائلتهم وإعداد الفارس (شو حزير) ومعناه الفارس الجاهز أو الكامل. كما يؤكد (خان جيري) بأن الهدف والأهم من التدريبات الرياضية العسكرية، هي تنمية مهارات خاصة في استعمال السلاح، وقيادة الفرس حتى يصبح الفارس قادراً على تعبئة البارودة، وإطلاق النار من على ظهر الفرس التي تجري بأقصى سرعة، والفارس الجيد هو الذي كان يستطيع ان يخرج البندقية (الطبنجة) من (غلافها) ويطلق النار في غمضة عين.

كما يقول (غيرغوف) بأن الشباب من الشراكسة من كافة الطبقات الاجتماعية مارسوا نشاطات جسدية، ليس فقط بحثا عن التميز والتفوق على الاخرين، بل لأن الخطر العسكري والحروب الظالمة اجبرت النبلاء والفلاحين

على حد سواء اللجوء لاستخدام مختلف انواع السلاح من الرمح او السيف او القوس او حتى البندقية مما خلق لديهم قوة جسدية ومهارة بدنية افادتهم حتى في العمل والحياة اليومية.

كما يقول (غيرغوف) بأن الخيالة الشراكسة ربما كانوا هم الافضل في العالم، وجاءت هذه السمعة العالمية نتيجة للتدريب الشاق للفارس والخيل حتى اصبحا مثل (جسد واحد)، وهكذا تم تكوين الرجل الشركسي (المثالي) الذي له "عنق ضخم كعنق الثور، وعيون حادة كعيون الصقر، ويدان قويتان كأسنان الذئب، وكتفان عريضان وخصر نحيف" كما قال ايضا: (خان جيري): "يعتاد الشراكسة على تحمل صعاب لا تصدق فلا يهمهم الجوع او البرد او الحر او التعب او العطش".

في عام ١٧٢١ كتب (والي آستراخان) في رسالته إلى القيصر بطرس الاول عن شجاعة الشراكسة بقوله: "ما يرضيني هو شيء واحد، أنهم مقاتلون لم تشهد هذه المناطق أمثالهم حيث إن (مائتي) شركسي يساوون (ألفا) من التتار أو القالموق، ولا أحد يستطيع ان يقاومهم بل الجميع يفرون من أمامهم.." كما قال: إن هذه القوة الهائلة لم تعتمد على الرجولة وحدها فقط، إنما يتمتع هؤلاء المقاتلون بلياقة بدنية عالية".

كما أكد (غيرغوف) بأن أهداف الرياضات العسكرية القديمة تضمنت وبالاضافة إلى الاهداف العسكرية والعملية اهدافاً اخلاقية ايضا إذ منحت الشباب فرصة للتعارف بينهم وتكوين صداقات والتسلية بأنشطة إيجابية لا سلبية، فكانت العادة أن شعر أحدهم بالملل أو أصبح لديه فراغ ان يبادر إلى ممارسة الالعاب والتمارين الرياضية وليس إلى تناول الكحول أو ممارسات اجتماعية خاطئة أخرى.(٤) *

* من المؤسف أن الوضع قد تغير في معظم المجتمعات الشركسية في الوطن الأم منذ عهد الحكم الشيوعي من حيث تفشي عادة تناول المشروبات الروحية لدى مختلف الفئات العمرية.

ومن أهم الرياضات العسكرية التي مارسها اجداد الشراكسة:

رياضة (شوربليس) وهي لعبة عسكرية، حيث تبدأ مجموعة من الشباب بتقديم رقصٍ شعبي داخل دائرة بمنع الفارس الذي يحاول اختراق المجموعة كي يدخل بينها لخطف فتاة، وحملها إلى خارج الدائرة، ويحاول الحضور منع الفارس من دخول الدائرة بضربه بالعصا ومحاولة إسقاطه من على ظهر الحصان، بينما يبذل الفارس جهده لتفريق الحضور والوصول إلى حلبة الرقص. وفي حال فوز الفارس يقوم (تحمادة) أي كبير الحاضرين بتسليمه جائزة وهي عبارة عن (قرن مملوء بنبيذ أبيض في عهد ما قبل الاسلام) أو مملوء "باخسمة" وهو (مشروب شركسي الصنع مصنوع من الحبوب والعسل). فقد جاء ذكر هذه اللعبة حتى في اساطير النارتيين.

٣- رياضة المصارعة

نستنتج من الروايات الشركسية القديمة بأن (المصارعة) كانت الرياضة القومية الثانية بعد رياضات الفروسية، وأنها كانت الرياضة الشعبية الاولى، حيث كانت تمارسها جميع طبقات الشعب، ابتداء من الامراء وانتهاء بالفلاحين وعامة الناس من مختلف الاعمار، كما ان الفتاة الشركسية مارست هذه الرياضة وفي مقدمتهن المصارعة الشركسية (لاشينقاي) التي هزمت بطل ابطال خانات القرم قيسين (كما سبق ذكره).



لوحة فنية تبين لعبة تراثية في المصارعة عند أجداد الشراكسة

واشتهر الشراكسة بنوعين من المصارعة همـــا: **بغيريبانـــه أي** (صـــراع الصدر) **وأبشريبانه** (صراع المعصم).

ففي مصارعة (بغيريبانه) كان الخصمان يقفان وجها لوجه ثـــم يتـــشابكان بالذراعين حيث تقع الذراع اليمنى فوق الذراع اليسرى واليد اليسرى تقع تحت اليد اليمنى للخصم، وسيتم تشبيكهما خلف ظهر الخصم. وكان ممنوعا أن يمسك أحـــد جذع الآخر بيديه الاثنتين. وللمتصارعين حق في أن يتفقا على استخدام الاســـاليب التالية: **لكامبشاوا، وبقودادز، ولاقوزشاك، وزفاغاشه، وحاطخاســـا، ودزيـــن** *، **وفي بعض الاحيان بغشاغوالحا.**

كان للمصارع الحق ان يرمي خصمه على ظهره ارضا بالقوة أو بواسطة الحركات المذكورة، وإذا وقع المصارعان أرضا على الجوانب او وجهيهما إلـــى الاسفل اعتبرت النتيجة متساوية، وكان القتال ينتهي بفوز احدهما أو تعادلهما.

كما كان لهذه الرياضة طريقتان الأولى: (بغيريبختشا زبانين) وفيها (يمسك الخصمان بحزام بعضهما البعض ويحاول كل منهمـــا إســـقاط الاخـــر بـــالقوة أو باستخدام الحركات سابقة الذكر) والطريقة الثانية هي (تشاتشا زبانين) وفيها يمسك الخصمان بأطراف قميصي بعضهما البعض ويحاول كل منهما إسقاط الآخر.

النوع الثاني هو (أبشريبانه) وفيها يتم تماسك الخصمين باليدين، ويحاول كل منهما إسقاط الاخر بقوة اليدين أو بواسطة الحركات الرياضية المقررة فـــي هذا النوع من المصارعة.

* هذه الاسماء هي اسماء لمسكات اليدين وحركات الرجلين في المصارعة باللغة الشركسية المسمى مصارعة (بغير يبانه) وهي تشبه مسكات المصارعة الحرة في وقتنا الحاضر.

ويصف (غيرغوف) شعبية المصارعة بقوله: "على عكس الفروسية كانت المصارعة في متناول الجيمع بغض النظر عن العمر والوضع الاجتماعي، وكان الفتيان يزاولونها بشكل دائم ويتجمع حولهم آباؤهم وكبار السن" [٥].

وكان من المنافسات الشعبية الشائعة في مصارعة الفتيان والاحداث الصغار كما جاء تفاصيلها في الروايات الشركسية القديمة هي الرواية التالية والتي ذكرها (غيرغوف) في كتابه "الشراكسة الابطال".

"كان كبير شلة (الاحداث) يعلنان نفسيهما (كتحماده)، وتنقسم الشلة إلى فريقين بواسطة القرعة، حيث يقوم كل فريق باختيار اسماء سرية لهما، فمثلا يأخذ أحدهما اسم (آفه) ومعناها (زرد) والآخر فوتش (بارودة) فإذا اختار أحدهما (آفه) ذهب (فوتش) إلى الفريق (الآخر). وكان الفريق الاصغر سنا يبدأ اللعبة. والفائز بالمبارزة الاولى عليه أن يواجه اللاعب التالي من الفريق المنافس، وهكذا كان على جميع اعضاء الفريقين منازلة بعضهم البعض. وفي النهاية كان يقوم رئيس كل مجموعة بمنازلة الرئيس الآخر، فإن خسر اعتبر فريقه خاسرا، وتنتهي المنافسات بركوب الفائز على ظهر خصومهم الخاسرين ليوصلوهم إلى مكان محدد مسبقا[٥].

٤- رياضة تسلق الجبال:

لم تكن رياضة تسلق الجبال من الرياضات القديمة التي مارسها النارتيون أو قدماء الشراكسة في العصور القديمة، وانما ظهرت هذه الرياضة بعد ان قام مواطن شركسي اسمه (كيلار خاشيروف) من اصل (قبردي) من سكان قرية (كوتشمازوكينا) (مدينة باخسان حاليا) الذي تمكن من تسلق قمة (البروز) دون تدريب مسبق ومن المحاولة الاولى، وكان أول من تسلق إلى هذه القمة، وحدث ذلك في ١٠ تموز من عام ١٩٢٩ (الساعة الحادية عشرة صباحا)، وتم ذلك عندما قام قائد الجبهة القوقازية الجنرال (غ.أ. إمانويل) بتنظيم رحلة التسلق بمشاركة

علماء بينهم جيوفيزيائي، وجيولوجي وفيزيائي، وعالما للحيوانات والنباتات، ورسام، بالإضافة إلى عدد من سكان القبردي والبلقار والقوزاق وتوقف غالبية المتسلقين عند ارتفاع ٤٢٧٠ مترا فعادوا خطاهم بعد ان شعروا بتعب شديد، بينما استمر كل من: **الفيزيائي أ. لينتس والقبردي كيلار خاشيروف والقوزاق ليسينكوف** في التسلق قدما، لكن رفيقي (خاشيروف) عادا من على ارتفاع ٥٣٥٠ مترا واكمل (هو تسلقه) وحده، وشاهد الجنرال (إمانويل) الذي كان يراقب العملية بالمنظار وصول "خاشيروف" قمة الجبل الشرقية لجبل (البروز).



رياضة تسلق الجبال

وتقديرا لهذا الانجاز البشري العظيم وبتوصية من أكاديمية العلوم الروسية تم وضع نصب تذكاري تخليدا لإنجاز (كيلار خاشـــيروف) الشركـــسي. وبعـــدها أصبحت رياضة التسلق رياضة شائعة عامة، وتسلق جبل (البروز) خاصـــة، كمـــا أصبحت من الرياضات الجماعية، غير أن اسم (كيلار) سيبقى مكتوبا بأحرف ذهبية كونه الأول، ولم يكن التسلق إلى قمة (البروز) بالنسبة ل "خاشـــيروف" انتـــصارا لقدراته الجسدية فحسب بل وتذليلا للخوف من (الآلهة) إذ كان يعتبر (اوشـــحامافاة) من قبل موطنا للآلهة حسب المعتقدات الدينية الشركسية القديمة.

٥- رياضة رفع الاثقال والرمي:

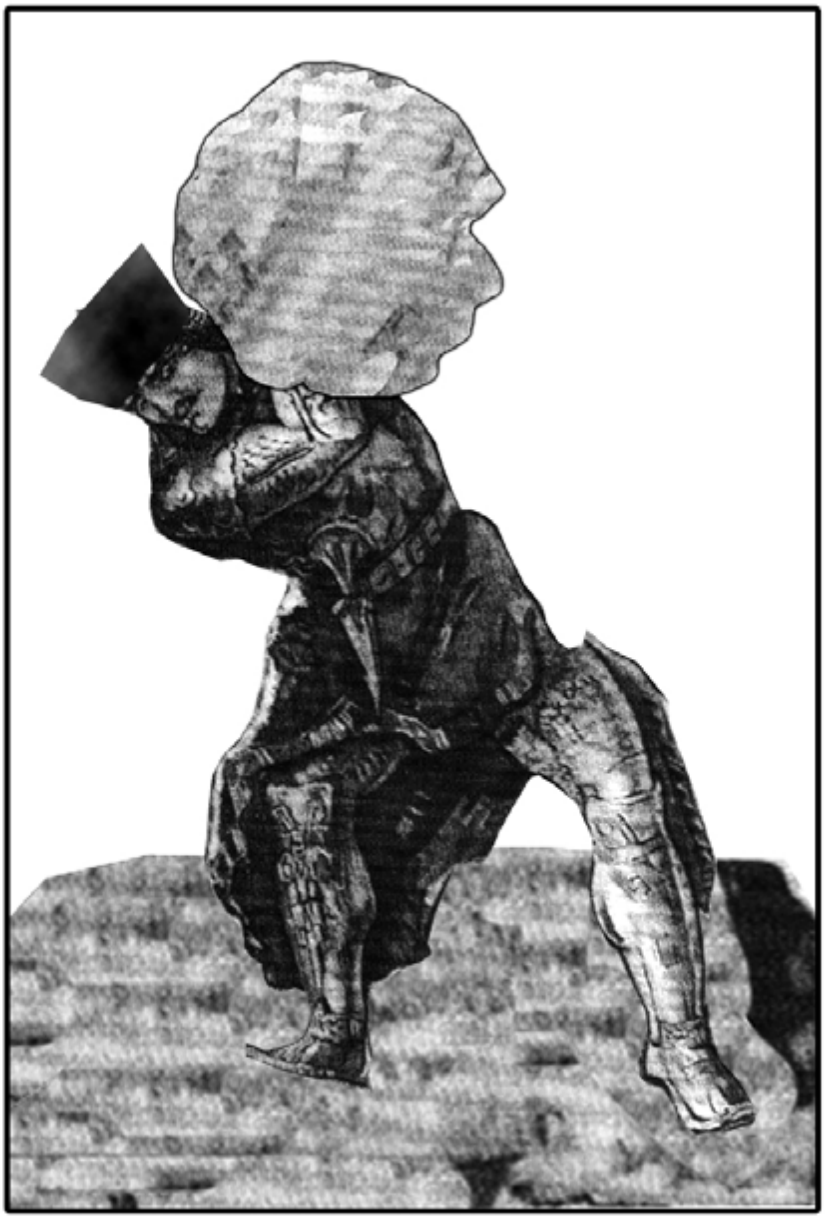
كانت رياضة رفع (الاثقال) من الرياضات المنتشرة في الـــسابق واســـمها بالشركسية (حلة آت) وهي الرياضة التي تمثلت برفع شخص، أو حجر او اشـــياء ثقيلة أخرى. كما كانت رياضة (رمي الحجارة) من الألعاب المفضلة لدى الفتيـــان والصبيان الشراكسة، حيث كان المشارك فيها يرفع حجرا ثقيلا على كفـــه الايمـــن ويضعه على كتفه ويرميه بكامل قوته إلى الوراء. كذلك كانوا يتنافسون على رمي الاحجار المتوسطة للامام باليد اليمنى. أما الاحجار الصغيرة فكانوا يستخدمونها في لعبة إصابة الهدف وكذلك رياضة رفع الحجارة الكبييرة كما هو مبين في الصورة.

٦- رياضة الوثب العالي:

من الرياضات التي كان يمارسها فتيان وشباب قدماء الشراكسة هي رياضة الوثب العالي أو القفز العالي باستخدام (عصا) وهي رياضة تـــشبه القفـــز بالزانـــة الحديثة.

٧- رياضة دفع الدولاب (العجل) الضخم:

كانت تمارس هذه اللعبة منذ عهد قوم (النارتيين) وهي لعبة كان يـــستخدم فيها (عجلة) دولاب ضخم عليه (شفرات قاطعة) وحادة.



صورة تمثل حمل الحجر أو الثقل



صورة تمثل رياضة دفع الدولاب (العجل) الضخم ذي الشفرات الحادة لأعلى الجبل

وتتم اللعبة بمنع دحرجة الدولاب للأسفل من قمة الجبل بـــالوقوف أمامـــه ودفعه بيديه المغطيتين بقفاز معدني، لتلافي خطورة الشفرات التي تغطي الـــدولاب ومحاولة دفعه للوراء واعادته لمكانه في قمة الجبل كما هو مبـــين فـــي الـــصورة المرفقة.

٨- لعبة خلع جذوع الاشجار:

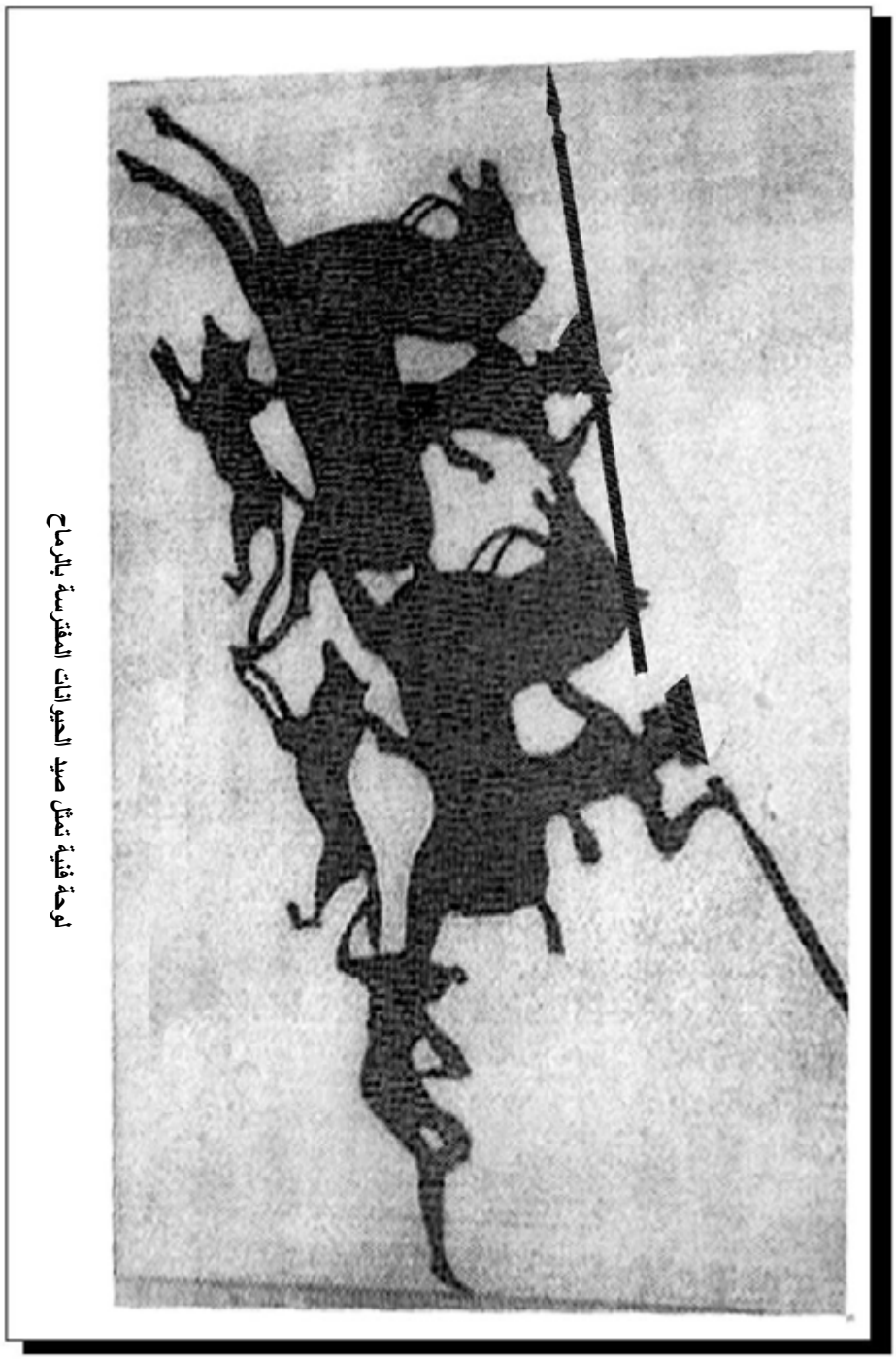
وهي لعبة كان يشارك فيها الرجال الذين يتمتعون بقوة كبيرة، وكـــان مـــن شروط اللعبة الوقوف امام جذع الشجرة ومسكه بيديه الاثنتين ثم يبدأ بـــشد ورفـــع الجذع للأعلى (دون محاولة خلخلته او تطويحه للامام او الخلف) ويفوز من يتمكن من خلعه في زمن أقل من الاخرين.

٩- رياضة الصيد:

مارس اجداد الشراكسة الصيد في العصور القديمة بهدف تأمين حاجاتهم الغذائية من لحوم الحيوانات والطيور، وفي المراحل اللاحقة وبعد ان بدأ باستئناس الحيوانات والطيور والقيام بتربيتها استمر احفاد وابناء الشراكسة بالصيد، وتحول من الصيد لتأمين الغذاء إلى الصيد كهواية رياضية اولا وبهدف اقتصادي ثانيا، حيث كان الشراكسة يقومون بصيد انواع مختلفة من الحيوانات خاصة الحيوانات التي يستفاد من جلودها وفرائها وقرونها في تصنيع الالبسة مثل فراء السيدات، وجلودها وفي صناعة الاحذية وشنط السيدات، وقرونها في صناعة الامشاط وبعض انواع الزينة، بالإضافة لاستخدام لحومها للغذاء خاصة لحوم الارانب والغزلان ومختلف انواع الطيور، ومن اكثر انواع الحيوانات التي كان يصطادها الشراكسة في مختلف العصور هي الغزلان والارانب والطيور على اختلاف انواعها، بالإضافة إلى الحيوانات ذات الفراء الثمين مثل الدبب والنمور والذئاب.



لوحة فنية تمثل صيد الغزلان بالسهام



لوحة فنية تمثل صيد الحيوانات المفترسة بالرماح

وفي مراحل لاحقة استخدم الصيادون الشراكسة (الأقنعة) كوسيله لتمويه وخداع الحيوانات والطيور حيث كانوا يستخدمون (اقنعة) لتغطية الرأس والوجه بأقنعة تشبه شكلا من اشكال وجوه الحيوانات او الطيور المراد اصيطادها، الأمر الذي كان يساعدهم في الاقتراب من (الفريسة) إلى أقرب مسافة ممكنة دون أن تنتبه الحيوانات او الطيور إليه. كما هو مبين في اللوحتين التاليتين:

١٠- ألعاب الثلج والجليد:

لا شك بأن طبيعة البلاد القفقاسية التي تضم جبالاً شاهقة تكسوها الثلوج والجليد على مدار السنة كان لها دور في ظهور ألعاب يمارسها الاطفال والكبار من الجنسين منها:

- ألعاب بناء القلاع بالثلج.
- ألعاب القتال بكرات الثلج ويشارك فيها الكبار والصغار كما تشارك النساء مع الرجال من جميع الطبقات الاجتماعية بما فيهم الامراء والنبلاء.. الخ.
- العاب التزلج على الجليد باستخدام نوع من الزلاجات المصنوعة من الخشب والمصفحة من اسفلها بصفيح من (التنك) الرقيق.

ثانيا: ألعاب الاطفال التقليدية لدى قدماء الشراكسة:

بالبحث عن الالعاب التي مارسها ابناء واحفاد الاجداد منذ العصور الغابرة وحتى العصور الحديثة وجدنا بأن اكثر الالعاب ممارسة كانت:

١- لعبة (التشين) او البلبل:

وكان يستخدم في هذه اللعبة البلبل (التشين) المصنوع من عظمة فخد الخاروف او اية عظمة سميكة، وتملأ بالرصاص ويكون مخروطي الشكل ومدبب من الاسفل، ويتدرج بالاتساع لأعلى حتى يصبح شكله مثل (الانجاصة) ويتم لف الخيط حول (البلبل) ابتداء من الاسفل، وتبدأ اللعبة برمي (البلبل) على الأرض مع سحب الحبل الملفوف بقوة حتى يبدأ (البلبل) بالدوران عند ملامسته للأرض ويفوز اللاعب الذي يستمر بلبله بالدروان لأطول فترة، وفي العصور الحديثة اصبح يصنع البلبل من الخشب أو يصب من مادة الرصاص.

٢- لعبة تسلق السارية او (العامود) :

وهي من الالعاب التي كان الاطفال يحبونها كثيرا، ويتم فيها تثبيت عامود خشبي او معدني دائري الشكل بطول من (٣-٤) امتار مدهون بالشحم الحيواني، حتى يصبح سطحه منزلقا يصعب الشد عليه، والطفل الذي يستطيع الوصول لأعلى السارية يحصل على الجائزة المثبتة بأعلاها (وكان بعض الاطفال يغشون برش ملح او رماد على الكفين حتى يستطيعوا المسك والشد بقوة على العامود المدهون بالشحم). كما هو مبين في الصورة المرفقة.



صورة تمثل لعبة تسلق الأعمدة

٣- لعبة التوافق والدقة

وهي لعبة تشبه لعبة (الباي) الحديثة، وفيها تستخدم اللوازم التالية: القاعدة الخشبية، وهي مستطيلة الشكل مائلة ومتوازية من جانبيها، وقطعة خشبية بطول (١٠-١٥) سم وبعرض من (٢-٣) سم، وعصا بطول (٨٠-٩٠)سم وتبدأ اللعبة بوضع (الباي) او قطعة الخشب على القاعدة بشكل مائل، ويقوم اللاعب بضرب القطعة على طرفها العلوي، وفي لحظة ارتفاعها في الهواء يقوم بضربها ثانية بأقصى قوة وهي في الهواء لتنطلق لأبعد مسافة ممكنة، وتشبه هذه الضربة (ضربة عصا البيسبول بالكرة) ويفوز اللاعب الذي يرسل (قطعة الخشبة) لأبعد مسافة ممكنة، وهي لعبة تحتاج إلى توافق ومهارة ودقة.

٤- الألعاب الذهنية (العقلية)

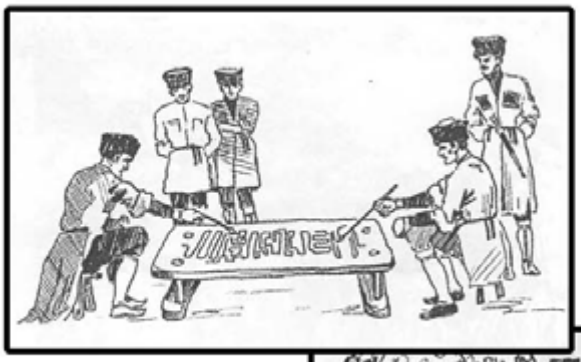
لم يقتصر اهتمام اجداد الشراكسة بممارسة الألعاب الشعبية والرياضات البدنية، وإنما امتد اهتمامهم إلى ممارسة العديد من الألعاب التي تحتاج إلى تفكير، وهي الألعاب التي سميت بالألعاب (الذهنية) نختار منها **لعبة تشبه الشطرنج** وهي لعبة شعبية ظل الشراكسة يمارسونها حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.

واللعبة الثانية، هي لعبة (الداما) وكانت لعبة شعبية والمعتقد بأن الشراكسة اقتبسوا هذه اللعبة من الاتراك العثمانيين.

وأما اللعبة الذهنية الثالثة فهي لعبة الألغاز، وكانت من الألعاب شائعة في المجتمعات الشركسية القديمة، وفيها كان يتم طرح لغز على شخص أو مجموعة من الأشخاص، والذي يستطيع حل هذا اللغز، اعتبر (فائزا)، وإن لم يتمكن من ذلك اعتبر (خاسرا) وتوقع عليه عقوبة يفرضها طارح اللغز.

واللعبة الذهنية الرابعة هي لعبة (القانديس) وفيها يتم (فسخ) عظمة ترقوة الدجاج بين شخصين. بعد أن يتم اتفاق المتنافسين على شرط أو جائزة، وتبدأ اللعبة بأن يتم شد ترقوة الدجاجة بالأصبع الصغير من قبل المتنافسين حتى تنكسر، والشخص الذي يعطى أي غرض للشخص الآخر في أي وقت حتى ولو بعد سنة، عليه أن يقول كلمة السر وهي كلمة (خمتو) (بمعنى غير محسوبة) وانه لا زال يتذكر اللعبة، وان لم يقل ذلك، فللشخص الآخر أن يقول فورا كلمة "قاندس"، وبذلك يكون قد كسب. وقد تستمر اللعبة لذات الشرط، وظلت هذه اللعبة منتشرة بين الشباب والفتيات في مجتمعات الشراكسة في بلاد المهجر إلى ما قبل عشرين سنة تقريبا.

ثالثا: العاب شعبية تمارس حتى عصرنا الحاضر، كما هو مبين في الاشكال المرفقة:



لعبة تشبه الداما او السيجا



لعبة المصارعة من على
اكتاف زميلين



لعبة تشبه اللعبة الشعبية
(طاق.. طاق.. طاقية)



لعبة المشاعل النارية

النوع الرابع: الرياضات التنافسية على المستويات الدولية والاولمبية التي تفــوق فيها الشراكسة في الوطن الام في العصر الحديث

*** نشأة الرياضات الحديثة وتطورها:**

مارس الشراكسة في الوطن الام في العصر الحديث رياضات وألعاباً جديدة تختلف اختلافا كليا عن الرياضات الشركسية القديمة، سواء كان من حيث التنظــيم أو التكوين، فإذا كانت الرياضات الشركسية التقليدية جزءا مــن الثقافــة القوميــة للشراكسة، جاءت الرياضات الجديدة بدعم من الدولة الروسية فمالت إلى الاحتراف حيث إن الكثير من الرياضيين الشراكسة أصبحوا يتقاضــون رواتــبهم لتفــرغهم للتدريبات والمسابقات فقط. في الوقت الذي شملت فيه الرياضات الــشعبية ألعابــاً وتمارين معروفة وموروثة من الاجداد، كما حملت الرياضات الجديدة أسماء لم تكن لها علاقة بالثقافة البدنية الشعبية الشركسية القديمة وحلت محلها لتجعلها في زوايــا النسيان، ولم يبق من الالعاب التقليدية الشركسية سوى المصارعة والرمايــة مــع ادخال التعديلات والتغييرات الجوهرية، كما ظهرت رياضات وألعاب جديدة مثــل: **كرة القدم، وكرة الطائرة، والتنس، وسباق الدراجات، ورفع الاثقال، والملاكمــة، والمصارعة الرومانية، والجمباز، وكرة السلة، والسباحة، والتسلق على الجبال، وألعاب القوة.**

يقــول (غيرغوف) مؤكدا بأن الرياضات القومية اخــذت تفقــد أســرارها وأساليبها التدريبية، مما أدى إلى زوالها أيضا. ومرت سنوات وعقود طويلة قبل أن يتقن الشعب الشركسي قواعد الرياضات العالمية الجديدة التــي قامــت الحكومــة السوفيتية بنشرها، وقد نشأ أبطال جدد ذوو معايير روســية وســوفيتية واوروبيــة وحتى اولمبية وعالمية. كما ظهر مدربون عالميون مثل المدرب الشركسي البارز، المؤسس لمدرسة الجودو والسامبو (الدفاع عن النفس) وإسمه **يعقوب كوباييف مــن**

مدينة مايكوب، وهي شاهدة لما يمكن ان يثمر عنه الجمع بين الرياضتين الشعبية والعالمية.

ولا شك بأن تقديم الشراكسة في الوطن الأم أبطالا أوروبيين وعالميين حتى في الرياضات غير التقليدية فيعني ذلك بأن الشعب الشركسي بدأ يستعيد شيئا فشيئا ثقته بذاته التي كان قد فقدها نتيجة للكارثة القومية التي وقعت خلال حروب الابادة الدمار الروسية في القرن التاسع عشر، وزوال الرياضات الشركسية التقليدية.

وفي الاحتفالات الرياضية الاقليمية التي بدأت تقام في الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٢٣ احتل الرياضيون الشراكسة مراتب عالية وحققوا انجازات عالية في بعض السباقات مثل سباقات الخيل، والتسلق إلى قمة البروز في عام ١٩٣٥، والعبور المائي من (فان) إلى (ماخاتشكالا) في عام ١٩٣٦، ومن نالتشيك إلى موسكو في عام ١٩٣٧ والذي شارك فيه (شيس بلينـاوف ومرجـان شـيناخوفا)، وسباقات الدراجات الذي قادها (ي. ي. خاجـالييف) في العام ١٩٦١، وقطع المشاركون الشراكسة في الوطن الام مسافة ٦٠٠٠كيلومتر على خط (أرمـافير – كراسنودار – يالطا – سيفاستوبول – أديسا – كيشينيوف – كييـف – مينـسك – فيلنيوس – ريغا – تالين – لنينغراد – موسكو – خاركوف – رستوف – نالشيك) . وفي جمهوريتي (اديغي) و (تشركسيا) حدثت تطورات رياضية كبيرة حيث ظهرت رياضات غير تقليدية وإنشاء قاعات وملاعب رياضية واستقطاب الشباب الشركسي وظهر أبطال لامعون جدد، ويبدو أن الامور سارت على هذا النحو في كافة الجمهوريات والولايات القوقازية على حد سواء.

وبدأت اسماء الرياضيين الشراكسة تظهر في اواخر العشرينيات من القرن الماضي، ومن بينهم القبردي (مصطفى بيتوي ناكوف) الذي بقي في الساحة الرياضية مدة ثلاثين سنة في رياضة المصارعة الحرة والرومانية ووصفه مؤرخ الرياضة في جمهورية (كباردينا بلكاريا) بقوله: "... من العام ١٩٢٧ ولغاية ١٩٥٣

كان بطلا في المصارعة الحرة والرومانية ورافعا للأثقال هو الاقوى على صعيد جمهورية كباردينا بلكاريا ومنطقة شمال القوقاز والجمهوريات الفدرالية الاشتراكية السوفيتية الروسية، بالإضافة إلى كونه لاعب ألعاب قوة عظيم، شمل ارشيفه الرياضي الخاص (٥٠) شهادة تقديرية منحت له على فوزه في المسابقات في المصارعات الحرة والشعبية والرومانية ومسابقات ألعاب القوة.

وفي الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ذاع صيت راكب الدراجة (يوسف خاجالييف) الذي قطع ٤١ ألف كيلومتر في (٢٣) سباقا للدراجات بصفته متسابقاً أو مدرباً أو مشرفاً، وفي العام ١٩٦٤ منح لقب "خبير الرياضة للاتحاد السوفيتي". كما اثبت مهارته في التدريب حيث قام بإعداد (١٤) خبيرا رياضيا وما يزيد عن مائة رياضي، حصلوا على درجات تقديرية مختلفة. كما عمل مدرباً لمنتخب فريق الدراجات لجمهورية روسيا الفدرالية ومدربا للمجلس الاعلى لنادي "سبارتاك" وفاز كل من تلميذيه (ب. شوخوف) و (أ. توكماكوف) ببطولة الاتحاد السوفيتي، وشاركا في المنتخب الاولمبي للدراجات، أما (بوريس شوخوف) فحصل على الميدالية الذهبية في اولمبياد ميونخ في العام ١٩٧٢. كما منح (يوسف خاجالييف) لقب المدرب الدولي للاتحاد السوفييتي تقديرا لإنجازاته الرياضية الدولية. [٧]

*** أنواع الرياضات المعاصرة التي يمارسها الشراكسة في الوطن الام في العصر الحديث.**

١- رياضة الفروسية

حقق الشراكسة في الوطن الام انجازات كبيرة في رياضة الفروسية المعاصرة في العهد السوفيتي لوجود خبرة تاريخية طويلة فيها. بشهادة (شورا نغموقة) الذي سبق ان قال: "كان جيران الشراكسة يغارون منهم على لياقتهم في الفروسية، ولباسهم الجميل، ومهارتهم في رمي الهدف، وقدرتهم على القفز من على ظهر الفرس لالتقاط خاتم او قطعة نقد من الارض" [٨].

وظهر في منتصف القرن العشرين من شراكسة الوطن الأم فرسان موهوبون جدد وفي مقدمتهم الفارس (جامبوت باكو بشوكوف) الذي مارس هذه الرياضة أربعين سنة من عمره ابتداء من عام ١٩٥٤. وكرم من معهد الابحاث المركزي لتربية الخيل بصفة (فنجري) وكان قد حاز على ما يزيد عن ٥٠ جائزة، كما ضرب رقما قياسيا في سباق الحواجز على مستوى الدولة منذ عام ١٩٦١، وبدأت انتصاراته في البطولات الدولية وقد فاز بأكثر من ٢٠ جائزة في عدد من العواصم الاوروبية. ومنح في المؤتمر الدولي لتربية الخيل لقب "الفنجري الدولي" وهو أعلى لقب في الفروسية. لقد تميز بأسلوبه الرياضي الخاص، بالإضافة إلى جلسته على الفرس والتي قيل عنها إنها "جلسة الامراء". وقد بقي يشارك في المسابقات حتى أصبح عمره (٥٣) سنة مما يعتبر رقما قياسيا في رياضة الفروسية في العالم.

كما ظهر فارس آخر مارس هذه الرياضة منذ ان كان عمره ١٥ سنة، وقد حصل على لقب الخبير في الرياضة في عام ١٩٦٢ واسمه (موحربي جانخوت كونيجف)، الذي فاز بلقب بطل الاتحاد السوفيتي في أنواع مختلفة من سباقات الحواجز في السنوات ١٩٦٢و ١٩٦٧ و ١٩٦٨.

وأما عن إنجازاته الكبرى كما جاءت في مجلة (التربية الرياضية) بأنه عمل في الفترة ما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٨٢ مدربا لمنتخبي الجمهورية الروسية والاتحاد السوفيتي. وعلى يده تدرب كل من (أرسين كاراتسوكوف) و (سيرغي روغوجين) وهما خبيران عالميان و (حاجيسميل شيناخوف) الحاصل على لقب الخبير الرياضي للاتحاد السوفيتي و (فلاديمير بوندارينكو) بطل اوروبا كما أعد سبعة ابطال في الاتحاد السوفيتي و ٥٢ خبيرا على مستوى الاتحاد السوفيتي. ويشغل الآن منصب مدير ميدان لسباق الخيل في نالتشيك.



بوريس شوخن بطل العالم عام ١٩٧٠ وبطل الاولمبياد عام ١٩٧٢ في الحواجز/فروسية

وكان آخر ابطال الفروسية في بلاد الشراكسة في الوطن الأم هو البطل الاولمبي العالمي بوريس شوخن الذي فاز ببطولة العالم عام ١٩٧٠ والبطولة الاولمبية عام ١٩٧٢.

٢- رياضة الجودو وألعاب الدفاع عن النفس (سامبو وكراتيه وتايكوندو والكيك والبوكسينج).

تعتبر مدرسة مايكوب لرياضة (الجودو والسامبو) التي أسسها (يعقوب كامبوليت كوبليف) في مايكوب عاصمة الاديغي صفحة لامعة في الرياضة الشركسية في الوطن الام في العهد السوفييتي. وفي عام ١٩٧١ افتتحت في مايكوب قاعة رياضية حديثة وأقيمت فيها بطولة في رياضة (سامبو) الثالثة للمصارعين القرويين، وكان الخمسة من بين الفائزين العشرة الأوائل من تلاميذ (يعقوب كوبليف) وهم (ف. نيفزوروف) و (أ. سبيروف) و (ي. أشينوف) و (أ. حاباي) و (ع. كوستوكوف).

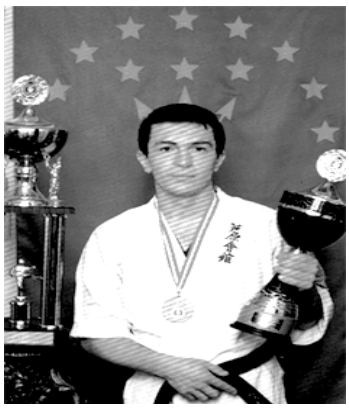
وفيما يلي نبذة عن الابطال العالميين والاولمبيين والاوروبيين في رياضة الجودو والسامبو والعاب الدفاع عن النفس الذين حققوا انجازات رياضية عظيمة وهم:

- **إسماعيل يكوتيتش**، الحائز على كأس اوروبا في عام ١٩٧٣ في المصارعة الرومانية وهو من مدينة كراسنودار.
- **أرمبي حاباي**، بطل العالم عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥، وكذلك بطل العالم بين كبار السن في عام ١٩٩٣ في سامبو (الدفاع عن النفس). ولد في أديغية في قرية (تاويحابل).
- **كوستوكوف**، بطل العالم لعام ١٩٩٣، وبطل اوروبا لعام ١٩٧٤.
- **أرمبي يميج**، الحاصل على الميدالية البرونزية في اولمبياد ١٩٨٠ في مباريات سامبو وجودو.



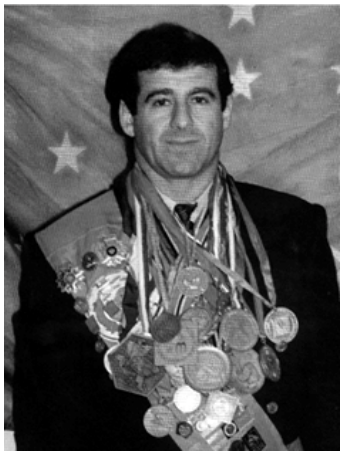
ارمبي حاباي
بطل العالم عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ وبطل العالم للكبار عام ١٩٩٣ في رياضة السامبا

- **حميد حاباي**، الحاصل على الميدالية الفضية في بطولة العالم لعام ١٩٨٧، وبطل اوروبا لعام ١٩٨٩ في سامبو وجودو. ولد في عام ١٩٦٠، وهو شقيق ارمبي حاباي.
- **مورات كيشتوف**، بطل اوروبا لعام ١٩٩٣ في التايكوندو وزن ٧١كغم. ولد في ١٢ أغسطس عام ١٩٧٣ في كاراشايفو من جمهورية شركيسيا.
- **مورات سابانشييف**، الحائز على كأس العالم في عام ١٩٨٨ في رياضة الكراتيه.



مورات سبانشيف
بطل كأس العالم عام ١٩٨٨ في الكاراتيه

- **حاظرت تليتسيري**، بطل اوروبا لأعوام ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥، والحائز على كأس القارات في عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦، وبطل العالم للجودو في وزن ٦٠ كغم. ولد في قرية (كازانوقاي) من جمهورية الأديغي عام ١٩٥٨.

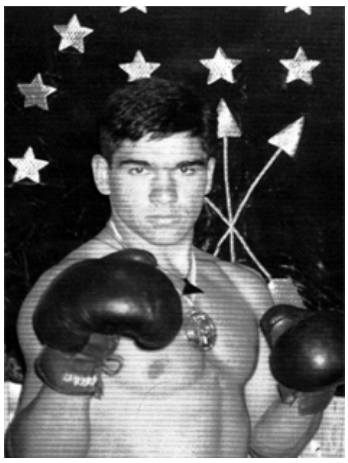


حاظرت تلتسيري
بطل اوروبا اعوام ١٩٨٥،١٩٨٤،١٩٨٣،١٩٨٢
وبطل العالم عامي ١٩٨٥، ١٩٨٦ في رياضة الجودو

- **أيدمير اوتليف**، الفائز ببطولة العالم لعامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦ في سامبو. وزن ٦٢كغم. ولد في ١٩٦٦ وهو من قرية شوفغينوفسكي.
- **سحاتبي ألخاوف**، الفائز ببطولة اوروبا في ١٩٩٣ وبطولة العالم لعامي ١٩٩٣ و ١٩٩٥ في السامبو ولد في جمهورية الاديغي عام ١٩٨٥.
- **مورات غوكوف**، الفائز ببطولة العالم في ١٩٩٣ في السامبو. من مواليد تشيركيسك.
- **محمد كونيجف** الفائز ببطولة اوروبا مرتين وبطولة العالم في ١٩٩٣ بوزن ٦٢كغم، ولد في قرية بسيج في جمهورية شركيسك ١٩٧٣.
- **أصلان بيجف**، الفائز ببطولة العالم عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٤ وبطولة اوروبا لعام ١٩٩٦ في السامبو.
- **مورات حاسانوف**، بطل اوروبا لأعوام ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦، و١٩٩٧، وبطل العالم في عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٥، وحائز على كأس العالم في

عام ١٩٩٥ في رياضة السامبو. ولد في ١٠ ديسمبر ١٩٧٠ في قرية (يجرقواي) من جمهورية الأديغي.

- **مورات أغيروف**، الفائز ببطولات العالم لعامي ١٩٩٥ و ١٩٩٦ في السامبو.
- **أدام ديلوك**، الفائز ببطولة العالم لعام ١٩٩٥ في السامبو. وولد في جمهورية الأديغي عام ١٩٧٥.
- **روبرت أغيروف**، الفائز ببطولة العالم لعام ١٩٩٦ في السامبو وشارك في وزن ٧٤ كغم وبينما كان وزنه الحقيقي ٦٨ كغم. من قرية (أبسوا) – في جمهورية شركيسيا.
- **أدام خوشت** الفائز ببطولة أوروبا لعام ١٩٩٦ في السامبو. ولد في عام ١٩٧٩ في قرية (تختميقواي) في جمهورية الأديغي.
- **مورات ماكويف**، الحائز على كأس اوروبا وكأس العالم عام ١٩٩٦ في كيك بوكسينغ. من قرية (بسيغانسو).
- **أصلان داوروف**، الفائز ببطولة العالم عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٦، والحائز على كأس اوروبا في ١٩٩٧ في السامبو، وزن ٧١ كغم و ٧٨ كغم. من مواليد جمهورية شركيسيك.
- **مورات جانوف**، الحائز على كأس أوروبا وكأس العالم لعام ١٩٩٦ وبطل العالم لعام ١٩٩٥، وبطل العالم بين المحترفين لعام ١٩٩٧ في رياضة كيك بوكسينغ. ولد في قرية (بسيغانسو) في جمهورية كباردينا بلقاريا.



مورات جانوف
بطل كأس اوروبا والعالم عام ١٩٩٦ بطل العالم ١٩٩٥ وبطل العالم للمحترفين ١٩٩٧ في الكيك بوكسنج

- **أصلان غوباشييف** بطل العالم عام ١٩٩٦ في الكاراتيه ولد في جمهورية كباردينا- بلقاريا.
- **مورات أوزوف** بطل العالم في ١٩٩٦ في السابمو. أبازين الأصل من مدينة تشيركيسك.
- **أزمات تترشاو** – الحائز على كأس العالم للشباب في عام ١٩٩٦ في الكيك بوكسينغ. ولد في ١٩٧٧ في قرية (بسيج) في جمهورية شركيسيك.

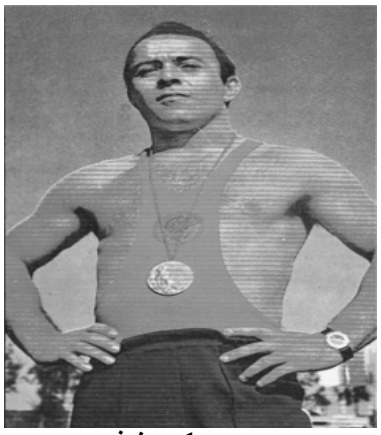
٣- رياضة المصارعة:

- **ليونيد بوغاتيريوف**، الحائز على كأس العالم عام ١٩٧٤، في المصارعة الحرة.
- **تيمور حاتسوكوف** الفائز في بطولة أوروبا لعام ١٩٨٠، في المصارعة الحرة.
- **اصلان جانيموف** بطل اوروبا في ١٩٨٢، الحائز على كأس العالم عام ١٩٨١في المصارعة الرومانية. وزن ٨٢ كغم. ابن الكاتب الكباردیني المشهور بوريس جانيموف.
- **ألبيرت غيرغوف** الحائز على الميدالية الفضية في بطولة العالم لعام ١٩٩١، وبطل الاتحاد السوفيتي لعام ١٩٩١ في المصارعة الحرة. ولد في جمهورية كباردينا- بلقاريا.
- **زاودين باجيف** الفائز ببطولة العالم عام ١٩٩١ في المصارعة الحرة وهو في عمر ١٦ سنة.
- **ألكسي كازييف** الفائز ببطولة العالم عام ١٩٩٢، والحائز على كأس العالم عام ١٩٩٨ في المصارعة الحرة. من جمهورية كباردينا بلقاريا.
- **مورات قردانوف** الفائز ببطولة العالم في ١٩٩١ والحائز على كأس العالم عام ١٩٩٢ وبطل اوروبا عام ١٩٩٨ في المصارعة الرومانية. ولد في عام ١٩٧١ في قرية (زاراغيج) وهي التي ولد فيها الموسيقار يوري تميرقانونف. وزن ٨٢كغم.

- **رسلان تشرميت** الفائز ببطولة اوروبا لعام ١٩٩٣ في المصارعة الرومانية. ولد عام ١٩٧٥ في قرية (تختميقواي) في جمهورية الأديغي.
- **اصلان نارتوقوف** الفائز ببطولة العالم عام ١٩٩٤ في المصارعة الحرة.
- **مايربيك خامبازاروف** الفائز في الالعاب العالمية للنقابات عام ١٩٩٥ في المصارعة الرومانية وزن ٦٨ كغم.
- **أصلان حاغوروف** الفائز ببطولة النوادي الاوروبية في عامي ١٩٩٥ و ١٩٩٦ في المصارعة الحرة. وزن ١٠٠كغم.
- **محمد بالاخوف** الفائز ببطولة العالم لعام ١٩٩٦ في المصارعة الرومانية من مواليد جمهورية كباردينا بلقاريا.
- **أصلان بيك هوشتوف** من كبردينيا بلقاريا بطل العالم للمصارعة الرومانية في أولمبيات بكين ٢٠٠٨، احرز الميدالية الذهبية بوزن (٩٦) كغم والبطل الشركسي تمكن من الفوز بجدارة على البطل الالماني ميركو، ولقد شهدت بلدة تيريك مسقط رأس اصلانبك في جمهورية قباردينيا / بلقاريا احتفالات عامة حيث تجمع المئات من سكان القرية ابتهاجاً بهذا النصر الرياضي الكبير.

٤- رياضة رفع الاثقال:

- **موحربي كيرجينوف** بطل اوروبا عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ وكذلك بطل العالم في ١٩٧٢ و ١٩٧٣ وبطل الالعاب الاولمبية في ١٩٧٢ في رفع الاثقال. ولد في قرية (كوشحابل) في الاديغية ١٩٤٩. بدأ مسيرته الرياضية من الوزن الخفيف. وسجل آخر رقم قياسي له عام ١٩٧٥ في وزن ٧٧,٥كغم.



موحربي كيرجينوف
بطل اوروبا عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٢
وبطل العالم عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٢
وبطل الاولمبياد عام ١٩٧٢ في رفع الاثقال

- **مورات بيبوف** الحائز على كأس العالم عام ١٩٨٠ في رفع الاثقال. من مايكوب وهو اصغر (رباع) في العالم.
- **يوري خواجيف** بطل اوروبا لثلاث مرات وبطل العالم لعـــامي ١٩٩٦ – ١٩٩٧ ولد في مايكوب عام ١٩٧٠ في رياضة رفع الاثقال Power lifting، ويعتبر اقوى رجل في العالم حيث حقق رقما قياسيا عالميا برفعه ٢٧١,٥كغم.

٥- رياضة الدراجات

- **بوريس شـــوخوف** بطل العالم في ١٩٧٠ والألعاب الاولمبية عـــام ١٩٧٢ فـــي سباق الدراجات. ولد عام ١٩٤٧ في أوكرانيا حيث عمل والده في بعثة عسكرية وهو أول رياضي من جمهورية كباردينا بلقاريا حاصل على لقب بطل اولمبي.

٦- رياضة كرة الطائرة:

- **يلينا اخامينوفا** شاركت ضمن فريق الاتحاد السوفيتي لكـــرة الطـــائرة للالعـــاب الاولمبية لعام ١٩٨٠.

٧- تنس الطاولة:

- **فاطمة باتيروفا** الفائزة ببطولة اوروبا تنس الطاولة لعام ١٩٧٢.
- **مولود كوشخوف** الفائز ببطولة اوروبا لعام ١٩٨٤ فـــي تـــنس الطاولـــة مـــن جمهورية كباردينا- بلقاريا.

٨- رياضة الجمباز (حركات الايقاع)

- **سفيتلانا كوشو** – بطلة اوروبا لعام ١٩٩٧ وبطلة العالم في ١٩٩٧ في الحركات الايقاعية في الجمباز.

٩- كرة القدم، لم تكن رياضة كرة القدم من الرياضات التي مارسها الاجداد حتـــى النصف الأول من القرن العشرين، إلا أن هذه اللعبة أصـــبحت اللعبـــة الـــشعبية الأولى في السنوات العشرين الأخيرة ونجح فريق جمهورية كباردينا بلقاريا مـــن الوصول إلى دوري أبطال المحترفين في روسيا الاتحادية في السنوات الأخيرة.



فاطمة باتيروفا/ بطلة اوروبا في تنس الطاولة



سفيتلانا كوشو
بطلة المحترفين واوروبا عام ١٩٩٧
وبطلة العالم ١٩٩٧ في الجمباز



يلينا اخامينوفا / عضو منتخب الاتحاد السوفيتي الفائز في اولمبياد موسكو عام ١٩٨٠

كما أعلن رئيس جمهورية الأديغي أصلان تخاكوشينوف صيف عام ٢٠٠٦ للصحافة أنه يخطط لجمع ٣٥مليون روبل لانشاء مركز كرة قدم للشباب والأطفال في مايكوب عاصمة الأديغي. وقد دعمت هذه الفكرة من رئيس الاتحاد الروسي لكرة القدم فيتالي موتكو الذي زار الأديغي في خريف عام ٢٠٠٦ خلال رحلة عمل.

كما أعلن أنه سيتم إنشاء ملعبين تدريب كرة القدم وملعب بتجهيزات حديثة يمكن أن يستقبل فرق دولية وملعب كرة اليد يتسع لـ ٢٠٠٠ متفرج.*

النوع الرابع: الرياضات والالعاب التي مارسها شراكسة الشتات في بعض بلاد المهجر.

(١) رياضات الشراكسة في مصر في عهد ملوك الشراكسة في الدولتين البحرية والبرجية خلال الفترة (١٢٥٠ – ١٥١٧).

تميز الملوك والقادة والمقاتلون ذوي الأصول الشركسية في عهد الدولتين الشركسية (البحرية والبرجية) ليس فقط بحكمتهم السياسية وشجاعتهم فحسب، بل بقوتهم الجسدية ومهارتهم وقوة تحملهم ايضا، حيث جاء في مؤلفات "المماليك الشراكسة" ما يلي: "لقد كان فن القتال لدى الشراكسة بمستوى لا يمكن لخصومهم مناله". وفي عام ١٥٠٣ قام (قنصاوه الغوري) ببناء ميدان ضخم لسباق الخيل والذي اصبح أحد المراكز الرئيسية في حياة المجتمع المملوكي في مصر، وكان فرسان الشراكسة يتدربون فيه بشكل مستمر وبفضل مثل هذه التدريبات أصبحت الثقافة البدنية منتشرة في المجتمع الشركسي المملوكي في مصر، وتمتع المقاتلون باحترام الجميع، وكان الشباب ممن يتدربون على أعمال الفروسية بمن فيهم أبناء السلاطين والامراء، حيث اشتهر السلطان الشركسي (مؤيد شيخ قارموقا) الذي تمتع بقوة جسدية هائلة كبطل للفروسية كما كان الرمح سلاحه المفضل.

* مصدر هذه المعلومات هي شبكة الاخبار الشركسية التابعة لجمهورية الاديغي في الوطن الأم.

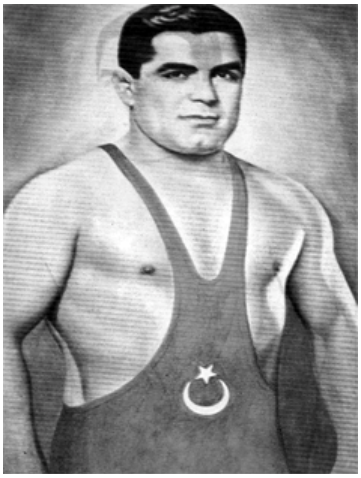
وتشير المصادر التاريخية المنشورة في عهد سلاطين وملوك الشركس في مصر، بأن من أهم مظاهر الانشطة الرياضية في عهدهم كانت:

* رياضات القوة مثل المصارعة.
* رياضات الصيد والقنص.
* ألعاب الكرة مثل لعبة الصولجان.
* رياضة البراعات الحركية مثل: الجمباز.

بالإضافة إلى مختلف أنواع العاب الفروسية التي اشتهر الشراكسة في هذا العهد.[١٠].

(٢) الرياضات التي مارسها شراكسة المهجر في تركيا:

لعبت الثقافة الرياضية الشركسية دورا عظيما في تدريب المقاتلين الاتراك وإعداد الرياضيين الذين اشتهروا عالميا وفازوا ببطولات العالم والألعاب الاولمبية والاوروبية ومن بينهم عدد من الاتراك الشراكسة. كما ان ثقافة الفروسية الشركسية كان لها دور في تطوير رياضة الفروسية في تركيا.

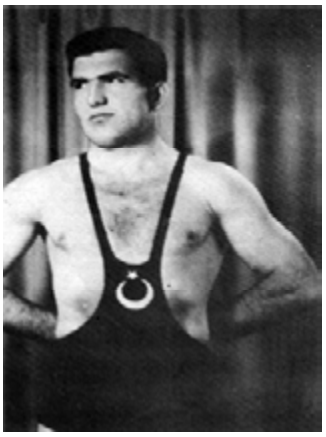


البطل الاولمبي ياشار دوغو

ومن أبرز الرياضين الشراكسة في تركيا الذين فازوا ببطولات اولمبية وعالمية هم:[١١]

- **ياشار دوغو من عائلة (غوتـــشه)** بطـــل اوروبا عـــامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧، وبطـــل الالعـــاب الاولمبيـــة عـــام ١٩٤٨ فـــي المصارعة الحرة وبطـــل اوروبـــا عـــام ١٩٤٧ في المصارعة الرومانية. ولد فـــي عام ١٩١٥ في تركيا وهو من قبيلة أوبيخ.
- **عادل جاندمير من عائلة (جوغاج)** الحائز على الميدالية الفضية في اولمبياد عام ١٩٤٨، وبطل اوروبا لعام ١٩٤٩ في المصارعة الحرة ولد عام ١٩١٤ فـــي قرية شركسية بالقرب من مدينة حمام التركية وهو من قبيلة الشابسوغ.

- **توفيق يوتشيل من عائلة (بيدانوقو)** بطل اوروبا لأعوام ١٩٤٩ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ والحائز على الميدالية البرونزية في اولمبياد ١٩٥٢، وبطل العالم لعام ١٩٥١ في المصارعة الحرة. ولد في تركيا عام ١٩٢٧. وشارك في البطولات الدولية ضمن المنتخب التركي (٤٦) مرة. كما مارس ايضا المصارعة الرومانية وهو من قبائل الابزاخ في تركيا



البطل العالمي والأولمبي حميد قبلان

- **حميد قبلان من عائلة (تشيتشي)** الفائز بكأس العالم عام ١٩٥٦ وبطل العالم عام ١٩٥٧ وبطل الالعاب الاولمبية عام ١٩٥٦ في المصارعة الحرة. ولد في تركيا وهو من قبائل ابزاخ.
- **محمود أتالاي من عائلة (ناغوا)** بطل اوروبا عام ١٩٦٥ والعالم عام ١٩٦٦ والالعاب الاولمبية عام ١٩٦٨ في المصارعة الحرة. **وله موقف رجولي شجاع يدل على انه (أديغة – له) أي رجل شركسي وملخص هذا الموقف هو انه كان يعاني من كسر في اصبعه ومرض في القلب اثناء مشاركته في نهائيات الاولمبياد في المصارعة، فلم يوافق الاطباء صعوده إلى الحلبة، غير انهم لم يصمدوا امام**



البطل الاولمبي محمود أتالاي

عزم (أتالاي) الذي قدم لهم ورقة موقعة كتب فيها: "إن مت فأريد ان أمـــوت شركسيا"، وفاز (أتالاي) في هذه المباراة! إنها عظمـــة وشـــجاعة ومـــروءة الرجل الشركسي، وهو من قبيلة الشابسوغ المهجرين إلى تركيا. [١٢]

- **مصطفى داغدالان من عائلة (ميشا)** بطل اوروبا عام ١٩٨٧ و ١٩٩٠ والعـــالم عام ١٩٩٠ في التايكوندو. وهو أول شركسي حاصل على لقب بطل العالم في تايكوندو. ولد في انقرة عام ١٩٧٠.
- **قادر ياغيز من عائلة (حبتجيقو)** بطل اوروبـــا لعـــامي ١٩٨٨ و ١٩٩٠ فـــي التايكوندو. ولد في قرية (ساريغوني) في تركيا عام ١٩٧٢.
- **ظافر بيلغا من مواليد عام ١٩٢٦** – بطـــل العـــالم واوروبـــا فـــي المـــصارعة الحـــرة فـــي عقـــد الخمسينات من القرن الماضي.



البطل العالمي التركي ظافر بيلغا

مصادر ومراجع الفصل الرابع من الجزء الرابع في المجلد الثاني

١. غيرغوف، حسن، **الشراكسة ابطال اوروبا والعالم والالعاب الاولمبية**، نشر باللغة الروسية بإشراف الاكاديمية الشركسية الدولية للعلوم في نالتشيك عام ١٩٩٨، ص: ٢٤١-٢٥٩.
٢. المصدر نفسه، ص: ٢٤٣.
٣. قاخون، عمران، مجلة الاخاء، وادي السير، العدد (١)، لسنة ١٩٦٩، ص: ١٠.
٤. غيرغوف، المصدر نفسه، ص: ٢٤١.
٥. المصدر نفسه، ص: ٢٤٤.
٦. المصدر نفسه، ص: ٢٤٣.
٧. المصدر نفسه، ص: ٢٥٣ – ٢٥٤.
٨. (نغموقة) شورا بكمرزا، تاريخ الجركس، مصدر سابق.
٩. غيرغوف، حسن، مصدر سابق، ص: ٢٢ – ٢٣٠.
١٠. مامسر، محمد خير، **الموسوعة التاريخية لتطور الحركات الرياضية في الحضارات القديمة والحديثة**، عمان (٢٠٠٠ ص: ١١٣).
١١. غيرغوف، حسن، مصدر سابق، ص: ١٠، ١٦، ٢٢، ٦٤، ٧٢، ١٨٢، ٢٠٠.
١٢. المصدر نفسه، ص ٢٣- ٢٨.

الفصل الخامس

بُعد الثقافة الغذائية في حضارة الأمة الشركسية

تمهيد

تقول (مامخيغ) نقلا عن (سترابون) عن طعام الشراكسة: "بأن طعامهم يتشكل غالبا من نوع من (السمك) يدعونه (انتيسيه) تماما كما كانت تدعى في السابق، وهي في الواقع قطع من اسماك كبيرة مقسمة بحجوم مختلفة... ويشربون الماء من ينابيعهم الخاصة، وهي مفيدة جدا للطهي، كما يأكلون لحوم الحيوانات، الداجن منها والبري، ولا يشربون نبيذ العنب أو الذرة، ويوجد الكثير من منتجات القمح والشعير ويصنعون منها خبزا وانواعا مختلفة من الطعام، وشرابا يسمونه باخسمة تشبه مشروب (البوزا) المصرية كما يشربون خمرا مصنوعا من عسل النحل" (١)

وكذلك فإن (انتريانو) يؤيد ما قاله (سترابون) حول طعام اجداد الشراكسة بقوله: "ويكثر (الزيك) او الزيخ من اكل السمك الذي يوجد بكثرة في انهارهم العديدة ويسمى النوع المفضل لديهم (أنتي سه ئي) كما عرفه (سترابون) نفسه بهذا الاسم من قديم الزمان، ويشربون من ماء الانهار الصالحة للشرب والمساعدة على الهضم. ويكثرون ايضا من اكل جميع اللحوم ويشربون من شراب يصنعونه من الدخن Millet ويسمونه (باخسمة) كما انهم يتناولون نوعا آخر من الشراب ممزوجا بالعسل (٢).

واحصى (انتريانو) عدد اصناف الطعام التي قدمها له مضيفه الشركسي في إحدى زياراته لبلاد الشراكسة بقوله:

"... أما عن غداءنا اليومي أو بالأحرى غداءتنا، فقد غطت على عشائنا البارحة، لقد حاولت لفترة طويلة أن أحصي عدد أصناف الطعام، وكنت أخطئ في كل مرة، وقد قال لي الشخص الذي كان يرافقني فيما بعد، بأنني لم أرَ إلا جزءا يسيرا من تلك الاصناف التي كانت موجودة في المطبخ ولم يقدموها لنا بعد ان

أعلمناهم بأننا تناولنا غداءنا منذ فترة وجيزة فقط. وقد لبينا دعوة العشاء مجاراة لعاداتهم، وتذوقت بعض اصناف الطعام حيث لم يكن بالامكان رفض هذا الشرف.

وقد اكد مرافقي انه رأى صفوفا من الطعام على إحدى الموائد كأنها في نظام عسكري، وقد عد في إحدى المآدب (اثنين واربعين) صنفا، بينما تكونت اخرى من (خمسة واربعين) صنفا ولقد تساءلت إن كانت مضيفة المنزل قد أحصت عدد الاصناف التي قدمتها جارتها..". [٢]

وكذلك فإن (دورتيلي) مثله مثل (انتريانو) لاحظ في تشيركيسيا بأنهم:

"... لا يأكلون الخبز المصنوع من الحبوب مع أنهم يأكلون الحبوب المطبوخة، وعوضا عن الخبز يأكلون (البروس) المسلوق بدون ملح ويسمونه (باستا) حيث يقطّعونه إلى أقسام تقدم على المائدة، وقد كان عليّ أن آكل منه على مدى ثمانية أيام كاملة، وبدا لي أنه بدون أي طعم". [٣]

وأما (دوترمن) في كتابه (الشراكسة) فكان أكثر وصفا لنظام الأكل والعادات المرتبطة به بقوله:

"يقدم الطعام بكل نظافة وأناقة، ويشربون الحليب بملاعق خشبية، ويحتسون مرق اللحم بواسطة فناجين من الخزف، أما باقي الطعام فيؤكل بالأيدي. وكان الخاروف المذبوح على شرف الضيف يطهى قطعة واحدة، باستثناء الرأس والاقدام والكبد، التي كانت تطهى منفردة في ماء مالح مبهر وتوضع على طاولة منفردة، وتتكون الوجبة عادة من لحم الخاروف المقطع إلى اجزاء، ويتوسط المائدة زبدية خزفية كبيرة ممتلئة (بالشبس) مضافا إليه الثوم والفلفل والملح، حيث يقوم الاكل بغمس قطعة اللحم (أو الباسطة) في الشبس قبل أكلها.

ومن ثم، وبحسب الأهمية يأتي دور ال "جتليبجة" وهو الدجاج المطبوخ مع البصل والزبدة والبهار، وتوضع على المائدة مع الحليب الحامض الذي يحوي قطعا من لحم رأس الخاروف.

كما تقدم ايضا رقائق الجبنة وفطائر محشوة بالجبنة، او الارز باللحم، إضافة إلى اللحم المشوي، وقطع من لحم الخاروف الممزوجة بالعسل، إضافة إلى القشطة الممزوجة بالدقيق والفطائر المحلاة، واخيرا يتم احضار قِدْر فيه حساء يقدم للضيف في فناجين تمسك من اياديها. وكان النبيذ والبوزا (شراب من الشعير) والكوميك (شراب من حليب الفرس) من مكونات غداء الضيوف.

لقد كان لتنوع اصناف الطعام علاقة بأهمية الضيف، وامكانية صاحب الدار المادية، وقد بلغت انواعها واصنافها لأكثر من (مائة) نوع وصنف، حيث قدم (تيمور ديمشنكو) وهو كبير قبيلة "الناتوخاي" لضيفه الانكليزي الضابط (سيراكير) (مائة وعشرين) صنفا من الأطعمة في عام ١٨٢٧ [٤].

اقتضت العادات الشركسية الاعتدال في الأكل والشرب، كما انه من غير المقبول التحدث مع وجود الطعام في الفم، أو اصدار صوت عند رشف السوائل، او القرقعة او فتح احاديث عن موضوع ما، اما مغادرة طاولة الطعام مؤقتا لأمر ما فلا يتم إلا بعد الاستئذان من كبير الجالسين (التحمادة) [٤].

وأما (ستناي) وهي إحدى شراكسة المهجر في الاردن من المهتمات بالمطبخ الشركسي، تذكر لنا في عام (١٩٨٩) حوالي ((١٩٠)) صنفا ونوعا من الاكلات الشركسية القديمة منها والمعاصرة شائعة الاستخدام في المطبخ الشركسي في الوطن الام في القفقاس. [٥]

نشأة المطبخ الشركسي في الوطن الام:

يجد الدارس للمطبخ الشركسي بأن طعام الشراكسة في عصر الاجداد منذ الالف الاول ما قبل الميلاد كان يتكون من:

- لحوم الاسماك، خاصة اسماك الانهار.
- لحوم الحيوانات الداجنة مثل لحوم الابقار والعجول والجاموس والخرفان والماعز.

- لحوم الحيوانات البرية التي كان يصطادها الشراكسة مثل: الغزلان والوعل والارانب...الخ.
- مشتقات القمح والشعير والذرة والدخن... الخ.
- العسل، الذي اشتهر به الشراكسة بانتاجه منذ عهد الاجداد حيث انتجوا منها عشرات الانواع منه.
- انواع مختلفة من (الشراب) المسكر الخاص بالشراكسة المصنوع من طحين القمح أو (الدخن) Millet ويسمى (باخسمة) ويشبه شراب (الباخوس) لدى الاغريق، ومشروب آخر يسمى (شوات) الذي يحضر من مخلفات العسل.
- القالمق شاي، وكان يشرب ساخنا، وهو الشاي المطور عن الشاي الذي كان يزرعه شعب القالمق بعد استيطانهم في قفقاسيا بجوار الشراكسة.

تطور المطبخ الشركسي في الوطن الام:

تطور المطبخ الشركسي مع تطور الحياة، وظهرت مئات الاصناف من انواع الطعام بالرغم من أن الانسان الشركسي عرف بأنه معتدل في الأكل والشراب منذ القدم حسب شهادات بعض الرحالة الاجانب، وكما نستدل عليه من الامثال الشركسية التي تؤكد على هذه الحقيقة.

وربما كان لطبيعة الثروات الحيوانية والدواجن والطيور وتعددها، وكذلك تعدد أنواع المحاصيل الزراعية التي كان يزرعها الشراكسة منذ الاف السنين دور في تطوير المطبخ الشركسي، وثرائه بأصناف من المأكولات وأطباق خاصة بالأمة الشركسية، كما هو مبين في انواع واصناف وأطباق المأكولات الشركسية شائعة الاستخدام في الوطن الأم. (٤)

أنواع المأكولات الشركسية في المطبخ الشركسي يشتهر بها منذ عصر الاجداد حتى العصر الحديث.

النوع الاول: المأكولات المصنوعة من لحوم الحيوانات، وتتكون من نوعين، هما:

أ- اللحوم المبردة أو المجففة (المبردة)

١- اللحم المقلي المبرد	٥- اللحم المسلوق المبرد
٢- الكبد المسلوق المبرد	٦- اللية المسلوقة المبردة.
٣- الاطراف المسلوقة المبردة	٧- اللية المقلية المبردة
٤- اللحم المدخن.	٨- اللحم المملح المبرد.

ب- اللحوم المطبوخة:

١- اللحم المسلوق (قطع كبيرة)	٩- أمعاء محشية
٢- اللحم المقلي دون مرقة.	١٠- قارومة (جاورمة)
٣- شبس باللحم	١١- صلصة الكارشات
٤- اللحم المقلي مع البطاطا	١٢- لحم بالملفوف
٥- شبس باللحم المجفف	١٣- مقالي بالكبد
٦- خاروف مشوي	١٤- مقالي بالكلاوي
٧- فخد خاروف مشوي	١٥- مقالي بالطحال.
٨- شيشليك الشركسي (شيش كباب)	١٦- القفص الصدري للخاروف المشوي.

النوع الثاني:

اصناف واطباق المأكولات الشركسية المصنوعة من لحوم الدواجن والطيور.

وتتكون من الاطباق التالية:

١- شبس بالدجاج	٥- دجاج مقلي مع البطاطا
٢- شبس بالحبش	٦- دجاج كامل مسلوق
٣- دجاج مقلي	٧- دجاج كامل مقلي
٤- دجاج مشوي	٨- دجاج مسلوق مشبع بالثوم

النوع الثالث:

اصناف واطباق المأكولات الشركسية المصنوعة من مشتقات الحليب والطحين وتتكون من نوعين من الاطباق هما:

أ- اطباق مشتقات الحبوب

١- مرامسة وهي من الاطباق القديمة المشهورة	**٦- العاشورا، ويصنع من القمح المقشر وفاصولياء بيضاء، وحمص حب، والذرة الصفراء، ويطبخ على نار هادئة ويقدم يوم عاشوراء ***
٢- العجين المقطع (تحف بالاوة) وتسلق بالماء وتشبه المعكرونة (المبسطة)	**٧- سك، وهي من المأكولات القديمة جدا مصنوع من الدخن المجروش او البرغل.**
٣- العجين المجفف المسلوق بالحليب.	**٨- العجين المسلوق باللبن والثوم**
٤- الشرسي (الشرس) وهي من اقدم الاطعمة الشركسية ويعود تاريخه لاكثر من الف ستة قبل الميلاد	**٩- (بنج بخانج) وهي المقلوبة الحلوة بالزبيب.**
٥- (بسه - حلفة) ويشبه الشيشبرك العربية	**١٠- (حلامة)، وهي من الاطباق القديمة جدا.**

* لا أحد يعرف بالضبط من أين جاءت تسمية "العاشوراء"، ويعيد البعض بالتسمية إلى زمن طوفان نوح عليه السلام، حيث تقول الرواية أنه وبعد انتهاء الطوفان قام سيدنا نوح عليه السلام بمزج الخليط من الحبوب التي كانت بحوزته في السفينة وطبخها للركاب الناجين من قومه.
والمسلمون يصومون يوم عاشوراء. الذي يصادف (العاشر من محرم)، حيث روى ابن عباس رضي الله عنه انه قال: قدم النبي (ص) المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: يوم صالح، ونجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم، فصامه موسى عليه السلام، فقال (ص): انا احق بموسى منكم، فصامه وامر بصيامه (حديث).
وعرف عن الشيعة احتفالهم بذكرى عاشوراء ولكن المناسبة ترتبط عندهم بذكرى مقتل الحسين ابن علي رضي الله عنهما في معركة كربلاء في العاشر من محرم عام (٦١هـ) حيث يقومون بمسيرات الحزن التي يتخللها ضرب أجسادهم بالسياط والسلاسل الحديدية تكفيرا عن ذنبهم وندما لتخليهم عن مناصرة الحسين رضي الله عنه يوم معركة كربلاء.
اما الشراكسة فقد بدأوا بالاحتفال بذكرى عاشوراء منذ اوائل القرن الثامن عشر بعدما اعتنقوا الإسلام، في تلك الفترة.

ب- أطباق المعجنات وتتكون من:

١- جوبات (محلى بالعسل أو السكر او غير محلى)	٧- (غواملة) أي طعام المسافر، وهي من المأكولات القديمة جدا ومكونة من طحين الدخن المسلوق المخلوط مع طحين القمح وهو طعام مغذٍ جدا وكانت من الأكلات الرئيسية للمقاتلين الشراكسة ايام الحروب
٢- جنج حلو وهي عبارة عن رقائق من البسكويت.	٨- (مدجادج) ويتكون من طحين الدخن او الذرة ويجبل بالماء او الحليب المغلي ثم يضاف إليه طحين القمح ويخبز بالفرن ويستعمل بدل الخبز.
٣- كورامبي وهي عبارة عن اقراص مكونة من العجين المخلوط بالسكر والسمن المحمر.	٩- (حالوج) ويشبه السمبوسك بالجبنة ويتكون من العجين المخلوط بالحليب وترق رقائق رقيقة بحجم الصحن ويغطى بالجبن قليل الملح والمبشور ثم تطوى على الجبنة وتقطع على شكل مثلثات
٤- أقراص (الأف) وهي عبارة عن جريش المدخن المحمر المخلوط بالزبدة والعسل.	١٠- (تخوج) ويشبه (الشلامة) إلا انها تقلى بالزيت.
٥- (الشلامة) المسلوقة وهي عبارة عن الدخن المجروش المقلي والمحمر.	١١- (ليبج) ويصنع مع تحميص الذرة جيدا ويخلط بالاجاص المجفف ويضاف عليه العسل ويقدم مع اللبن.
٦- (الحلفة) وتصنع من عجين القمح الذي يُرق ويقطع على شكل مثلثات وتطوى بعد حشوها بالجبنة الشركسية أو البطاطا المسلوقة المبهرة بالفلفل، ويقلى بالزيت. وهي أكلة معروفة حتى اليوم في الوطن الأم وفي بلاد المهجر.	١٢- (أديغة حلاوة) وتصنع من الصحين المحمص، ويعجن بالسمنة والسكر بعد اذابته ليصبح (قطراً) ويقدم ساخناً أو بارداً.

النوع الرابع:

اصناف اطباق المأكولات الشركسية المصنوعة من الخضروات وتتكون من نوعين من الاصناف هما:*

أ- المأكولات المصنوعة من الخضروات المطبوخة، وتتضمن الاطباق التالية:

١- البطاطا المقلية	**٧- مرقة الفاصوليا**
٢- البطاطا بصلصة الشوربة او الماء المغلي المضاف إليه طحين القمح.	**٨- صلصة الفاصوليا.**
٣- القرع المشوي	**٩- (جنشندر) ويتكون من الفاصوليا المسلوقة المبردة الذي يضاف الى اللبن المثوم**
٤- القرع بالصلصة	**١٠- (جش بط) وهو عبارة عن عدس مجروش أو (حب) مطبوخ بالسمنة والبصل المقلي.**
٥- (قبغن) وهو عبارة عن القرع المسلوق والمهروس ويقدم مبردا	**١١- (اللوزيات) بالعسل، وتتكون من الجوز المشوي وانواع أخرى من اللوزيات ويضاف إليه العسل ويقدم في العشاء مع الفطائر.**
٦- (شبجي – داغة) أي صلصة الفلفل الاحمر مع السمن المقلي ويستخدم مع الشبس بشكل اساسي.	**١٢- عصير الذرة مع اللحم المسلوق.**

* يقول احد المعمرين من شراكسة تركيا بأن الخضار ذات الاوراق الخضراء لم تكن معروفة عند الشراكسة الذين هاجروا إلى الدولة العثمانية ابتداء من عام (١٨٦٤) وكانوا يصفون ما عند الاتراك من خضار بـــ (ووتز) ومعناها (حشيش) وكانوا يعتقدون أنها علف للحيوانات وليس للبشر، خاصة الخضروات التالية: الملوخية والسبانخ والفاصوليا الخضراء وغيرها من الخضروات ذات الاوراق الخضراء.

ب- المأكولات المصنوعة من الخضروات (النية) غير المطبوخة.

١- مخلل القرنبيط

٢- مخلل الشمندر

٣- الثوم المهروس بالملح (شوغ بجنوخ).

النوع الخامس:

اصناف المأكولات الشركسية المصنوعة من مشتقات الالبان وتتكون من نوعين من الاصناف هما:

أ- اصناف من مشتقات الحليب وأهمها:

١- اللبن. ٢- الجبنة .

٣- الزبدة. ٤- القشطة.

٥- السمن الشركسي.

ب- اصناف طعام من مشتقات الالبان وأهمها:

١- الجبن المقلي بقطع كبيرة. ٤- الجبن المقلي مع البيض.

٢- الجبن المقلي بقطع رقيقة. ٥- جبن حليب الماعز (القندس)

٣- الجبن المبشور. ٦- قشطة الاطفال وهي قشطة مثبتة على (عيدان)

٧- لبن مخلوط بالبيض المقلي أو المسلوق تضاف إليه القشطة والملح والثوم.

٨- (سوتلة) أي رز بالحليب المحلى بالعسل او السكر وقد يكون غير محلى.

النوع السادس:

أصناف المأكولات الشركسية المصنوعة من الفواكه: هذا النوع من المأكولات على نوعين هما:

أ- النوع الاول هي: الفواكه المجففة مثل:

١- عنب مجفف (زبيب) ويسمى (جوزم نمور)
٢- تين مجفف
٣- اجاص مجفف
٤- الكرز المجفف.
٥- البرقوق المجفف
٦- الدراق المجفف

ب- النوع الثاني هي: الفواكه المطبوخة مثل:

١- البطيخ المطبوخ والمبرد.
٢- المربيات المصنوعة من الفواكه المختلفة.

النوع السابع:

أصناف وأنواع المأكولات المصنوعة من لحم السمك:

اعتمد أجداد الشراكسة في عصور ما قبل الميلاد وفي فجر التاريخ على السمك في أكلهم، حيث كانت الأطباق المصنوعة من مختلف أنواع السمك هي الأصناف الرئيسية وأهمها:

١- السمك المشوي.
٢- السمك المقلي.
٣- السمك المملح.

إلا أن أكل السمك في مراحل لاحقة من تاريخ الأمة الشركسية لم يعد من الاكلات الرئيسية وان المطبخ الشركسي الذي اصبح متطورا منذ العصور الوسطى لم يعد للسمك فيه مكان، وان الشراكسة في مراحل ما بعد الهجرة لم يعودوا يأكلون

السمك، والسبب حسب قول احد المؤرخين الشراكسة، هو قيام اسماك البحر الاسود التهام الاف جثث الشراكسة المهاجرين بعد أن غرقت البواخر التي كانت تنقلهم إلى سواحل تركيا والبلقان بعد حملات الطرد والنفي الجماعي إلى الولايات التركية العثمانية على أثر احتلال حكام روسيا القيصرية لبلاد الشراكسة في عام ١٨٦٤.

النوع الثامن:

أصناف وأنواع الشوربات

١- شوربة اللحم
٢- شوربة دجاج
٣- شوربة أطراف الفخد
٤- شوربة اللحم المجفف
٥- شوربة الذرة
٦- شوربة الفاصوليا

النوع التاسع:

المشروبات وهي على نوعين هما:

أ- مشروبات (مسكرة) مثل:

١- **الباخسمة** وهو مشروب قديم جدا، وتصنع من طحين الدخن أو طحين القمح، ثم يحمص إلى درجة الاحمرار ويدار عليه ماء مغلي ثم يضاف إليه ماء شعير المطحون ويترك حتى يتخمر ويشرب بعد تصفيته لأكثر من مرة ويمكن اضافة عسل إليها حسب الرغبة.

٢- **مشروب (الشوات)** ويحضر من مخلفات العسل وفواكه مجففة ويوضع تحت الشمس، ثم يدفن تحت الارض لمدة (٦-٧) ايام حتى يختمر.

٣- **مشروب التفاح، والاجاص المجفف،** ويحضر بسكب ماء مغلي على الفواكه المجففة ويشرب بعد تخميره وإضافة عسل أو سكر إليه.

ب- المشروبات غير المسكرة وتتضمن:

١- الشاي العادي.

٢- **القالمق شاي**، وهو الشاي الذي يتم تحضيره من أوراق نبات الحميض الذي يغلي جيدا حتى يصبح لون عصارته مثل الشاي، ويشرب بعد إضافة الحليب والملح والفلفل الاسود (حسب الرغبة) عليه. كما تضاف إليه الزبدة أو القشطة وهو مشروب الشركسي القومي خلال فصل الشتاء البارد.

*** أنواع وأصناف أطباق المأكولات التي احتفظ فيها الشراكسة في بلاد المهجر:**

حافظ شراكسة المهجر على بعض أنواع وأصناف أطباق المأكولات الشركسية القديمة حتى أصبحت هذه المأكولات معروفة لدى شعوب البلاد التي استوطن فيها الشراكسة بعد تهجيرهم عن الوطن الأم قسرا، ومن أهم هذه المأكولات التي تعتبر من التراث القومي الشركسي في بلاد المهجر:

- **الشبس**، مع لحم الدجاج المسلوق بالثوم مع الملح والشبس يعمل من دقيق القمح المحمص، وشوربة الدجاج ويضاف إليهما حليب او قشطة (زبدة) كما يضاف إليها جوز مطحون.
- الشبس مع لحم الحبش الملون ويطبخ بنفس الطريقة السابقة.
- قوية جابخة، وهي اكلة تطبخ من الجبنة الشركسية المقلية بالسمنة.
- مرامسة، وهي أكلة مطبوخة من دقيق الدخن او القمح.
- الباسطة، ويعمل من البرغل او البرغل مع الأرز او الارز وحده.
- عاشورة، المصنوعة من خليط من القمح والفاصوليا، والحمص، ويضاف إليها الحليب والجوز والزبيب المجفف وقطع من التمر، كما سبقت الإشارة إليها.
- اديغة حلوة (أي حلاوة شركسية) المصنوعة من الطحين المحمص المعجون بالسمنة وقطر السكر.

- حلفة بالجبنة، أو البطاطا مع فلفل اسود وتشبه "السمبوسك" بالجبنة وتقلى بالزيت الحار.
- تحف بلاوة، أي عجين مقطع وتشبه المعكرونة المبسطة.
- لقم، ويصنع من عجينة القمح وهو على نوعين الاول يكون مالحا قليلا والثاني يكون محلى بقطر السكر.
- اللحم المسلوق ويكون من لحم الخاروف او البقر، ويقدم بعد دهنه بالثوم.
- رز بحليب (سوتلة) محلى أو بدون تحلاية.
- مشروب الباخسمة.
- اللحم المدخن، والمقدد (المجفف).
- القاورمة.
- امعاء محشية.
- دجاج مسلوق مشبع بالثوم.
- بسه – حلفة.
- غواملة
- (جَش بط) أوكش أي عدس مجروش مطبوخ مع البصل.
- (شاقوة زتيج) أي رقاق العجين المدهون بالزبدة.
- تخورج (شلامة) المقلي بالزيت.

قائمة بأسماء وأنواع المآكولات الشركسية في الوطن الأم كما هي واردة في القاموس "الشركسي، الروسي، الانجليزي، التركي"، تأليف حسن تسخونة، وايرينا تسخونة" المنشور في نالتشك عام ١٩٩٨م.



ЩIакхъуэгъэтэдж
Дрожжи
Yeast
Maya



ЩIакхъуэзэтеупIэ-щIыкI, щIакхъуэзэтегъэж
Слоеный хлеб
Puff-bread (puff-pastry)
Yufka, poğaca



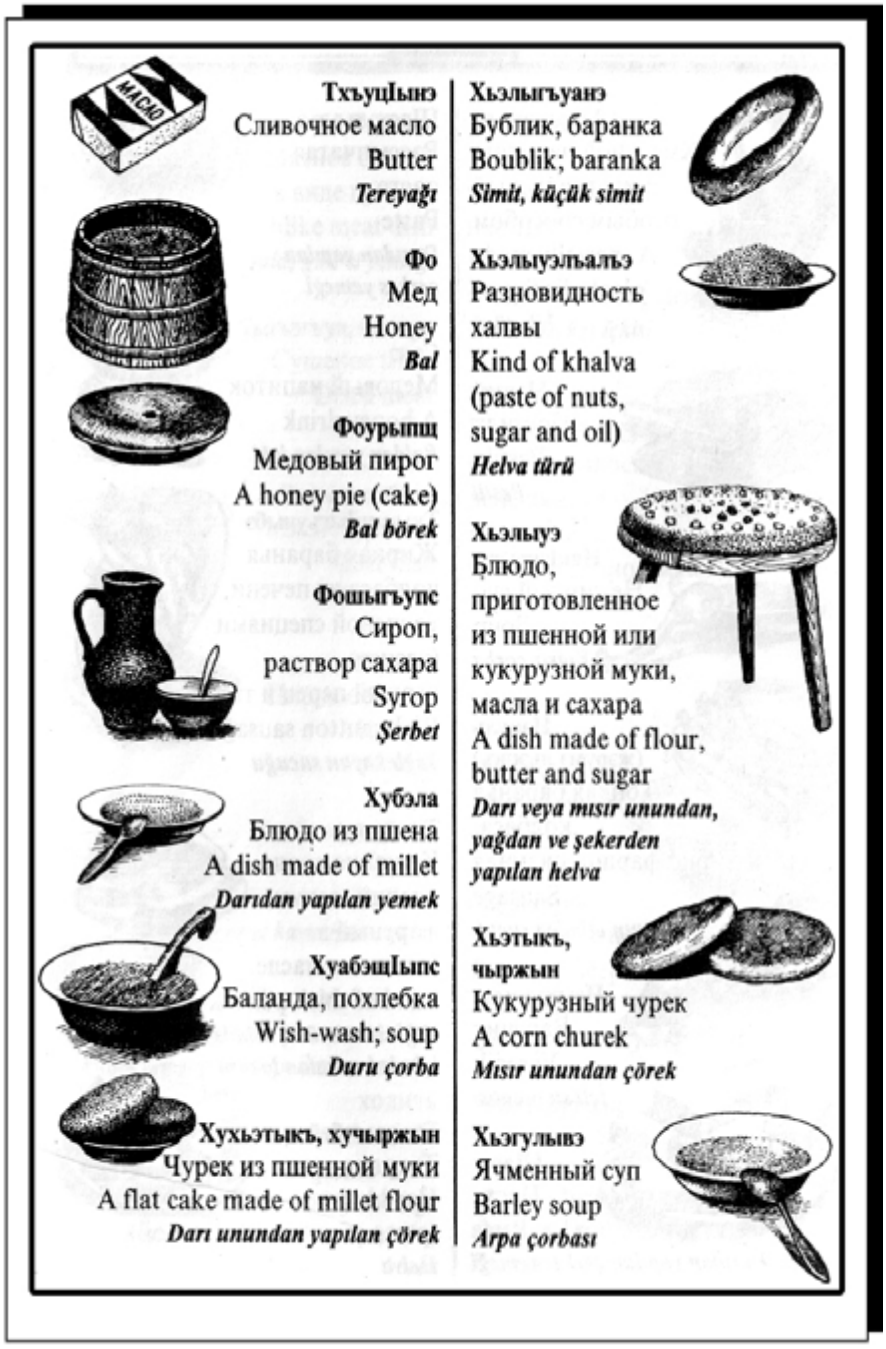
Iэпэшыпс
Мясное блюдо с подливой
A meat dish with sauce
Salçalı etli yemek



IэшэрыI
Особого рода суп из шлифованной кукурузы с фасолью, рисом, мясом, сыром и пр., приготовляемый к религиозному празднику
A special soup of peeled maiz, beans, potatoes, meat, etc., made in honour of religious holiday
Aşusre



IурыщIэлъ, фотхъуэхэлъ
Сладкое блюдо из меда и топленого масла (угощение на свадьбе)
A sweet dish made of honey and boiled butter (a wedding dish)
Baldan ve eritilmiş yağdan yapılan tatlı yemek



ТхъуцIыпэ
Сливочное масло
Butter
Tereyağı

Фо
Мед
Honey
Bal

Фоурыпщ
Медовый пирог
A honey pie (cake)
Bal börek

Фошыгъупс
Сироп,
раствор сахара
Syrop
Şerbet

Хубэла
Блюдо из пшена
A dish made of millet
Darıdan yapılan yemek

ХуабэщIыпс
Баланда, похлебка
Wish-wash; soup
Duru çorba

Хухьэтыкъ, хучыржын
Чурек из пшенной муки
A flat cake made of millet flour
Darı unundan yapılan çörek

Хьэлыгъуанэ
Бублик, баранка
Boublik; baranka
Simit, küçük simit

Хьэлыуэлъалъэ
Разновидность халвы
Kind of khalva (paste of nuts, sugar and oil)
Helva türü

Хьэлыуэ
Блюдо, приготовленное из пшенной или кукурузной муки, масла и сахара
A dish made of flour, butter and sugar
Darı veya mısır unundan, yağdan ve şekerden yapılan helva

Хьэтыкъ, чыржын
Кукурузный чурек
A corn churek
Mısır unundan çörek

Хьэгулывэ
Ячменный суп
Barley soup
Arpa çorbası



Хьэлывэ
Жареные пирожки с мясом, картофелем и т. д., творогом, наподобие ватрушек
Fried patties with curds like curd tarts
İçli börek

Хьэкъут, хьэкъурт
Мука из жареной кукурузы
Meal made of fried maize
Kavrulmuş mısır unu

Хьэнтхъупс
Суп из различных видов крупы (пшено, рис, кукуруза, фасоль и т. д.)
Millet soup
Türlü yarmalardan yapılan çorba

ХьэлIамэ
Вареная лепешка из кукурузной муки
Boiled flat-cake of maize-flour
Mısır unundan iri mantı

ХьэлIамэцIыртI
Галушки
Dumpling
Hamurdan çerkes yemeği

ХъыпкIэл
Суп с лапшой
Soup with noodles (noodle soup)
Hamurdan çerkes yemeği

Хъыршын
Пирог
Pie
Börek

Хъудыр
Баланда, похлебка из кукурузной муки
A soup made of maize-flour
Duru çorba

ХьэтыкъкIэдэдзэ
Маленький чурек, сажаемый между большими
A small flat cake put between two big ones
Küçük çörek



Шатэ
Сметана
Sour cream
Kaymak

Шэжыпс
Сыворотка
Whey
Peynir suyu

Шатэпс, шащхьэ
Сливки
Cream
Kaymak, krema, süt başı

Шэмэжаджэ
Кушание из молока и чурека
A dish made of milk and a flat cake
Sütlü çerkes yemeği

Шатэрыпщ
Мучное кушание на сметане
A flour dish made with sour cream
Undan ve kaymaktan yapılan yemek

Шхынхэлъхьэ
Приправа к кушанию, специи
Spices
Bahar, baharat

Шащхьэ
Пенка (на кипяченом молоке)
Milk skin
Süt başı

Шху
Кислое молоко, варенец
Varenets; sour milk
Yoğurt

Шэ
Молоко
Milk
Süt

ШхупщIатэ
Закваска для молока
Leaven (for milk)
Yoğurt mayası

Шэгъэубэнджа
Вид творога
A variety of cottage cheese
Süzme yoğurt, lor peyniri

Шыбжиитхъу
Приправа из коровьего масла и перца
A seasoning made of butter and pepper
Biber salçası



ШыгъупIастэ
Хлеб-соль
Bread and salt
(sign of hospitality)
Ekmek-tuz
(konukseverlik)



Шыгъу
Соль
Salt
Tuz



Шыгъушыпс
Крепкий
раствор соли
Strong solution
of salt
Tuzlu su



Шыкъазий
Конская колбаса
Horse-flesh sausage
At sucuğu

Шатэрыпщ
Мучное кушание
на сметане
A flour dish made with sour
cream
Undan ve kaymaktan yapılan yemek



Шыпс
Соус
Sauce
Sos

Шыгъухьэлывэ
Пирог с солью,
испеченный
специально
для гадания
A pie with salt
baked specially
for fortunetelling
Yalnız fal için pişirilen
tuzlu börek

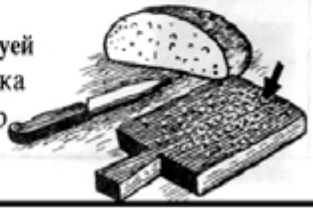




Щэхьэтыкъ,
щэчыржын
Чурек из пшенной
или кукурузной
муки с добавлением
в тесто кусочков
внутреннего жира
или курдюка
A flat cake made
of millet or maize flour with
pieces of a fatty tail
İç yağla darı veya mısır unundan
pişirilen çörek



Щхьэлэпс
Бульон из головы
животного
A broth made of animal's head
Hayvanın başından yapılan et suyu



Щыкъуей
Крошка
Crumb
Kırıntı



Лыбжьэ
Мясное блюдо
в виде гуляша
Goulashlike meat dish
Gulaş gibi et yemeği



Лыгъэгъуа, лыгъур
Сушеное мясо
Dried meat
Kuru et



Лыгъуэлыбжьэ
Мясное блюдо
Meat dish
Etli yemek



Льдэлэн
Пирог с мясом
Meat pie
Etli börek



ЛыщIыкIулыбжьэ
Гуляш
Goulash
Macar et kavurması, gulaş



Льэтеувэмэжаджэ
Пирог, приготовляемый в
честь того, что ребенок начал
ходить
A pie made in honour of the child
who has just begun to walk
Bebeğin yürümeğe
basladığı münasebeti ile pişirilen
börek

Махъсымэ
Буза -
национальный
напиток
Boza, bouza -
a national strong drink
Ulusal çerkes içkisi



Мэжаджэ
Чурек (в форме
большой плоской
лепешки) из
пшеничной
или кукурузной муки
A large flat cake
Çörek, pide (mısır unundan)



Мрамысэ
Мамалыга
Hoziny
Mısır unundan
yapılan yemek



Мэлкхъуей
Брынза овечья
Brynza (sheep's
milk cheese)
Beyaz peynir (koyun peyniri)



Мэлыхъуэлэпс
Бульон из баранины
(букв. суп чабанов)
Mutton broth (literally
shepherd soup)
Et suyu



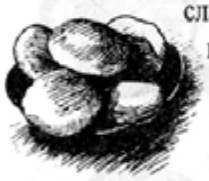

Мэрэмэжьей
Хмельной напиток, приготовленный особым способом
A specially made alcoholic liquor
İçki türü
Мэрзей
Пастила
Pastila
Pestil
НакIэпсыжэ
Нежирный суп
Soup
Yağsız çorba
Нэкуль (жэрумэ лъэпкъ)
Тонкая баранья колбаса, очень жирно фаршированная
Sausage
Koyun etinden sucuk
Псыхьэлывэ
Вареник
Varenik
İçli su mantısı
Шастэ
Паста
Paste
Darıdan yapılan çerkes yemeği
Шастэлъалъэ
Рассыпчатая паста
Paste
Darıdan yapılan çerkes yemeği
Санэ
Медовый напиток
A honey drink
Baldan yapılan içki
ТхьэмщIыгъуныбэ
Жирная баранья колбаса из печени, толченой специями (чеснок, черный перец и т. д.)
Rich mutton sausage of liver
Yağlı koyun sucuğu
Тхъурыжь
Кушание вроде оладий, лакум, жареный в топленом масле
Kind of thick pancake
Yağlı börek türü, erimiş sade yağ içinde kızartılan lokum
Тхъурымбей
Твердая халва
Hard halva
(paste of nuts, sugar and oil)
Helva



Жэмыкуэ
Молочное блюдо, приготовляемое из вареной сметаны с мукой и свежей баранины
A milk dish made of boiled sour cream with flour and fresh mutton
Pişmiş kaymaktan undan ve taze koyun etinden yapılan yemek



Жэрумэ
Колбаса из овечьих кишок и внутреннего жира
Sausage of sheep guts
İç yağlı sucuk cinsi



Къурамбий
Курамбий - род сладкого печенья; приготовлялось в особо торжественных случаях (ритуальное блюдо)
Kind of sweet biscuit made on festive occasions
Kurabiye

Къурш
Разновидность сыра
Kind of cheese
Peynir türü



Кхъуейжьапхъэ
Блюдо, приготовляемое из молочных продуктов, преимущественно из сметаны, с примешиванием кукурузной муки, сыра и яиц
A milk dish, usually made of sour cream, maize-flour
Peynirden yapılan yemek





Кхъуейхьэлывэ
Вареники с сыром
Cheese dumplings
Peynirli varenikler

Кхъуейплъыжь
Копченый сыр
Smoked cheese
Füme peynir çerkes peyniri



Кхъуейлъалъэ
Творог
Cottage cheese
Peynir türü





Кхъуей
Сыр
Cheese
Peynir



Къундэпсо
Сыворотка
Whey
Ekşitilmiş ayran



Къылыш
Печеный
в золе чурек
A flat cake baken
in ashes
Közleme



Къамылфо
Патока из
сахарного
тростника
Treacle
Şeker kamışı



Ирыскъы,
шхыныгъуэ
Продукты,
пища
Food
Maddeler, yemek



Кхъужьыпс
Сок груши
A juice made of pears
Armut suyu

Кхъуейшыпс
Сыворотка
(в которой
хранится сыр)
Whey where
cheese is kept
Peynir salamura suyu



КхъуейцIынэ
Мягкий
молодой сыр
Soft new cheese
Yumuşak ve genç peynir



Лакъум
Лакум
Rahat lakoum,
Turkish delicacy
Börek

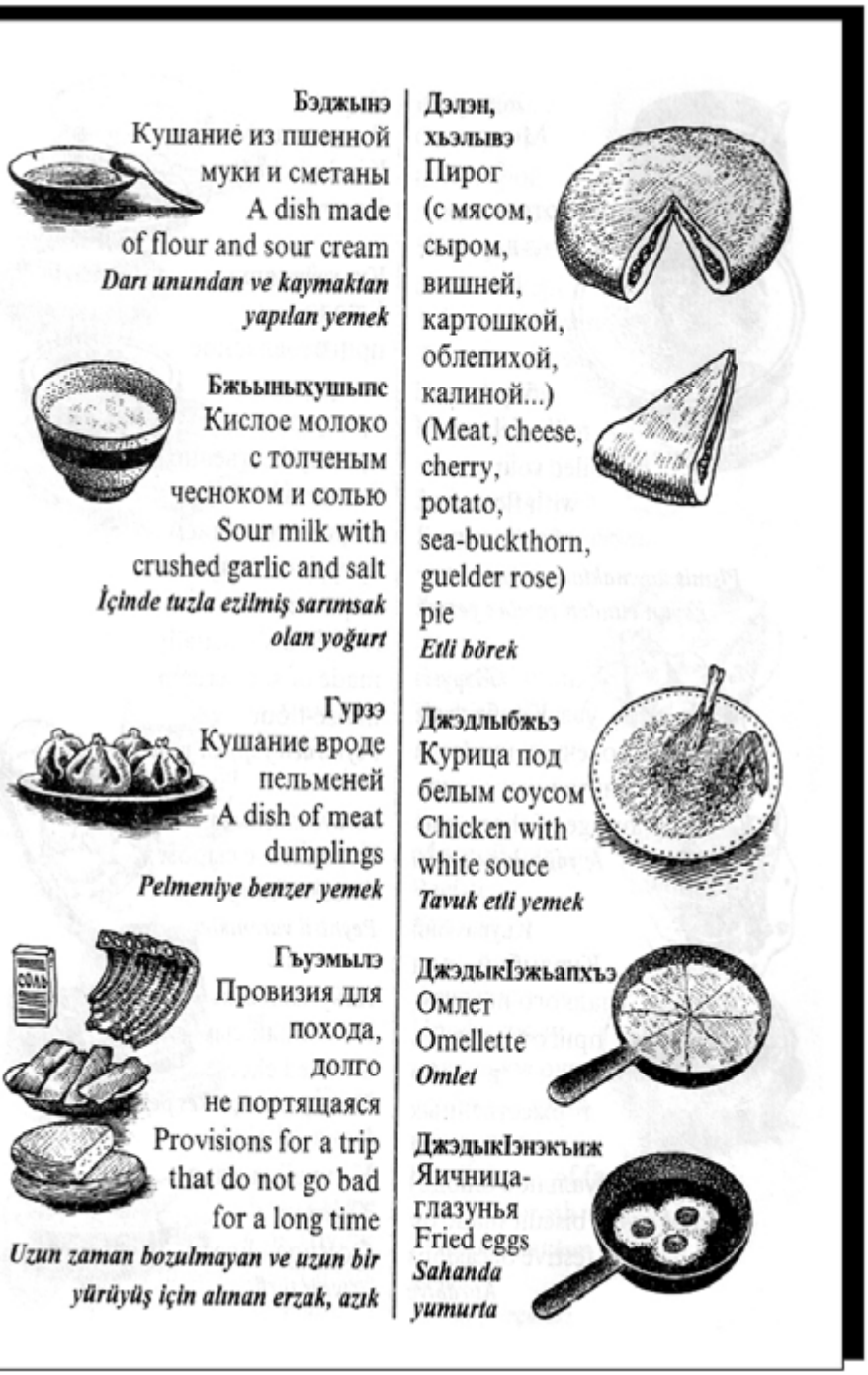


Лэпс
Мясной бульон
Beef-tea
Et suyu



Лэпстепхъэ
Профитроли,
мелкие кусочки
сдобного теста
в бульоне
Small pieces of fancy
pastry in broth
Et suyuna katılan
küçük
hamur parçaları





Бэджынэ
Кушание из пшенной муки и сметаны
A dish made of flour and sour cream
Darı unundan ve kaymaktan yapılan yemek

Бжьыныхушыпс
Кислое молоко с толченым чесноком и солью
Sour milk with crushed garlic and salt
İçinde tuzla ezilmiş sarımsak olan yoğurt

Гурэ
Кушание вроде пельменей
A dish of meat dumplings
Pelmeniye benzer yemek

Гъуэмылэ
Провизия для похода, долго не портящаяся
Provisions for a trip that do not go bad for a long time
Uzun zaman bozulmayan ve uzun bir yürüyüş için alınan erzak, azık

Дэлэн, хьэлывэ
Пирог (с мясом, сыром, вишней, картошкой, облепихой, калиной...)
(Meat, cheese, cherry, potato, sea-buckthorn, guelder rose) pie
Etli börek

Джэдлыбжьэ
Курица под белым соусом
Chicken with white souce
Tavuk etli yemek

ДжэдыкIэжьапхъэ
Омлет
Omellette
Omlet

ДжэдыкIэнэкъиж
Яичница-глазунья
Fried eggs
Sahanda yumurta

مصادر ومراجع الفصل الخامس من الجزء الرابع في المجلد الثاني

١- مامخيغ، رايا عادل، مصدر سابق، ص: ٢٧.
٢- انتريانو، جورجيو، رحالة وجغرافي ايطالي وعالم في التاريخ، زار بلاد الشراكسة اكثر من مرة، وكتب عن عاداتهم وحياتهم الاجتماعية.
٣- داسكوي، دورتلي "قس كاثوليكي" ترأس البعثة الدومينكانية إلى القفقاس، وكتب عن الحالة السياسية والاجتماعية للشراكسة وعاداتهم وتقاليدهم في القرن الثامن عشر.
٤- دوتر من، رحالة، مؤلف كتاب الشراكسة عام ١٨٢٧.
٥- هاني، ستاني، المأكولات الشركسية، اصدار نادي الجيل الجديد – عمان، ١٩٨٩.
٦- نغوج، اميرة، من المطبخ الشركسي، العاشوراء، مجلة الاخاء العدد (١١١) اذار، ٢٠٠٢، ص: ٢٠.
٧- اديغاسكاي كوخني، Adighaski Koxni (المطبخ الشركسي) تأليف م. ز. آزماتوف. (باللغة الروسية)، مايكوب، جمهورية الآديغية، ١٩٧٩م.
٨- تسخونة، حس، ايريناحسن تسخونة، القاموس الشركسي الروسي التركي الانجليزي، نالتشك عام ١٩٩٨، ص: ١٩١-٢٠٠.

الفصل السادس

بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الأمة الشركسية

تمهيـــد

يؤكد علماء الاجتماع بأن الفلكلور القومي هو مرآة الأمم الراقية والمتحضرة، وأن الحكم على مدى تقدم الشعوب يعتمد على مدى تقدمها في الموسيقى، والغناء، والرقص الشعبي، بالإضافة إلى تقدمها في الثقافة والتراث الشعبي المتوارث جيلا بعد جيل.

كما أكد علماء اجتماع اخرين، ان الحكم على اخلاق أية أمة وشخصيتها ومدى تمتعها بالحياة، يكون من خلال أمور كثيرة، من اهمها: أغانيها وموسيقاها القومية وما إلى ذلك من النواحي الفلكلورية الاخرى، فموسيقاها واغانيها هي مرآتها نرى فيها حقيقة القوم مجسمة بما هم عليه من اخلاق وفن وذوق عالية.

والأمة الشركسية، ربما كانت من أقدم الأمم التي أولت اهتمامها لمختلف الفنون الفلكلورية والتراث الشعبي. والرحالة الذين تجولوا في بلاد الشراكسة (الاديغة) في القرون الثلاثة الاخيرة، **أكدوا بأن الشراكسة بمجموعهم شعب شاعري، واسع الخيال، ذو روح متوقدة ويتقنون الغناء والقاء القصائد القومية اثناء الرقص وفي الاحتفالات العامة، تعبر عن الشجاعة والأفعال السامية، وتذم الجبن والاخلاق السيئة.** [١] كما أكدوا على تميز الشعوب (الشركسية) عامة في موسيقاهم ورقصاتهم حيث أصبحت فرق الفلكلور الشركسي في عهد الاتحاد السوفياتي (سابقا) وروسيا الاتحادية حاليا، من أكثر الفرق الفلكلورية شهرة في العالم،[٢] كما أصبح هذا الفلكلور من أكثر أنواع الفلكلور الشعبي تقدما في الوطن الأم، وفي بلاد المهجر عامة، وفي المجتمعات الشركسية في البلاد العربية خاصة.

والباحث في الفنون والفلكلور القومي الشركسي يجد بأنها قديمة قدم الشعوب الشركسية، وأنها تطورت عبر العصور مع المحافظة على أصالتها

وطابعها القوقازي الشركسي، ونالت شهرة كبيرة في العديد من دول المهجر بشكل عام وفي كل من الأردن وسوريا وتركيا بشكل خاص.

كما نجد بأن العناصر الرئيسية للفلكلور الشركسي على أربعة انواع وهي:

* الموسيقى * الغناء
* الرقص * اللباس القومي

وفيما يلي دراسة لكل نوع من انواع الفلكلور القومي الشركسي:

النوع الاول: الموسيقى وما يرافقها من عزف وتأليف وتلحين:

*** نشأة الموسيقى الشركسية:**

تعتبر الموسيقى المكون الاساسي للفلكلور القومي لدى الأمة الشركسية، ويؤكد (شعبان كوبه) * بأن الموسيقى الشركسية قديمة جدا، وانها ظهرت منذ ايام الاجداد في عصور ما قبل الميلاد، وكانت تعزف في المناسبات الدينية وتقربا للالهة، كما كانت تعزف مصاحبة للأغاني التاريخية والاجتماعية والعاطفية مثلما كانت تعزف مع اناشيد الحرب تمجيدا للابطال.

وتطورت الموسيقى الشركسية على مر الزمان، واصبحت حسب قول (كوبه) "لو صادف ان مررت بإحدى القرى الشركسية في يوم من ايام الشتاء، أو لو دعيت إلى حفلة عرس راقصة، او صدف ان جالست شيوخ قرية في المضافة، او استضافتك فتاة شركسية في منزلها (حسب العادات والتقاليد الشركسية) فإنه لا بد ان تتطرق إلى مسامعك، بشكل أو بآخر، أنغام موسيقية شجية آتية من هنا وهناك، فبعض هذه الانغام يبثها في الفضاء (مزمار) عاشق، وبعضها الآخر يصدر عن

* شعبان كوبه، مؤسس المعهد الفلكلوري الوطني في مدينة مايكوب في جمهورية الاديغي، وهو أول مدير له ويعود له الفضل في احياء الفلكلور الشركسي في الوطن الام بجمع الاغاني والموسيقى الشركسية القديمة وإعادة تلحينها، وإخراجها إخراجا حديثا.

(ربابة) ذات انغام ناعمة، وثالثة ما يصدر عن (الاكورديون) الشجي الذي يرافق آلة الايقاع الخشبية [١].

تميزت الموسيقى الشركسية دائما بغنى نغماتها، وجمال الحانها الراقصة، التي تعزفها فرقة جماعية عادة، وأما عزف الاوكورديون المنفرد فهو استحداث جديد نسبيا في المجتمعات الشركسية المعاصرة. فالإيقاع الموسيقى يتماشى مع الكلمات المغناة، وبصورة عامة، كانت الموسيقى الراقصة تعزف بوتيرة ٢/٢ أو ٨/٦ درجات.

*** تطور الموسيقى الشركسية:**

بدأ جمع الموسيقى والأغاني الشركسية القديمة في القرن التاسع عشر. غير ان العمل المنظم في هذا الخصوص، بدأ فقط في عهد الحكم الشيوعي، عندما تم نشر العديد من المجموعات الغنائية. كما صدرت كتب عديدة عن تاريخ الموسيقى الشركسية والتي حافظ عليها مجموعة من المطربين والشعراء ومؤلفي الاغاني في الثلاثينات من القرن العشرين، وهي الفترة الزمنية التي جُمع وحُفظ فيها كثيرٌ من الأنغام الموسيقية والأغاني التي كانت تغنى في ذكرى أحداث ومناسبات يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي.

كما ظلت الآلات الموسيقية الشركسية التقليدية شائعة الاستخدام حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم بدأت تحل محلها آلات أخرى، كانت تستخدم من قبل شعوب أخرى، مثل الاكورديون والبلالايكة الروسية (Balalika) والغيتار ذي الاوتار السبعة والماندولين، واختفت العديد من الألحان المقترنة بالآلات القديمة. وتأسست مدارس للموسيقى الشعبية والآلات التقليدية الشركسية باستخدام الالات التقليدية القديمة منذ نهاية الثمانينات من القرن العشرين.

نماذج وأنواع من الآلات الموسيقية التي كانت شائعة الاستخدام لدى الأمة الشركسية منذ القدم:

القيتار الشركسي (Violin) واسمة بالشركسية (Pshine): [٣]

وكانت الآلة الموسيقية الرئيسة للمطربين حتى أواسط القرن التاسع عشر. كما استخدمت في المضافات الخاصة بالأمراء وطبقة النبلاء، وكان عازفو الغيتار من أبناء العامة والطبقات الاجتماعية الدنيا، وكانت القيثارة تصنع من الخشب بشكل مستطيل مع تثبيت وترين اثنين مصنوعين من شعر الحصان. كما كان يحفر بعض الثقوب في الجزء الأعلى من اللوح لتخرج أصواتا مميزة، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استخدم الغيتار مع الاكورديون الذي أصبح منذ ذلك الوقت الآلة الموسيقية الرئيسة في الوطن الأم، ومن العادات التي اقترنت بالأكورديون، أنه إذا اتقنت فتاة ما العزف عليه، اقيم على شرفها حفلة مسائية تسمى (Pshineyefe) ويقدم لها أصدقاؤها آلة (اكورديون) هديةً تقديرا واعجابا بفنها.

*** القيتار المصنوع من وتر ذنب الحصان:**

واسمه بالشركسية (Shiche-p shine شيكا بشنا) وكانت تمسك عاموديا مع سند مؤخرته على ركبة العازف وهو في وضع الانحناء لأسفل.

- **Ah-peshine ومعناه القيتار اليدوي او اصبع القيتار (آه – بشينا)**

وهي آلة مكونة من لوح خشبي مشدود عليه وترين اثنين، وهي الآلة الموسيقية التي كانت تعزف عليها الطبقات الارستقراطية العليا.

- **Pshine diqwaqua (بشينا – ديقواقُة)**

وهي آلة شبيهة بالقيثارة، وذات أربعة وعشرين وترا مصنوعة من شعر الحصان المجدول، وكانت تستعمل من قبل أبناء الطبقات العليا.

- **Qamil – القاميل:**

وهي آلة شبيهة بالفلوت (الناي) فيها ثلاثة أو أربعة ثقوب، وعادة ما كانت تزين بالفضة، والطلاء المذهب، وكان الموسيقيون يعزفون عليه في بيوت المضافة الخاصة بالامراء والنبلاء، وفي المهرجانات وحفلات الرقص.

- **Bezchamiy Naqire**

أي (الناقيرة و البزشامي) وهما من أنواع الالات الشعبية، والأخير كان استعماله محصورا بالرعاة.

- **Siriyne السيرين أو (السيرنا) (Sirne)**

وهي آلة نفخ موسيقية تسمى (السيرينابشنا) وكانت تستخدم من قبل المغنين والموسيقيين الذين يشاركون في الحفلات الجماعية.

- **Berebana البيربانا أو الطبل / الدف.**

وهو عبارة عن طبل كان يستخدم للايقاع واثارة حماس الراقصين.

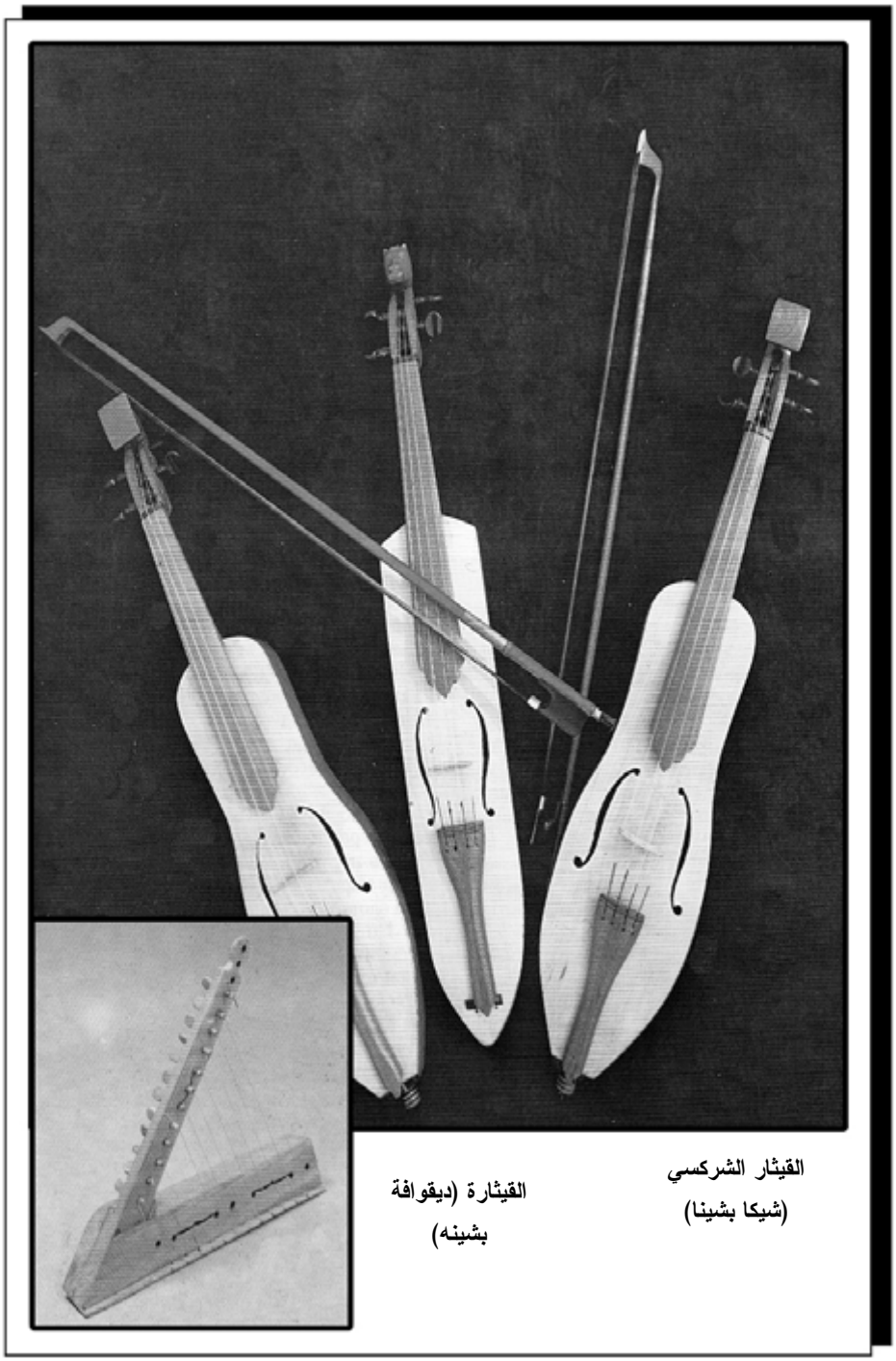
- **Pxetsich البخيتسيج:**

وهي آلة نقر موسيقية، وكانت تستعمل مصاحبة للعزف الموسيقي والرقص، وتتكون من أربعة أو ستة ألواح خشبية صغيرة مربوطة ببعضها في أحد الطرفين بخيط. وعرض هذه الألواح يساوي مرة ونصف تقريبا لطوله البالغ (١٨) سنتيمترا. وتُزين هذه الآلة بالفضة والنكل والطلاء المذهب. وكانت تستعمل من قبل المغني نفسه، أو أحد المغنين كآلة نقر.

- **Tambourine (تامبورينا)**

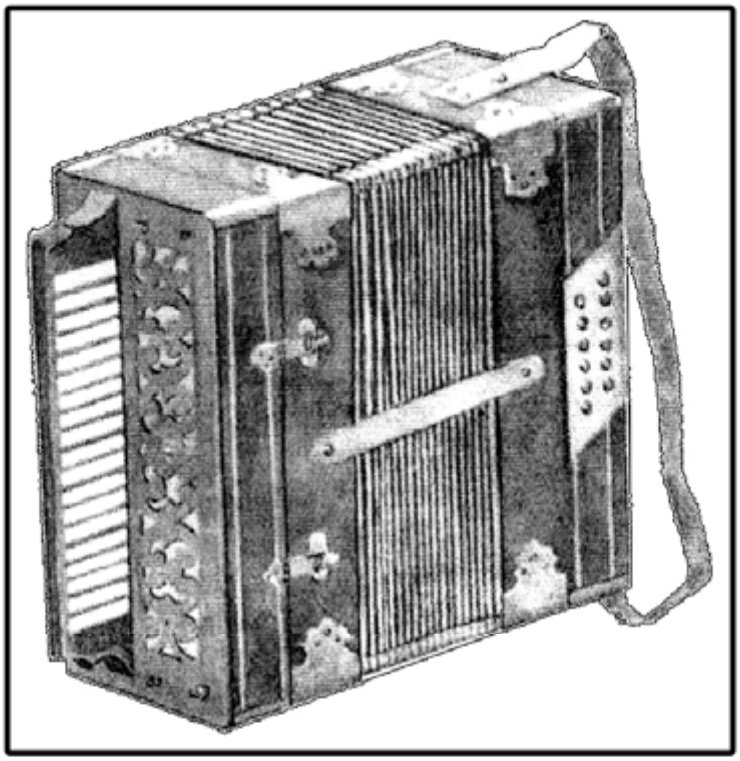
وهي آلة نقر كانت تستخدم ايضا من قبل المغنين والموسيقيين [٣].

وفيما يلي صور تمثل نماذج من أنواع الالات الموسيقية التي استخدمها الشراكسة قديماً وحديثاً.

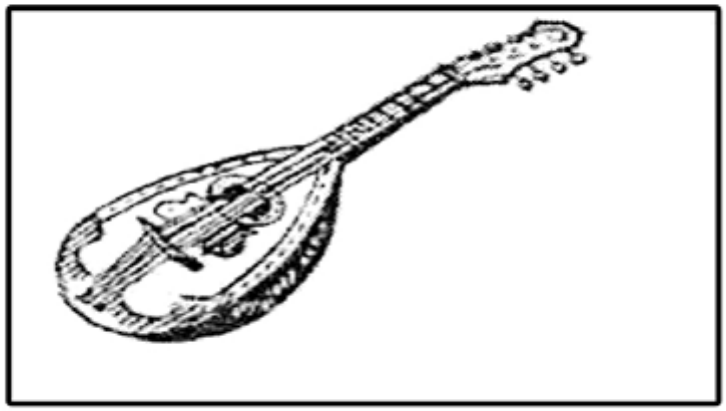


القيثار الشركسي
(شيكا بشينا)

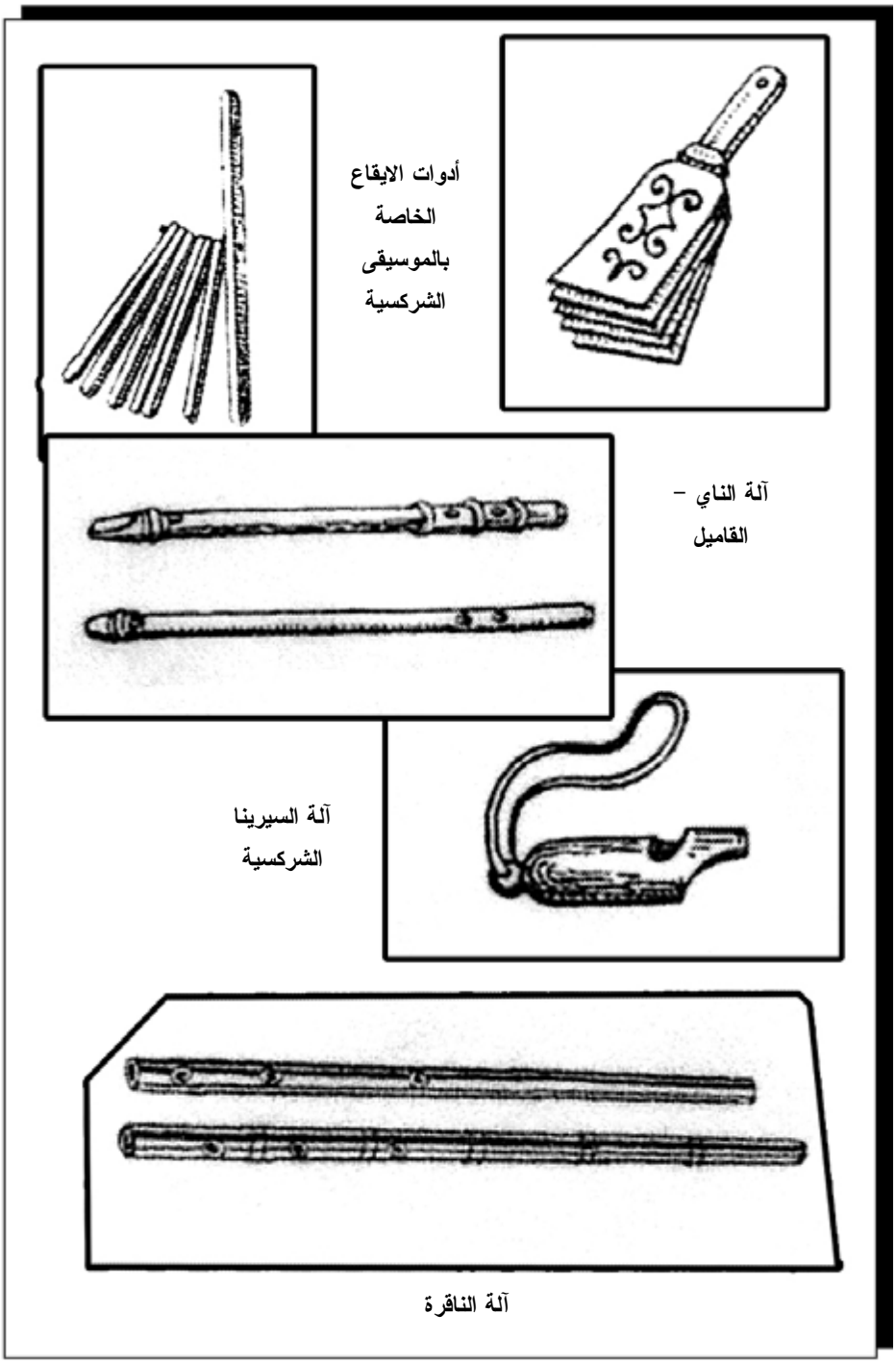
القيثارة (ديقوافة
بشينه)



آلة الاكورديون



القيثار اليدوي ويشبه العود العربي (آه بشينة)



أدوات الايقاع الخاصة بالموسيقى الشركسية

آلة الناي – القاميل

آلة السيرينا الشركسية

آلة الناقرة

تطور الموسيقى الشركسية:

تطورت الموسيقى الشركسية، واصبحت في مستوى الموسيقى الكلاسيكية الغربية منذ العقد الثالث من القرن العشرين وعلى النحو التالي:

ففي عام ١٩٣٦، وضع أرسيني آر. أبراموف لحنين هما: "قافا" و "إسلامي" لأوركسترا سيمفونية و "المسيرة الكباردنية" الشهيرة. وكانت هذه الأعمال ذات طبيعة بدائية؛ إذ لم يكن العمل السيمفوني قد تطور بعد كما يجب.

وفي الاعوام ما بين ١٩٣٦ – ١٩٣٩ لحن أبراموف ايضا ثلاثة قصائد للكاتب الشركسي العظيم علي شوجن تسوك Ali Schojentsik [٤].

حدث تطور كبير على مقطوعة (ابراموف) السيمفونية، المؤلفة لمسرحية (أسكيربي شورتان) و(قرية باتير). وفي عام ١٩٤٦، الف (بارفزوف) مقطوعة سيمفونية من ثلاثة أجزاء، مستندة إلى الرقصات الثلاث (قافا، إسلامي، وويج) والتزمت تماما بالموسيقى الأصلية، وفي الذكرى الثلاثين لتأسيس جمهورية قباردينا بلقاريا، كتب نيقولاي بايكو، مقدمة السعادة حول مواضيع في (القباردي) وقد عرضت أول مرة في نالتشيك بقيادة (إيم، إس، أيكاريان).

في صيف عام ١٩٤٢ وخلال الحرب العالمية الثانية قررت الحكومة السوفياتية نقل بعض أفضل موسيقييها وممثليها وفنانينها وأساتذتها من موسكو إلى جمهورية (كاباردا) وكان من بين الموسيقيين: بروكوفييف، وملياكوفسكي، ونيتشاييف، و إليكسندروف.

وفي كاباردیا تحديدا، احتك (بروكوفييف) بالموسيقى الشعبية الشركسية وأعجب بها، وقال بأن "الرقصات والأغاني الكاباردينية (منجم ذهب للمادة الموسيقية) وقد أثبتت إقامة (بروكوفييف) المؤقتة في كاباردا، أنها منتجة إلى ابعد الحدود، إذ ألف مجموعته الرباعية حول (مواضيع كاباردينية) في نالتشيك عام ١٩٤٢ مستخدما الأنغام الموسيقية الشعبية الشركسية منذ القدم، ونال إعجاب

الجماهير، ولاقى نجاحاً فورياً عندما عُرض لأول مرة في رباعية بيتهوفن الشهيرة، في موسكو، يوم الخامس من أيلول ١٩٤٢.

استغل رئيس مديرية الفنون في كاباردا، هيتوتايمرقان المعروف باسم (تيمرقانوف)، استغل فرصة اقامة الموسيقيين الروس المؤقتة في بلاده، لوضع الموسيقى الشركسية على طريق المجد، وقد كلفه (بروكوفييف) القيام بعمل موسيقي (وكان الأخير يشكك في مقدرة الموسيقيين المحليين القيام بمثل هذا العمل). فرد عليه هيتو: "أكتب بما تراه. فإن لم نفهم ذلك الآن، فسنتعلم كيف نبقيه في الذهن مستقبلا". وقد قابل نجله (بروكوفييف) خلال زيارات الموسيقار الكبير العديدة لبيت والده. وكان لا بد لتلك اللقاءات ان تترك اثارا لا تمحى على الصبي اليافع، الذي أصبح فيما بعد واحدا من أعظم قادة التأليف الموسيقي في النصف الثاني من القرن العشرين.

في عام ١٩٤٢ أيضا، كتب (بروكوفييف) أغنية بعنوان "ابن كاباردا" كما ألف (نيتشاييف) لحنا سباعيا قائما على مواضيع شركسية، وكتب عازف البيانو السوفياتي الشهير (غولدينفايزر) ست أغاني ومقطوعات موسيقية مستندة إلى ألحان كاباردينية وبلقارية.

وفي عام ١٩٤٣ تأسست مدرسة أوبرا في جمهورية (كابردينو – بلقاريا) وهي مدرسة حكومية مقرها كان في نالتشك عاصمة الجمهورية.

وفي عام ١٩٤٦ اصبحت مدرسة الاوبرا الشركسية جزءاً من معهد لينغراد للموسيقى.

وفي عام ١٩٥٠ تخرج الفوج الاول من المغنين والموسيقيين وقادة الاوركسترا والمؤلفين الشراكسة، من معهد الاوبرا، وتجولوا في المدن الرئيسية لجمهورية كاباردينا، وقدموا عروضا لمقطوعات–عالمية لكل من موزارت وكورساكوف وغيرهما.

وفي عام ١٩٥٢ كانت جميع الاعمال السيمفونية الشركسية تكتب وتقاد من قبل موسيقيين روس أو أرمن، وأوائل الخمسينيات، بدأ جيل جديد من المؤلفين الموسيقيين الشراكس إثبات وجودهم على المشهد الموسيقي. فألفوا في عام ١٩٥٢، أول أعمالهم "موطني القومي" وهو مشهد سيمفوني.

وفي عام ١٩٥٥ وضع الموسيقار (اسفيرديمنمان Esfir Dimenman) الحانا لأربع اغاني شركسية نظم كلماتها الشاعر الشركسي عليم كيشوكوف [٥] وفي عام ١٩٥٦، افتتحت كلية للموسيقى في نالتشيك تدرس فيها إدارة كورال، وموسيقى (صوتية) وبيانو، واقسام الات الموسيقى الشعبية.

وفي عام ١٩٥٩ كتب (محي الدين. ف، بالا) مقطوعة موسيقية من ثلاثة أجزاء بعنوان "قزبرون (Qizbrun) بالاستناد إلى مسرحية تحمل الاسم نفسه، وقامت بعرضها على مسرح فرقة كاباردينا المسرحية.

وفي عام ١٩٦٠ افتتحت كلية كباردينو بلقاريا التعليمية الثقافية – وضمت اقسام الكورال والآلات الموسيقية التقليدية والفنون المسرحية.

وفي مطلع عقد الستينات من القرن العشرين، انتشرت مدارس الموسيقى في العديد من البلدات والقرى الكابردينية، والتحق فيها الأطفال في سن السادسة للدراسة لمدة سبع سنوات، وعند اتمام هذه المرحلة كان يُخير التلميذ لمتابعة دراسة الموسيقى في المدارس الثانوية للموسيقى. كما يستطيع المبرزون منهم الالتحاق بالمدارس الداخلية في المعهد الموسيقي حيث كانت الدراسة فيها عشر سنوات.

وفي أواخر الستينيات، تشكل اتحاد المؤلفين الموسيقيين في كاباردينو – بلقاريا لرعاية مصالح العدد المتزايد من الموسيقيين المختصين.

وفي عام ١٩٦٨، فاز "بالا" بالمرتبة الثانية في المسابقة الوطنية الثانية لقادة الفرق الموسيقية. وبعد سنة من ذلك، عين مديرا موسيقيى لسيمفونية لينغراد، وبفضل إسهامه الجوهري في فن الموسيقى، أنعم عليه مجلس السوفيات

الأعلى في جمهورية كاباردينو – بالكاريا ذات الحكم الذاتي، لقب فنان الشعب في الجمهورية عام ١٩٧٣.

وفي عام ١٩٧٧، أصبح (تيمرقانوف)، المدير الفني، وكبير قادة اوبرا كيروف، وفي عام ١٩٨٠ كان الضيف الرئيس، على الاوركسترا الفيلهارمونية الملكية في لندن، ثم عين عام ١٩٩٢ المدير الرئيسي لاوركسترا سانت بطرسبرغ (ليننغراد سابقا) الموسيقية، خلفا (لأندية بريفين)، وقد اعتبر العديد من أعماله الموسيقية في مستوى الموسيقى العالمية.

وفي السنوات الاولى من التسعينيات، أنشئت اوركسترا سيمفونية، ومسرح موسيقي، واروكسترا محترفة للآلات الموسيقية الشعبية في جمهورية (أديغي) وفي **وفي تشرين الثاني ١٩٩٤،** قدم هذا المسرح أولى اعماله بعرض أوبريت (جين تبكي وجين تضحك). وكانت تلك أولى أوبريت شركسي تعرض في (الأديغي) على الإطلاق. واختتم الموسم بعرض بالية "الشاب" التي وضع موسيقاها كل من: تشايكوفسكي، ومينكوس سانت، وبيليني، وتشوبان. [٦].

*** الرواد الموسيقيون وقادة الاوركسترا والملحنون الاوائل من شراكسة الوطن الام.**

يعتبر أرسيني م. أبراموف (Arseni M. Abraamove) (١٨٨٦-١٩٤٤): الذي ولد في نوفو تشيركيسك، رائد الموسيقى الشركسية. وفي عام ١٩٢٢، ذهب إلى بلاد كاباردا القبرطاي واهتم بدراسة الأغاني الشركسية الشعبية وجمع منها حوالي (٣٠٠) لحن ونغمة في حياته. واشتغل سنوات عديدة على اعداد كتاب عن الموسيقى الشعبية الكاباردينة الشركسية ولكنه توفي قبل ان يصدره.

- **تروفور، ك. شايبلر (Truvor K. Shebler) (١٩٠٠-١٩٦٠):** ولد في ريغا، (Riga) عام ١٩٣٩ ورحل إلى جمهورية كاباردا، وأمضى فيها السنوات العشرين التالية من عمره مشتغلا بجد واجتهاد على تطوير

الموسيقى الشركسية الكلاسيكية، ووضع المشهد السيمفوني (Adeyxw) شركسي الأصل عام ١٩٤٨، والف اوبرا – باليه، النارتيين (The narts) عام ١٩٥٦/ ١٩٥٧، التي كتب كلماتها بيطال كوش (Betal Kuesh) وتألف هذا العمل من خمسة عشر وزنا موسيقيا، وكان أبطالها الرئيسون هم سوسريفوف، وباتيريز، واشيميز، وساتاناي، وعرضت على المسرح الكبير في موسكو في الأول من تموز ١٩٥٧.

- **محي الدين ف. بالا: (Muhedin F. Bake) ولد عام ١٩٢٣، في قرية (كينجا)** في جمهورية كباردينو وأرسل لدراسة الموسيقى مع مجموعة الشباب والشابات الشركسيات إلى معهد ليننغراد للموسيقى عام ١٩٤٦ ودرس التأليف الموسيقي على يدي (يوري كوتشيوروف) لمدة اربع سنوات تقريبا. وكتب (بالا) حوالي (٢٠٠) اغنية، وقصيدة رومانسية. كما ألف قطعاً موسيقية منها (بينمت Benemet وقيسبوليت Gesblat) وهي مقطوعة سيمفونية مكونة من ثلاثة اجزاء قدمها عام ١٩٦٠ كما الف خمس رقصات سيمفونية بالاستناد إلى ألحان (القبردي، واديغي، وشركسيا، وبلقاريا، وقراشي، عام ١٩٦١، وقصيدة كاباردينو) بالقاريا السيمفونية، عام ١٩٦١، ولعلها أفضل أعماله بالإضافة لموسيقى مسرحية ميديين عام ١٩٦١، والمشهد السيمفوني (سهول أرجودان)، في عام ١٩٦١ ايضا.
- **عمر تحبسم من مواليد كوش حابلة عام ١٩١٩م**، وهو ملحن بارع ومن أهم أعماله الفنية الكثيرة وهو السلام الوطني لجمهورية الاديغي، وله ألحان لأغاني عديدة منها: أمي الجميلة، والعروس الشركسية.
- **حسن قاردن (١٩٢٣) ولد في بلدة (شيجيم) الاولى في جمهورية كاباردا،** ودرس في معهد ليننغراد للموسيقى وتخصص في الأصوات الغنائية والتأليف الموسيقي. وتخرج عام ١٩٥٤. وكان (قاردن) مؤلفا موسيقيى

كبيرا وعمل على تأليف مختلف انواع الموسيقى الكلاسيكية بما فيها الأوبرا. ومن أفضل اعماله هو "داخل الوطن"، وهي مقطوعات للأوركسترا السيمفونية، تسمى (شركس Sharjes) عام (١٩٥٧)؛ مقدمة للفرح التي تضم مواضيع كاباردينية وبالقارية؛ ومقطوعة للبيانو والاوركسترا، وثلاث مقطوعات سيمفونية راقصة عام (١٩٦٠)؛ و"جمهوريتي"؛ و"قصيدة سيمفونية"؛ و "المساء في القرية"، وهي (فانتازيا) سيمفونية عام (١٩٦١).

- **يوري تيمرقان – Yori . Temirkanov** وهو من عائلة تيمرقان المنتمية إلى قبائل القبرطاي، ولد عام ١٩٣٨ في قرية (زرغش) من قرى جمهورية كباردينا – بلقاريا (الشركسية).

بدأت رحلته مع الفن في معهد الموسيقى (بنالتشك) حيث اتم دراسته بعد أربع سنوات متخصصا بالكمان، ثم انتقل إلى (لينينغراد) ليكمل تعليمه الموسيقي وحصل على الكونسرفتوار متخصصا بالاورغ ومايسترو، ونظرا لنبوغه واتقانه لفن الموسيقى رشح لنيل درجة الدكتوراه مع تنسيبه لقيادة الفرق الموسيقية.

في عام ١٩٦٨ وقبل ان يتم دراسته اشترك في مسابقة ضمت قادة الفرق الموسيقية الكبرى وحصل على المرتبة الاولى، وكان عمره آنذاك ستة وعشرين سنة، بعد هذا الفوز دعته فرقة لينينغراد ليتسلم منصب كبير الفرق الموسيقية، وبقي يعمل هناك إلى ان حصل على درجة الدكتوراة.

في عام ١٩٧٦، وجهت إليه دعوة لقيادة فرقة الاوبرا والبالية اللينينغرادية التي اسست في زمن القياصرة وتعد من اقوى الفرق الموسيقية الاوروبية.

يتقن هذا الفنان العزف على اثنتي عشرة آلة موسيقية مختلفة، ويحفظ عن ظهر قلب احدى وعشرين اوبرا وبالية كلاسيكية لاشهر موسيقي العالم كبتهوفن، وفردي وفاغنز وشوبان وشتراوس وغيرهم. وبلغ عدد العازفين في فرقته اكثر من

٢٠٠ عازف كما تضم الاوركسترا ٥٦ استاذا بالموسيقى وكان راتبه الشهري عام ١٩٧٧ (١٥٠٠) روبل أي ما يوازي راتب وزير الخارجية والدفاع الروسي وكان راتبه اعلى راتب في العهد الشيوعي.

قاد هذا الفنان الفرق في كبريات المدن السوفيتية. كما وجهت له (الملكة اليزابث) الدعوة لقيادة الاوركسترا الملكية البريطانية، كما دُعي لامريكا اثنتي عشرة مرة، ولبريطانيا خمس مرات، وفرنسا عشر مرات، وللسويد ثلاث مرات، اضافة لدعوته من قبل كل من المانيا الشرقية، والغربية، وبلجيكا، والدانمارك. وفي استفتاء لجريدة "الفيجارو الفرنسية" عن أفضل قادة الفرق الموسيقية في العالم جاء ترتيبه الثالث. وكان يشغل منصب بروفيسور كونسر فتوار في لينينغراد.

ومما تجدر الاشارة إليه هو أن عائلة "تيمرقان" هي عائلة موسيقيين وفنانين متميزين، فشقيقة (تيمر تيمرقان) عمل في منصب رئيس مجمع الفنانين في جمهورية قبردينا بلقاريا، أما شقيقه الاصغر فعمل كمايسترو فرقة (نالتشك) للموسيقى الكلاسيكية [٧].

- **اصلان على داوروفا Aslan Dawrova**

ولد يوم ١٩٤٠/٧/٢٤ وتوفي يوم ١٩٩٩/٣/٨ وهو من جمهورية تشركسيا قراشي، ولقب **(بالشاعر الموسيقي المعلم العظيم)** وتقديرا لتفوقه وابداعه في الشعر والموسيقى فقد تقرر في المؤتمر الدولي الخامس للجمعيات الشركسية العالمية المنعقد في مدينة نالتشك عاصمة جمهورية كباردينا / بلقاريا يوم ٢٠٠٠/٧/٢٨ تقديم المساعدة لإقامة تمثال له امام مبنى نقابة الفنون في مدينة شركسيا وكذلك تغيير اسم شارع النقابة والفنون في نالتشك إلى اسم الشاعر والموسيقي الكبير (اصلان علي داوروفا) [٨]

*** فلاديمير مولا (Valdimir Mola)**

وهو من الموسيقيين المعاصرين من شراكسة جمهورية القبردي والف كونسرت على الفلوت (النفخية) وفي عام ١٩٧٤ وبمناسبة انعقاد المؤتمر الثالث لاتحاد الموسيقيين في روسيا الفيدرالية؛ قدم باليه، "فكرة الجبل".

*** جبريل حيوية Jebrail Hewpe** وألف أولى سيمفونياته أوائل السبعينيات

*** أصلان داوروف Aslane Daurov** الف، في عام ١٩٤٠ الالحان الشعبية الشركسية، التي اعدت لتعزف على اربع آلات وترية (أو اربعة أصوات)، منها: ((رابسودي شركسي))، والمسلسل الغنائي "تيار الجبل" [٩].

*** الحفاظ على الموسيقى الشركسية في بلاد المهجر** *

يجد الدارس لحياة الشراكسة في بلاد المهجر عامة، وفي كل من تركيا والبلاد العربية خاصة، بأن الموسيقى هي مظهر أساسي من مظاهر الحياة فيها، وأنها تلعب دورا أساسيا في الاحتفاظ بالهوية الشركسية بالمهجر حتى وقتنا الحاضر، وأن هذا الفن قد تم تطويره ونشره بشكل واسع، خاصة بعد تطور الوسائل التكنولوجية الحديثة، وأنه لا توجد عائلة في بلاد المهجر لا تقتني أقراص (C.D) لمختلف انواع الموسيقى والغناء الشركسي. كما ان العديد من هذه الأسر الشركسية تقتني الة اكورديون حيث انها منتشرة في المجتمعات الشركسية في بلاد المهجر، كما انها أكثر الالات استخداما في الحفلات عامة وحفلات الاعراس خاصة، وبرز في العزف عليها في القرن العشرين الماضي، العشرات من الفتيات والشباب الشراكسة في كل من تركيا وسوريا والاردن وان الآنسة (عبيدة عُمر)

* لمزيد من المعلومات حول تطور الموسيقى الشركسية في بلاد المهجر يمكن الاطلاع على الفصول التي تبحث في تاريخ الشراكسة في كل من تركيا والأردن وسوريا والولايات المتحدة الامريكية في المجلدين الخامس والسادس.

كانت من أشهر وابرز العازفين والعازفات في المجتمع الشركسي الأردني، وفي تركيا فقد كان لآلة (الأكورديون) دور كبير ومؤثر في المحافظة على الهوية الشركسية في الفترات التي منعت فيها السلطات التركية شراكسة تركيا من التحدث بلغتهم، وممارسة أي نشاط قومي شركسي إلى الحد الذي أدى بالحكومة التركية في عام ١٩٣٠ إلى إصدار قرار جمهوري منع بموجبه استيراد أو إدخال (آلة الاكورديون) إلى تركيا، بهدف القضاء على آخر رمز من الرموز التي تعبر عن القومية الشركسية، واستمر قرار المنع لعشرات السنين [١٠].

وخير دليل على مدى انتشار استخدام الموسيقى في المجتمعات الشركسية (قديما وحديثا) ما قاله بعض المعمرين من أجداد الشراكسة الذين هاجروا إلى الأردن، حيث قال أحدهم: "**لا توجد مناسبة لا تستخدم فيها الموسيقى سوى مناسبات الاتراح مثل (الموت)**" .

ويعتبر (محي الدين قندور) المولود في عمان ١٩٣٨ من أكثر الشراكسة في بلاد المهجر اهتماما بالموسيقى الشركسية، وبدأ اهتمامه بالعزف على اكثر من آلة موسيقية من الالات المستخدمة في الموسيقى الشركسية التقليدية، وشكل اول فرقة موسيقية اثناء دراسته في الولايات المتحدة الامريكية في نهاية العقد الخامس من القرن العشرين، كما انه أخرج العديد من مسلسلات (مانيكس) كما أخرج فيلم (آديقار ألن بو) (وبانكو في المكسيك) واستمر في التلحين الموسيقي حتى اصبح مؤلفا لمقطوعات موسيقية اوبرية منها مقطوعة موسيقية اوبرية من ثلاثة فصول بعنوان:

"انبعاث ستناي" "Resurruction of Stanay" وعرضت لأول مرة على المسرح الموسيقي في نالتشيك في صيف عام ٢٠٠٠ وتستند هذه الاوبرا إلى قصيدة (ساتناي)، التي كتبتها زوجته (يوبا بلاغوف Yuba Balaghi) وقد تم تسجيله على قرص ممغنط في أوركسترا كاباردينو، بقيادة تيمركانوف (تايمرقان).

وتتحدث قصائد (بلاغي) عن قصة الأمة الشركسية منذ الأزمان الخرافية حتى الوقت الحاضر، بروح بحثية تثير أسئلة أكثر مما تقدم إجابات عن الأسباب التي أدت إلى هجرة الأمة الشركسية وتفتتها خلال المائتي عام الماضية. وتنسج (بلاغي) في أغنياتها شخصيات أسطورية، مثل شخصية ستناي، ام اجداد الشراكسة النارتيين، مازجة بذلك الاستعارة (المجاز) والميثولوجيا للإبلاغ عن مأساة الأمة[١٧].

وفي عام ٢٠٠٠ تم اختياره كواحد من اشهر ٥٠٠ شخصية فنية على مستوى العالم. كما منح الوسام الذهبي من الحكومة الفيدرالية الروسية لجهوده الموسيقية والثقافية.

النوع الثاني من الفلكلور الشركسي هو الرقص القومي الشركسي

كانت بداية الرقص عند الشراكسة عبارة عن نوع من الحركات التي كانت تمارس كجزء من الطقوس الدينية، كما كانت جزءاً من الحركات التي كان يؤديها المصلون تقربا من الآلهة منذ عهد قوم النارتيين في الألفية الثالثة ما قبل الميلاد، كما كانت حلقات الرقص جزءاً لا يتجزأ من برامج المهرجانات والمسابقات السنوية التي كان يقيمها اجداد الشراكسة، احتفالا بانتهاء موسم الحصاد وجني المزروعات وغيرها من الاحتفالات الاجتماعية التي كانت تقام على مدار السنة.

وعلى مر الزمان وبحكم التطورات التي حدثت في حياة الشعوب القديمة، وفي معتقداتهم الدينية وأحوالهم المعيشية، تغيرت طبيعة الرقص وانواعها، كما تغيرت المناسبات التي تقام فيها حلقات الرقص حتى أصبح الرقص الشركسي جزءاً من الفلكلور القومي وفنا من فنون التراث الشعبي الشركسي.

أنواع الرقص القديم في الوطن الأم:

اشتهرت الأمة الشركسية بخمسة أنواع رئيسية من الرقص الفلكلوري وهي:

"**الويج**" وهي رقصة قديمة مرت في تحولات بارزة ولها كثير من الحركات والاشكال ومن ضمنها "ويج – خيسب (Wij Xesb) ويج – بيخو (pixw–Wij) ويج – خواواو (x'uew–Wij) ويؤديها اليوم أزواج من الراقصين (مجموعات من اثنين) وفيها يتقدم كل شاب إلى فتاة محددة للاستئذان منها مشاركته في الرقص وهي رقصة ثنائية إلا أن الحلبة يمكن ان يتواجد فيها عشرات (الثنائيات) من الشباب والشابات، وتكون حركات هذه الرقصة حركات توافقية وهادئة، ويقوم كل من الشاب والشابة بنفس الحركات التوافقية (بالقدمين) واليدين كما انها تتضمن تشكيلات مختلفة من الحركات، منها حركات للأمام وأخرى للخلف وثالثة للجانبين، وتقدم هذه الرقصة في ختام حفلات الرقص عامة وفي حفلات الاعراس خاصة.

وهذه الرقصة هي الرقصة الوحيدة التي يقوم فيها الشاب بمسك يد الفتاة طول فترة الرقص، بينما في الرقصات الاخرى تكون كل من الفتاة والشاب بعيدين عن بعضهما طوال فترة الرقص.

*** رقصة زافاكو Zefakwe وزيفتلات Aiahtlat**

وهي رقصة قديمة جدا، وكانت تمارس في المناسبات الدينية، أما اليوم فإن (الزافاكو) هي الرقصة التي تبدأ فيها حفلات الاعراس وغيرها من الحفلات الاجتماعية التي يتخللها الرقص الشركسي، ويمكن وصف هذه الرقصة على النحو التالي:

* **عدد المشاركين في الرقص:** يشارك راقصين اثنين (شاب وشابة) فقط وفي الحفلات الاستعراضية يشارك فيها اعداد كبيرة من الشباب والشابات قد يصل عددهم إلى (عشرة ازواج) او اكثر.
* **بداية الرقصة:** يتقدم الشاب الذي عليه الدور في الرقص إلى حلبة الرقص، ثم تخرج الفتاة التي لها الدور في الرقص، وتقف مقابل الشاب على مسافة (٣-٤) امتار.
* **حركات الرقص:** يبدأ كل من الشاب والشابة في تقديم القدم اليمنى إلى الأمام في توقيت واحد، ثم يستمر تحريك القدمين بالتتابع (للامام وللخلف) بخمس مرات او حركات، ويشترط ان يكون تحريك القدمين لكل من الشاب والفتاة في توقيت واحد، اما بالنسبة لحركة اليدين فإن حركاتهما تختلف لكل من الشاب والشابة، حيث تكون حركات يدي الشاب (تبادلية) مع ثني احداها امام الصدر والاخرى توضع خلف الظهر، ثم يتم تبادل وضعهما..وهكذا الى ان تنتهي الرقصة.
واما بالنسبة لحركة يدي الفتاة فإنها تكون حركات خفيفة للجانب وأعلى قليلا في حركات متوازنة ورشيقة.

* **القافا Qafe** وهي رقصة بطيئة، فيها نوع من الوقار في حركاتها وبدرجة كبيرة من ضبط النفس، وتعتبر رقصة خاصة بالامراء وكبار السن، وتبنت شعوب قوقازية عديدة هذه الرقصة ومارسها في حفلاتهم مثل شعب البلقار والاستين.
* **رقصة "إسلامي (Islamey) او بسلني (Bisleney)** وهي رقصة حيوية نشيطة، ويعتقد بأنها حديثة أو جرى اقتباسها من شكل من اشكال الرقص القديم. ويمكن أداؤها بانفراد، أو في مجموعات من الراقصين، أو كأزواج، ووزن لحنها شبيه بوزن لحن "قافا" ٨/٦ بالنسبة للرقصة القديمة و ٤/٢ بالنسبة للجديدة. وباقتباس لحنها القديم، وضع الموسيقار الروسي ميلي اليكسييفتش بالاكيريف (١٨٣٧-١٩١٠) مقطوعته المسمى (إسلامي أورينتال فانتازيا) للعزف على البيانو، والتي أتمها خلال خمسة أسابيع وعرضها بتاريخ ١٣ أيلول ١٨٦٩. ويعود اعجاب (بالاكيريف) بموسيقا شمال القفقاس إلى عام ١٨٦٣ عندما زار القفقاس لأول مرة. فأحب الموسيقى الشركسية، وألف عددا من المقطوعات الموسيقية عن الأغاني القباردينية الشركسية.

وضع (بالاكيريف) مقطوعته (اسلامي)، التي ما تزال تعرض حتى اليوم، على ثلاث سرعات. الأولى، فيها (الإثارة والسرعة)، حيث استعمل الإيقاع المتكرر في الرقص على الطريقة الشركسية. والقسم الأوسط فيه (التعبير المعتدل) أما القسم الاخير وفيه (التعبير البطيء).

وفي عام ١٩٠٢ قام عازف البيانو البارع (شورا تشيركاسكي) من الشراكسة (القبرطاي) الذين (تعمدوا) وأصبح مسيحياً بمراقبة مقطوعة (اسلامي) وتسجيله بأسلوب جديد.

*** الحشت Hashet**

هي رقصة هادئة في حركاتها ويواجه فيها كل من الشاب والشابة مع الاختلاف في طبيعة حركات القدمين. كما أنها رقصة يمارسها كبار السن أكثر من ممارستها من قبل الشباب من الجنسين.

*** رقصة شيشن Sheshen**

وتسمى في بلاد المهجر في الدول العربية برقصة "الفرسان" وهي رقصة عنيفة جدا ويؤديها الرجال (فقط). أما الفتيات فتكون حركاتهن سريعة جدا مع حركات توافقية بين حركات القدمين واليدين ويمكن وصف حركات الشباب على النحو التالي:

حركات القدمين

تكون حركات سريعة جدا بخطوات متتابعة للامام أو للخلف، مع القيام بحركات قدمين سريعة وتبادلية مع وضع اليدين في الوسط، ثم يقوم الراقص بحركات على رؤوس أصابع القدمين، كما يقوم بعض الراقصين البارعين بالرقص على الركبتين مع عمل حركات أمامية وخلفية ودائرية، ثم يقوم بالقفز في الهواء بحركات أشبه إلى حركات لاعبي الحركات الأرضية في الجمباز.

حركات اليدين: لا توجد قاعدة محددة لحركات اليدين إلا أن الراقص يقوم بتحريك اليدين (جانبا) أو (اماما وخلفا) أو يضعهما في (الوسط) أو تشبيكهما خلف الظهر وغيرها من الحركات التوافقية التي تتناسب مع حركات القدمين والرجلين[١٤].

تطور الرقص الشركسي في الوطن الأم:

أنشئت أكاديميات الرقص القومي في العهد السوفياتي، وجرت عصرنة وتحديث الرقص الشركسي التقليدي، كما أدخلت ألحان رقص الباليه الاحترافي، وفي البداية، كانت كلية (تبليسي الحكومية للرقص في جورجيا) المعهد الرئيس

المتخصص في الرقص والباليه القفقاسي. إلى أن قام الخريجون الشركس بإنشاء فرق قومية شركسية حيث تم تأسيس معاهد رقص في كاباردينو – بلقاريا مثل كلية الفنون المهنية في نالتشيك، فانتشرت منها فرق رقص عديدة.

وفي عام ١٩٣٤ تأسست فرقة الرقص القباردينية (القبرطاي) وهي إحدى الفرق الأولى في الوطن الأم. وبدأت عملها كمجموعة من الهواة، واستقطبت أفضل الراقصين والموسيقيين المحليين. وأقيم أول عرض لها في قرية (Zeyqwe) زييقو في العام نفسه. ثم أعيدت تسمية الفرقة لتصبح "**فرقة الغناء والرقص الحكومية في كاباردينو – بلقاريا**". وقد طوّر (أبراموف) جزءا من مخزونها الفني. وفي عام ١٩٣٨، أضيفت إلى الفرقة مجموعة كورال، التي اجتمع فيها كبار الموسيقيين والشعراء، أمثال: **أبراموف، شايبلر، ريافزوف، كيشوكوف، علي شوجينتسيكوف،** ليكتبوا ويلحنوا لها أغنيات جديدة، وأعيدت تسمية الفرقة مرة ثالثة، فأصبحت تسمى: **فرقة الرقص الشعبي القومي – كاباردينكا،** وتعتبر فرقة (كاباردينكا) واحدة من أفضل فرق الرقص في القفقاس، وقدمت عروضها في روسيا الاتحادية والخارج. ويتضمن برنامجها العديد من الرقصات التقليدية التي تؤدى بألحان موسيقية متطورة وجميلة وعلى مستوى عالٍ من الذوق الرفيع.

ومن الفرق الشركسية الأخرى (نالتشانكا – Nalchanka) التي أنشئت في مدينة (نالتشيك). كما أنشئت فرق من الهواة، وفرق في المحافظات، مثل "فرقة الرقص الشعبي".

وقدمت "فرقة الرقص الحكومية في (الأديغي) أول عروضها في الأول من أيار ١٩٧٢ على مسرح (دراما بوشكين)، وكان (محمود بيشكوك)، الفنان (المكرم) من جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية، أحد أكثر الملحنين الموسيقين تأثيرا على هذه الفرقة. ووضع ونشر كتابا عن الرقص الفولكلوري في (الأديغي)، عام ١٩٩٠ وكذلك فإن بعض الفرق الأخرى التي تستحق الذكر هي (مجموعة

نالماس – Nalmas) الحكومية للرقص، وهي فرقة غناء ورقص تم إنشاؤها أوائل السبعينات، علما بأنها أسست أولا في الثلاثينات من القرن العشرين، لكنها حُلت فيما بعد من قبل السلطات الشيوعية. وقد تجولت مجموعة (نالماس) و (إسلامي) للغناء والرقص مدن عديدة في روسيا والقفقاس كما زارت كل من تركيا وسوريا والأردن. وقدمت للعالم الرقصات القومية القديمة والغربية.

وفي عهد روسيا الاتحادية، فقد تأسست مجموعة الرقص الفولكلوري الحكومية القفقاسية على يدي إيغور أتابييف المعروف إتيبي (Etebiy) عام ١٩٩٢ . حيث يمثل (أتابييف) Atabiev الجيل الجديد من الملحنين، الذي يجمع بين الأداء الاكاديمي المميز وبين الانتشار التدريجي لفن الفولكلور، وبدأت عملها بتقديم عروضها في بلاد القفقاس اولا ثم في روسيا الاتحادية كما تشكلت فرقة NAF الخاصة في الأديغي.

الرقص الشركسي في بلاد المهجر ودول الشتات:

يلاحظ بأن المجتمعات الشركسية في كل من الأردن، وسوريا، وفلسطين وكذلك في كل من تركيا وبعض الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، وبالأخص في ولايتي باترسون وكاليفورنيا، بأنها تمارس فنون الرقص الشركسي في كل المناسبات، كما أن مؤسسات المجتمع المدني الشركسي فيها مثل الجمعيات والأندية الثقافية والاجتماعية والرياضية تتنافس في تشكيل فرق فلكلور الرقص الشركسي. **وفي بعض المجتمعات الشركسية في بلاد المهجر كالأردن مثلا يوجد فيها اكثر من ثلاث فرق فلكلورية يشارك فيها مئات من الشباب والشابات الهواة،** وتمارس أنشطتها على المستوى العربي والدولي وقامت فرقها بتقديم عشرات الحفلات خارج الأردن وفي بعض الدول العربية وفي العديد من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الامريكية، وأن الفلكلور الشركسي أصبح جزءاً من الفلكلور الشعبي الأردني.

ومن اهم هذه الفرق الفلكلورية الشركسية في الأردن هي:

- **فرقة النادي الاهلي** وتأسست في اوائل العقد التاسع من القرن العشرين.
- **فرقة نادي الجيل الجديد** وتأسست في أوائل عقد السبعينات من القرن العشرين.
- **فرقة مدرسة الأمير حمزة الشركسية** وتأسست في عقد الثمانينات من القرن العشرين.

وفي سوريا، فإن الرقص من اكثر أنواع الفلكلور القومي الشركسي انتشارا في مجتمعاتها الشركسية وتمارس في كل المناسبات الاجتماعية وخاصة في حفلات الأعراس حتى وقتنا الراهن، كما أن الجمعية الخيرية الشركسية في دمشق انشأت في عقد السبعينات فرقة للرقص الشركسي تسمى بفرقة (البروز) وشاركت في اكثر من مهرجان ثقافي وفني داخل القطر السوري العربي.

كما عُرض مهرجانها الأول والثاني تحت **(عنوان مهرجان الرقص القومي الشركسي السوري)** في التلفزيون السوري العربي عام ٢٠٠٧، وكذلك فإن معظم فروع الجمعية في بعض المدن والقرى السورية مثل فروعها في مدن القنيطرة ومرج السلطان، وحمص، وحماة، وحلب، تدرب الاطفال على الرقص الشركسي كجزء من برامجها للحفاظ على هذا النوع من الفلكلور الشركسي.

وفي تركيا، فإن الرقص الشركسي منع من ممارستها في اكثر من عهد وخاصة في بداية عهد الجمهورية التركية الحديثة ضمن القمع التركي الذي فرض على حرية ممارسة الأنشطة القومية لجميع القوميات غير التركية، إلا أن هذا القمع وإن كانت له بعض الآثار السلبية على المجتمعات الشركسية لأكثر من عقد في القرن العشرين، إلا أن هذه المجتمعات الشركسية استعادت حرية ممارسة أنشطتها القومية عامة، وأنشطة الرقص الشركسي خاصة في مناسباتها الاجتماعية اولا، وفي مناسبات الاعراس ثانيا، كما ان بعض الجمعيات والمؤسسات الشركسية

الثقافية منها والاجتماعية والقومية التي يصل عددها في تركيا لأكثر من (مائة) جمعية ومؤسسة ومركز ونادي ثقافي يمارس فيها الرقص بطريقة أو أخرى.

وتشير بعض التقارير المنشورة على مواقع الانترنت لبعض هذه الجمعيات الشركسية التركية بأنها بدأت تنشئ فرق للرقص القومي الشركسي، وأنها تشارك في المهرجانات الفنية والثقافية التي تقام في بعض المدن الرئيسية في تركيا ومن هذه الفرق (فرقة البروز) في أنقرة.*

وكذلك فإن مواقع الانترنت لمعظم المجتمعات الشركسية في بعض الدول الأوروبية وفي الولايات المتحدة الأمريكية تؤكد بأنها تحرص على ممارسة الرقص القومي الشركسي في مناسباتها الاجتماعية كما ان بعض جمعياتها ومؤسساتها الاجتماعية تقوم بتدريب الأطفال على الرقص الشركسي منذ نعومة اظفارهم، كما أن بعضها تشكل فرقاً للرقص القومي الشركسي، وان اكثر تلك الجمعيات اهتماما بهذا الفن الفلكلوري هي الجمعيات والمؤسسات الشركسية في كل من قريتي (ريحانية، وكفركما) في فلسطين المحتلة، وكذلك في كل من الجمعيات الشركسية في المانيا، وولايتي باترسون، واناهايم في كالفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية، حيث أنها تحرص على تقديم عروض للرقص الشركسي في مختلف المناسبات القومية، كما أنها تشارك في بعض المهرجانات الفنية والثقافية التي تقام فيها.

وبالبحث عن أشهر الفرق الشركسية المعاصرة في كل من الوطن الأم وفي بلاد المهجر توصلنا إلى وجود ما بين (١٢-١٥) فرقة شركسية وجميع الفرق خارج الوطن الأم هي من الفرق الهواة وهي على النحو التالي:

* حصل الكاتب على هذه المعلومات في زيارة شخصية لبعض الجمعيات الشركسية في استانبول خلال شهر تشرين الاول عام ٢٠٠٧.

١- فرق الرقص القومي الشركسي في الوطن الأم وهي:

- في جمهورية كباردينا وبلقاريا وكبارتيكا وتلمس وحتي.
- في الاديغي: السلامية، ونف.
- في تشركسيا: ميركوري.

٢- فرق الرقص القومي الشركسي في بلاد المهجر.

- في الأردن فرق: الاهلي، الجيل الجديد، البروز التابعة لمدرسة الأمير حمزة.
- في سوريا فرق البروز التابعة للجمعية الخيرية الشركسية في دمشق.
- في تركيا فرقة البروز التابعة لجمعية أنقرة.
- في أمريكا فرقة نارت التابعة للجمعية الشركسية في باترسون.

آداب الرقص الشركسي وقواعدها في الحفلات والمناسبات الاجتماعية:

يمارس الشراكسة الرقص وفق تقاليد وقواعد دقيقة وصارمة في كل من الوطن الأم وفي بلاد المهجر، نذكر منها القواعد التالية:

١- يسمح لجميع ابناء الشراكسة من نفس القرية او من أية قرية أخرى حضور حفلات الرقص ولا يجوز الاعتراض على حضورهم.

٢- لا يسمح بحضور حفلات الرقص الشباب من (الاعراق) غير الشركسية، باستثناء من كان (مخولا) أي أن والدته شركسية الأصل فيسمح له الحضور (أحيانا).

٣- يشارك في حفلات الرقص كل من الفتيات والشباب أو كبار السن من الرجال، ولا يسمح للمرأة الشركسية المتزوجة المشاركة بالرقص في

الحفلات العامة وإن كان يسمح لها الحضور ومشاهدة الرقص من موقع خارج الحلبة ومن خلف صفوف الفتيات المشاركات بالحفلة.*

٤- في حال حضور كبار السن من الآباء أو الاجداد فيكون لهم أولوية (الرقص) كما أن ابناء الحاضرين ينسحبون من حلبة الرقص احتراما لآبائهم أو اجدادهم وحتى لإخوانهم الأكبر سنا.

٥- تبدأ وتنتهي حفلات الرقص من قبل أحد اكبر الحاضرين سنا أو من قبل عريف الحفلة ويسمى (حاتياقوة).

٦- يدخل الشاب إلى حلبة الرقص أولا، ثم تتبعه الفتاة التي عليها الدور في الرقص، وجرت العادة ألا ترفض أية فتاة الرقص مع أي شاب، إلا أنه يحدث احيانا ان تعطي الفتاة صاحبة الدور، دورها لفتاة أخرى، إن لم ترغب في الرقص مع الشاب المتواجد على الحلبة.

٧- من آداب الرقص، أن لا يترك الشاب الحلبة او التوقف عن الرقص ما دامت الفتاة في حلبة الرقص، وإن حصل ذلك يحق للفتاة مقاضاته أمام (مجلس التحمادات) أي مجلس الحكماء، والحكم عليه بإقامة حفلة ترضية لها ولصديقاتها أو إهدائها هدية ثمنية.

٨- الأصل في الرقص ان تكون (مواجهة) ولا يجوز ان يعطي (الشاب أو الشابة) ظهره للآخر عند الرقص في الحلبة، إلا إذا كانت الرقصة تتطلب ذلك (مثل رقصة الفرسان).

* يلاحظ بأن السيدات المتزوجات أصبحن يشاركن في الرقص في حفلات الاعراس العائلية التي تقام في الفنادق أو الأندية الخاصة.

٩- يعتبر من الكبائر عند الشراكسة (لمس) الفتاة بأي جزء من جسم الشاب (بالكتف باليد او الجسم أو الرجل) وإن حدث ذلك بدون (قصد) يحق للفتاة مقاضاة الشاب لعدم قدرته السيطرة على حركاته خلال الرقص، أما اذا شعرت بأنه يقصد ذلك فيحق لها التوقف عن الرقص فورا ومغادرة الحلبة، كما يحق لها مقاضاته أمام (مجلس التحمادات) أي مجلس الحكماء من كبار السن من الشراكسة.

١٠- تحدد مواقع لوقوف كل من الشباب والفتيات حول حلبة الرقص ولا يسمح للشباب بالوقوف مع الفتيات او العكس، وعادة تقف الفتيات على يمين حلبة الرقص.

١١- من واجب كل شاب يقف في الصف الأمامي في حلبة الرقص، القيام (بالتصفيق) المرافق للموسيقى، وأما الفتيات فإنه غير مطلوب منهن القيام بذلك إلا في حالة مشاركة احد كبار السن أو احد الوجهاء في الرقص.

راقصون وفنانون عالميون من أصل شركسي:

وربما كانت فرنسا اكثر دولة من دول (المهجر) قدمت راقصين وراقصات فنانات من اصول شركسية مثل (مونيكا شامرزا) راقصة البالية العالمية، والفنان الكوميدي (المهرج) الشركسي الأصل (اخيل زافاتا).

وحول هذا الموضوع كتب (محمد حفتزة) الرئيس السابق للجمعية الشركسية العالمية، والصحفي المختص بدراسة المجتمعات الشركسية في بلاد المهجر [١٦] قائلا:

"**إن كان القفقاس هو الوطن الام للامة الشركسية، فإن كثيرا من ابنائه يعيشون خارج وطنهم الأم. وقد برز الكثير من هؤلاء (المغتربين) في مجالات الفن والادب والعلم والسياسة حيثما يعيشون، وسنقدم في هذه السطور علما من اعلام (الفن) فهي (مونيكا أوفيرشامرزا) فهي من أب شركسي، وأم فرنسية، وكان والدها قد هاجر إلى فرنسا من بلاد قباردي، وعاش على ضفاف نهر الترك في قرية (بوتشي) وتسمى اليوم قرية (كورب). قد اعترفت مونيكا باعتزازها بأصلها في مقابلة لها نشرتها مجلة باري ماتش**" .

تزوج (اوفير) من والدة (مونيكا) في فرنسا ثم استقر الوالدان في الجزائر فولدت (مونيكا) فيها سنة ١٩٢٩.

و(مونيكا) وان كانت في مولدها جزائرية فهي في جنسيتها فرنسية، ولم تنس يوما اصلها الشركسي ووطنها الام القفقاس، وهي تتغنى به، وتذكر ذلك في كل مناسبة.

دخلت (مونيكا) مدرسة الرقص وهي طفلة وتعلمت على يد مدرب الرقص الروسي (اولف) والذي كان احد راقصي الفرقة الامبراطورية الروسية، هرب (اولف) مع مونيكا وآخرين من روسيا إلى باريس، وأنشأوا فيها مدارس لرقص الباليه وعلى ايدي هؤلاء تعلمت (مونيكا) فن رقص الباليه.

وفي سنة ١٩٣٩ كان عمرها حينئذ عشر سنوات، ظهرت على مسرح باريس كراقصة باليه منفردة. ورغم حداثة سنها فهي التي اعدت واخرجت أول لوحة قدمتها للجمهور. وحينما بلغت خمسة عشر ربيعا، اصبحت رئيسة فرقة البالية في مدينة باريس والنجمة الاولى فيها.

تعرف مدرب الباليه المعروف (سيرج لفار) على مونيكا وهي تصعد قمة المجد الفني، حيث كان سيرج من أشهر راقصي فرقة الباليه الفرنسية وتفرغ للتدريب بعد اعتزاله للرقص. وحينما شاهد المدرب المعتــزل للرقــص موهبــة



"صورة مونيكا شامرزا" راقصة الباليه العالمية

(مونيكا) وعبقريتها تجددت حياته الفنية وقرر الرجوع إلى مسرح الباليه، فأخذ هو دور (روميو) وتأخذ (مونيكا) دور (جوليت) ويقدمان معا باليه (روميو وجولييت) على مسرح كراند اوبرا في باريس، وكان عمرها حينذاك ستة عشر ربيعا.

وبعد أن أصبحت مونيكا راقصة بالية وفنانة مشهورة اقترح عليها مدربها (سيرج) اسما فنيا وهو (لودميلا جيرفا).

وقد كتب الاكاديمي المتخصص في الفن (موريس دريون) عن لودميلا قائلا: "إن (لودميلا) في ادوارها التي قامت بتمثيلها في كل من "جوليت" و "جزيل" جعلتنا نشعر بأن (لودميلا) ليست ممثلة به وانما هي "جوليت" و "جيزيل" حقيقة، وان دورها في "موت البجع" للموسيقار "كميل سنس" جعلنا نشعر وكأن البجع يموت امامنا فعلا.

لقد عرض الكثير من الفنانين والفنانات مسرحية "روميو وجوليت" على شكل لوحة راقصة في فرنسا وغيرها. وقد اجمع النقاد الفنيون ان (لودميلا) هي الاولى بين جميع هؤلاء الفنانين في فرنسا والثانية في العالم بعد الراقصة الروسية "جالاينا اولانوفا".

ان (لودميلا) فنانة وصاحبة ذوق عال حتى في حياتها الخاصة، فهي قدوة في الفن والاناقة، وبالاضافة إلى كونها نجمة في عالم الباليه فهي رسامة ومهندسة ديكور فقد حصلت على شهادة الدبلوم في فن الديكور.

أجمع النقاد على مكانتها الرفيعة في الفن حتى قيل عنها: **كأنها ولدت لترقص البالية. فالانسجام بين الوقع الموسيقي وبين حركاتها الراقصة يوحي إلى المشاهد وكأنها بحركاتها هي التي تعزف الموسيقى.** وقد كتبت "ايرينا لدونا" التي اصبحت متخصصة في الكتابات الفنية بعد ان اعتزلت رقص الباليه عن (مونيكا) قائلة: "**حينما تشاهد مونيكا على المسرح برشاقتها وهي تقدم لوحات فنية بحركاتها تميل امامك نساء القفقاس اللائي امتزن بجمالهن واللاتي قيل بأنهن**

اجمل نساء العالم، فهي جميلة ورشيقة، ذات رقبة طويلة، وخصر نحيل وصدر جميل، وساقين عاجيتين شيقتين". وان كثيرا من النقاد يعزون كون (مونيكا) لوحة فنية في جمالها إلى اصلها القوقازي.

تزوجت من الراقص (أدموند) وكان هذا الزواج نصرا للفن ولرقص الباليه بالذات. اذ اصبح الزوجان يقدمان معا لوحات فنية لفرقة كاملة، ولمعا كنجمين في عالم الفن والرقص وأصبح كل منهما مكملاً للاخر. وقد قدما معا رقصات فنية منها "مدام لونا" من تأليف "ادموند" نفسه، و "فيفسيتو" للموسيقار الهنغاري "فرنست ليست".

في بداية حياة الزوجين الفنية المشتركة كانا يقومان بعرض لوحات فنية راقصة تعبيرية على الحان موسيقية دون اعتبار للنوع. ولكن قررا فيما بعد الالتزام بمنهج معين وبدأا يعبران عن الالحان الموسيقية التي ترمز إلى أحداث تاريخية فرنسية، فقدما معا لوحات راقصة تعبيرا عن "المارسيليزا" و "الذئب والحمل". و"هدية البطل" وغيرها الكثير. والمقطوعة الاخيرة تمثل حياة نابليون، والغريب ان (لودميلا) قامت بدور نابليون واجادت دورها كرجل.

ثم يعود الزوجان إلى باريس ليعملا في "كراندا اوبرا" ويعرض على لودميلا أن تمثل في السينما وتتعاقد مع بعض المخرجين الفرنسيين وتنتقل من عالم الرقص إلى عالم التمثيل، وكان اول فلم لها هو فيلم "الليل".

ولكن يتدخل القدر بين هذين الثنائيين في الزواج والفن، ويفترقان عن بعضهما إلى الابد لموت زوجها ويتصدع الاطار الفني والزوجي.

وتتأثر (لودميلا) لمصابها وتستنكف عن الفن لفترة من الزمن ثم تستأنف عملها الفني كممثلة، فتمثل في ثلاثين فلما، ومن هذه الافلام "الحذاء الاحمر"، و "اه يا روزيليا" و"شهر العسل"...الخ. وفي سنة ١٩٥٨ عبرت عن قصة "شهر العسل" بلوحة فنية راقصة.

ان (لودميلا) رغم كبر سنها كراقصة بالية فإنها مارست هذا الفن وكأنها في ريعان شبابها حيث قدمت سنة ١٩٧٥ مسرحية "هدية البطل" وهي لوحة راقصة، وقد سبق أن قدمتها قبل عشرين سنة، ومع ذلك فإن النقاد لم يلاحظوا أي فرق بين اللوحة التي قدمتها قبل عشرين عاما واللوحة التي كررتها عام ١٩٧٥.

ان الفنان الناجح هو الفنان الذي يكرس الفن للحياة وقد التزمت (لودميلا) بذلك، وكما ان نشأتها عالمية وخدمت بفنها جميع الناس والاجناس فقد رقصت في اميركا وكندا والارجنتين وايطاليا واسبانيا.

وقيل عنها بأنها خلقت لترقص الباليه فإنها فنانة ملتزمة وصاحبة رسالة، فهي تميز بين قوى الشر والخير وعندها دائما تنتصر قوى الخير. [١٥].

أما الفنان الآخر من فناني شراكسة المهجر فهو ذلك الفنان الذي سلب الباب جمهور سيرك باريس وكوميدي السيرك الذي اصبح اشهر الكوميديين في العالم هو الفنان الشركسي الأصل (المولود في تونس) (أخيل زافاتا) وبدراسة سيرة حياة هذا الفنان وجدنا بأنه ولد في مدينة تونس لعائلة شركسية تتكون من الوالدين و ١٣ طفلا، وقد ورث مهنة الكوميديا في السيرك عن جده (شابيتو) الذي اسس السيرك المشترك لدول (تونس والجزائر والمغرب) ايام الاستعمار الفرنسي، ولا تزال عائلات من سلالة هذا الجد مرتبطة بالعمل بالسيرك في عدة دول. وعمل معه في السيرك ولديه وابنته من زوجته الفرنسية مونكا سوزانا.

بدأ هذا الفنان التدرب في السيرك وعمره ثلاث سنوات واشترك مع والده كمهرج عندما كان عمره ست سنوات، وفي السادسة عشرة من عمره رحل من تونس إلى فرنسا مع اسرته، حيث زادت مهارته فعمل في الاكروبات والالعاب البهلوانية، ضمن سيرك رابس وحدث في احد الايام ان غاب مهرج السيرك فاضطرّ مدير السيرك الطلب من (اخيل) ان يقوم بأي شيء لتعبئة البرنامج، ودخل لأول مرة في هذا الدور، واستطاع بأدائه ان يسلب الباب جمهوره، وفي الثامنة

عشرة من عمره عمل مع افضل سيرك في باريس مما اتاح له فرصة زيارة بلدان كثيرة.

وفي وقت لاحق قام بإنشاء سيرك جديد اطلق عليه اسم جده سيرك (شابيتو) تخليدا لذكراه. وعندما بلغ العشرين من عمره اخذ يرتاد عروض السيرك السنوي، وبدأ يكتب السكيتشات الهادفة المتميزة بالطابع الانساني حيث نقلت هذه الاسكتشات في التلفزيون فلاقت قبولا واستحسانا من الجمهور، وكان هو صاحب الدور الرئيسي فيها، ووصل عدد هذه الاسكتشات إلى مئة سكتش فني.

انتقل لفترة من الزمن إلى السينما، ثم إلى قاعة الموسيقى والمسرح، وخدم فيها عدة سنوات، إلى ان عاوده الحنين للعمل في السيرك فعاد إليه وظل فيه إلى أن وافته المنية.

وقال عنه النقاد العالميون بأن الفنانين يحتفلون في مواهبهم واشكالهم وبضائعهم. إلا ان الفنان الكوميدي (اخيل زافاتا) تميز عن غيره من كوميدي السيرك باستغنائه عن الاقنعة والاصباغ (المكياج) التي تضفي على صاحبها شكلا مضحكا، فاستطاع ان يكون اقرب لقلوب مشاهديه بتعبيره الصادق الواضح، مما جعله من اشهر كوميدي باريس بل فرنسا، ويعتبر ايضا من اشهر الكوميديين في العالم [١٦].



الفناني الكوميدي الشركسي الأصل "أخيل زافاتا" (يمين الصورة)

النوع الثالث من الفلكلور الشركسي:

الاغاني الشركسية وما يرافقها من تلحين وتأليف واداء

*** نشأة الاغاني الشركسية:**

يقول خان كري – Khan-Girey بأن ملحمة نارت (Nart Epos) التي ضمت أقدم الأغاني لقوم (نارت) اجداد الشراكسة، وهي الاغاني التي تتحدث عن حكايات فيها عبر للقيم والرجولة مثل: **الحقيقة والصدق والأمانة والوطنية والشجاعة والكفاح ضد القمع والاضطهاد الذي تعرض له أجداد الشراكسة،** واتخذت الاغاني شكل الأغنيات القصصية والأشعار والقصائد الغنائية وقد صاغ الشعراء والمطربون القدماء حكايات قوم (نارت) وأساطيرهم في صيغ تشبه الاغاني، ولكي يحببوا المستمعين بها كانت الاغاني قصيرة وتؤدى بالصوت، أو بالكمان الشركسي، وأما الايقاع، فكان سريعا وأشبه بالموسيقى الراقصة، وظل على حاله دون تغيير في الوقت الذي تطورت فيه الموسيقى الشركسية. هذا بالإضافة إلى تنوع الوتيرة في (درجة السرعة) حسب التنوع في الموضوع الرئيس للأغنية، واشبه ما يكون بالموسيقى الراقصة الخفيفة المرحة والمفعمة بالحيوية، ولم تكن الأنغام الحزينة كثيرة العرض في البداية [١٧].

نستنتج من دراسة اساطير (قوم نارت) وحكاياتهم الشعبية وكذلك الأغاني الشعبية القديمة بأنها تضمنت اغاني قصصية وأشعاراً وقصائد غنائية وأن أهم موضوعاتها كانت على النحو التالي:

١- **اغاني النارتيين:** وهم الأبطال الخرافيون للقصيدة الوطنية القديمة، وتدور موضوعات هذه الأغاني حول الوطن والبطولة والصراع من أجل البقاء ونشر الخير.

٢- **الاغاني التاريخية:** ونستطيع ان نتتبع قصصا فردية في الاناشيد التاريخية من تاريخ بلاد الشراكسة وكفاحها اثناء عصور حرب القفقاس. وتشمل الاغاني التاريخية "كوفخاس و اميرقان" واغنية "محمد بن حاتقو" و"ابن فيغوتيف" واغنية "حنيفة" التي تمجد البطلة الشهيدة، وانشودة عن هجوم معاد مفاجئ على شعب القبردي في القرن التاسع عشر واغنية "الامير محمد آش اتاظيقو" الفارس الحقيقي والشاعر في الوقت ذاته، ومعبود قومه الذي يعتبره مثالا للبطولة الشركسية، والذي ألهم موته المهيب أغنية يغنيها الشعب بعشق وحماس، وقد ذكر "شورا بكمرزا نوغمو" في كتابه "موجز عن تاريخ الاديغة" العديد من الاغاني التي تمجد ابطالا شاركوا في الحروب وهناك اغنية تمجد "اسماعيل بك حاتوخشوقة" الامير الشركسي الذي قتل فتألم الشعب لمقتله.

٣- **الاغاني والاناشيد الدينية:** وهي الاغاني التي تعكس بقايا العقائد الوثنية الشركسية التي وجدت قبل المسيحية والاسلام. ومن الامثلة التي يمكن ذكرها هنا الانشودتان المشهورتان عن **(الرعد، وسعادتكم او يا صاحب السعادة). تذكرنا القصيدة الاولى** بالصواعق وعبادتها في الماضي البعيد، وكانت تؤدى خلال رقصة مستديرة تدعى (ووج) تحتوي الكثير من الحركات التي كان الراقصون يؤدونها خلالها حول المكان الذي ضربته الصاعقة.

٤- **اغاني الابتهال والاسترضاء:** فهي أغاني ترتبط بمرض الجدري والطقوس الاسترضائية التي كان الشاب من هذا المرض يمارسها شعرا ملحميا إن لم تكن تملك شكلا فنيا محددا. ولكنها كانت تكتسب معنى دينيا كبيرا، ورغم الضعف الفني فيها إلا أنها كانت تمتاز بقوة دينية بالغة.

٥- **الاغاني البطولية والشجاعة:** كان الدارس لتاريخ الاغنية الشركسية في العصور الوسطى، وفي المراحل التي تعرضت فيها أجداد الشراكسة لغزوات وحروب واعتداءات من قبل جيوش مختلف الأمم والشعوب وعلى مدار اكثر من عشرين قرنا، يجد بأن الكتاب الذي وضعه س. ن. رياوزوف (S. N Ryawozov) حول الاغاني القباردينية الشركسية [١٨] من اكثر الموضوعات التي تضمنتها تلك الاغاني في العصور التي كان اجداد الشراكسة فيها وثنيين.

حيث يقول (رياوزوف) بأن: الشعراء والمغنين الشراكسة كتبوا أنواعا عديدة من الأغاني، وكانت الأغنيات البطولية والملحمية تغنى على شرف تكريم الأبطال الذين سجلوا مآثر عظيمة، وقد توجه هذا النوع من الاغنيات لتمجيد المحاربين الابطال من الشباب، كما كان الشعراء يكتبون بعد كل معركة كبيرة قصيدة او اغنية. وتعتبر أغنية "انديميرتان" البطل المدافع عن الفقراء، أغنية كلاسيكية. وهي الاغنية التي ألهمت (شايبلر) لأن يؤلف ملحمة "انديميرمان" في تكريمه عام ١٩٣٩ وقد استندت الأغاني البطولية إلى شعر وأنغام جميلة، كما كان بناؤها قريبا جدا من (الاغنية الشعرية) والحكايات القصصية الشعرية الغنائية. [١٨]

٦- **أغاني المدح والثناء:** كما اقترنت الأغاني البطولية تماما بأغاني المدح، التي كانت تنظم لتخليد مآثر الحرب كما كان اولاد وأقارب المحاربين الكبار، أو اصدقاؤهم، يكلفون الشعراء المغنين بنظم قصائد لتمجيد بطولة المحاربين الذين قضوا في ساحات القتال.

*** أنواع الاغاني والاناشيد الشركسية:**

النوع الاول: اناشيد واغاني الطقوس الدينية وكانت تضم:

التراتيل والترانيم المقدسة التي كانت تقام في فترة ما قبل المرحلة المسيحية، وخلال الاحتفالات في عصر الوثنية، وكانت التراتيل الدينية تؤدى عند الصلاة بصوت واحد مع الكوراس. (وفي العهدين المسيحي والإسلامي، ابقت التراتيل القديمة على حالها)، لكن مواضيعها تغيرت لتناسب المعتقدين الجديدين.

ومن امثلة الاناشيد والاغاني التي كانت تعكس الطقوس الدينية الوثنية انشودتان هما:

الانشودة الاولى فكانت عن (الرعد... والصواعق) وكيف ان الشراكسة كانوا يعبدون (اله البرق) (شله – و ه) حيث تصف القصيدة كيف يؤدي الشباب رقصة (الوج. Wdj) حول المكان الذي ضربته الصاعقة.

أما القصيدة الثانية واسمها (Ziushan) ومعناها (من يأخذ مرضي) حيث تصف هذه القصيدة الطقوس التي كان يمارسها الشراكسة استرضاء للآلهة وطلب الوقاية من مرض (الجدري).

النوع الثاني: اناشيد واغاني الحروب:

وهي الاناشيد والأغاني التي كانت تعبر عن بطولة المحاربين من أمراء ونبلاء، منها اغاني البطولة التي قام بها محاربون مثل (كوخفاس) و (انديمرقان) حيث نظمت اشعار المديح للبطولة التي أظهرها هذين المحاربين في سبيل حرية الوطن واستقلاله وكذلك قصة (محمد بن حاتقوه) وهو احد ابطال الشابسوغ الذي حرر شعبه من اعداء الوطن.

هذا بالإضافة إلى الاغاني التاريخية ذات الاهتمام الخاص بالحروب الطبقية مثل: حرب الامراء والنبلاء التي تروي قصصا عن الحروب التي دارت بين الامراء والتابعين تروي أغنية "ليلة غزو كاباردانية" قصة من تاريخ كاباردیا تعود إلى القرن السابع عشر الميلادي. كما ويلاحظ بأن الاغاني الشركسية تضاءلت عند الشراكسة (الاديغة) بعد اعتناقهم الدين الاسلامي لتعارضها مع تعاليم الدين الاسلامي [٢٢].

النوع الثالث: اناشيد واغاني الرثاء (غبزة – Ghaebza)

وكانت تضم اغاني المراثي الحزينة التي كانت تغنى في ذكرى القتلى الذين قضوا دفاعا عن الوطن، ومن اشهر المراثي الغنائية تلك التي تم تأليفها إبان الحروب التي دارت ضد الغزاة، من الغوط، والهون، والقالموق والتتار... الخ.

النوع الرابع: اناشيد واغاني مواسم الحصاد:

وكانت تضم اغاني واناشيد تقال في موسم الحصاد وبعد جمع المحاصيل الزراعية في الصيف.

النوع الخامس: اغاني جرحى الحرب والمصابين بجروح او كسور.

من العادات التي كانت متبعة عند الشراكسة منذ القدم (وحتى يومنا الحاضر) هو زيارة الجرحى او المصابين بكسور في بيوتهم والسهر عندهم حتى ساعات متأخرة من الليل بهدف تسليتهم والتخفيف عن الامهم وتسمى هذه العادة "شابشة".

وتنوعت الأغاني التي كانت تنظم عن الجرحى عن غيرها من الاغاني ومن أشكال هذا التنوع، ضرورة وجود قائد للكوراس، وهو أمر لم يكن موجودا كما كانت تقدم هذه الأغنيات بصورة عامة، بصوت عال وبطريقة متصلة ونغمات مميزة، علاوة على هدف امتاع المرضى فإنها كانت تهدف لابقائهم يقظين طوال

الوقت. اعتقادا منهم (قديما) بأن الأرواح الشريرة مختبئة في الجوار، وجاهزة للسيطرة على روح المريض عندما ينام.

النوع السادس: الأغاني العاطفية، وكانت تضم:

أغاني الحب التي كان تؤديها وتنشدها النساء عادة، وكان إنشادها محصورا داخل العائلة. اما الرؤية الرومانسية لعاشق محروم يقف تحت نافذة فتاة (قشن)، فلم يكن لها وجود في الأوضاع القفقاسية الصارمة في الماضي ويشتمل بعض هذه الأغاني الشاعرية على: الأغنية التي أبكت الأمير (أديغو) وأغنية "سيراس" (Cirace) بمعنى (انا) [٢٢].

النوع السابع: أغاني مراسم الزواج والولادة والمناسبات الأخرى:

انقسمت أغاني حفلات الزواج إلى اغاني احتفالية، مثل **(وريدادا)**، التي كانت تغنى لدى عودة العروس إلى بيتها، وأغاني خفيفة تغنى في المهرجانات الراقصة.

واغنية (وريدادا) هي أغنية عامة كانت تؤدى في العديد من المناسبات، بما فيها مواسم الحصاد ولعله آخر استخدام (قديما) لشخصيته. دادا كان للتعبير عن زعيم العشيرة، ورب الاسرة الذي رحلت روحه إلى (حدريخة) أي يوم الأخرة، ولا شك أن هذه الشخصية قد ظهر استخدامها في الاغاني منذ عصر النظام الأبوي. وأصبح استعمال "دادا" فيما بعد ليقوم مقام الجد، وهي مفاهيم حصرية ضاعت في متاهات التاريخ، ولكنه مصطلح ما زال يستخدم للتعبير عن كبير العائلة، **كما تضمنت أغاني الزواج الأخرى: أغنية عودة العريس إلى بيته، واغنية عودة المرأة إلى ديارها.**

واما تروبينسكوي (Troubetzkoy) فيقول بأن: الشراكسة بمجموعهم شعب شاعري واسع الخيال ذو روح متوقدة وحس عميق لمحاسن الطبيعة والقصائد المغناة اثناء الرقص وفي الاحتفالات تتغنى بروعة الشجاعة، والافعال السامية، وتذم الجبن والاخلاق السيئة، والشعر ايضا يعني لهم "مستودع كل الحكمة الشعبية"، وها هو ذا المغني العجوز في رواية دوي الرعد يعطي ابنه خليفته سر المهنة قائلا له: إن كنت ترغب ألا يتحول صوتك إلى عواء ذئب لا تغن ابدا للسفاحين وللثأر واراقة الدماء.

كما يفرق بين القصائد القديمة التي يكون محتواها غالبا الأمور السياسية والمثل العليا، واغاني الأفراد وقصائد الهجاء وأغاني جماعية ذات محتوى لماح ساخر كما يشير إلى نوعية المواد المتضمنة في الشعر بقوله:

"**إن الأغاني الشعبية الشركسية ذات محتوى غنيّ متعدد الجوانب فهي بطولية وتاريخية وطقوسية وغرامية وغنائية و جنائزية. كما توجد اغان للحراثة والحصاد و الزواج والرقص وغير ذلك. وتؤدى كلها في الاحتفالات العائلية والعامة بمرافقة الاوركسترات الوترية والاكورديون والالات الموسيقية الاخرى.**

كما يقول: ولا ننسى اغاني العمل فهناك اغان الحصادين واغان للرعاة والدارسين والبيادر والصيادين واغان للإله وأغان للمرض؛ اذ من عادة الشراكسة ان يساعدوا المريض على إبعاد الالم والموت بأن يجتمع في بيته الشبان والفتيات ليغنوا ويرقصوا او يحكوا النوادر، اما الجرحى فلا يدعونهم ينامون اول ليلة من اصابتهم ويقفون حولهم طوال الليل. وهناك اغاني الجرح يغنيها الرجل حين يصاب بجرح مميت. وهناك الاغاني التي تغنى بالوطن وعزته وعنفوانه وللمائدة ايضا اغانيها[٢٥].

الأغاني والاناشيد القومية الشركسية في عهد استعمار الامبراطورية القيصيرية الروسية:

تم جمع العديد من الأغنيات القديمة على أيدي الباحثين والعلماء الجراكسة. وصدرت كتب الموسيقى والأغاني الشعبية أول ما صدرت في عام ١٨٨٧ على يد الملحن الروسي (Sergei Tanev سيرجي تانييف) الذي نشر أول كتاب عن الاغاني الشركسية ضمنه عشرين مجموعة من الاغاني القبردينية الشركسية القديمة[٢١].

وفي عام ١٩١٣ قام (بيشميرزا باشا) مؤسس الشعر (الكاباردیني) الحديث وهو كاتب أغنية موهوب وبارع بتأليف اغنية وطنية تمجد الانتفاضة القابردينية، التي قامت عام ١٩١٣ ضد الحكم القيصري، واسمها (Dzeliqwe) واستعمل فيها أسلوب الأغاني البطولية التقليدية، لتوصيل أفكاره للجماهير مثل أغنية (غازي مراد) [٢٨].

الأغاني والأناشيد القومية الشركسية في عهد الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي:

في العهد السوفياتي، كان على الباحثين والعلماء الشركس تقديم الموسيقى القومية الشركسية في ضوء الايديولوجية الشرعية السائدة. والانتقال من ألحان الموسيقى الحزينة والجنائزية، التي عبّرت عن غضب الجماهير في ظل الحكم الاستبدادي للأمراء الاقطاعيين الذين اغتصبوا واضطهدوا تلك الجماهير، وأهمها الأغنيات الشعبية التالية:

سرماخوه Sermazwe ، جواشغاغة Gwascheghgahga ،أديغو Adiyxaw

واضطر المؤرخون إلى الاعتراف بأن الموسيقى الشركسية لم تكن جميعها من النوع الكئيب. حيث وصلتنا الألحان الموسيقية الكلاسيكية منها: **أغنية انديميرقان، مارتينا، داملي عريض المنكبين، أبناء "Bezeth"** من بين ألحان

كثيرة اخرى. كما توافرت ايضا مجموعة كبيرة من الأغاني والحكايات الهزلية الغنائية، والأغاني المسرحية ذات الرمز الأخلاقي، وجميعها كانت ساخرة وذات روح مرحة، وتعكس الروح المرحة الجديدة للشعب، ومن بين أغاني المزاح الشعبية أغنية: "**كوبس، ذات الكلمات الخفيفة والموسيقى المرحة، وأغنية سيي باق Siy Paq بمعنى أنفي الافطس**"، الكلاسيكيتان.

قسم الباحثون في تاريخ الموسيقى والأغاني الشركسية في الحقبة السوفياتية إلى خمس مراحل وهي: (١) مرحلة الحرب العالمية الاولى (٢) مرحلة التعاونيات الزراعية (كولخوزات) (٣) مرحلة الحرب العالمية الثانية (٤) مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية (٥) المرحلة الحديثة التي بدأت في منذ النصف الثاني في الخمسينات من القرن العشرين.

ففي المرحلة الاولى الممتدة من ١٩١٧-١٩١٩ جرى تأليف الأغاني على أساس: إما الحان الملاحم البطولية القديمة، وإما على ألحان مماثلة لجعلها أكثر استقطابا. ومهما يكن من أمر، فقد أُلفت بعض الأغاني باستعمال ألحان جديدة. ومن بين أغاني هذه المرحلة: أغنية الخبز غير المخمر (دون خميرة)، سيرغو اورجونيكيدزة، جيس هماشى Ches Hemashe.

وفي المرحلة الثانية من "البناء الاجتماعي"، كُتبت كلمات الأغاني لتعكس فرح الناس، وكانت هذه الأغاني شبيهة بأغنيات الرقص، لكنها بإيقاع ودرجات سريعة جديدة. وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، تأثرت الأغاني الشركسية بالأغاني الروسية التقليدية، وبالمؤلفين من السوفيات الروس، وبالشعوب المجاورة، في الوقت الذي بدأت الوحدة الثقافية تأخذ مجراها، وساعد في ذلك انتشار الراديو. فتم التكيف مع أشكال جديدة، ليس في اللحن فقط، بل في كلمات الأغاني الشعبية ايضا. ووجدت هذه التغيرات تعبيرا عنها في الأغاني الوطنية

والقصص والأشعار الغنائية. وفي السابق استخدمت في معظم الأغاني ثلاثة مقاطع، وفي الأغاني الجديدة في هذه المرحلة استخدمت أغاني من أربعة مقاطع.

وكان من أشهر المغنين في هذه المرحلة (Amirxan Hexwpasch'e) اميرخان هيخوباشا) الذي لحن أغنية (لينين) في مناسبة وفاته عام ١٩٢٤.

وفي الثلاثينات، وفي ذروة مرحلة التعاونيات الزراعية، نظم (اميرخان) قصيدتين غنائيتين قصيرتين، يشيد فيهما بالمرحلة بالعنوانين التاليين: "كن صادقا مثل كلمتك"، و "اغنية الكولخوز" وفي عام ١٩٥٧، منح أعلى وسام سوفياتي وهو وسام لينين.

وحوالي عام ١٩٣٠، ألف يندريس (Yndris Qezher) أغنيته الشهيرة* بعنوان "مارجى، مارجى يدعو فيها الجماهير للسير قدما للأمام بتطبيق العقيدة الشيوعية، وصور نضال الجماهير لإقامة النظام الجديد، واعتبر (بيطال قالمق) بطلا وطنيا كما غنى (زاليميخان ديشيج) أغنية (طريق المجد)، احتفالا بمرور اربعمائة عام على الانضمام "الطوعي" لشراكسة القبرطاي (قباردا) إلى روسيا في عام ١٥٥٧**. وقد منح وسام العمل البطولي من رئيس مجلس السوفيات

* اعتبر الوطنيون والقوميون من شراكسة الوطن الأم في تلك المرحلة أنها كانت أغنية تمجد العقيدة الشوعية والأيدولوجية البلشفية وبالتالي فإن (نيدويس) مغني مأجور اكثر من مغني موهوب.

** من المؤسف أن يردد القادة السياسيون الشراكسة، وكذلك الفنانون الشراكسة في الوطن الأم مقولة "الانضمام الطوعي للشراكسة إلى روسيا" لأن سلطات روسيا القيصرية أو من بعدهم حكام روسيا حتى اليوم لم يطبقوا معاهدة التعاون التي سبق أن وقعها الأمير تيمرفان مع (ايفان الرهيب) عام ١٥٥٧ لم يطبقوا ما جاء في هذه المعاهدة يوما واحدا، بل إنها كانت الذريعة والوسيلة التي استغلتها السلطات الروسية للتغلغل إلى بلاد القبرطاي أولا ومن ثم إلى باقي بلاد

الأعلى. كما احتفظت اغنيته "لا ترم الشباب الآخرين بنظراتك"، بشعبيته حتى اليوم.

وخلال الحرب العالمية الثانية، ظهر على الساحة الشركسية في الوطن الأم نوعان من الأغاني هما **الأغاني الوطنية – البطولية، والأغاني الحزينة.**

والنوع الاول تمثله أغنية (ديمازترقان – Demaza Tergan) والثاني تمثله اغنية "أسود" وبعد الحرب، تراكمت الاعمال الفنية حول مواضيع السلام والإبداع، فكتبت كلمات العديد من الأغنيات الشعرية [٢٨].

وفي المرحلة الحديثة، كان الحزب ولينين والدولة السوفياتية هي المواضيع الرئيسة للأغاني الشركسية، فالأممية والصداقة بين الشعوب في العالم أصبحت المواضيع الأساسية، واتسمت الأغاني عموما بكونها مثل شخص يسير في طابور او عضو في فرقة رقصة الفالس.

وساهم تطور الموسيقى الشركسية والمتمثل بظهور فرق الاوبرا والاوركسترا، والدراما الموسيقية كما ساعد ظهور ملحنين ومنتجين موسيقين على تطور الأغنية الشركسية في هذه المرحلة تطورا كبيرا خاصة بعد انشاء مؤسسة كاباردينو – بلقريا) الحكومية للموسيقى والغناء عام ١٩٤٣، وكذلك بعد تخرج الدفعات الاولى من المغنين والمغنيات من مدرسة الاوبرا القباردينية والتي كانت جزءا من معهد لينغراد للموسيقى.

وفي عام ١٩٤٦ ظهرت فرق غنائية مسرحية وفرق كورال وكانت أول قصة تنشدها مجموعة موسيقى الفرح أنتاتا (Antata) و (شيبلز اندمرقان Sheibles Andemirqan) كما كتب (رياوزف – Ryawzov) (كانتاتا الفرح).

الشركس، كما أن القبرطاي كان أول شعب شركسي يتم احتلاله من قبل السلطات الروسية في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

وفي عام ١٩٤٧ نشر الملحن الروسي (سيرغي ريافزنف) كتابا موسيقيا للأغاني القباردينية في نالتشك.

وكان للنساء دور ما بارز في الترويج للأغاني التقليدية وتطويرها في هذه المرحلة. ومن أبرزهن (كوراتس قاشيرغا) (Kwratze Qashiraqhe) المولودة عام ١٩٠١ وكانت موسيقية مشهورة، وألفت كلمات العديد من الأغاني، مثل "رقصة الحب"، و "رقصة البارتزان". وفي عام ١٩٥٠، لحنت اغنية على شرف الكاتب الكبير (علي شوجينتسيكوف) المعروف شعبيا باسم "علي" وكان معاصرا تقريبا للموسيقية (كوراتس).

وفي عام ١٩٥١ قام تروفور ك. شيلير (Thuvor. Sheibler) ببعض الاعمال ضمنها مقدمة سيمفونية قصيرة عنوانها "النارتيون"، وباليه أوبرا بالعنوان ذاته، عامي ١٩٥٦/١٩٥٧. وكتب اليكسندر في. موسولوف لحنا سيمفونيا اوركيستريا من ثلاثة أجزاء بعنوان "أغنية النارتيين" عام ١٩٥٥. للكوراس والاوركسترا. أما (قاردن) فكتب أفضل الأعمال الصوتية الغنائية "نور الصداقة"، للعزف المنفرد والكوراس والأوركسترا، وعرضت أول ما عرضت في موسكو بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٥٧، بمناسبة مرور (٤٠٠ عام) على انضمام (كاباردا) إلى روسيا. وفي عام ١٩٦١، ألف مقطوعة أخرى بعنوان "بلادي" وأوائل السبعينيات، كتب موشح بعنوان "خالدة" ونشرها في ذكرى لينين، وقصيدة سيمفونية بعنوان "جمهوريتي" وفي تلك الفترة تقريبا، وضع فلاديمير مولا (مقطوعة) "جبابرة النارتيين"، كما كتب (بالا Bale) قصيدة سيمفونية بعنوان "الفارس الباسل".

وفي عام ١٩٦٠ نشر الملحن والموسيقي الشركسي قاردن، "مجموعة أغاني" كما نشر كتابه (أغاني شركسية)، وهي مجموعة كبيرة من الألحان الموسيقية الغنائية، عام ١٩٨٧. [٢٨]

واما كتاب (قابلنا توقه Qablhen Toqe) وعنوانه "الأغاني والرقصات الشعبية الشركسية والقرشينية"، الذي نشر في تشيركيسك، فيعتبر مرجعا للموسيقى الشعبية الحديثة للشراكسة في جمهورية قراتشاي – تشركس. والقطع الموسيقية فيها تتكون من أوركسترا آلات النفخ، كما يضم قطعا كلاسيكية، مثل: أديغي، زيفاكوه، قيسي، قافى، كاباردينكا، ميزكوش، ويعتبر (توقة) ملحناً ومؤلفاً موسيقياً شركسياً بارعاً ومتعدد المواهب. وكتب حوالي (٣٠٠) من الأعمال الفولكلورية والكلاسيكية، بما فيها بضع قطع موسيقية للآلات الموسيقية التقليدية. وهو من مناصري ومؤيدي العودة إلى الجذور والعمل على إحياء الموسيقى الشركسية القديمة، وتقديمها في شكلها القومي الأصلي [٢٥].

وأما أول اوبرا شركسية (تأليفا وتلحينا واداء) فكان في اوائل العقد السابع من القرن العشرين، حيث قدم كل من (قاردن، وبالا) اوبرا اسمها (مدينا – Mediyne)[٢٥].

أقسام الأغنية الشركسية وانواعها:

إن الدارس لأقسام الاغنية الشركسية يجد بأنها كانت تنقسم منذ عصر الاجداد إلى اربعة اقسام رئيسية وهي:

١) (ورد) أي الغناء على اختلاف انواعه والمغنين هم (وردؤه) رجالا ونساء
٢) (وساكئوة) أي الشعر المتضمن المدح والهجاء، والمنشدين هم (وساكئوه جئة).
٣) (غيبزة) أي الغناء الرثائي والمغنين هم من الجنسين.
٤) (جه كواكؤه) Jegwakwe وبالانجليزية (Ashogs) وبالعربية الفرق الغنائية الجوالة، وهم مغنون محترفون صنعتهم امتاع الجماهير بأغانيهم المرحة والشعبية.

وفيما يلي دراسة لكل قسم من اقسام الاغاني الشركسية منذ القدم:

قسم المؤرخ الشركسي (جونا توقة) الاغنية الشركسية إلى قسمين رئيسين هما:

(١) **(ورد) وهي الأغاني التي توصف فيها الحياة القومية والوقائع الحربية** والحب والخيال والنكات وبعض النوادر المسلية المضحكة وتحتوي ايضا على تفاصيل الوقائع الحربية القديمة التي يعود تاريخها إلى زمن الحيثيين كواقعة (نارينا) التي تعيد الذكريات المحزنة المؤلمة.

وتعتبر هذه الأغاني من الوثائق التاريخية التي يحفظها الشيوخ عن ظهر قلب لما فيها من التفصيلات عن أعمال أجدادهم وهي في الحقيقة توثيق للتاريخ القديم للحروب ومواقعها وسجل الذين جبنوا وأظهروا عجزا وتقصيرا كما أنها توثيق للأعمال البطولية للمقاتلين البواسل الذين انضموا دفاعا عن الوطن الأم.

(٢) **(غيبزة) وهي عبارة عن مرثيات لشهداء الحروب** أو الذين قضوا نحبهم في سبيل الأوطان ولا يسع سامعيها إلا التأثر العميق بها للأخذ بالثأر.

كما تبحث ايضا في نتائج هذه الوقائع وما وصلت إليه في النهاية وقد استفاد من هذه الاغاني المؤرخ (نوغموقة) وترجم بعضها إلى الروسية وأدرجها في مؤلفه، الأمر الذي جعل لكتابه قيمة خاصة.

وتؤلف هذه الأغاني من قبل اختصاصيين يدعون (جه – كواكؤة) أي الشعراء. وهذه الأغاني تقال إما نثرا أو نظما وتعتبر من الادبيات التي تحتل موقعا هاما، إذ تحوي تاريخا مجيدا وبطولات خارقة لأجداد الشراكسة.

ويقول (نوغموقة) أن الاغاني تضاءلت عند الشراكسة بعد الإسلام اتباعا لما فيه من النهي عنها.[٢٠]

والأديب الروسي (تروبتسكوي) يقول في دراسة له صدرت عام ١٩٢٥ بأن القصائد الشعرية والأغاني الشركسية تنقسم إلى أربعة أنواع:

الاول: القصائد القديمة (محتواها غالبا في الأمور السامية والمثل العليا).

الثاني: أغاني الأفراد.

الثالث: قصائد الهجاء.

الرابع: أغاني جماعية (كورال)

كما يشير إلى الموضوعات التي يتناولها الشعراء من وصف بطولات أو رثاء أو هجاء أو... [٢٥].

(٣) المغنون المتجولون "وردؤه"

يقول (لابينسكي – ١٨٦٢): بأن المغنين الشراكسة كانوا موهوبين ولهم احترام كبير عند الشعب، وكانوا يظهرون كل فعل جيد أو سيّىء أو جبان، وكل تضحية أو انانية وكل كرم أو بخل، وكل جمال أو حب، كما كانوا يتغنون بحكمة القدماء وبطولاتهم وقصصهم البطولية، إضافة إلى مشاركتهم في المعارك، لبث روح الحماس والشجاعة في نفوس الجنود، كما ان وجودهم في ساحات المعارك كان يساهم مساهمة كبيرة في رفع معنويات المحاربين، ووجودهم بين الجنود كان يشكل عامل ردع وقمع لكل من كان يفكر بالهروب من ساحة المعركة خوفا من هجائهم بعد الانتهاء من المعارك والعودة لقراهم.[٢٦]

(٤) وساكئو وهم المغنون المتجولون:

يميز (غواشخوراي) من قرية (يلمي) التركية الشركسية يميز بين الشعراء الذين يطلق عليهم باللغة الشركسية (وساكئوه) وبين المغنيين المتجولين (وردؤه). فالشعراء (وساكئوه) في العادة هم (رجالٌ أم نساء) كانوا يمارسون نشاطهم الغنائي في مكان إقامتهم فقط، ويلقون قصائدهم في المضافة ال (هاتشئيش) أو ساحة القرية، وأحيانا كانوا ينتقلون إلى القرى المجاورة لإنشاد أشعارهم. أما المغنون

المتجولون (وردؤه) فقد كانوا يتمتعون بشهرة داخل وخارج مناطقهم وكانوا يتنقلون من مضافة إلى أخرى ويغنون في الأفراح والأعياد. وكانوا يمثلون ضمير مجتمعهم، مما جعل الآخرين يخشونهم ويحسبون لهم ألف حساب.(٣٠)

وأما (جموخة) فقدم لنا دراسة متكاملة حول القسم الرابع من أقسام الأغنية الشركسية وهي الأغاني التي يؤلفها وينشدها المغنون المتجولون المحترفون الذين يسمون باللغة الشركسية (جه–كواكؤه) (Jegwakwe) بقوله:

"عند الكلام عن الاغنية والشعر الشركسي، من المستحيل عدم التطرق إلى مؤلفيها ومنشديها. ففي الأيام الغابرة، ظهرت فئة محترفة من المطربين والمغنين (فرادى ومجتمعين) ولم يتلقوا أي تعليم أو تدريب من نوع خاص، بل اعتمدوا على مواهبهم الموروثة، وأبدعوا في فن الشعر والأغنية، وتجولوا أفرادا وجماعات في جميع أنحاء البلاد الشركسية، فأنشدوا الأغاني، وألقوا الأشعار البطولية في المهرجانات، وفي حضور الطبقات العليا، وعلى مسامع مجالسها التي استقبلتهم مضافاتها الخاصة جدا. (الهاتشئيش).

وتخصص أعضاء هذه الفئة من الفنانين بأغاني تمجد ذكرى أحداث الحروب الدموية وأعمال ومآثر وطنية عظيمة حدثت في القتال. وكتبوا سيرا ذاتية لرجال مشهورين، وأنشدوا أغنيات قديمة. كما شاركوا في حملات عسكرية، وأطلقوا صيحات الحرب التي كانت تُثير من العزائم، وتحث على الشجاعة والثبات في ساحة المعركة.

وكان الأسلوب المتبع في نشر الأغاني الشعبية، هو الطلب من شاعر شعبي تأليف اغنية، ثم يدعى المغنون من المناطق المجاورة للاستماع إليها مرات عديدة إلى ان يحفظها المغنون عن ظهر قلب، ثم يعودون إلى قراهم، ويعرضونها على لجنة تحكيم من المختصين في الاغاني الشعبية الشركسية لإقرارها أو عدم إقرارها كأغنية شعبية.

ويؤكد (جموخة) ظهور مغنين محترفين ومبدعين في عهود مختلفة، فيتبناهم عدد من الامراء الشراكسة ويصبحون تابعين لهم، يغنون في مجالس الضيافة الخاصة بهم، ويغدق الامراء عليهم المال والهدايا ويتبوأون مكانة اجتماعية مرموقة في إمارة الأمراء، إذ أصبحوا تابعين لهم.

واستمر عمل المغنين المتجولين (جه–كواكؤة– Jegwakwe) حتى الثلاثينات من القرن العشرين وكان من اشهر المغنين المتجولين هم: لاشي اغنوقة Lasheaghonqwe- ، وأسعد شوجنAs-hed schojen ، وموسى مَزحي Muse Mizhey ، واسعد حاكوباشا Ashed Haxwpasch'e [٢٨].

*** الرواد الأوائل من كتاب الاغنية والشعر، والمؤلفين والملحنين والمغنين الشراكسة المعاصرين في الوطن الأم:**

ظهر منذ مطلع القرن العشرين العديد من الكتاب والمؤلفين والملحنين والمغنين المحترفين منهم:

- **بيشميرزا باشا** – Bechmirze pasche – مؤسس الشعر في بلاد القبرطاي منذ احتلال القياصرة الروس لبلاد الامة الشركسية، وهو ايضا كاتب اغاني موهوب، ومجد انتفاضة شعب القبرطاي على حكم القياصرة الروس في عام ١٩١٣ في اغنيته المشهورة (غازي مراد).
- **اميرخان حي وباشا** Amirxan Hex'wpasche الذي لحن (اغنية لينين) عام ١٩٢٤ بمناسبة وفاة لينين، كما نظم قصيدتين غنائيتين تعبيريتين هما: (كن صادقا مثل كلمتك) و (اغنية الكولخوز) عام ١٩٧٧ وقُلد اعلى وسام سوفيتي وهو وسام لينين.
- **يندريس قزحر** Yhdhis Qezher ألف أغنيته المشهورة بعنوان (مارجة – مارجة – Marzhe – Marzhe Qerahelha) وتغنى بهذه الاغنية بالنظام الشيوعي الجديد واعتبر بيطال قالمق بطلا وطنيا.

- **حسن قاردن** Hasen Qarden له أغاني مشهورة، وهو ملحن موسيقى بارع وافضل من تخصص في الاغاني الوصفية الغنائية مثل (نور الصداقة) وهو ملحن للعزف المنفرد والاوركسترا، وعرض في موسكو يوم ١٩٥٧/٦/٢٠ بمناسبة مرور (٤٠٠) عام على انضمام امراء كباردا (القبرطاي) طوعا مع روسيا ومؤلف نشيد (بلادي) ايضا وكاتب قصيدة (خالدة) والقيت في ذكرى وفاة لينين، بالاضافة إلى كتابة قصيدة بعنوان (جمهوريتي).
- **زالمخان ديشك** Zalimxa'an Dischek

صاحب اغنية (طريق المجد) وغناها بمناسبة مرور اربعمائة عام على الانضمام (الطوعي) لامراء القبرطاي من شراكسة الشرق إلى روسيا عام ١٥٥٧ وفي عهد ايفان الرهيب، ومنح وسام العمل البطولي من رئيس مجلس السوفيات الأعلى. كما ألف أغنيته المشهورة (لازم الشباب الآخرين بنظراتك) وما زالت هذه الاغنية مشهورة بين الشعوب الشركسية في الوطن الأم حتى اليوم.

- **عمر تحبسيم** Umar Tahpsemove

يعتبر من المغنين التقليديين الذي امتدت شهرته خارج القفقاس، ووصلت إلى جميع جاليات الشتات. ومن أشهر أغانيه: عيناك، كتبها بالاشتراك مع (زحانا zhane) وهل (اسمك ميدين؟) كتبها ليوان غوبشوفوف عام ١٩٦٢، والأغنية الشعبية الرقيقة "أغنية القلب" شارك في كتابتها (زحانا).

- **فلاديمير برغون** Vladimir Bercghwn

ويعتبر من أفضل المغنين في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي وهو صاحب صوت أُوبري قوي ملائم أكثر للأناشيد القديمة. وأداؤه العاطفي في أغنية قدامى النارتيين استشعار للأحاسيس الوطنية. وفي

(أغنية بلادي)، يستنهض بطولة أمير محارب من القرن السابع عشر. ونسخته من "سيي فاقا" الساخرة تعتبر إحدى افضل ألحانه الموسيقية ويحظى باعتراف عالمي.

- **حسين ميراميقو** Husien Miramiqua

يتمتع بصوت قوي، لكنه صوت قيثاري يلائم تقديم أغاني تحتاج حنجرة قوية مثل اغنية (خاسة– Xehw) ومعناها (الوطن)، و "أغنية القلب"، وكتب كلماتها عمر تجسم وآخرون.

- **زاور توتوف**، وهو مغني اوبرا وكُرّم من حكومة روسيا الاتحادية مؤخرا.

*** كاتبات الأغاني والمؤلفات والملحنات والمغنيات الشركسيات في الوطن الام:**

اشتهرت بعض المغنيات الشركسيات في الوطن الام بكتاباته الاغاني والتلحين والغناء نذكر منهن كل من:

- **فالنتينا سوسماق Valentina Sosmaq** لها العديد من الاغنيات التقليدية وهي من المغنيات المعاصرات.
- **كوراتس قانشيرغا K'wartze Qashirqhe** من مواليد ١٩٠١ وكانت موسيقارة مشهورة والفت اغاني عديدة مثل (رقصة الحب)، و(رقصة البارتزان).. كما لحنت عام ١٩٥٠ اغنية على شرف الكاتب الكبير (علي شوجن تسوك).
- **الفنانة تمارا نفي**، تحتل الفنانة الموهوبة (تمارا) مكانة كبيرة في قلوب الكثيرين من الشراكسة في القفقاس، والشراكسة الموجودين خارج القفقاس ايضا، واستطاعت هذه الفنانة الناشئة خلال مدة قصيرة، ان تكسب تقدير المستمعين واعجابهم بفنها الرفيع، وصوتها العاطفي القوي، الذي يتمازج مع المشاعر الانسانية النبيلة، وجمال صوتها ليس له مثيل حسب رأي (مخوص روسلان) بقوله للفنانة تمارا: "إنك أصبحت ذات شهرة رائعة"،

فأجابت إن هذا القول سابق لأوانه، حيث لا يوجد لدي إلا القليل من الانتاج، وأردفت تقول: أنا، أرى نفسي مدينة لهذا الشعب الكريم، ولا يمكنني ان أوفيه حقه مهما عملت، هكذا قالت تمارا بذكاء شديد، واحترام كبير لقومها بعيدا عن الكبرياء والترفع، فهي تتحاشى الرياء في أغنياتها، وتبتعد عن الاغنيات المبتذلة، ولم تقم بعمل إلا اتقنته وأكملته، ويقال إنها خلقت وبفمها الغناء، كما كانت والدتها تجيد الغناء ايضا، وكانت تقلدها في أول حياتها الفنية، كما كانت هي الدافعة الحقيقية للسير في اتجاه الفن، كما ان وجودها في (مايكوب)، كمعلمة في أحد المعاهد ساهم في احتراف تلك المهنة.

- **مغنية الاوبرا المشهورة ناتشا غيتاشا** Natasha, Ghestashe

تعتبر (ناتشا) اعظم فنانة اوبرا في بلاد القبرطاي وهي **الحائزة على لقب فنانة الشعب، في جمهورية روسيا الاتحادية السوفياتية الاشتراكية.** كما سجلت العديد من الأغنيات الشركسية والروسية التقليدية، ومن اشهر اغانيها Adige naqme بمعنى اللحن الشركسي أو النغمة الشركسية.

الغناء الشركسي في بلاد المهجر ودول الشتات:

ربما كان الغناء النوع الوحيد من أنواع الفلكلور الشركسي الذي لم يمارس لفترة طويلة في المجتمعات الشركسية في دول المهجر وفي الشتات، كما أنها لم تتطور مثل ما تطورت الانواع الأخرى من الفلكلور مثل الرقص، والموسيقى، والملابس القومية.

والباحث في تاريخ الاغنية الشركسية في بلاد المهجر يجد بأنها كانت تمارس على نطاق ضيق من قبل بعض الفتيات واقتصرت على الاغاني الحربية واغاني الرثاء (الغبزة) واما الرجال فإنهم مارسوا الاغنية الشركسية في بعض المضافات حتى عقد الثلاثينات والأربعينيات في كل من الأردن وسوريا وتركيا،

وان الغناء كان جماعيا اكثر منه فرديا، وجميعهم كانوا من الهواة، ولم يظهر أي مغني محترف في بلاد المهجر، وان كانت بعض الاذاعات العربية سبق أن قدمت بعض المغنين من الشباب الشركسي الهواة في عقد الستينات من القرن الماضي منهم (سيف الدين باتردوك) وهو من شراكسة سوريا وعاش في الأردن فترة من الزمن واشتهر بتقديم اغنية (حاجم يسارق) وهي اغنية عاطفية حزينة * كما زامله في نفس الفترة سميح.

وفي عقد التسعينات، اعيد الاهتمام بالغناء الشركسي في الأردن، بعد أن تأسست فرق نادي الجيل الجديد، ونادي الأهلي في الأردن، حيث قدمت الفرقتين أكثر من مهرجان غنائي راقص في كل من الأردن وفي بعض الدول العربية والأوروبية وامريكا غنى فيها بعض الفتيات والشباب الهواة. كما أن شراكسة سوريا عادوا لإحياء الاغنية الشركسية من خلال عدد من المغنيات والمغنين الذين برزوا في السنوات الاخيرة، وشاركوا في مهرجان الاغنية الشركسية في كل من مايكوب ونالتشك ومن ابرز الفنانين والفنانات المعاصرين من شراكسة سوريا الآنسة عبير دير، وفؤاد بزادوغ.

النوع الرابع من الفلكلور الشركسي– اديغة فاشة Adiga Fascha أو اديغة شيغيين Adiga Shegin أي اللباس القومي الشركسي.

يقول احد الرحالة الذين زاروا بلاد الشراكسة في القرن التاسع عشر "تأملوا إلى الزي الاديغي المسمى "أديغة شيغين" Adiga Shegin، فهو وحده، يساوي ثروة كبيرة، إضافة إلى جمال منظره ودقة صنعه، وصلاحيته للاستعمال في شتى الظروف والأحوال والمناسبات الحربية منها او الاجتماعية، كما انه

* قدمت اذاعة المملكة الأردنية الهاشمية في اواخر عقد الستينات من القرن العشرين برنامج باللغة الشركسية لمدة ساعة، بعنوان "من الفن الشركسي" بإشراف سامي السعيد غوكاصو.

يناسب العمل في الحقل او البيت ويتكون من لباس الرأس المكون من (القلبق) الاسطواني الشكل المصنوع من جلد الماشية، والغطاء الثاني (باشلق) المصنوع من القماش الاملس أو الخشن، والقميص ذو القبة الدائرية المحكمة الإغلاق – دون طيات – ويصنع إما من القماش الخشن للبس في الشتاء، أو من الحرير للبس في الصيف. والازرار التي تصنع من قطع صغيرة من الخشب او المعدن الذي يغطى بجلد الحمل .

أما السترة المخصرة (جانه) التي طورها (الاديغة) قبل الامم الاخرى ذات الاكمام الطويلة بغرض استعمالها كقفازات في الايام الباردة، وذلك قبل انتشار القفازات المعروفة حديثا، وكذلك ابتكار مخازن (الخراطيش) المخاطة على شكل جيوب اسطوانية الشكل على جانبي الصدر، وقبل اختراع (الخراطيش) والاسلحة النارية كان الشراكسة يستخدمون هذه الفتحات لتخزين (اعشاب طبية) متنوعة لمداواة جروح المحاربين في المعارك.

وأما (البنطال، والحذاء عالي الساق) فيشبهان ما كان مستخدما في اوروبا، وقبل التوصل لصناعة الجوارب اعتاد (الاديغة) على لبس حذاء او خف خفيف مصنوع من الصوف المغزول أو القماش، وعندما يعود الرجل، او المحارب الى بيته، يخلع الحذاء الخاص بركوب الخيل حتى لا تنتقل الاوساخ العالقة به إلى داخل البيت، ويتنقل داخل منزله منتعلا الخف الخفيف المسماه (فاقه).

وتابع وصفه للباس النساء بقوله:

"وملابس النساء جميلة جدا، مطرزة بخيوط من الفضة والذهب، ومكونة من القلنسوة (البأة) كلباس للرأس، والصدرية التي تشبه (الدرع) في شكلها ومصنوعة من القماش الاسود في العادة، وتلبس فوقها فستان طويل مفتوح من الأمام (ويقصد به الكاب) يغطي القدمين، مع اكمام عريضة وطويلة جدا فيلامس الأرض تقريبا.[٣٢]

اما الرحالة المجري (جان شارل) الذي زار بلاد الشركس عام ١٨٢٩، ربما كان افضل من وصف اللباس القومي الشركسي للرجال بقوله: ".. إن ملابس الشراكسة الحالية والتي سادت على لباس شعوب القفقاس، خفيفة وانيقة وتتناسب جدا مع امتطاء الخيول وخوض المعارك، فهم يرتدون قمصانا من الكتان او التافتا البيضاء او الصفراء او الحمراء، وتزرر هذه القمصان من الامام، وتدعى لديهم (يانا أو جانا) ويرتدون فوق القمصان سترة من الحرير من أولوان مختلفة وتدعى (كابتال) ومن ثم معاطف (سيروتوك) طويلة تصل إلى أعلى الركبة تسمى (تسية) وتثبت عند الخصر بأحزمة ومثبتات من المعادن الثمينة، وعلى صدر المعطف ومن كلا الجانبين توجد ثمانية اماكن لوضع الطلقات.." ثم يتابع وصفه المفصل لكل من البناطيل والاحذية والقبعات ثم يضيف قائلا:

"... والآن ومنذ سنوات عدة يقف على حراسة أبواب القيصر (نيقولاي) اللواء الشركسي الذي يصل تعداده إلى خمس مائة محارب، يقومون بدور الحرس الامبراطوري، وكل من شاهدهم يقول بأن زيهم العسكري رائع للغاية ويجلب انتباه الكل في العاصمة، وبالفعل فإن للشراكسة شكلهم العسكري المميز وخاصة وهم معتلون صهوات جيادهم، فهم يمتطون ظهور الجياد منذ الطفولة حاملين اسلحتهم، وقد يمضون احيانا يوما كاملا على ظهور الخيل، واسلحتهم من النوع الممتاز وغالية الثمن جدا ويحتفظون بها دائما نظيفة براقة، كما يعتنون بخيولهم طوال الوقت ويضعون عليها سروجا انيقة جدا شبيهة بالسروج المجرية". (٣١).

أما (جوناتوقة) المؤرخ الشركسي فقد قال عام ١٨٤٤ بأن: "اللباس الجركسي في مجموعه يصلح لأن يكون لباس الرجل بكل معاني الكلمة، وأن أنسب الأزياء للرجل الكامل في الحياة العامة وفي الوقت نفسه هو الزي الجميل المناسب للفارس الخيال، وهو الآن الزي القومي لعموم سكان القوقاز، واتخذته السلطات

الروسية القيصرية زياً رسمياً لجميع فيالق (القوزاق) بعد ادخال تعديلات طفيفة عليه. كما يلبسه كثيرون من امراء الامبراطورية الروسية القيصرية.

وأما الفيلسوف الالماني (يوغان غوتنيلد غيرور) فقد وصف ملابس الفتاه الشركسية بقوله:

"أما ملابسهن فكانت تزيد من جمالهن. حيث كن يلبسن اثوابا زرقاء سماوية، تغلق عند الصدر بأزرار فضية، وفوقها تنورة عريضة مفتوحة من الأمام، وسراويل ملونة واسعة، وايديهن مغطاة بأكمام قمصانهن الطويلة المصنوعة من الحرير الأحمر أو الاصفر والمفتوحة حتى المرفق.

الاثواب والسراويل والقمصان كلها مطرزة بخيوط الفضة. وعلى رؤوسهن قبعات صغيرة". (٣٢)

وفي دراسة للعلامة (مورجان) حول العلاقة بين قدماء الشراكسة والحثيين التي نشرها في القرن الاول للميلاد، يؤكد فيها على وجود تشابه كبير بين ازياء وملابس قدماء الشراكسة من الرجال وأزياء الحثيين الذين حكموا شعوب القفقاس في عصور ما قبل التاريخ، وان التشابه كبير في كل من (القلبق) وهو لباس الرأس للرجال وكذلك (التسيه Tsieh) وهو المصنوع من اللباد، واما (القاما) وهو السلاح الشخصي الذي لا يفارق الرجل الشركسي يشبه ايضا (القامه) الحثية (٣٣) ونستنتج مما تقدم بأن الحيثين اخذوا عن الشراكسة الاجزاء الرئيسية المكونة لزيهم الخاص. ودليلنا على ذلك هو ان ظهور الملابس القومية لدى شعوب الامة الشركسية اقدم بكثير من زمن قدوم الحثيين إلى بلاد القفقاس والاستيطان فيها وحكم شعوبها.

*** مكونات الزي القومي الشركسي:**

بالبحث عن تفاصيل الزي القومي الشركسي (قديما وحديثا) وجدنا بأنه يتكون من نوعين من الزي فالأول منه هو: الزي القومي الخاص بالذكور (اطفالا وشبابا ورجالا)، والثاني هو الزي الخاص بالنساء (اطفالا وفتيات ونساء).

أولا: مكونات اللباس القومي الشركسي الرسمي الخاص بالرجال

يتكون الزي القومي الخاص بالرجال من ثمانية قطع من اللباس بالإضافة إلى أربعة قطع من توابع ومستلزمات تكمل الزي القومي، وهي على النحو التالي:

١) (البأة) (Pa'a) وهو اللباس الخاص بالرأس عند الشراكسة ويسمى بالعربية (القلبق) أو (القلنسوة) مصنوع من جاعد (فرو) الخرفان ويكون على عدة أحجام وأشكال.

٢) (الباشلق – Bashliq) وهو عبارة عن وشاح مصنوع من الصوف الابيض ويوضع فوق (القلبق).

٣) (قبتال qapeta) وهو رداء يشبه المعطف الخفيف، مفتوح من الأمام متوسط الطول، يلامس الركبتين، ويوجد على الصدر من كل جهة سبعة جيوب اسطوانية الشكل لها (فتحات) يسمى (حزر Hazer) في كل منها (انبوب) مغطى من أعلاه بقطعة فضية، وكانت مخصصة لخزن (ملح البارود) خلال الحروب والادوية قبل مرحلة اختراع البارود، و(القبتال) يكون اسود اللون أو ابيض، واحيانا أحمر اللون أو أزرقه.

٤) (شاكوا. Shakwa) تشبه العباءة الطويلة مصنوع من الصوف، بدون أكمام، ويغطي الفارس من عنقه ويتدلى على ظهر الحصان من الخلف لوقاية كل من الفارس والحصان من البرد أو المطر.

٥) قميص (جانا – Gana) ذات رقبة عالية يغلق بأزرار من الامام بـــ (عرواة) قماشية، أبيض اللون أو أحمر ومصنوع من الكتان أو أي نوع قماش مناسب.

٦) (بربخ) (Bereb'x) وهو الحزام الجلدي، رفيع وذو شراشيب جلدية مُزخرفة بصفائح من الفضة.

٧) (غون – جك) (ghwen – cheg) وهو عبارة عن (سروال طويل) مصنوع من القماش الاسود ذا ارجل ضيقة من الاسفل، وسراويل الخيالة تكون منتفخة للخارج من مستوى الركبتين، ومخاط عليها من الداخل قطعة جلدية لحماية البنطلون من أثر الاحتكاك بجسم الحصان او بالسرج.

٨) (فاقة – Vaqeh) الحذاء الطويل (الجزمة) وهو يصنع من الجلد ويكون احيانا قابلاً للفتح من الجانب لسهولة اللبس، ويغلق برباط جلدي، ويمكن ان يكون (الساقان) منفصلين عن الحذاء نفسه، وفي هذه الحالة يرتدي الرجل الحذاء العادي ذا الرقبة المرتفعة.

لوازم وتوابع الزي القومي الشركسي للرجال من أدوات وأسلحة شخصية وتتكون من الأدوات والمستلزمات التالية:

١) (القامة) (أو الخنجر الشركسي) فهو أكبر من الخنجر وأصغر من السيف العربي، وله مقبض مصنوع من المعدن المطعم بصفائح فضية. أما النسل فهو مصنوع من المعدن حاد من الجانبين وذو رأس مدبب.

٢) (قامشة quasheh) وهو من مستلزمات الفارس الشركسي ومعناه (الكرباج او السوط) ويتكون من قطعتين متصلتين ببعضهما برباط جلدي من الوسط، فالقسم العلوي مصنوع من مادة صلبة (خيزران مثلا) مغطى بطبقة جلدية وله مقبض. أما القسم السفلي فهو أقل سماكة من القسم العلوي مصنوع من مادة مرنة مثل الجلد، وثبت في نهايته قطعة جلد رقيقة منبسطة حتى لا يؤذي جلد الحصان عند ضربه من قبل الفارس.

٣) (الكراخوة Carakhwa) وهو سلاح شخصي كان يحمله قدماء الشراكسة بشكل دائم، ويعتبر حمله من مقومات الرجولة ومن مستلزمات الدفاع عن النفس، يشبه الطبنجة أو (البندقية القصيرة) فهي أكبر من المسدس وأصغر من البندقية العادية، مقبضها مغطى برقائق من الفضة كما ان فوهتها تكون مزخرفة بالفضة ايضا.

٤) (سَ شخوة schxwe) وهو السيف الشركسي ويشبه السيوف المعروفة حاليا مع الاختلاف في الطول، فهو متوسط الطول كما ان غلافه الخارجي (البيت) مغطى برقائق من الفضة، ونصله مقوس قليلا ومدبب الرأس وحاد جدا من طرف واحد وليس من طرفين.

٥) (وانه – Waneh) وهو سرج الحصان ويصنع من الجلد، يثبت عليها مخدات قطنية على شكل نصف دائرة عددها (٤) مخدات بحيث يساعد ركوب الفارس مدة طويلة دون ان يتعب، كما كان طول (الركاب) يسمح بالوقوف عليه مما يسمح للفارس حرية الحركة لجميع الاتجاهات بدون اعاقة.

٦) (وبا – Wepa) ويتكون من الرسن واللجام، واللجام يصنع بأسلوب يسمح بحركتين او شدتين (تشبه فرامل السيارة المكون من حركتين) فالاولى خفيفة والثانية قوية يوقف الحصان فورا.

ثانيا: الزي اليومي العادي للرجل الشركسي او الفتى او الشاب ويتكون من القطع التالية:

(البآة) أي القلبق، (والجانا) أي القميص (والقبتال) أي المعطف الخفيف (والبربخ) أي الحزام والبنطلون أي (غون – جك) و(الفافة) أي الجزمة (طويل الساق) وقصيرها (والقاما) أي الخنجر، و(الكراوخة) أي المسدس، أما (الباشليق والشاكوه) فكان يلبسهما عند السفر على الخيل وخاصة أيام فصل الشتاء.

ثالثا: مكونات الملابس الشركسية الخاصة بالقتال وتتكون من القطع التالية:

١) الدرع الواقي المصنوع من زردات معدنية على شكل (شبك) يلبسه المقاتل الشركسي لوقاية صدره خلال المعارك.

٢) الخوذة المعدنية، وتصنع من زردات معدنية أو على شكل خوذة معدنية (صلب).

رابعا: اللباس القومي الخاص بالمرأة الشركسية وتوابعه

إن الدارس للازياء القومية للمرأة لدى الشعوب والقوميات القديمة في العالم عامة وفي مناطق القفقاس خاصة، يجد أن الزي القومي للمرأة الشركسية من أجمل الأزياء لدى الشعوب والقوميات الأخرى، وأن هذا الزي ما زال من أجمل الازياء القومية المعاصرة بالرغم من مرور الآف السنين على ابتكارها من قبل شعوب الأمة الشركسية.

وقدم لنا أحد المختصين من القبرطاي في جمهورية كباردينا – بلقاريا وصف الزي الخاص بالمرأة الشركسية قائلا:

"كان زي الفتاة الشركسية الرسمي غنيا بالزركشات الموشاة بخيوط مستمدة من الذهب والفضة تعطي الزي الرونق والبهاء" ويصف زي المرأة الشركسية قائلاً بأنه **الرداء الخارجي**، يتشكل من قطعتين، تمتد حتى خصر الفتاة، ويكون ملاصقا لجسم الفتاة تماما، أما الاكمام فكانت ضيقة ومستقيمة وطويلة حتى الرسغ.

واما القطعة السفلية، فكانت بثنيات او بدون ثنيات وفقا لطبيعة القماش. وكانت الاطراف موشاة بخيوط ذهبية وفضية بينما كان رداء **المتزوجات** خاليا من الخيوط الذهبية واقتصرت على الأزرار والأحزمة الفضية.

وبالنسبة للصدرية الظاهرة تحت الثوب الخارجي، فقد كانت تشتمل على اربعة عشر زوجا من المرابط او الازرار (تشوء) وتلبس بشكل يتناسب مع الخيوط والزركشات ذهبية كانت ام فضية.

واما اللباس الذي كان يستعمل في المناسبات والاعياد، لا سيما في حفلات الزواج من قبل الفتيات والسيدات الشابات، فقد كان يطلق عليه اسم (تساي Tesey) ويخاط بحيث تكون الاطراف متباعدة تدريجيا من الاعلى إلى الاسفل وعكس ذلك عند الصدر وعند التقاء طرفي الرداء في منطقة الحزام تخاط الازرار التي لا يزيد عددها عن ثلاثة.

(والتساي) يصنع من الحرير او المخمل. كما أن الجزء السفلي يتكون من سبع قطع حيث تشكل كل واحدة منها شكل اسفين، وكانت الاجزاء الامامية والخلفية تتكون من قطع مخاطة ببعضها البعض، وأما الجانبان فيتكونان من اجزاء مفتوحة من كل جانب، واما الاكمام فكانت رقيقة من اعلى الكوع، عليها قطع من القماش المزركشة بالمطرزات الذهبية. وكان (التساي) يزين (مقطع) ذهبية وفضية كبيرة الحجم.

وأما الاطراف، فكانت تزين بالاشرطة المقصبة، بالخيوط الذهبية أو الفضية. وكان (التساي) في بعض الاحيان يزين بالاشرطة المقصبة بالخيوط المذهبة فقط، وكانت الفتاة ترتدي تحت التساي، قميصا حريريا ملونا محاكا على طريقة التساي، ويمتد القميص الى ٣٠ سم تحت الحزام. وكان يشد بأزرار او مرابط ذهبية او فضية عند الصدر، وتظهر من تحت التساي، وكان القميص يحاك من الحرير او المخمل بزخارف بديعة والوان زاهية مع بطانة رقيقة. والحزام

الفضي او الذهبي الذي كان يستعمل فوق التساي اختلف شكله عند النساء عنه عند الفتيات بعرض مربطه، فكان عند النساء اعرض.

كما كانت الاحزمة اكثر اناقة ولها خشاخيش صغيرة على مربط الاحزمة وقد زين بالاحجار الكريمة وبالمذهبات.

اما "الانشوغ" فكان يحاك بخيوط من الذهب، ويزخرف بأشرطة مذهبة وقطع من القماش المزركش[٣٢]. كما هو مبين في الصورة المرفقة.

واما الكاتب (جموخة) فكان اكثر تفصيلا في وصفه للزي النسائي الشركسي بقوله: "كانت ملابس النساء أكثر زخرفة من ملابس الرجال. فالمعطف الخارجي، سواء أكان طويلا أم قصيرا كان مصنوعاً من مختلف أنواع الأقمشة، والصدر مزرر باثني عشر زوجا من (الابزيمات) المزينة بالفضة والطلاء الذهبي، وكان الجزء العلوي من الثوب دون بطانة من الداخل، ويسمى "تساي" (Tesey) وكان لهذا الثوب كمين مخمليين متدليين، مطرزين بخيوط مذهبة وفضية.

والقميص (الصدرية) الحريري أو القطني الخفيف، يكون بكمين طويلين وعريضين، يطولان حتى يصلا الأرض تقريبا، ويغطيان القدمين أيضا، وما يعطي الانطباع بأن النساء الشركسيات ينزلقن على الأرض عندما يرقصن. وكانت النساء والفتيات يرتدين بناطيل عريضة مصنوعة من أقمشة مقلمة، وكانت بنات الطبقات الراقية يرتدين معاطف من مختلف أنواع الفراء، مغطاة بأنسجة مقصبة او مطرزة، أو انسجة قطنية أو فضية، وموشحة بخطوط فرائية بعرض تسعة سنتيمترات تقريبا. أما عامة الشركسيات والفقيرات من النساء، فكن يرتدين معاطف مصنوعة من جلود الأغنام.

وكانت تلبس الحزام الشركسي (الجلدي) الأحمر، أو بأي حزام من الجلد، مزين بدبابيس ذهبية أو فضية، وبخيوط وشراريب من فضة.

وكان المشبك (الابزيم) مصنوعا من ذهب او فضة أو نحاس، حسب المرتبة الاجتماعية. فنساء الطبقات العليا ميسورات الحال، كن يرتدين (حلية) فنية كبيرة متدلية مصنوعة من الذهب أو الحجر الكريم.

وأما القلنسوات النسائية فكانت مصنوعة من القماش العريض، ونادرا ما كانت من المخمل، لكنها لم تكن أبدا من الفراء، وكانت تزين بزركشة رفيعة من الفضة أو الذهب في أعلاها، وبآخر عريضة في الأسفل، ومطرزة بدرزات من الساتان. ويغطي القلنسوة خمار أبيض شفاف. وفي غالب الاحيان، كانت تزخرف بأزرار من الفضة الخالصة، وذات بريق ولمعان في طرفها، وكان لبعض القلنسوات شراشيب صغيرة تتدلى من الطرف العلوي. تسمى "شهينشوق"، وهي مختلفة عن قلنسوة الفتيات اللواتي كن يضعن غطاء على الرأس، ويكون في العادة وشاحا من الحرير، مع بقاء الوجه سافرا. أما النساء الأكبر سنا، فكن يغطين شعورهن بشالات بيضاء مصنوعة من القطن.

وكانت النساء يلبسن أحذية ذات أكعاب عالية، ونعل سميك، وجلد ناعم، وكانت أحذية بنات الاثرياء مزينة بشكل بارز بالذهب والفضة، كما ان الصبايا والفتيات من بنات النبلاء والاسر الغنية يرتدين أحذية خشبية (بحة فاقه – Pxevaqe) بمختلف اشكال الزركشة ويصل ارتفاع الكعب إلى حوالي سبعة سنتيمترات، كما كن يلبسن في مراحل لاحقة (قفازات طويلة مصنوعة من القماش او الصوف).

وجرت العادة عند سن البلوغ، مطالبة الفتيات بارتداء صداريات قصيرة ضيقة دون أكمام، مصنوعة من الجلد (الاحمر) او الجلد الاعتيادي، أو من القماش، ترتدينها تحت القميص الفضفاض. (وهذا ما يذكرنا بالمشدات والصداريات الاوروبية) وكانت هذه الصدارية تشد بإحكام بشريط حريري، وتغطي الصدر حتى حزام الخصر. وإضافة إلى تدعيم الجسم، فإن الصدارية تعمل على الحد من نمو

الثديين، وتظل الفتاة محتفظة بهذه المشدات حتى ليلة عرسها، حيث يقوم العريس بنزعها (بالقاما). ولم ترتد الشابات الملابس الأكثر تواضعا إلا بعد الزواج، عندما يبدأن تغطية الرأس بقماش من الكتان الابيض، الذي يزم تحت الذقن. (٣٣)

نستنتج مما تقدم من اوصاف للزي القومي للمرأة الشركسية بأنه يتكون من (تسعة) قطع، وهي على النحو التالي:

١- (البآة) وهو لباس الرأس الخاص بزي المرأة الشركسية مصنوعة من القماش المخمل المطرز بخيوط فضية أو ذهبية ولها عدة احجام وأشكال فمنها المرتفع قليلا ومنها المنخفض.

واما العرائس والفتيات فكن يلبس على رؤوسهن قبعات وعلى حافتها شرشوبة من الفراء الثمين، والعروس كانت تحتفظ بالقبعة حتى الولادة الاولى وعمها (والد زوجها) هو الشخص الذي كان يحق له ان يرفعها عن رأسها وعليه ان يجزل العطاء لوليدها ويقدم إليه خير ما عنده من الماشية والخيل وغيرها حسب العادات والاعراف الشركسية.

وتستعيض العرائس عن القبعة بمنديل من الحرير، والنساء المتقدمات في السن كن يغطين رؤوسهن بمنديل ابيض مصنوع من القطن أو الحرير.

٢- (آلا – ش – Ala – sha) يشبه الاشارب او المنديل الذي ترتديه النساء المسلمات ومصنوع من أي نوع من القماش الشفاف الخفيف أو من الحرير ذي اللون الأبيض ويوضع فوق (البآة) او غطاء الرأس ويتدلى إلى الخلف وإلى مستوى اسفل الركبتين كما يغطي الكتفين.

٣- (جانا) وهي الصدرية القصيرة وتصل إلى مستوى خصر المرأة ومصنوعة من القماش الاسود السميك نسبيا وتغلق من الامام بقطع قماشية عرضية مطرزة بالذهب أو الفضة، ولها رقبة عالية مغلقة بالكامل وليس لها أكمام (وتشبه شكلا

درع المحاربين القدامى) ويمكن ان يكون لونها غير الاسود، وإن كان الأسود هو اللون الرسمي لزي المرأة الشركسية.

٤- (بيربخ) (Berebx) وهو عبارة عن (زنار) حزام ذا تصميم خاص مصنوع من رقائق المعدن المرصع بالفضة أو الذهب عريض الشكل عند التشبيك من الامام وأكثر عرضا في الاجزاء الاخرى من الزنار.

٥- (تساي اوتسي Tesey) ويشبه (الكاب) او الجلابية النسائية الطويلة (التي تغطي الكعبين، اسود اللون، مصنوع من القماش المخمل أو القماش القطني السميك مطرز طوليا بخيوط فضية ابتداء من مستوى (الخصر) وحتى اسفل (الكاب) وبمعدل من (٣-٤) خيوط طولية من الامام. مغلق من مستوى (الزنار) وحتى نهايتها بمشابك نحاسية (ازرار) أو (Zeb) سحاب، وأما الجزء العلوي الامامي فوق الحزام فيكون مفتوحا، لإبراز جمال الصدرية المطرزة بخيوط الذهب أو الفضة.

٦- الصدرية، وهي عبارة عن مشد مصنوع من الجلد أو القماش ويغطى منطقة صدر الفتاة غير المتزوجة وكانت الصدرية تشد بأحكام بشريط من الحرير، والهدف من لبسها هو ايقاف نمو الثديين على اعتبار ان جمال الفتاة بتناسق جسدها وعدم بروز الثديين وتستخدمها حتى ليلة الزفاف وعلى العريس نزعها برأس (القاما) دون خدش صدرها.

٧- (غون – جك) وهو السروال (البناطيل) المصنوعة من القماش المخططة (مقلمة) في العادة تكون لها ثنية من أسفل عند مستوى (الكاحل).

٨- (الفاقه – Vaqa) وهو الحذاء النسائي ويصنع على عدة أشكال وأنواع وألوان يكون نعله من الاسفل جلداً ومن القماش المطرز أو المخمل، كما ان الحذاء يختلف ما بين حذاء برقبة او بدونها، وفي عهد الاقطاعيين بدأت الفتيات

الارستقراطيات لبس احذية مصنوعة من الخشب المزركش ذات كعب عالٍ يصل إلى (٧ سم).

٩- الحقيبة اليدوية النسائية، وتصنع من القماش المخمل مطرز عليها خيط من الذهب أو الفضة ذات زخرفة جميلة، وهي مخروطية الشكل، ضيقة من الاعلى وعريضة في القاعدة. قابلة للانطواء طوليا، ولها مقبض قماشي من أعلى.

اللباس الشركسي القومي في بلاد المهجر ودول الشتات.

ربما كان من أكثر عناصر الفلكلور القومي الشركسي الذي يتمسك به الشراكسة في بلاد المهجر عامة وشراكسة البلاد العربية وتركيا خاصة **هو اللباس القومي الشركسي لكل من الرجال والنساء** وقد لا تجد اسرة شركسية لا تقتني في بيتها لباسا شركسيا للكبار عامة وللصغار والاطفال خاصة، وان الغالبية العظمى منهم يحتفظون بصور لهم باللباس القومي الشركسي.

وربما كان المؤرخ الشركسي (برزج سمكوغ) افضل من عبر عن تمسك شراكسة المهجر باللباس القومي الشركسي بقوله:

"ولا تزال العائلات الشركسية في المهجر، تحتفظ بأقسام واجزاء من هذا اللباس الجميل الذي تعتبر اجزاؤه تراثا شعبيا لا تسهل صناعته اليوم كرباط الوسط (القشاط) المزين بقطع فضية مزخرفة وثمينة تعلق عليها مختلف الاسلحة والادوات، وخراطيش البارود التي تزين جانبي الصدر، والتي تصنع من الخشب الثمين وتطعم بالفضة المزخرفة، وكذلك سلاح (القاما) الشهير الذي تصنع شفرته من الحديد المصقول، ويزين غمده بالجلد والزخارف الفضية، وكذلك نذكر لباس الفتيات المحتشم الجميل المطرز بخيوط الذهب والفضة".[٣٤]

وكذلك فإن الملك عبدالله بن الحسين المؤسس سبق أن أقر اعتماد اللباس الشركسي كلباس رسمي للحرس الملكي الخاص منذ تأسيس امارة شرق الاردن عام ١٩٢١ واستمر هذا الحرس في عهد الملك حسين بن طلال وكذلك في عهد الملك عبدالله (الثاني) بن حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية حاليا.

كما ان المتحف الوطني الأردني يحتفظ باللباس القومي الشركسي ضمن مقتنياته على اعتباره من التراث الوطني الأردني.

وكذلك فإن الشراكسة في جميع مجتمعاتهم الخاصة في بلاد المهجر يحتفظون باللباس القومي الشركسي كرمز للتراث القومي الشركسي كما أنهم يستخدمونه في العديد من المناسبات الاجتماعية ونذكر منها:

١- مناسبات الاعراس، وخاصة للاطفال.

٢- التقاط الصور التذكارية للكبار والصغار، ويكاد لا توجد أسرة لا تحتفظ بصور لها باللباس القومي الشركسي.

٣- عند استقبال كبار ضيوف مؤسسات المجتمع المدني من جمعيات وأندية رياضية وثقافية في الاحتفالات والمناسبات القومية والرسمية.

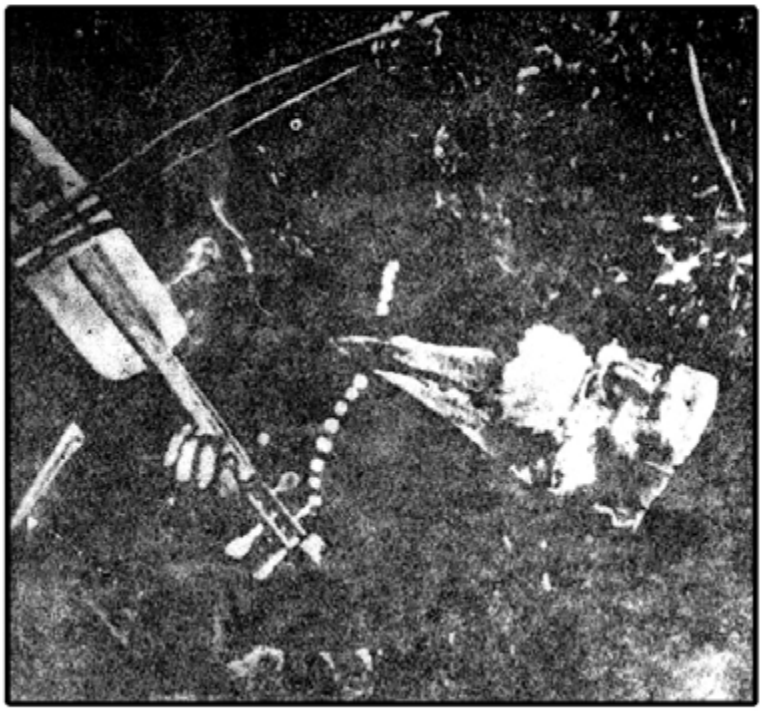
هذا بالإضافة إلى استخدامه من قبل فرق الرقص القومي الشركسي التي أسستها الجمعيات والأندية الشركسية في بلاد المهجر.

وفيما يلي صور من الفلكلور القومي الشركسي تعبر عن الغناء، والموسيقى، والرقص، واللباس القومي الشركسي لكل من الرجل والمرأة.

صـــور

تمثل الغناء

القومي الشركسي





نموذج للغناء الفردي والجماعي الشركسي مع الموسيقى



نموذج من الغناء الجماعي الشركسي بدون مرافقة الموسيقى

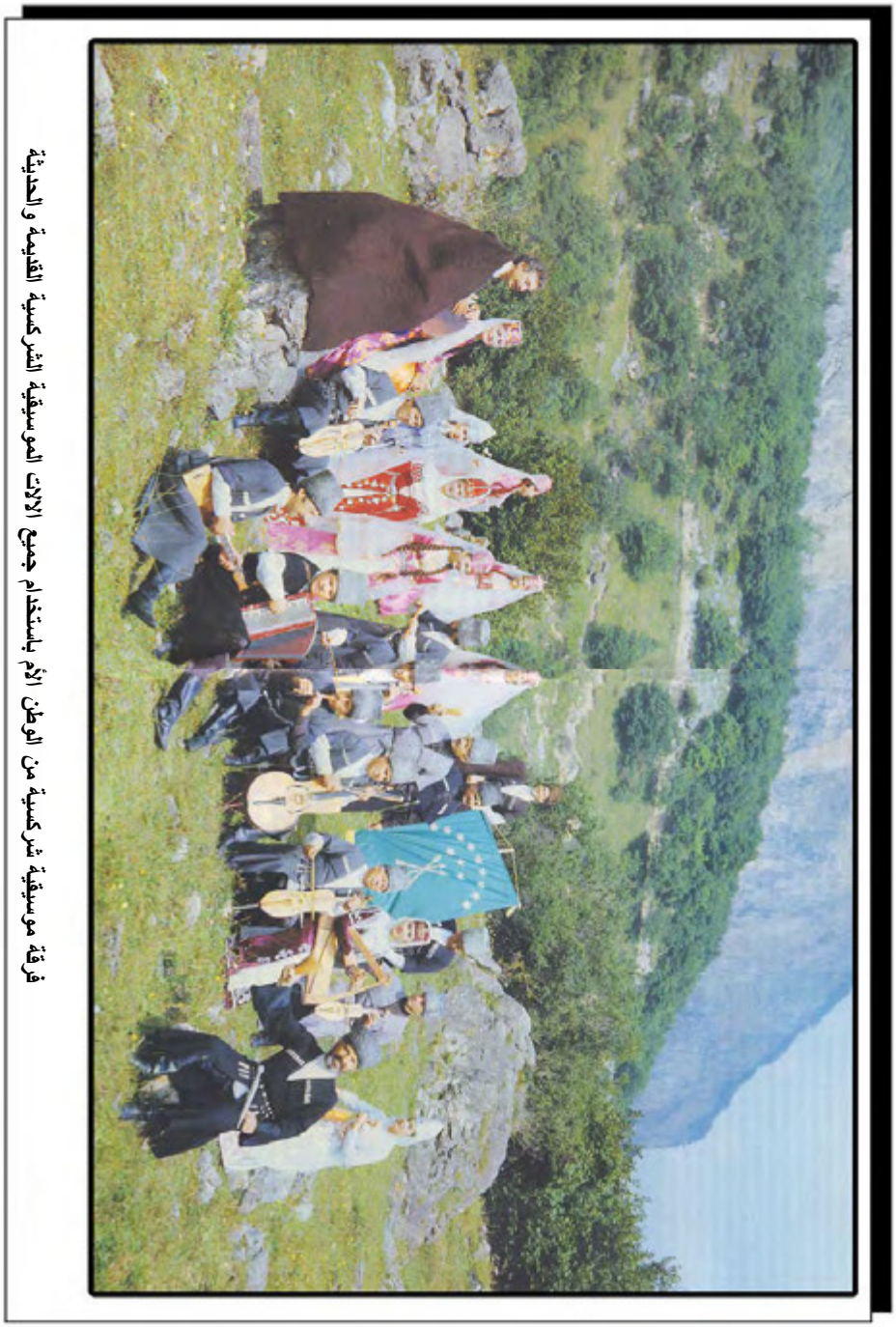


فرقة غنائية من الفرق التي شاركت في مهرجان الأغنية الشركسية في مايكوب عام ٢٠٠١

صور

تمثل فرق الموسيقى الشركسية

في الوطن الأم



فرقة موسيقية شركسية من الوطن الأم باستخدام جميع الآلات الموسيقية الشركسية القديمة والحديثة



فرقة غنائية / موسيقية للأطفال الشراكسة



فرقة موسيقية شركسية باستخدام اكثر من (طبل)



عازف وعازفة شركسية على آلة القيثار – شكابشينه



عازف على الناي، وآلة القيثار الشركسي

صور

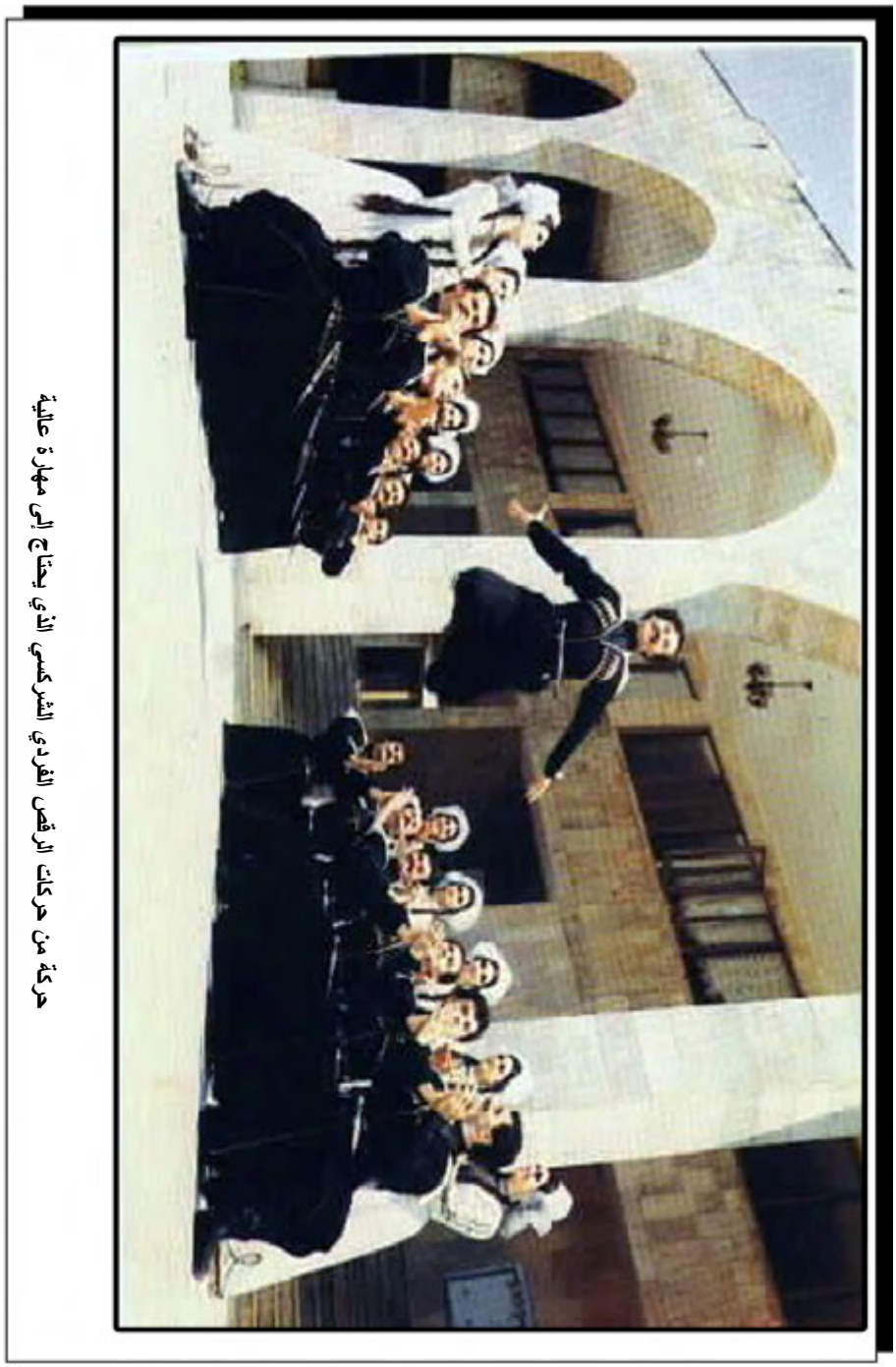
تمثل الرقص الفردي والرقص الجماعي والاستعراضي لمختلف الفرق القومية الشركسية في الوطن الأم وفي بلاد المهجر



رقصة السيوف وهي من الرقصات الاستعراضية الشركسية العنيفة جدا



رقصة أخرى من رقصة السيوف



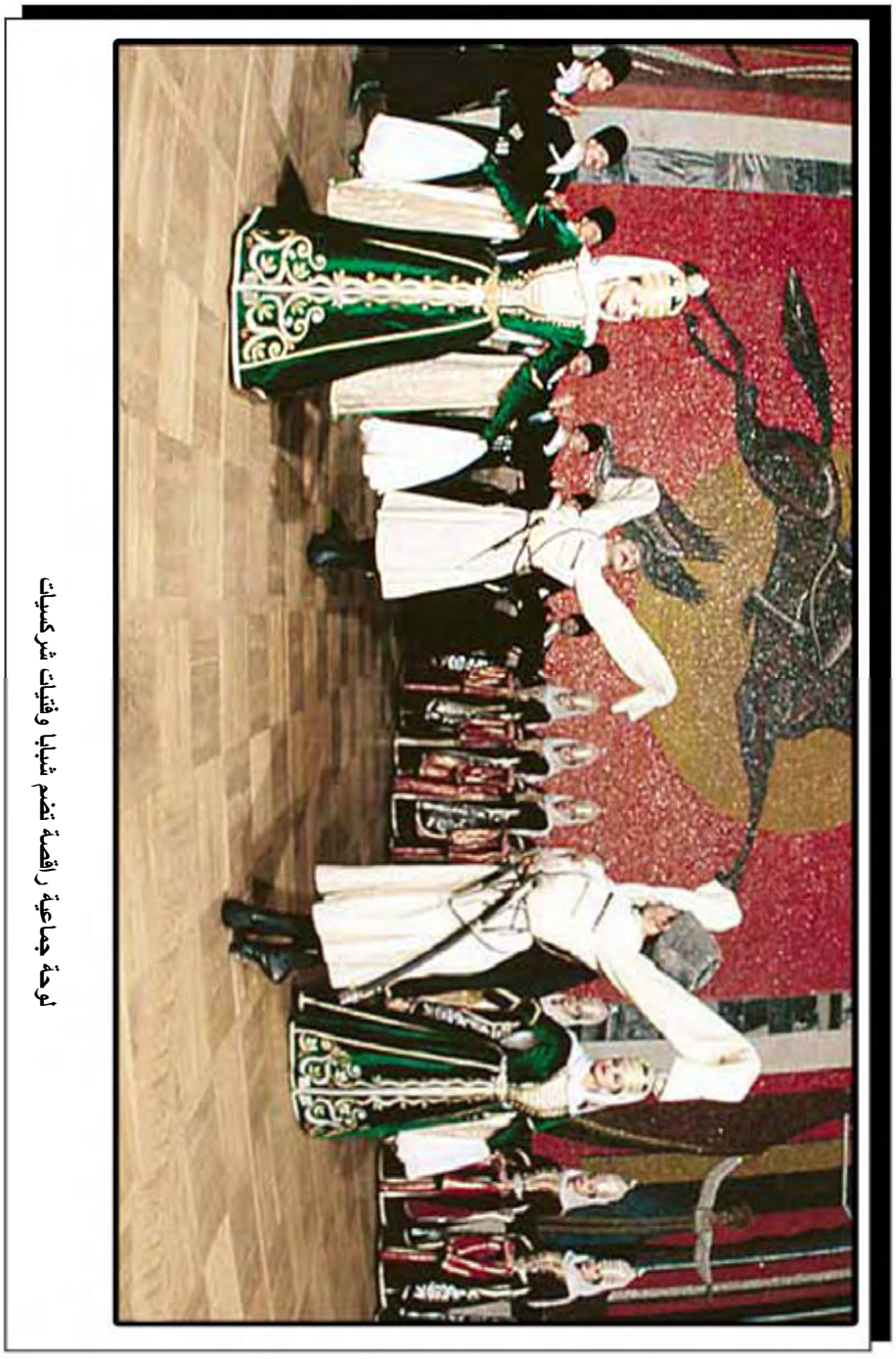
حركة من حركات الرقص الفردي الشركسي الذي يحتاج إلى مهارة عالية



حركة القفز في الهواء نوع من أنواع الحركات المطلوبة للرقص الشركسي السريع



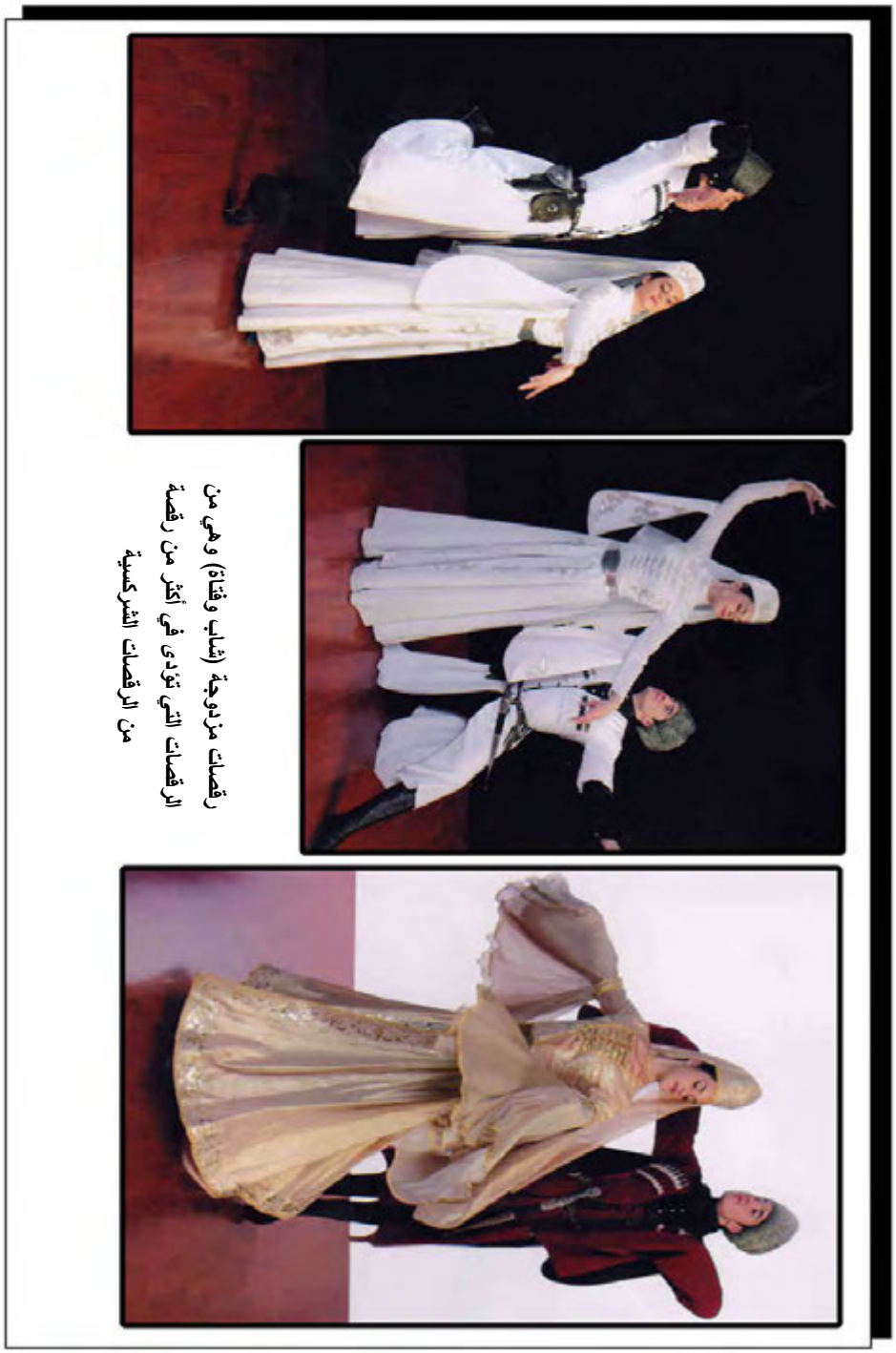
رقصة جماعية من الشباب والشابات مع حمل احد الراقصين عاليا على الاكتاف



لوحة جماعية راقصة تضم شبابا وفتيات شركسيات



رقصة الزفاكو وهي من الرقصات القديمة عند الشراكسة



رقصات مزدوجة (شاب وفتاة) وهي من الرقصات التي تؤدى في أكثر من رقصة من الرقصات الشركسية



رقص استعراضي لفرق اسلامية شهيرة في جمهورية الاديغي



فرقة نادي الجيل الجديد في احدى حفلاتها في مهرجان جرش في الأردن



فرقة نادي الأهلي في عمان، في احدى تدريباتها استعدادا لحفل فني على المدرج الروماني في عمان



فرقة أطفال مدرسة الأمير حمزة في عمان



فرقة (البروز) للرقص القومي الشركسي / الجمعية الخيرية الشركسية في دمشق



صور تمثل نشاطات فرقة فرع (القدسية) التابعة للجمعية الخيرية الشركسية في دمشق

صور

تمثل نماذج من اللباس القومي

الشركسي للرجال، والسيدات

والشباب والأطفال



نموذج لحياكة (تفصيل)
اللباس (القومي) للمرأة
الشركسية منذ القدم

نموذج آخر من لباس
المرأة الشركسية

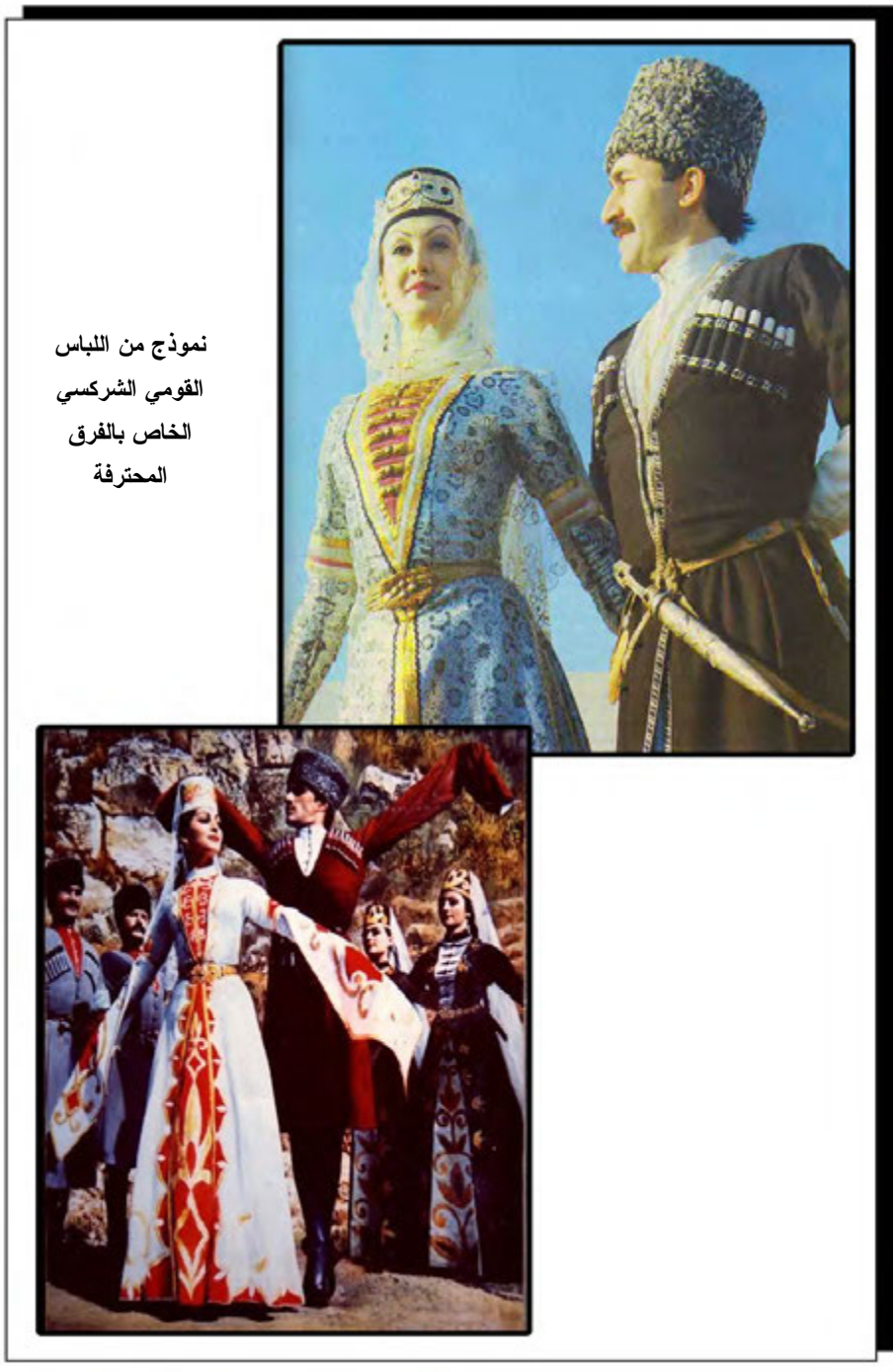


نموذج لحياكة لباس
القومي للرجل الشركسي
منذ القدم

نموذج آخر للباس
القومي مع (الشاكو)

نماذج من لباس الرأس للمرأة الشركسية





نموذج من اللباس
القومي الشركسي
الخاص بالفرق
المحترفة

صورتان
تمثلان لباس القومي
الشركسي مع
(الشاكو)





زيد وحمزة نارت مامسر (باتسج) من الجيل الرابع لشراكسة الأردن في اللباس القومي الشركسي

مراجع ومصادر الفصل السادس من الجزء الرابع في المجلد الثاني

١) كوبه، شعبان، **الفلكلور الشركسي في الاديغي**، مجلة الاخاء، الجمعية الخيرية الشركسية/ وادي السير الاردن، العدد (١٢) السنة (٢) حزيران ١٩٧١، ص: ٢.

2) Adighe. R, Cherkess cultural life, in Caucasian Review, Munchich, No. 2, 1456. pp. 85-104.
3) Jaimoukha, Amjad. The Circassians (a hand book), Cunzon press, England. 2001, pp. 238-239.
4) Abrahmou. M. Arseni, Three Songs: song of the staknanovites, 2. Hamid, 3 Cradle Song 1936-1939.
5) Keshokov., Alim, Songs of. Thekolkho2, Horse herd, the mother. Street Star. 1955.

٦) جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٣٤-٢٣٥.

٧) مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية / عمان العدد (٢٩) شهر ايار ١٩٧٧، ص: ١٥.

٨) مجلة البروز، الجمعية الخيرية الشركسية – دمشق العدد (١١) ص٣١.

٩) جموخة، أمجد، مصدر سابق ص: ٢٣٣ – ٢٣٤.

١٠) يزبك، باتريك، مصدر سابق ص: ٤٧-٤٨.

١١) مامسر، محمد خير، نقلا عن معمر شركسي من شراكسة الاردن – عام ١٩٥٢.

١٢) جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٣٩- ٢٤٠.

١٣) شامي، جانسيت برقوق، الرقص الشركسي، مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، ترجمة محمد خير قبرطاي العدد (٤) عام ١٩٨٤، ص٢٨-٣٠.

١٤) جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٤١-٢٤٢.

١٥) حفتزة، محمد، **مونيكا شامرزا راقصة الباليه العالمية**، ترجمة محمد خير خواج، مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية – عمان، العدد (٢٧) شهر اذار ١٩٧٧، ص: ١٤-١٦.

١٦) مجلة الواحة، **الشركسي الذي يزين سيرك باريس**، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان العدد ٢١ شهر نيسان ١٩٧٧، ص: ١٨.

١٧) جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٣٧.

18) Raywozov, S. N, Kabrdinian Songe.

19) Giny, Khan, Circassian Musican Song in Carly part of the 19th Century, 1987, pp. 110.

٢٠) نغموقة، شورا، مصدر سابق، ص: ٢٣٠.

21) Taneyev, Sergei. Musicbook of kubadian and Balkar Songs. 1987.

٢٢) جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٢٤-٢٢٨.

23) Kandanov. H, Songs, Nalchik. Elbrus press – 1987.

٢٤) جونا توقة، عزت، مصدر سابق، ص٢٢٩-٢٣٠.

٢٥) تراوبنسكوي، – Trabontzkoy – مصدر سابق ١٩٢٥.

٢٦) لابينسكي . ت .Lapinski, T – مكانة المغنين المتجولوين (وردؤة) في المجتمعات الشركسية عام ١٨٦٢.

٢٧) اوزيك، باتريك، **أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة**، مصدر سابق، ص: ٨١.

٢٨) جموخة، مصدر سابق، ص: ٢٢٦- ٢٢٩ – ٢٣٠.

٢٩) شارل، جان، **العالم المجري المختص بدراسة ثقافة الشعوب الذي تجول في بلاد الشراكسة** وعاش معهم فترة من الزمن ابتداء من عام ١٨٢٩.

٣٠) جوناتوقه مت عزت، **تاريخ القوقاز**، ص: ٩٧-٩٨.
٣١) شارل، جان، ونقل عنه (جوناتوقة) في **كتابه تاريخ القوقاز** ص: ٦٢-٦٦.
٣٢) مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، **من التراث الشعبي الشركسي، زي المرأة الشركسية**، العدد (٢٦) شباط عام ١٩٧٧ ص: ١٢-١٣.
٣٣) جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ١٩٥-١٩٦.
٣٤) سمكوغ، برزج، **الشركس في فجر التاريخ** – مصدر سابق، ص: ١٩٥.
٣٥) تسوخونه، حسن، إيرينا حسن تسوخونه، **القاموس الشركسي الروسي، الانجليزي، التركي نالتشك** عام ١٩٩٨، ص١٨٨ – ١٨٩.